نصيب اليُوتُيوب من شعري!

(الجزء الأول)

شعر/أحمد علي سليمان عبد الرحيم

كل ابن آدمَ خطاءٌ ، وخيرُ فتىً ... مَن تابَ يُرشدُه للتوب علام

ومِن بني آدمٍ واللهِ شاعرُنا ... فهل على خطإٍ يُصليه لوّام؟

كم ذاد عن بيضة الإسلام محتسباً! ... له بشرع مليك الناس إلمام

وكم تكبدَ هولاً في مناظرةٍ ... حتى يفيد الألى في غيهم هاموا!

وكم بشعر له قد خاض خندمة ... ليُعْلم الناس إن أفاد إعلام!

وكم تعقبَ بالأشعار مِن شَبَهٍ ... يريد فضحَ أناس حولها حاموا!

كم سخر الشعر يُحيي قِيمة وُئدتْ! ... هذا الغيورُ على الأخلاق قوّام

كم أبطل السحر زكاه الألى فجروا! ... والسحرُ إن راجَ بين الناس هدّام

ديوان السليمانيات

(مجموعة شعرية)

نصيب اليوتيوب من شعري 1

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

نصيب اليوتيوب من شعري 1

(لقد كان إنشاء قناتي على (اليوتيوب) إنجازاً عظيماً أحمدُ الله تعالى عليه أولاً وآخراً! وأشكرُ فريق عمل اليوتيوب على إسهاماته!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

أبتاه

(تغيب عن أبيه زماناً ، وسعى الواشون فأفسدوا ذات بينهما ، والأصل أن الناس يصلحون ذات البين بدلاً من إفسادها! فإذا لم يصلحوا فكان عليهم أن يحايدوا الأب وابنه! فتخيلتُ ذلك الابن يعتذر لأبيه ويرسل دموع الاعتذار شفيعاً له على تقصيره وتفريطه في حق والده عليه ويطلب منه المسامحة والعفو والصفح. وكأني به يستثمر مناسبة العيد ويستغلها قبل رحيلها ، وكأني به يقول لأبيه: تجاوز عني واجعله يوم جائزة لي عند ربي في الأرض والسماء! فقال يخاطبه في العيد.)

أبتـــاهُ ـ فـــي الأضـــحى ـ أزف بيـــاني ... دُرراً يُعطرهـــا بهـــيُّ معـــانِ

تختـــالُ فـــي أرج القصـــيد موائســـاً ... كالغِيـــد سِـــرن بســـاحر الألـــوان

فعســى القصــيدة أن تحــوز رضــا الــذي ... لمّـــا يحُـــزْ شـــيئاً مـــن العِرفـــان

العيـــدُ يـــا أبتـــاه بوتقـــةَ الصـــفا ... وهديـــة الـــرحمن للإنســـان

فـــي الأرض يـــوم جـــوائزٍ ، وكـــذا الســـما ... أعلمـــتَ مـــا فـــي العيـــد مـــن إحســـان؟

أبتـــاهُ بـــاركَ فيـــك خـــلاقُ الـــورى ... ورزقـــتَ عنـــد الله خيـــرَ جنـــان

مـــا غيرتْنـــي غَربتـــي ، كـــلا ، ولا ... ألـــمُ النـــوى ، وقصـــيدتي بُرهـــاني

فليغفـــر الـــرحمن مـــا قارفتُـــهُ ... فـــي حـــق مـــن أعطـــى بـــدون تـــوان

أبتـــاهُ فـــي العيـــد الســـعيد تحيتـــي ... بـــالفرح أزجيهـــا وبـــالأحزان

بـــالفرح علّـــك تغفـــرنّ مســـاءتي ... فأنـــالَ فـــي الأخـــرى رضـــا الـــرحمن

أو لا ، فـــأرجع والضـــياعُ بضـــاعتي ... وأبـــوءُ عنـــد الله بالخســـران

قصّـــرتُ ، هـــذا العيـــد فرصـــتُنا معـــاً ... وانـــس الـــذي قـــد كـــان مـــن هجـــران

واللهُ يشـــهد يـــا أبـــي ببراءتـــي ... تعـــس الوشـــاةُ وجوقـــةَ الشـــيطان!

مـــازال كـــلٌّ بالوشـــاية ســـاعياً ... حتـــى نمَـــتْ مرثيـــةَ العُـــدوان

والعيـــدُ أكبـــرُ مـــن إراقـــة دَمعنـــا ... هـــذا يُخـــالف شِـــرعةَ الـــدَّيان

أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي)

(من منا لا يعرف محمداً بن إدريس الشافعي إمام المذهب – رحمه الله رحمة واسعة -! كلنا يعرفه فقيهاً مناظراً مفحماً للبدعة وأهلها ، وناصراً للسنة وأهلها! فقد أغناه كتاب (الأم) في الفقه عن التعريف به كفقيه ، وأغناه كتابه (مسند الشافعي) عن التعريف به كمحدث! ولكن القليل منا يعرفه شاعراً نحريراً ، ألان الله له البيان والبديع والبلاغة والإبانة والفصاحة! فقد حظي ديوانه الموسوم بـ (الجوهر النفيس في شعر محمد بن إدريس) عن التعريف به كشاعر! قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى مشفقاً على نفسه ومتهماً إياها بالتقصير في جنب الله:

أحب الصالحين ولستُ منهم *** وأرجو أن أنال بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي *** وإن كنا سواءً في البضاعة

فقال له الإمام أحمد رحمه الله تعالى مادحاً الشافعي ومثنياً عليه ومطمئناً له ومهنئاً ومبشّراً:

تحب الصالحين وأنت منهم *** ومنكم سوف يلقون الشفاعة

وتكره من بضاعته المعاصي *** حماك الله من تلك البضاعة

ولقد قرأت شروحاً كثيرة لبيتي الشافعي الأوليين! ولكنني وجدت الأستاذة الأديبة فاطمة علي تشرح البيتين للشافعي بطريقة إبداعية - وكأنها ابنة الشافعي أو تلميذته - فتقول ما نصه: (من قول الإمام الشافعي: (أحب الصالحين ولست منهم لعلي أنال بهم شفاعة) فهو يقول عن نفسه بأنه يحب الأشخاص الصالحين الذين يفعلون الخير. ويتجنبون فعل السيئات ويسعون إلى رضا الله سبحانه وتعالى وطاعته. فيتجنبون كل فعل سيءٍ قد يُدخلهم النار ويحاولون دائمًا الإصلاح من أنفسهم. ويكمل الإمام كلامه بقوله :"لست منهم" وذلك تواضعًا وإقرارًا بتقصيره. وذلك لأنه يعلم أن المؤمن مهما فعل فسيظل مقصر. ولا يكفي فعله لشكر فضل الله ورحمته ، وكلنا كذلك نسأل الله العفو والعافية. ويقول الإمام بعد ذلك: "لعلي أنال بهم الشفاعة" ، وهو يقصد أن: لعله ينال الشفاعة بسبب حبه للصالحين. فمن يحب سوف يعمل على تقليد من يحبه في كل أفعاله الحسنه. وقد أخبرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أن المرء مع من يحب! فعن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وما أعددت للساعة؟ قال: حب الله ورسوله ، قال: فإنك مع من أحببت ، قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم : فإنك مع من أحببت. قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر. فأرجو أن أكون معهم ، وإن لم أعمل بأعمالهم. وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله. كيف ترى في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب. وأما عن البيت الثاني والذي يقول فيه الإمام الشافعي: "وأكره من تجارته المعاصي ولو كنا سواء في البضاعة": فهنا يقول الإمام الشافعي أنه يكره من يتاجر بالمعاصي. أي أنه لا يحب الأشخاص الذين لا يُخفون ذنوبهم بل يُجاهرون بها. ويفعلون الذنوب دون ندم أو خجل من فعلها. ويكمل قوله: "ولو كنا سواءً في البضاعة" أي أنه يعترف أن لديه ذنوباً ومعاصي. فكلنا مخطئون ولدينا ذنوبنا ، ولكنه هنا يقول بأنه ليس معصوم. فهو أيضًا له ذنوبه! وسبب كرهه لمن يتاجرون بالمعاصي ليس أنهم

عاصون. فكلنا كذلك بل سبب الكره أنهم يتاجرون بها ولا يندمون عليها. فهذه القصيدة ليس الغرض منها أن يمدح الإمام الشافعي في نفسه ؛ والدليل على ذلك أننا لا نجد فيها أبدًا ما يدل على الشكر في الذات وتمجيدها سواء بالتعبير المباشر أو حتى باستخدام الكناية. بل إنه ليعترف بكونه بشراً يخطئ ويصيب ، ولكنه يحب الأشخاص الصالحين ، ويأمل أن يكون حبه لهم وإنكاره فعل من يتاجرون بالمعاصي أن يكون سبباً في الشفاعة له ودخوله الجنة).هـ. ومن فاطمة على إلى فاطمة عبد المقصود ، حيث تقول تحت عنوان: (أحب الصالحين ولست منهم) ما نصه بتصرفٍ زهيد: (كثيرًا ما تهفو الروحُ إلى أولئك الطيِّبين ، الذين تشعرُ حينَ تلقاهم أنهم أصحابُ قلوب رائقةٍ لا تَأْبَهُ لعوارض الدنيا ، ولا تتشوَّق لنَيْل حظوظِها ، تلقاهم فيرتاحُ القلبُ ، ويودُّ لو يرتقي فيَصِل إلى سمائهم العالية ، تَعلَمُ أن بينَك وبينهم أمدًا بعيدًا ؛ فهم على الطريق يُهرولون إلى الخيرات وإلى نبع النور ، بينما أنت تتلفَّتُ هنا وهناك مرَّات ومرات قبل أن تُكْمل على الطريق خطوةً ، لكنك تَشدُّ من عزمِك ، وتُغذِّي طموحَك كلما رأيتَ غدوَّهم ورَواحَهم. وإنك لتفقدُ صبرَك أو تجورُ على غيرك ، وإنك لتَغفُلُ عما هو حقٌّ وواجبٌ ، ويغيب عنك كثيرٌ من الخُلق الرفيع ، وتدَّعي أنك على الحقِّ والخير ، فإذا ظهروا عرفتَ أين مكانَك ، ورأيت كيفَ هدوءهم وصبرُهم وجَلَدُهم ، ورأيتَ حرصَهم على الواجبات وتغافلَهم عن المُسيئين ، ورأيتَ بَذْلَهم وأدبَهم ، فإذا بهم قد علَّموك كثيرًا دون أن تَنْطِقَ شِفاهم بحروف كثيرة. هم ذلك الطَّيْفُ الذي تراه فتشعرُ أن الهواءَ من حولك نَسمات صافيةٌ ، تَطِيبُ معها القلوب والأبدان ، هم أولئك الذين لا يَملَأون وقتَك بسفاهات الفارِغين ، بل تجدُ في كلِّ كلمة لهم مغزًى تَنتفِعُ به. إنهم كصديقتي التي لم أكن ألتقيها إلا قليلًا ؛ لأنها شَغَلتْ أوقاتها جميعًا بما يُصلِحُ أحوالَها وينفعُها ، تتركُ فيَّ ذلك الأثر الذي يدفعُ إلى الخير ، ويُحبِّب إليَّ الترقِّي. لن تَعدَم أن تجدَ أحدًا منهم بجوارك إن بحثتَ ، وقد يكونون أقربَ ما يكون إليك ؛ في أسرتك الصغيرة ، أو عائلتك الكبيرة فيمَن تعرفُ من الأصدقاء أو زملاءِ العمل ، أو حتى مَن كانوا في رفقتك يومًا ، أو من التقيتهم عرضًا في موقف من مواقف الحياة. هم الذين تحتاجُهم الروحُ وإلَّا لم تَجِدْ أنيسًا ، ويرتاحُ بهم القلب وإلا بقي مشتَّتًا حزينًا ، فلا تتردَّدْ في البقاء إلى جوارِهم إذا ظَفِرْتَ يومًا بهم ؛ لعلك تقتبسُ من خِصالهم وأخلاقهم ما ترتقي به ، وتندفع إلى سباقِ الخيرات).هـ. وإذن فالمعنى المراد أن المرء محشورٌ يوم القيامة مع من أحب! وهذا الذي نفهمه من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ، ونفهمه كذلك من بيتي الشافعي – رحمة الله تعالى عليه -! وتحت عنوان: "المرء مع من أحب" يقول الأستاذ أباي محمد محمود ما نصه: (غاية الإكرام أن تحب إنساناً فتبلغ مناك في اللحاق به وإن قصر بك عملك عن درجته ، وقد وقعت هذه البشارة موقعها من قلوب المحبين المتولهين بحب النبي صلى الله عليه وسلم وحب أصحابه لما سمعوها منه فقد قال قائلهم (والكاتب هنا يعني أنس بن مالك) -: "ما فرحنا بعد الإسلام بشيء فرحنا بهذا الحديث". وكان ثوبان رضي الله عنه مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب له وكان يراوده هذا الهاجس ، يخاف ألا يلقى النبي صلى الله عليه وسلم بعد الموت بسبب تفاوت الدرجات ، وفيه نزلت آية سورة النساء ، قال القرطبي: كان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحب له قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه ، يعرف في وجهه الحزن ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "ما غير لونك؟!" ، قال: يا رسول الله.. ما بي ضر ولا وجع ، غير أنى إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك ، لأني عرفتُ أنك تُرفع مع النبيين

– عليهم صلوات الله وتسليماته - ، وأنى إن دخلت الجنة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك ، وإن لم أدخل لا أراك أبداً ، فأنزل الله عز وجل قوله: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}. وعند الطبراني من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: والله إنك لأحب إلى من نفسي ، وإنك أحب إلي من أهلي ومالي ، وأحب إلي من ولدي ، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يرد عليه النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} الآية. بهذه المحبة الصادقة وبهذا التعلق استحقوا هذا الإكرام "المرء مع من أحب"! فيا لها من نعمة على المحبين سابغة. يقول عبد الله بن مسعود رضي الله كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض أسفاره ، إذ هتف بنا أعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد! فقال له النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ما تشاء؟ فقال: المرء يحب القوم ولا يعمل بأعمالهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: المرء مع من أحب. وفي رواية البخاري: "كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ ، فقال: المرء مع من أحب". فألحقه عليه السلام بحسن النية من غير زيادة عمل بأصحاب الأعمال الصالحة! كما يقول الخطابي رحمه الله. ومما ينسب إلى ابن حجر رحمه الله قوله:

وقائل هل عمل صـــــــالح ... أعددته يدفع عنك الكرب

فقلت حسبي خدمة المصطفى ... وحبـــه فالمرء من أحب

ولحاق المحبوب بمن أحب وكونه معه لا يلزم منه أن تكون منزلته وجزاؤه مثله من كل وجه! قال ابن حجر في الفتح قوله: "إنك مع من أحببت أي ملحق بهم حتى تكون في زمرتهم ... وإن تفاوتت الدرجات"اهـ. ليس الأمر هنا على إطلاق المحبة فليست كل دعوى محبةٍ نافعة لصاحبها" فلا ينتفع من ادعى محبة قوم ، وخالفهم في أخلاقهم ، وأعمالهم رغبةً عنها بمحبتهم ، ولا يلحقه ذلك بهم. وكذلك – أيضاً – لو كان مشتغلاً عن متابعتهم ، وموافقتهم بما هو فيه من شهوات النفس ، وتُرَّهَاتِ الهوى ، والعكوف على تحصيل الدنيا بأي وجهٍ تيسرت به ، بحيث غلب عليه الظلم والغش والمكر والخديعة وغير ذلك ؛ فإنَّ ما يدعيه من محبتهم لا ينفعه ، ولا يلحقه بهم ؛ لأنه مجرد تَمَنٍّ ، ومحضُ ادِّعاء لا يُجدي ، وكيف تثبت له محبتهم وقد عكف على أوصاف من سواهم ، وجاء بأعمال من عداهم ممن ليسوا منهم؟ ومن هذا القبيل محبة الظَّلَمةِ والفَسَقةِ للصالحين ، وتقربهم من المباركين بعرض أموالهم عليهم ، وإرسال الهدايا إليهم ، وهم مُكِبُّوْنَ على ظلمهم للناس ، وإسرافهم على أنفسهم ، فهؤلاء لا تنفعهم محبة الصالحين ، ولا تلحقهم بهم. واما من كانت مخالفته لهم لا على طريق الرغبة عن أخلاقهم ، ولا على سبيل الأَنَفَةِ من أحوالهم ، بل كان ذلك على سبيل العجز والتقصير عن بلوغ درجاتهم ، والانحطاط عن عُلُوِّ همتهم ، أو على وجه غلبة الهوى عليه ، وضعفه عن مصادمته ومخالفته ، فوقعت منه الزلة ، وألَمَّ تلك اللمة ، ولو تيسر له اللحاق بهم في وصفٍ لم يتأخر عن الاتصاف به ، أو في خُلقٍ لم يتوان عن التخلق به ، فهذه المخالفة والتقصير لا يُقعدانه عن اللحاق بمن يحبهم ، ولا يؤخره عن الكينونة معهم ، وعلى ذلك تحمل الأحاديث والآثار الواردة

في ذلك". كما قال الغزي رحمه الله تعالى في حسن التنبه لما ورد في التشبه. المحبة إذن تجارة رابحة ، لكنها تستلزم الموافقة والمتابعة وإلا كانت مُجرد دعوى).هـ. ومن هنا كانت مُساجلتي ومُحاكاتي الشعرية للشافعي – رحمه الله تعالى - ، في هذين البيتين الرائعين! واتبعتُ في ذلك النمط من المعارضات الشعرية منهج الإمام أحمد بن حنبل تلميذ الشافعي في الثناء على الشافعي وإبراز مكانته ، فيما يبدو لنا والله حسيبه ووكيله! ولا نزكّي على الله ربنا أحداً!)

تُحِبُ الصالحين ، وأنت فيهم ... كمثل البدر يُهديهم شُعاعَهْ

وتكرهُ مَن يُجاهر بالمعاصي ... ترى العِصيانَ مِن أخزى البضاعة

ملأت الأرض عِلماً لا يُبارى ... وظني أن يُبلغك الشفاعة

وفقهت العباقرة احتساباً! ... وفقهُ الدين والتقوى صِناعة

وعلمت الأصولَ ، وكنت فيها ... إماماً كلهم يرجو اتباعه

وناولت المناقبَ كل فذٍ ... إليها أشهرَ الفذ اندفاعه

وخضت البحرَ لم تحذرْ عُباباً ... بزورق مُبحر أعلى شِراعه

ودَرّست المبادئَ والسجايا ... كأنك كنت تزرعُها زراعة

وربّيت الأماجدَ تصطفيهم ... وكلٌ منهمُ أبدى انتفاعه

ورسخت التمسك بالمَعالي ... ولم تأخذ مِن الدنيا لعاعة

وقدمت القصائدَ كاللآلي ... تفوقُ الدُر – صِدقاً – في النصاعة

و(جوهرُك النفيسُ) دليلُ قولي ... تَزينُ نصوصُه طِرسَ الطِباعة

وفذ في (الرسالة) عبقريٌ ... وفيها يَشتهي القاري مَتاعه

وفي (الأم) التفقهُ مُستنيرٌ ... يصدُ الخَصمَ مُحتملاً نِزاعه

ومُسندُك احتوى كم مِن حديثٍ ... رواهُ البعض ، أو روتِ الجماعة

وجابهت الطواغيَ دون خوفٍ! ... وغيرُك ساقَ – في البلوى - وِجاعه

وناظرت الخصومَ بفيض علم ... وخلّفَ علمُك الجمُ القناعة

ولكنْ لابتداع البعض بأسٌ ... وبعضٌ منهمُ لفظ ابتداعه

وأفحمـــــت المُنـــــاوئ فـــــي التلاحـــــي ... فأبـــدى – فـــي المنـــاظرة ـ التياعـــه

وكـــــم ســـــافرت أســـــفاراً طِـــــوالاً! ... وكـــــم عاملـــــت تُجـــــاراً وباعـــــة!

وكـــــم أهـــديت نصـــحَك مـــن تعـــدى ... وإن يـــكُ لـــم يُناولـــك اســـتماعه

وكـــــم قابلـــــت مُـــــنفعلاً بحِلـــــم ... ولطـــــفٍ رافعـــــاً كَـــــف الضـــــراعة!

وكـــــم أحســـــنت فـــــي سِـــــر وجَهـــــر ... وشِـــــيمتُك التفضـــــلُ والوَداعـــــة!

وكـــــم أخلصـــــت ترجـــــو لَـــــمّ شَـــــمْل ... يُعـــاني النـــاسُ – فـــي الـــدنيا – انقطاعـــه!

وكـــــم أبـــــدعت فـــــي إيصـــــال رأي ... لتـــدفعَ مـــا افتـــرى أهـــل الوضـــاعة!

وأقنعـــــت (الرشـــــيدَ) بـــــلا افتئـــــاتٍ ... وقـــــد ذهبـــــتْ بحِكمتـــــه الإشـــــاعة!

فقـــــال: (الشـــــافعي) إمـــــامُ حـــــق! ... لأجلـــــك قانعـــــاً عقـــــد اجتماعـــــه

وقـــــدّرَ مـــــا تُقـــــدّم مـــــن علـــــوم ... وقـــــال: أمُـــــرْ تجـــد ســـمعاً وطاعـــة!

وفـــــكّ القيـــــد معتـــــذراً لشـــــيخ! ... ونظـــف مـــا اعتـــرى ـ أسِـــفاً ـ ذراعـــه

فقلـــــتَ: أعـــــودُ منتصـــــراً عزيـــــزاً ... فقـــال: اذهـــبْ ، ولكـــنْ بعـــد ســـاعة

وكانـــــت عنـــــده شـــــتى القضـــــايا ... فـــــأرهفَ – فـــــي تـــــداولها ـ ســـــماعه

علـــــى أهـــــل الكـــــلام رُئيـــــت ليثـــــاً ... فكـــــلٌ مـــــنهمُ أزجـــــى خِداعـــــه

وسَـــــعّر حقـــــده حربـــــاً ضروســـــاً ... وبـــــالغ فـــــي التنطـــــع والفظاعـــــة

وأشـــــهرَ ســـــيفه حســـــداً وحِنقـــــاً ... وكـــــان كلامُـــــه أنكـــــى شـــــناعة

وجـــــاء (الشـــــافعي) فـــــردّ كيـــــداً ... وأبطـــــل بـــــاطلاً يُغـــــري سِـــــباعه

ودافـــــع عـــــن حيـــــاض الـــــدين فـــــرداً ... وجنـــــدل مُنكَـــــراً يُزجـــــي ضِـــــباعه

وأخمـــــدَ فِتنـــــة بَلغـــــتْ مَـــــداها ... كبَكـــــر عنـــــدما لقيـــــتْ (خزاعـــــة)

ألا يـــــا (شـــــافعي) لـــــك التحايـــــا ... ومَتعـــــك المُهـــــيمنُ بالشـــــفاعة

شـــــفاعة (أحمـــــدٍ) يـــــوم التنـــــادي! ... وخفـــفَ عنـــك ـ فـــي المـــأوى ـ وِجاعـــه!

أشواق الغربة

(اغترب عن أهله وعشيرته وأصدقائه ورفقاء دربه! وعانى آلام الغربة ومآسيها ككل غريب! ولكن الأشواق الهائجة لرؤية الأحباب كانت له بالمرصاد! فراح يتذكر عطير أحاديثهم وعذب كلامهم وجميل مواقفهم وسالف أيامهم! كما راح يتذكر صلة الأرحام وقيام الليل وصيام النافلة وقراءة القرآن ومُدارسة العلم! كما راح يتذكر السواقي وهي تروي الحقول ، والطيور على أغصان الأشجار وفي جو السماء ، والشمس وهي تشرق على دياره ، والقمر وهو ينير ليل هاتيك الديار! وقارن حياته الماضية بحياة الغربة! فكيف يعيش ومن يُعد له طعامه ومن يُسليه ومن يُصَبره ومن يُعينه على غربته ومن يُرتب له متاعه وغرفته؟ لقد كان ملِكاً في دياره ، ثم صار عبداً في غربته! فلم ينقم على الغربة! كما لم يتسخط عليها! ولم يصب جام غضبه عليها وعلى من كان سبباً فيها! بل وصف الأشواق الحلوة والحنين العذب!)

لـــــيس شـــــيءٌ عانيتُـــــه كـــــاغترابي ... عـــــن ديـــــار متـــــى إليهـــــا إيـــــابي؟

هزنـــــي الشـــــوقُ للـــــديار طـــــويلاً ... فانتحبـــــتُ هـــــل منصـــــتٌ لانتحـــــابي؟

هـــــل تُســـــاوي الأمـــــوال بســـــمة طفلـــــي؟ ... قـــــد حُرمـــــتُ منهـــــا ، وطـــــال غيـــــابي!

مـــــا الحيـــــاة إن أصـــــبح البُعـــــدُ جبـــــراً؟ ... هـــــل يحـــــن البُعـــــدُ علـــــى الأغـــــراب؟

هـــــل حُلـــــولٌ إن هـــــاج شـــــوقُ غريـــــبٌ ... أو طوتْـــــه لـــــواعجُ الأوصـــــاب؟

نصـــــفُ هـــــذا الغريـــــب يحيـــــا بـــــأرض ... وبـــــأخرى نصـــــفٌ ينـــــي باضـــــطراب

أســـــرة تنعـــــى عـــــائلاً فـــــي فـــــلاةٍ ... هـــــل حيـــــاة فـــــي بُقعـــــةٍ مِجـــــداب؟

مَـــــن يُعـــــد طعـــــامَ أشـــــقى غريـــــب ... لا يُلاقـــــى فـــــي النفـــــي بالترحـــــاب؟

مَـــــن يُـــــداوي جراحَـــــه ثاعبـــــاتٍ ... دمَ مظلـــــوم خـــــاض أشـــــقى مصـــــاب؟

مَـــــن يُجفـــــفُ الـــــدمعَ فـــــي عـــــين فـــــردٍ ... ســـــال مِغـــــزاراً منـــــه فـــــي المحـــــراب؟

مَـــــن يُعزيـــــه إن دهتْـــــه المنايـــــا ... طارقـــــاً بالبشـــــرى علـــــى الأبـــــواب؟

مَـــــن يُســـــلي الغريـــــب إن مَـــــلّ عيشـــــاً؟ ... مَـــــن يُهـــــدّي تـــــوترَ الأعصـــــاب؟

مَـــــن يُزيـــــلُ عنـــــه اكتئابـــــاً مريـــــراً ... حيـــــث طمـــــتْ مـــــرارة الإكتئـــــاب؟

مَـــــن يـــــرد أهـــــلاً ودراراً وصِـــــيتاً ... وأناســـــاً مِـــــن خيـــــرة الأصـــــحاب؟

إننـــــي فـــــي شـــــوق كبيـــــر إلـــــيهم ... مثـــــلِ شـــــوقي للأهـــــل والأحبـــــاب

لـــيس يـــدري بالشـــوق مثـــلُ غريـــب ... كـــم يُعـــاني فواجـــعَ الإغتـــراب!

وحنينـــي أهـــاج فـــيّ اشـــتياقي ... لخـــلال أتيتُهـــا فـــي شـــبابي

مثـــل وصـــل الأرحـــام دون انقطـــاع ... ثـــم عنـــد المليـــك كـــان احتســـابي

وصـــلاة بالليـــل تُشـــجي حيـــاتي ... قطعـــتْ مُـــذ ســـافرتُ للأعـــراب!

صـــورة الماضـــي لـــم تُفـــارق خيـــالي ... رغـــم بُعـــدٍ يُقـــاسُ بالأحقـــاب

والســـواقي تـــروي الحقـــولَ ، وتســـبي ... لـــب راوٍ ، فمـــا لـــه مِـــن صـــواب!

والطيـــورُ فـــوق الغصـــون تُغنـــي ... شقشـــقاتٍ فـــي غايـــة الإطـــراب

والشـــروقُ يـــدب فـــوق الروابـــي ... قاشـــعاً مـــا فـــوق الربـــا مِـــن ضـــباب

وأنـــا مُشـــتاقٌ لماضـــي حيـــاتي ... مُســـتعيداً للـــذكريات العِـــذاب

واغترابـــي يحـــولُ دون اشـــتياقي ... إنـــه فـــي التهـــوين لـــيس يُحـــابي

مـــا أبيـــتُ فيـــهِ عليـــه اصـــطباحي ... قـــد مللـــتُ وَتيرتـــي وانتيـــابي!

وبقايـــا الطعـــام فـــي كـــل صـــحن ... وهنـــا فـــوق مشـــجبي جلبـــابي

لا جديـــداً فـــي العـــيش يُســـعدُ نفســـي ... غيـــرُ مَيلـــي إلـــى الـــدعا المســـتجاب

رب خفـــفْ مَـــواجعي فـــي اغترابـــي ... رب منـــك أجـــزلْ عظـــيمَ الثـــواب

رب وارزقنـــي فـــي اغترابـــي ، ووفـــقْ! ... مَـــن ســـأدعو فـــي ذا ســـوى الوهـــاب؟!

أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهمِ؟!

(بينما كنتُ أسيرُ وأحدُ أصحابي في طريق عام ، استوقفتْ إحدى النساء صاحبي ، وكانت حشيمة لا يُرى منها إلا عيناها! وعجبتُ من جُرأتها في التحدث إلى صاحبي ، فظننتها تعرفه ويعرفها ، وقلتُ في نفسي لعلها إحدى القريبات أو الجارات ، وعندها مشكلة تلتمس حلها عنده! وبعد حوار هامس معها لم يستغرق الدقائق الثلاث ، أخرج صاحبي مبلغاً من المال هو نصفُ ما معه من الدراهم وأعطاه إياها! فدعتْ له بخير ثم انصرفت عنه! فسألتُه بفضول: من هذه المرأة؟ وما قصتها؟ فقال صاحبي: امرأة غريبة شكتْ إليّ حاجة وعوزاً وعِيالاً وزوجاً مريضاً ، فأخذتني رقة ذلك فأغدقتُ عليها من مال الله الذي آتاني حِسبة لله – عز جل -! وإلى هنا فأنا أرى بأن الأمر طبيعي ، ويُمكن أن يحدث معي ومع غيري! ولكن حال صاحبي لم يستقم بعد موقفه هذا! حيث رأيتُه شارداً أغلب الوقت يُفكر فيها! فقلتُ له كما قال معلم يزيد بن معاوية لمّا رأى خادمة الأول (حُبابة) فسقط الإبريق من يده في الطست ، فقال المعلم له: (أصابك عشقٌ أم رُميت بأسهم) وردّ عليه يزيد بقصيدة حوالي ثمانية وعشرين بيتاً من البحر الطويل! صاغ زيد قصيدته وهو ابن أحد عشر عاماً ، وكانت هذه أول قصيدةٍ كتبها يزيد! ولأن قصيدتي محاكاة لقصيدة يزيد ، رحتُ أنكر على صاحبي كل هذا الاهتمام الزائد عن الحد! ذلك الاهتمام الذي ليس في محله مطلقاً؟! حيث إنها امرأة متزوجة ، فهي في عصمة رجل مريض بعلةٍ أقعدته في الفراش! ومرضه لا يعني وفاته ولا عشق زوجته؟ فتلك دناوة وخِسة يأباها الطبع القويم فضلاً عن الدين المستقيم! فكيف يعشق امرأة في عِصمة رجل؟! وأي امرأة؟ إنها امرأة حشيمة بعباءةٍ فضفاضةٍ سميكةٍ لا تشف ، وخشنة لا تصف ، سوداء سواد الليل البهيم ، ونقاب سميك وسيع يُخفي معالم وجهها ، وقفازين يُخفيان تقاسيم ولون كفيها ورسغيها ومعصمها وأصابعها ، وحذاء أسود ملتصق بالأرض! عجيبٌ هذا العشقُ ، وأعجب منه ذلك العاشق! فأنشدتُ أنصحُ له وأحثه على الاستقامة! فطفقتُ أقول له مبكتاً وعاتبا: إن هذا لا يجوز في ديننا! وتحت عنوان: أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهمِ؟ - من روائع الشعر العربي ليزيد بن معاوية) يقول الكاتب الأستاذ: سالم عطير ما نصه: (تعد هذه القصيدة من روائع الشعر العربي وهي للشاعر يزيد بن معاوية ، ومن الناحية الأدبية يعد يزيد بن معاوية شاعراً فذاً له الكثير من القصائد الحاضرة حتى يومنا هذا ، وكغيرهِ من الشعراء القدامى ، تعرض شعر يزيد إلى الكثير من التحريف والتغيير ، مما أدى إلى نسب أبيات لهُ لم يقلها ، وتجمعت قصائدهُ في ثلاثة مجلدات شعرية. ومن أجمل الأقوال المأثورةِ عنهُ: (إذا مرض أحدكم مرضاً فأشفي ثم تماثل ، فلينظر إلى أفضل عمل عنده فليلزمه ، ولينظر إلى أسوأ عمل عنده فليدعه. وتعد قصيدة: (أصابكَ عشق أم رميتَ بأسهمِ؟) من روائع الشعر العربي ، وتغنى بها الكثير من المطربين كموشح للأغاني والقصائد المُغناة!).هـ. وهناك شرح لقصيدة (أصابك عشق) للأديبة الأستاذة أحلام بكري تقول فيه: (تُعدّ قصيدة (أصابك عشق) من القصائد مجهولة القائل في الشعر العربي على رأي من الآراء النقدية المنصفة ، وفيما يأتي شرح لأبياتها ، يقول الشاعر:

أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهمِ فما هذهِ إلا سجيّةُ مُغرَمِ!

أصابك سهم أم رُميتَ بنظرةٍ فما هذه إلا خطيئةُ من رُمي!

ويتابع الشاعر فيقول: إنّني أغار على جسدها من الثياب التي تلتصق به ، وأحسد الكأس التي تلامس شفتيها عندما تشرب ، ثمّ ينصرف ليصف حاله في العشق فيقول إنّ الطيور قد رثت لحاله ، ويقول إنّه ميت في عشقها وقد استحلت دمه ، فيقول: سلوا المحبوبة كيف أراقت دمه ومن جعل دمه حلالًا لها ، ويقول أخيرًا: قولوا للحبيبة إن رأيتموها إنّني قتيل حبّك).هـ. ونعرض لكم شرح قصيدة (أصابك عشق) ، ومن هو كاتبها؟ يتساءل العديد من الأشخاص عن شرح قصيدة (أصابك عشق) ، والتي ترجع إلى الشعر الأموي لدى العرب ، وقد أشار البعض أنها تعود للشاعر قيس بن الملوح (مجنون ليلى) وذلك بسبب وجود البيت الذى يقول فيه فدع عنك ذكر العامرية إنني أغار عليها من فم المتكلم! ولذا يمكننا القول بأن المقصود من كلمة العامرية هنا في هذا البيت: هي ليلى حبيبة قيس ، إلا أن هناك قصيدة مشابهة لها قد قالها يزيد بن معاوية ، ونظراً لأن الشاعرين قد عاشا في نفس العصر ، فقد تداخلت القصيدين معاً. وإذن فكاتب هذه القصيدة هو قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، العامري الهوازني ، والذي اشتهر في هذا العصر الأموي باسم مجنون ليلي. وأما قصيدة (أصابك عشق) ليزيد بن معاوية فيقول مطلعها:

أراك طروبا ذا شجا وترنم تطوف بأكتاف السجاف المخيم

أصابك عشق أم رميت بأسهم؟ وما هذه إلا سجية مغرم

على شاطئ الوادي نظرت حمامة أطالت عليّ حسرتي والتندم

فإن كنت مشتاقاً إلى أيمن الحِمى وتهوى بسكان الخيام فأنعم

أشير إليها كالبنيان كأنما أشير إلى البيت العتيق المعظم

وختم أبياته لها بقوله:

خذوا بدمى منها ، فإني قتيلها وما مقصدي إلا تجود وتنعم

ولا تقتلوها ، إن ظفرتم بقتلها ولكن سلوها كيف حل لها دمي؟

وتحت عنوان: (قصة قصيدة أصابك عشق أم رميت بأسهم؟) تقول الأستاذة الأديبة دعاء العضيبات ما نصه: (أمَّا عن التعريف بشاعر هذه القصيدة: فهو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي ، ويُنادَى بأبي خالد ، أمه ميسون بنت بحدل الكلبية ، وهي شاعرة من أهم الشاعرات ، وكانت امرأه ذكية ولبيبة ، وأبوها من أشراف قبيلة كلب. وُلد يزيد في سنة 26هـ ، وقد أرسله أبوه لقبيلة أخواله ليعيش معهم بعد طلاق ميسون ومعاوية ، فتأثرت حياة وطريقة عيش يزيد بالبادية ، حيث تعلَّم الفصاحة والشعر والخطابة والكرم والشجاعة ، وبعد عودته لوالده تفاجأ أهل الشام من طريقة لباسه ، حيث إنّه لم يلبس عمامة أو سيفاً ، فجلب له والده معلماً ومؤدباً ليعلمه ، وهو دغفل السدوسي الشيباني ، وكان يحضر المجالس مع معاوية ليتعلم سياسة الحكم ، ولكن استمر تعلقه بالبادية وأثَّر ذلك على طريقة لباسه وعدم تكلُّفه. وأمَّا عن وفاته: فلقد توفي يزيد في سنة 64هـ ، وكان بمدينة

حوران ، وكانت مدة حكمه ثلاثة سنوات ونصف تقريباً ، وكان عمره حينها تسع وثلاثون عاماً فتولى الخلافة بعده ابنه معاوية بن يزيد وهو ثالث الخلفاء الأمويين ، حيث بويع له بالخلافة بعد موت أبيه. وأما عن قصة قصيدة (أصابك عشق أم رميت بأسهم؟) فإن هذه القصيدة من القصائد الغزلية التي نُسبت إلى الخليفة يزيد بن معاوية ، فلقد كان ذا شعر حسن وبلاغة مرموقةٍ أخذها عن الحُكماء والفقهاء ، فكتب أول قصيدةٍ ولا زالت تتردد إلى يومنا هذا ؛ لأنَّها مليئة بالصور الشعرية والمحسنات البديعية وذات كلمات مُغناه. ولهذه القصيدة أصابك عشق أم رميت بأسهم اقترنت بقصة، وهي أنّه بينما كان يزيد يصب الماء على معلمه فمرت من أمامه جارية غاية في الجمال تدعى حُبابه فلما رآها اندهش من جمالها ووقعت جرة الماء من يد يزيد فرفع معلمه رأسه وقال له:

أراك طروباً والهاً كالمتيمِ تطوف بأكناف السحاب المخيم

أصابك سهم ام بليت بنظرة فما هذه إلا سجية مغرم

فرد عليه يزيد بن معاوية بقصيدة اعتبرت من أجمل القصائد ، وكانت أول قصيدةٍ له وقال:

أراك طروباً والهـا كالمتيم تطوف بأسلاف السجاف المخيم

أصابك سهم أم بليت بنظرة فما هذه إلا سجيّ تبرم

إلى أن ختمها بقوله:-

ألا فاسقني كاساتِ خمر وغن لي بذكر سُليمى والرباب وزمزم

وآخر قولي مثلما قلت أولاً أراك طروباً والهاً كالمتيم

وذات يوم دخلت زوجة يزيد عليه وقالت له: يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من أمر الدنيا شيء؟ فقال لها: نعم حُبابة ، فبعثت زوجته واشترتها ، وألبستها وأحسنت هندامها ، وأدخلتها عليه وعندما رآها طلب أن يختلي بها في القصر لوحده من دون أن يكون عندهم أحد ، فجهزوا له القصر بأجمل الفرش وأطيب المأكولات وغادروا القصر. وبينما هما في القصر يلهوان ويمرحان رماها بحبة عنب وهي تضحك فشرقت وماتت ، وبعدما ماتت أبقاها عنده يقبلها ويحضنها حتى انثنت وجفت. فأمر بدفنها وبعد أن دفنت بقي لزيم بيته حتى مات هو الآخر).هـ. ولقد قسم العلماء المحبَّة إلى مراتب عديدة ، ومن هؤلاء العلماء ابن قيِّم الجوزية الذي أوصلها إلى عشر مراتب ، وهي كما يلي: أوَّلها: العلاقة ، وسمِّيت علاقةً لتعلُّق القلب بالمحبوب. الثَّانية: الإرادة ، وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له. الثَّالثة: الصَّبابة ، وهي انصباب القلب إليه ، بحيث لا يملكه صاحبه ، كانصباب الماء في الحدور. الرَّابعة: الغرام ، وهو الحبُّ اللَّازم للقلب ، الذي لا يفارقه ، بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه. الخامسة: الوداد ، وهو صفو المحبَّة. السَّادسة: الشَّغف يقال: شغف بكذا. فهو مشغوفٌ به. وقد شغفه المحبوب. أي وصل حبَّه إلى شغاف قلبه ، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنَّه الحبُّ المستولي على القلب، بحيث يحجبه عن غيره. والثاني: الحبُّ الواصل إلى داخل القلب. والثالث: أنَّه الحبُّ الواصل إلى غشاء القلب. والشِّغاف غشاء القلب إذا وصل الحبُّ إليه باشر القلب. السَّابعة: العشق ، وهو الحبُّ المفرط ، الَّذي يخاف على صاحبه منه. الثامنة: التَّتيُّم ، وهو التَّعبُّد ، والتَّذلُّل. التَّاسعة: التَّعبُّد

وهو فوق التَّتيُّم ، فإنَّ العبد هو الذي قد ملك المحبوب رقَّه ، فلم يبقَ له شيء من نفسه البتَّة ، بل كلُّه عبد لمحبوبه ظاهرًا وباطنًا ، وهذا هو حقيقة العبوديَّة. ومن كمَّل ذلك فقد كمَّل مرتبتها.
العاشرة: مرتبة الخلَّة الَّتي انفرد بها الخليلان ، إبراهيم ومحمَّد صلى اللَّه عليهما وسلم).هـ.
والذي أراه – على فرض صحة الرواية – أن يزيد بن معاوية وقع في مرتبة التتيم حقيقة!
وعلى هذا الأساس يمكن أن يكون قيس بن الملوح قد عارض يزيداً! وأنا إذ أحاكي فأحاكي الأصل أي أحاكي نص يزيد بن معاوية لا نص قيس بن الملوّح! ذلك أن نص قيس هو في ذاته ضربٌ من المحاكاة والمساجلة والمعارضة! وذلك أقوله على الراجح من أقوال النقاد المنصفين! وما كانت هذه القصيدة التي زادت على التسعين بيتاً على البحر الطويل إلا حباً في يزيد بن معاوية بن أبي سُفيان الملك البجيل والشاعر الأصيل – رحمه الله تعالى ، وغفر له ذنوبه وخطاياه ، وتجاوز عن سيئاته بما جاهد في سبيله ، ورضي الله تعالى عن أبيه معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي والتنزيل والصحابي المخلص الكميل ، ورضي الله تعالى عن جدّه أبي سفيان بن حرب الصحابي الجليل والمسلم النبيل - ، وكذلك كانت هذه المحاكاة الشعرية حُباً في نص يزيد بن معاوية ، ذلك النص الجميل الذي هو من عيون شعر العرب بشهادة النقاد في القديم والحديث! وإن احتوى عيوباً فنية وأخرى شرعية ، ولكنه صاغه وهو ابن الأحد عشر ربيعاً! وهذا كافٍ لالتماس العذر له!)

أصـــابك سَـــهمٌ يـــا جَـــريحَ التتـــيُمِ ... فأصـــبحت تشـــكو مِـــن عـــذاباتِ مُغـــرمِ؟!
وأودى بـــك العشـــقُ الـــذي مـــا قصـــدْتهُ ... ولمّـــا تُحـــاذرْ فـــي الهـــوى أي مَنـــدم!
أخِـــذت بـــأقوال دَهتْـــك حروفَهـــا ... فهـــل كـــان أنـــسُ الأذَن تعجيـــلَ مَغـــنم؟
وكيـــف يُثِيـــرُ الـــنفسَ ترجيـــعُ أحـــرُفٍ ... فتُفـــتنُ – بـــالترجيع – رغـــم تغمْغـــم؟!
وهِمـــت تُمَنـــي الـــنفسَ حُبـــاً ، وتشـــتهي ... بـــرغم حِـــوار هـــامس ومُهيـــنم
وصـــارعت وُداً دَثـــرَ القلـــبُ بعضَـــهُ ... وجـــاوزت – بالإشـــهار – حَـــدّ التكـــتم
شـــغفت بهـــا ، ثـــم اصـــطليت بوصـــلها ... وأمســـى وصـــالُ الســـتِ أعتـــى التـــأثم
فهـــل أنـــت صَـــبٌ يَفـــتنُ الحُـــب قلبَـــه ... فـــإن صُـــدّ أبـــدى غضـــبة المـــتجهم؟!
أتختـــرعُ الأعـــذار تُـــزري بفاضـــل؟! ... فجئنـــي بعُـــذر مُســـتبين وقـــيّم!
فمـــا اســـتويا اللفظـــان: خـــافٍ وواضـــحٌ ... وهـــل يتســـاوى يَعرُبـــي بـــأعجمي؟!
أيخـــدعُني يـــا خـــلُ تبريـــرُ عاشـــق؟! ... أتـــودي بلـــوْمي مُســـكة المُتبـــرم؟!
إذا قلـــتَ: أغرانـــي تبرجُهـــا الـــذي ... يُسَـــلي فـــؤادَ المُســـتهام المُتـــيّم
لقلـــتُ: كفـــى زوراً وإفكـــاً ومُنكـــراً ... فـــذي حُســـنُها بالصَـــون والســـتر يســـتمي

وإن قلـــت: صـــادتْني تـــرانيمُ صَـــوتها ... فشـــنفتُ سَـــمعي مُنصـــتاً للتـــرنم

لقلـــتُ: الـــذي تحكيـــهِ مِـــن أشـــنع الفِـــرى ... فمـــا فـــي حـــوار الهمـــس أدنـــى تـــنغم

وإن قلـــت: أغرتْنـــي بِطلّـــة وجههـــا ... فلـيس لهـذا الوجـه فـي الغيـد مـن سَـمي!

ففـــي الوجـــه كـــلُ الحُســـن والـــزين والحَـــلا ... ويُـــدركُ مـــا أرويـــه أهـــلُ الـــتفهم

لقلـــتُ: لقـــد أخفـــى النقـــابُ جمالـــهُ ... تســـاوى الـــذي أبصـــرَ الوجـــهَ بـــالعمي!

وإن قلـــت: كفاهـــا نظـــرتُ إليهمـــا ... وقـــد زيّنـــا – للنـــاظرين - بعَنـــدم

لقلـــتُ: هـــو القفـــاز لـــم يُبـــدِ منهمـــا ... بُعَيضـــاً ولا كـــلاً ، ولا أيَ مَعْلـــم

أطالتْهمـــا حتـــى ثُـــواريَ مـــا بـــدا! ... ومُـــدا لرُسْـــغيها مُـــروراً بمِعصـــم

وإن قلـــت: خلخـــالُ الصـــبيّة ســـاقني ... أســـيراً لرنـــاتٍ كمثـــل الـــتحمحُم

لقلـــتُ: حِـــذاءُ الســـت مـــا طـــق طقـــة ... لمـــاذا يشـــوبُ القـــولَ بعـــضُ التبـــرم؟!

وإن قلـــت: للمكيـــاج سَـــيفٌ وحَربـــة ... تُجنـــدلُ مهمـــا صـــدّها كـــل ضـــيغم

لقلـــتُ: نـــأى المكيـــاجُ عنهـــا فلـــم تـــزلْ ... بوجـــهٍ عـــن المكيـــاج فـــي الـــدرب مُحجـــم

وإن قلـــت: عيناهـــا نظـــرتُ إليهمـــا ... فهـــل زينتـــا – مثـــلَ الســـماء - بـــأنجم

وقـــد نـــال منـــي جـــاذبُ الســـحر ، فـــاكتوى ... صـــوابي ، وتقـــديري دهـــى خـــاطري الظمـــي

لقلـــتُ: لمـــاذا لـــم تغـــضّ تعبُـــداً؟! ... أمـــا فـــي كتـــاب الله أمْـــرٌ لمُســـلم؟!

أكلمتهـــا والعـــينُ فـــي العـــين جهـــرة ... وزدت كـــلام العـــين بعـــضَ التبسّـــم؟!

وإن قلـــت: شـــدّتْني إليهـــا عطورُهـــا ... صُـــرعتُ يقينـــاً بالشـــذى المُتـــبغم!

لقلـــت: وهـــل كنـــت الوحيـــد تشـــمّهُ؟! ... وهـل يـا تُـرى هـذا الشـذى عِطـرُ مَنشـم؟!

ومـــا وَضَـــعتْ عطـــراً لتلفـــت أعيُنـــاً ... ستُصـــلى بوضـــع العطـــر نـــارَ جهـــنم

وتُحْـــرَم بـــالتعطير جنـــاتِ ربهـــا ... وعنـــد البُخـــاريّ الحـــديثُ ، ومُســـلم

وإن قلـــت: أغـــوتْني ثيـــابٌ مُخِلـــة ... تُخـــالفُ عـــن شـــرع قـــويم ومُحْكـــم

وتلفظهـــــا دارٌ وأهـــــلٌ وعـــــادة ... وتُـــزري ببَكْـــر ، والظفيـــرِ ، وخُـــثَعم

لقلـــتُ: وهـــل جلبابُهـــا يُظهـــرُ الحَـــلا؟ ... فحقـــقْ ، ودَقـــقْ ، ثـــم بعـــدُ تكلـــم!

تـــورّعْ عـــن العشـــق الحـــرام ، فإنـــه ... يُصـــيبُك – يـــا مســـكينُ – منـــهُ بأســـهُم

وقـــاومْ طيـــوفَ العِشـــق أضـــناك وَخزُهـــا ... وعـــن كـــل مـــا يُزْكِـــي ســـعيرَ الهـــوى صُـــم

أأعطيتهـــــا حتـــــى تُـــــذل كِيانهـــــا؟ ... فـــأبئسْ بعـــادٍ – فـــي العطيـــة – مُجـــرم!

أأعطيتهـــــا حتـــــى تفـــــوز بعشـــــقها؟ ... فهـــل طيّـــبٌ يُعطِـــي ليَحظـــى بمَـــزعم؟!

ألا إنـــــه دَيْـــــنٌ ، ومِـــــن أهلـــــك الوفـــــا! ... فهـــل عـــودة عجلـــى لـــدرب مُقـــوّم؟!

وهـــل تســـتحلّ الحُسْـــن راعيـــه قـــد غفـــا؟ ... ألا إن هـــذا الحُســـنَ بـــالله يحتمـــي!

وهـــل تســـتغلّ الســـت جـــاءت لحاجـــةٍ؟! ... حنانيـــك كـــن ردءاً لحَيـــرى ومُعـــدَم!

وكيـــف تُحِـــب الحُرمـــة اعتـــلّ زوجُهـــا؟! ... وهـــل عاقـــلٌ فـــي عشـــق هاتيـــك يرتمـــي؟!

وهـــل مُوجعـــاتُ الـــزوج تعنـــي وفاتـــه؟ ... فأحســـنْ وأجمـــلْ! ثـــم زدْ فـــي التكـــرم!

وهـــل بـــات إحســـاناً لـــه عِشـــقُ زوجـــه؟ ... تريـــثْ وفكّـــرْ تَحـــي شـــهماً وتغـــنم!

ألا فـــاردع الـــنفسَ اللجـــوجَ ، ودَاوهـــا ... فـــإن الـــذي جاسَـــتْه دربَ التنـــدم!

ترفـــعْ بهـــذي الـــنفس عـــن وَهـــدة الخنـــا ... أطعنـــي ، وجنبهـــا ســـبيلَ التـــأثم

ألا واقبـــل الإرشـــادَ بـــالحِلم راضـــياً ... وحِلـــمُ الفتـــى يعتـــادُهُ بـــالتحلم

أتجعـــلُ ســـلطاناً عليـــك مِـــن الألـــى ... وربّـــك هـــم أشـــقى عِـــداةٍ ولـــوّم؟!

ومـــاذا يقـــولُ النـــاسُ عنـــك ألا انتبـــه ... لـــئلا تقلهـــا: لات ســـاعة منـــدم!

ألا إنـــــه عـــــارٌ عليـــــك اجتنابُـــــه ... ويُفضـــي إلـــى درب عســـير ومُظلـــم

نصـــحتُك أقصِـــرْ ، إنمـــا الغـــيّ مُهلـــكٌ ... ويَخســـرُ هيمـــانٌ بســـهم الهـــوى رُمـــي!

ألا إنهـــا اختارتْـــك شـــهماً يُعينهـــا ... وهـــذا اختيـــارٌ لـــيس قـــط بمُـــبهم

رأتْ فيـــك إنســـاناً عفيفـــاً مُكَرّمـــاً ... فهـــل تُصْـــبحنْ يـــا صـــاح غيـــرَ مُكَـــرّم؟!

رأتْ فيـــك غِطريفـــاً يُقِيـــلُ عَثارَهـــا ... ويُخمـــدُ نـــارَ العـــيش إذ وَهْجُهـــا حمـــي

وظنثْـــــك شـــــهماً لا تُشـــــينك ريبـــــة ... وتحيـــا عزيـــز الـــنفس غيـــرَ مُـــذمم

وخالثْـــك لا تحتـــالُ فـــي حَبْـــكِ كِلمـــةٍ ... ومـــاذا يُرَجّـــى مِـــن عزيـــفٍ مُنمـــنم؟!

وأدليـــت دَلـــواً لانتشـــال همومهـــا ... بهمـــة مِغـــوار وبـــأس مُصـــمم!

فكيـــف تُضـــحّي بالمناقـــب أهـــديثْ ... وكفـــك جـــادت للضـــحايا ببلســـم؟!

وكيـــف تُجيـــز الأمـــرَ مـــا جـــاز حِلـــه؟! ... وهـــل هـــذه فتـــوى خبيـــر مُعَلـــم؟!

وهـــل ترتضـــي عِشـــقاً لزوجـــك مثلمـــا ... فعلـــت ، ولـــو للـــدار والأهـــل ينتمـــي؟!

يَهـــيم بهـــا فـــي كـــل وادٍ وضـــيعة ... ويكتـــب فيهـــا شـــعرَ صـــب ومُلهـــم!

ويجعـــلُ منهـــا مُثلـــة لانحطاطـــه ... ككـــل ســـفيهٍ – فـــي المخـــاليق - أيهـــم

ويُهـــدِرُ عـــن عمـــدٍ دِماهـــا رخيصـــة ... فيـــا ضـــيعة الأخـــلاق والعِـــرض والـــدم!

فهـــل أضـــحيت مِـــن أهـــل التغـــرّب والخنـــا ... فـــ (للبـــوي فرنـــد) الحـــقُ ، لـــيس بمُجـــرم!

يُحـــب كمـــا يهـــوى ، ويـــأتي الـــذي اشـــتهى! ... فللخِـــبّ بنـــتُ النـــاس أمســـتْ كسُـــوّم!!

وهـــل ترتضـــي زوجـــاً تُحـــب عشـــيقها؟ ... فجُـــدْ بجـــواب مِـــن ســـنا الحـــق مُفحـــم!

بأنـــك لا ترضـــى ، وهـــذي حقيقـــة ... يُخالفهـــا مَـــن عـــاش غيـــرَ معظـــم

يمينـــاً عهـــدتُ الخِـــلَ فـــي البـــأس صـــامداً ... لمـــاذا أراه اليـــوم كـــالمتوهم؟!

لمـــاذا تمـــادى فـــي الخطايـــا بنظـــرةٍ ... ولـــيس علـــى فعـــل الخطايـــا بمُـــرغم!

ألا إنهـــا ســـهمٌ إليـــهِ مُصَـــوّبٌ ... أخـــارتْ قـــوى خِلـــي بســـهم مســـمم؟!

بقيـــة رُشْـــدٍ تُرجـــعُ الخِـــل ســـالماً ... ومَـــن يتْبـــعْ القـــرآنَ يرشـــدْ ويســـلم

فزايـــلْ ضـــلالاً أوردَ الـــنفسَ حتفهـــا ... بإتيـــان أمـــر – فـــي هُـــدانا مُحَـــرّم!

ونفسَـــك علمهـــا التقـــى تغـــدُ عَفـــة! ... وتعليمُهـــا هـــذا التقـــى بـــالتعلم!

وأختُـــك هـــذي أوجـــبَ الله حبهـــا ... وذي نعمـــة مِـــن واســـع الفضـــل مُـــنعم

وأعنـــي بهـــذا الحـــب حـــبَ أولـــي النهـــى ... مِـــن المـــؤمنين الشـــمّ أهـــل التكـــرّم!

نحـــب أولـــي الإيمـــان نرجـــو بحـــبهم ... رضـــا ربنـــا الـــرحمن أطيـــبَ مَغـــنم

فهـــل حُبهـــا يعنـــي اشـــتهاءَ جمالهـــا؟ ... ألا إن هـــذا الحـــبَ أحقـــرُ مَـــأثم!

تصـــدقت ، والأجـــرُ الجزيـــلُ تنالـــه ... فكـــان بـــداعي الحـــب أخيـــرُ درهـــم

فهـــل طعمـــة الـــوَجْعى مُقابـــلَ عشـــقها؟ ... فتعســـاً لمـــا تحســـو ، وتعســـاً لمَطعـــم!

فســـددْ وقـــاربْ ، لا تُضـــيّعْ مَثوبـــة ... فتضـــييعُ مـــا أنفقتـــه جَـــدّ مُـــؤلم

وســـامحْ صـــديقاً قـــدّمَ اليـــومَ نصـــحَه ... بـــنص صـــريح لـــيس يبـــدو كطلســـم

أراك أخـــي طبعـــاً ، وهـــذي أخيتـــي ... وأفـــديكما بـــالنفس والـــروح والـــدم

أغـــارُ عليهـــا مِـــن تولـــه عاشـــق! ... وأشـــفقُ مـــن عشـــق تـــراءى كمـــأزم!

وترجمـــتُ إحساســـي وغيـــرة شـــاعر ... قصـــيداً جـــرى لحنـــاً حزينـــاً علـــى فمـــي!

وحاكيـــتُ مـــا قـــال (اليزيـــدُ) تكلفـــاً ... ووصّـــفتُ صَـــباً قـــد أصـــيبَ بأســـهم

فأمســـى يُعـــاني مُوجعـــاتِ غرامـــهِ ... ويشـــكو عـــذاب الحـــب أودى بمُغـــرم

وناصـــحتُ لـــم أبخـــل بنصـــحي لعاشـــق ... ولـــم أدخـــرْ وعظـــي ، ولـــم أخْـــفِ بلســـمي

وإن كنـــتُ حاكيـــتُ (اليزيـــدَ) فلـــيس لـــي ... مُســـاواتُهُ ، فالفضـــلُ للمتقـــدم

وأجـــري علـــى ربـــي ، وربـــي مـــوفقي ... وإنـــي بعـــون الله أرقـــى وأســـتمي

بعض معاني الكلمات الصعبة

التتيم: شدة الحب والعشق. مغرم: محب عاشق. أودى بك: دهاك. مَندم: ندم. مغنم: غنيمة! يُثير: يُهيج. ترجيع: ترديد الصوت. تغمغم: هو الهمس بصوت غير واضح. وهمت: توهمت أو عشقت. مُهينم: مقول بطريقة هامسة خافتة. دثر: خبّأ. التكتم: إخفاء الأمر عن الآخرين. شغفت بها: عشقتها. اصطليت: احترقت. الست: المرأة. التأثم: الإثم. صب: عاشق. صُد: امتنع عنه محبه. المتجهم: الذي أخذته سَورة الغضب. تُزري: تعيب. مُسكة: مُسْكَةُ الشَّيْءِ: مَا يُتَمَسَّكُ بِهِ مُسْكَةُ البَابِ: مَقْبِضُهُ مُسْكَةُ الرَّجُلِ: عَقْلُهُ الوَافِرُ يَعِيشُ فِي مُسْكَةٍ: فِي بُخْلٍ مَا فِيهِ مُسْكَةٌ: لاَ خَيْرَ فِيهِ لَيْسَ لأَمْرِهِ مُسْكَةٌ: أَيْ لاَ أَصْلَ لَهُ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِيهِ! فِيهِ مُسْكَةٌ مِنْ خَيْرٍ: أَيْ بَقِيَّةٌ مَا فِي إِنَائِهِ مُسْكَةٌ مِنْ مَاءٍ: أَيْ قَلِيلٌ مِنْهُ. المتبرم: المراوغ المتهرب. المستهام: المصاب بالسهام. المتيّم: العاشق. إفك: كذب صُراح. بالصون: بالصيانة والحماية والوقاية. يستمي: أي يتسامى

عن النقائص. الترنم: التنغم بالصوت. الفِرى: الأكاذيب والأغاليط. طلة وجهها: إشراقة وجهها. الغِيد: البنات الجميلات. الحلا: الجمال والحلاوة. العمي: الأعمى. عندم: الحناء اليمانية التي لونها بين السُمرة والحُمرة. لرسغيها: الرسغ هو مَفصِلُ ما بين السَّاعد والكفّ ، أو بين السَّاق والقدم "ينبغي-عند الوضوء- أن تغسل يديك إلى الرُّسغين" ، رُسْغ القدم: المفصل المشكَّل من ربط عظام القدم السفليَّة مع عظم الكاحل. معصم: موضع السِّوار من السَّاعد "أحاط به إحاطةَ السُّوار بالمِعْصَم". التحمحم: الصوت غير الواضح ، مأخوذة من الفعل: يتحمحم ، تحمحُمًا ، فهو مُتحمحِم ، تحمحم الفرسُ: حمحم ؛ صات صوتًا دون العالي ، صهل صهيلاً خافتًا ؛ وذلك إذا طلب العلف. ضيغم: أسد. محجم: ممتنع. تغض: أي تصرف بصرك عن المرأة عند الحديث إليها. الشذى المتبغم: أي العطر فائح الرائحة تملأ المكان. عطر منشم: عطر صَعب الدق وَكَانُوا يَقُولُونَ (دقوا بَينهم عطر منشم) اشتدت الْحَرْب بَينهم. ومسل: إشارة إلى صحيح الإمام مسلم. بكر والظفير وخثعم: قبائل عربية عُرفت بغيرتها الشديدة على نسائها. أضناك: أتعبك وأجهدك. يُزكي: يُشعل. عادٍ: أي معتدٍ. مَزعَم: مطمع. أهلك: أي أهل بيتك من زوج وبنت. عجلى: سريعة. غفا: غفل عن زوجه لمرضه. حنانيك: اسم فعل أمر بمعنى ترفق وتمهل. حَيرى: أي حيرانة. مُعدِم: فقير. الحُرمة: المرأة. مُوجعات: آلام وإحن. التكرم: التفضل. تريث: أي تمهل. اللجوج: أي التي تهوى ركوب المعاصي والأهواء. وداوها: أي عالجْها. جاسته: سارت فيه. عِداة: أعداء. لوّم: شديدو اللوم. ولات ساعة مندم: مأخوذة من قول الشاعر: (نَدِمَ البُغاة ولاتَ ساعةَ مَنْدَم) ... والبغيُ مَرْتَعُ مُبْتَغيهِ وخيمُ ندموا ولات ساعة مندم ، والأصل: (ليست الساعة ساعة مَندمٍ) أو (لاتَ الساعة ساعة مندمٍ) ونحو: {ولات حين مناص}. اجتنابه: الابتعاد عنه. الغي: الضلال. هيمان: عاشق متوله. مبهم: غامض. غطريف: هو السيد لشريف. عثارها: عثرتها. وهجها: شدة حرارتها. لا تشينك: لا تعيبك. مذمم: مذموم معيب. وخالتْك: وظنتك. عزيف: العزيف صوت الجن وهو غير مفهوم. منمم: مزخرف مزين. المناقب: الصفات الحسنة. البلسم: الدواء. أهل التغرب: أي الغِب الذي لا يغار على بناته. الابوي فرند: في الإنجليزية هو الخِدن أو العشيق! الخِب: المخادع المراوغ. مُرغم: مُجبر. حتفها: موتها. عفة: أي عفيفة تتورع عن الحرام. أولي الإيمان: أصحاب الإيمان. الوجعى: الموجوعة المتألمة. مثوبة: ثواب وأجر. طلسم: لغز ، شيء غامض ومبهم "طلاسم غريبة ـ طِلَسْم عجيب" ، فكَّ طلاسمَ الشَّيء: وضَّحه وفسَّره وكشف أسراره خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفليّة لجلب محبوب أو دفع أذى ، وهذا من الخرفات التي لا نؤمن بها طرفة عين أبداً. توله: أي شدة الحب والإعجاب. مأزم: أي أزمة ومعضلة. اليزيد: هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان – رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له ذنوبه وسامحه.

أصحاب أحمد

(مهما تحدثنا عن مناقب صحابة النبي – صلى الله عليه وسلم – ورضي الله عنهم - ، فلن نوفيهم حقهم من التقدير والاحترام والتوقير! وتأتي هذه القصيدة في معرض الدفاع عنهم ضد من يلعنونهم ويتنقصونهم من أعداء الإسلام! قال الله تعالى واصفاً أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم -: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً). وقال: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون). وقال: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يُبايعونك تحت الشجرة فعلم ما قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً). وقال: (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك همُ الفائزون). ويقول الإمام المُقرئ أبو عمر الداني في كتابه الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة: «ومن قولهم أن يحسن القول في السادات الكرام ، أصحاب محمد عليه السلام ، وأن تذكر فضائلهم ، وتنشر محاسنهم ، ويمسك عما سوى ذلك مما شجر بينهم ، لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا). يعني إذا ذكروا بغير الجميل ، ولقوله: (الله الله في أصحابي) ، ويجب أن يلتمس لهم أحسن المخارج وأجمل المذاهب لمكانهم من الإسلام وموضعهم في الدين والإيمان». وقال أبو الوليد الباجي المالكي في وصيته لولديه: (وأشربا قلوبكما محبة أصحابه أجمعين ، وتفضيل الأئمة منهم الطاهرين ، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، - رضي الله عنهم - ، ونفعنا بمحبتهم ، وألزما أنفسكما حسنَ التأويل لما شجر بينهم ، واعتقادَ الجميل فيما نقل عنهم....) اهـ. [وصية أبي الوليد الباجي لولديه (ص43)]. وقال الإمام محمد بن صُبيح بن السماك - رحمه الله تعالى - لمن انتقص الصحابة: "علمتَ أن اليهود لا يسبون أصحاب موسى - عليه السلام - وأن النصارى لا يسبون أصحاب عيسى - عليه السلام - فما بالك يا جاهل سببت أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -؟ وقد علمتُ من أين أوتيتَ لم يشغلك ذنبك أما لو شغلك ذنبك لخفت ربك ، ولقد كان في ذنبك شغل عن المسيئين فكيف لم يشغلك عن المحسنين؟ أما لو كنت من المحسنين لما تناولت المسيئين ، ولرجوت لهم أرحم الراحمين ، ولكنك من المسيئين فمن ثَمَّ عبت الشهداء والصالحين ، أيها العائب لأصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - لو نمتَ ليلك ، وأفطرت نهارك لكان خيرا لك من قيام ليلك ، وصوم نهارك مع سوء قولك في أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فويحك لا قيام ليل ، ولا صوم نهار ، وأنت تتناول الأخيار فأبشر بما ليس فيه البشرى إن لم تتب مما تسمع وترى. وبم تحتج يا جاهل إلا بالجاهلين ، وشر الخلف خلف شتم السلف لواحد من السلف خير من ألف من الخلف"ا.هـ. وقال ابن الصلاح - رحمه الله تعالى -: "إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ، ومَن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يُعتد بهم في الإجماع" ا.هـ. وقال أبو زرعة – رحمه الله -: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنَّه زنديق ، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حقٌّ ، والقرآن حقٌّ ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسُّنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسُّنَّة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة). [أسنده الخطيب في

الكفاية ، (177/1)]. وقال إمام أهل السُّنَّة أحمد بن حنبل – رحمه الله -: (إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء فاتهمه على الإسلام). وقال الإمام البربهاريّ – رحمه الله -: (واعلم أنَّ من تناول أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنَّه إنَّما أراد محمداً صلى الله عليه وسلم وقد آذاه في قبره). [شرح السُّنَّة ، للبربهاري ، ص(114)]. وروى الإمام أحمد في فضائل الصحابة عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: "لا تسبوا أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - فلمقامُ أحدهم ساعة خيرٌ من عبادة أحدكم أربعين سنة". قال الإمام الطحاوي: "ونحب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان". وقال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني في عقيدته: «فمن أحبهم ، وتولاهم ، ودعا لهم ، ورعى حقهم ، وعرف فضلهم ، فاز في الفائزين ، ومن أبغضهم ، وسبهم ، ونسبهم إلى ما تنسبهم إليه الروافض والخوارج لعنهم الله ، فقد هلك في الهالكين....». وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه). ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة أو الإجماع ، من فضائلهم ومراتبهم» إلى أن قال: «ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره ، من أن أخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلثون بعثمان ، ويربعون بعلي رضي الله عنهم ، كما دلت عليه الآثار ، وكما أجمعت الصحابة على تقديم عثمان في البيعة ....». وتحت عنوان: (در السحابة في مناقب الصحابة) يقول الأستاذ منصور بن محمد فهد الشرايدة ما نصه بتصرف: (لاتزال عقيدة المسلمين على إجماع حبهم وتوقيرهم ومعرفة منزلتهم حتى نبتت نابته من أهل الرفض وأذنابهم ، فأخذوا يطعنون في الصحابة ويسبونهم ويشتمونهم مخالفين بذلك الكتاب والسنة وسلف الأمة ، فانبرى لهم الأئمة وبينوا خطر طعنهم وأن القدح في الناقل مسلتزم القدح في المنقول ، فاتخذ كثير من الزنادقة الطعن في صحابة رسول الله ﷺ مطية لتعطيل الشريعة السمحة. يقول علامة قطر الشيخ أحمد بن حجر البوطامي رحمه الله تعالى رحمه الله: «وأجمع أهل السنة سلفاً وخلفاً من أهل الفقه والحديث والتفسير والكلام ، على تنوع مذاهبهم: أن الواجب الثناء على أصحاب رسول الله ، وحبهم والاستغفار لهم ، والترحم عليهم ، والترضي عنهم ، وموالاتهم ، وعقوبة من أساء فيهم القول .....». قال أبو الحسن الأشعري: أثنى الله -عز وجل- على المهاجرين والأنصار والسابقين الى الاسلام ، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار في مواضع كثيرة وأثنى على أهل بيعة الرضوان فقال عز وجل: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}. وقال أبو الحسن الأشعري – رحمه الله - أيضاً: (وكل الصحابة أئمة مأمونون ، غير متهمين في الدين ، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم ، وتعبّدَنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم ، والتبرّي من كل من ينقص أحداً منهم - رضي الله عنهم أجمعين -). [الإبانة عن أصول الديانة ، لأبي الحسن الأشعري]. قال القاضي الشوكانيّ في تفسيره عند الآية السابقة: "أمرهم الله بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه أن ينزع من قلوبهم الغِلَّ للذين آمنوا على الإطلاق ، فيدخل في ذلك الصَّحَابة دخولاً أوَّلياً لكونهم أشرف المؤمنين ، ولكون السِّيَاق فيهم ، فمن لم يستغفر للصحابة على العموم ، ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية ، فإن وجد في قلبه غلاً لهم فقد أصابه نزغٌ من الشيطان ، وحلّ به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه. فإن جاوز ما يجده من الغِلّ إلى شتم أحد منهم فقد انقاد للشيطان بزمام ، ووقع في غضب الله وسخطه. وهذا الدَّاء العضال إنما يُصاب به

من ابتلي بمعلِّم من الرَّافضة ، أو صاحب من أعداء خير الأمَّة ؛ الذين تلاعب بهم الشيطان ، وزيّن لهم الأكاذيب المختلفة ، والأقاصيص المُفتراة ، والخرافات الموضوعة. وما زال الشيطان الرَّجيم ينقلهم من منزلة إلى منزلة ، ومن رُتبة إلى رُتبة ، حتى صاروا أعداء كتاب الله وسُنَّة رسوله ، وخير أُمَّتِه ، وصالحي عباده وسائر المؤمنين ، وأهملوا فرائض الله ، وهجروا شعائر الدين ، وسعوا في كيد الإسلام وأهله كل السعي ورموا الدين وأهله بكل حجر ومدر ، والله من ورائهم محيط." ا.هـ [فتح القدير للشوكاني (5/268-269)]. وقال مالك بن أنس – رحمه الله - ، لما ذكر هذه الآية: (قسم الله تعالى الفيء ؛ فقال: "للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم" ثم قال: "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا" الآية ، فمن لم يقل هذا لهم فليس ممن جعل له الفيء) (أسنده عنه الحميدي في أصول السنة ، (مسند الحميدي 546/2)). وقال مجاهد - رحمه الله – في تفسير قول الله تعالى: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) قال: "بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين." [أسنده عنه ابن عبد البر – رحمه الله – في (الاستيعاب) ، (47/1)]. وقال شيخ المالكية أبو عمر ابن عبد البر النميري: "ونحن وإن كان الصحابة - رضى الله عنهم - قد كُفِينا البحث عن أحوالهم ، لإجماع أهل الحقِّ من المسلمين وهم أهل السُّنَّة والجماعة على أنهم كُلَّهُم عُدُولٌ ، فواجبٌ الوقوف على أسمائهم ، والبحث عن سيرهم وأحوالهم ، ليُهتدى بهديهم ، فهم خيرُ من سُلِكَ سبيله واقتُدِي به." ا.هـ [(الاستيعاب في معرفة الأصحاب) ، (9/1)]. وقال الخطيب البغداديُّ – رحمه الله- بعد أن ساق جملةً من أدلّة الكتاب والسُّنَّة الدَّالّة على فضلهم وعدالتهم: "فلا يحتاج أحدٌ منهم مع تعديل الله تعالى لهم ؛ المطلعِ على بواطنهم إلى تعديل أحدٍ من الخلق لهم. على أنّه لو لم يَرِدْ من الله عز وجل ورسوله فيهم شيءٌ مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها ؛ من الهجرة والجهاد والنُّصرة وبذل المهَج والأموال ، وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين ، وقوّة الإيمان واليقين القطعَ على عدالتهم ، والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدّلين والمزكَّيْن الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين ، هذا مذهب كافَّة العلماء ، ومن يُعتدّ بقوله من الفقهاء." ا.هـ. [(الكفاية في أصول علم الرواية) ، (1/186-187)]. وإن من سعادة الدنيا وأسباب النجاة في الآخرة أن يتولّى المسلم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وأزواجَه ، والصالحين من أهل بيته ، فإنه بذلك يكون محبّاً ومتوليّاً لمن أخبر الله بمحبته لهم ، ورضاه عنهم ، وبشَّرهم بجنَّته ، بعد أن اصطفاهم وفضلهم على كلّ من سواهم دون الأنبياء ، وهذا ما وفّق الله إليه أهل السُّنَّة قاطبةً ، فأعلنوا الولاء لأصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم وأزواجه ، في غير إفراط ولا تفريط ، وتتابعوا على ذلك وتوارثوه كابراً عن كابر ، قال الطّحاويّ مقرّراً عقيدة أهل السُّنَّة: (ونُحِبُّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نُفَرّط في حبّ أحدٍ منهم ، ولا نتبرَّأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، وحبُّهم دين ، وإيمان ، وإحسان ، وبغضهم كفرٌ ونفاق وطغيان). [العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العزّ ، ص(689)]. وقال: (ومَن أحسنَ القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه الطاهرات من كلّ دنس ، وذرياته المقدسين من كلّ رجس ، فقد برئ من النفاق). [العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العزّ ، ص(737)]. قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: "إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلبَ محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - خيرَ قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه ، فابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد - صلى الله عليه وسلم - فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيِّه ، يقاتلون على دينه". وقال أيضًا مخاطبًا أصحابه: "أنتم أكثر صلاة ، وأكثر صيامًا ، وأكثر جهادًا من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - وهم كانوا خيرًا منكم" ، قالوا: فيمَ ذاك

يا أبا عبد الرحمن؟ قال: "كانوا أزهد منكم في الدنيا ، وأرغب منكم في الآخرة. وقال الحسن البصري - رحمه الله -: "إنَّ أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - كانوا أكياساً ، عملوا صالحاً وأكلوا طيباً ، وقدموا فضلاً ، لَم يُنافسوا أهل الدنيا في دنياهم ، ولم يجزعوا من ذلها ، أخذوا صفْوها ، وتركوا كدرها ، والله ما تعاظمتْ في أنفسهم حسنةٌ عملوها ، ولا تصاغرت في أنفسهم سيئةٌ أمرهم الشيطان بها. قوله: "ولا نُفَرِّط في حبِّ واحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، وحبهم دين وإيمان وإحسان". يقصد بذلك الرد على الروافِض والنواصب ؛ فإن الرافضة يُكَفِّرون أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويعتقدون أنهم كفروا إلا ثلاثة منهم ؛ بل يعتقدون أنه لا ولاء إلا ببراء ؛ أي: لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر ، وأهلُ السنة يوالونهم كلهم ، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدْل والإنصاف ، والرافضة يغلون في عليٍّ ويرفعونه فوق منزلته ، أما النواصب ، فإنهم يسبون عليًّا ، ويبغضون آل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم. قال يحيى بن معين في تليد بن سليمان المحاربي الكوفي: "كذاب ، كان يشتم عثمان ، وكل من شتم عثمان أو طلحة أو أحدًا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم – دجال ، لا يُكتب عنه ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين").هـ. وتحت عنوان: (فضائل الصحابة رضي الله عنهم)قال الدكتور نايف بن أحمد الحمد ما نصه: (عن عبد الله بن مغفل المزني - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تبارك وتعالى ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه). قال المناوي - رحمه الله تعالى -". (الله الله في حق أصحابي) أي اتقوا الله فيهم ، ولا تلمزوهم بسوء ، أو اذكروا الله فيهم وفي تعظيمهم وتوقيرهم ، وكرره إيذانا بمزيد الحث على الكف عن التعرض لهم بمنقص (لا تتخذوهم غرضاً) هدفاً ترموهم بقبيح الكلام كما يرمى الهدف بالسهام هو تشبيه بليغ (بعدي) أي بعد وفاتي".ا.هـ. وقال بشر بن الحارث - رحمه الله تعالى -": مَن شتم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو كافر وإن صام وصلى وزعم أنه من المسلمين ". ولعل كثيراً من الكتاب ممن في قلوبهم مرض الذين ينتقصون أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الصحف وغيرها يرون أن الوقت لم يحن بعد لانتقاص القرآن والسنة فرأوا أن تقليل شأن الصحابة الكرام عند الناس هو من أخصر الطرق لرد الكتاب والسنة كما قال أبو زرعة - رحمه الله تعالى -". إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول حق والقرآن حق وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحابُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليُبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة ".ا.هـ.).هـ.)

أصـــــحابُ (أحمـــــدَ) غيّـــــبٌ حُضّـــــارُ ... وهـــــمُ التقـــــاة الصـــــفوة الأبـــــرارُ

وهـــــمُ العبـــــاقرة الأماجـــــد صِـــــيتُهم ... صـــــدحتْ بـــــه الأصـــــقاعُ والأمصـــــار

وهـــــمُ الأســـــود علـــــى الأعـــــادي جَهـــــرة ... فـــــي ســـــاحة الهيجـــــا هـــــمُ الكُـــــرّار

هـــــم خِيـــــرة المـــــولى لصُـــــحبة (أحمـــــدٍ) ... وبـــــذكرهم تتفـــــاخرُ الأشـــــعار

إن لـــم يكونـــوا مـــن خِيـــار أولـــي النهـــى ... حـــول (النبـــي) فمـــن هـــمُ الأخيـــار؟!

هـــم فـــي اللحـــود أكـــارمٌ قـــد غيّبـــوا ... وهـــمُ أمـــام عيوننـــا حُضّـــار

نستحضـــرُ الأعمـــالَ هـــم قـــاموا بهـــا ... ففِعـــالهم لمـــن اهتـــدى تِـــذكار

إنـــا لنفخـــرُ أنهـــم أســـلافنا ... وهـــم الشـــموسُ ، وبعضُـــهم أقمـــار

ولـــنحن نقـــدُرُهم ، ونعْظِـــمُ شـــأنهم ... ولـــدى الأكـــارم تُحفـــظ الأقـــدار!

حملـــوا إلينـــا الـــدين غضـــاً ناضـــراً ... وبهـــم أتـــتْ أجيالنـــا الأخبـــار

وبهـــم حمـــى الله النبـــي وآلـــه ... وحكـــى منـــاقبهم لنـــا (المختـــار)!

هـــو بشّـــرَ (الصـــديق) بالجنـــات ، هـــل ... مـــن مســـلم فـــي هـــذه يمتـــار؟

هـــو بشّـــرَ (الفـــاروق) بالجنـــات هـــل ... خبـــرٌ كهـــذا قالـــه مهـــذار

هـــو قـــال: (ذو النـــورين) فـــي المـــأوى غـــداً ... وتـــواترتْ فـــي ذلـــك الآثـــار

هـــو قـــال: (خالـــدُ) ســـيفُ ربـــي مُشـــهراً ... يخشـــاه - إن شـــهدوا الـــوغى - الكُفـــار

هـــو قـــال: (عائشـــة) حَليلتـــه غـــداً ... فـــي جنـــة الـــرحمن ، نعـــم الـــدار!

هـــو قـــال: أصـــحابي فعـــنهم أمســـكوا ... مَـــن ســـبهم أو عـــابهم فالنـــار

فـــازوا جميعـــاً والـــذي رفـــع الســـما ... ولهـــم لـــدى أهـــل التقـــى الإكبـــار

هـــم هـــاجروا وتحملـــوا عِظـــم الـــبلا ... هـــم جاهـــدوا ، ولهـــم بـــذاك فخـــار

والـــبعضُ ناصـــر لـــم يكـــن متخـــاذلاً ... فـــاز الأبـــاة الكُمّـــلُ الأنصـــار!

هـــم قـــدّموا الأمـــوالَ تنصـــرُ ديـــنهم ... حتـــى يكـــون لـــدينهم إظهـــار

لـــم يســـتكينوا للعِـــدا ، أو يركنـــوا ... للظـــالمين ، فـــإن ذلـــك عـــار

وجهـــودهم فـــي كـــل صُـــقع أثمـــرتْ ... فـــازوا! وطـــاب الســـعي والإثمـــار!

مهمـــا اســـتطال علـــى (الصـــحاب) مـــن افتـــرى ... ســـيذوقُ مكْـــرَ الســـيء المكـــار

هـــل يُطفـــئ الســـفهاءُ شمســـاً أشـــرقتْ؟ ... هـــل بـــالتخرص تُطفـــأ الأنـــوار؟

مهمـــا تنقصـــهم لئـــامٌ قـــد عـــووا ... مهمـــا تهـــددهم أذىً وضِـــرار

مهمـــا اســـتطال أراذلٌ فـــي عرضـــهم ... مهمـــا توعـــد مَـــن عَـــدَوا وأغـــاروا

مهمـــا اعتـــدى فـــي لعـــنهم قـــوم غـــووا ... مهمـــــا افتـــــرى فـــــي إفكـــــه ديـــــار

فـــــــالله ناصـــــــرُ جنـــــــده ونبيـــــــه! ... أصـــــحابُ (أحمـــــدَ) جُنـــــدُه الأطهـــــار

للهـــــم فانصـــــرهم علـــــى أعـــــدائهم ... أنـــــت المليـــــك الواحـــــد القهـــــار

أعـــــداؤهم فجـــــروا فجـــــوراً طاغيـــــاً ... والـــــدارُ جـــــاسَ خِلالهـــــا الفجـــــار

استضـــــعفونا ، واســـــترقوا جمعَنـــــا ... أنـــــت النصـــــيرُ ، ومـــــا لنـــــا أنصـــــار!

الأطـلالُ اليمنيــة 1!

(معارضة لقصيدة الشاعر الفذ: إبراهيم ناجي (الأطلال)

(أعجبَ ذلك العاشقُ اليمنيُ بفتاةٍ يمنيةٍ حَشيمةٍ أديبةٍ فقيرةٍ للغاية! تعيشُ في (صنعاء) وتعيش قبيلتها في (المُكَلا)! فأخبر أمه أن تذهب إلى أمها ، وتتفق معها على الخِطبة مَبدئياً ، وذلك ليعرفَ إن كانت الفتاة ترغبه زوجاً أم لا! وعادتِ الأم بالبشارة ، ولكنْ بشرطٍ واحدٍ ، وهو أن يتقدمَ للقبيلة بعد أن يوفر لها مَهرَها ويُجَهز بيتها حتى لا يرفضه القوم! فمكث على ذلك شهوراً يتلظى بحُبها ، ويحُولُ فقرُه دون الزواج منها! ثم أتى القبيلة يمنيٌ آخرُ لا يقلُ عن الأول في الأدب والخلق والدين! ولكنه زاد فرقاً واحداً ، وهو أنه غنيٌ ميسورُ الحال ، ويستطيعُ أن يُثقلها ذهباً إن أراد قومها ذلك! وإذنْ فهو جاهز للزواج بها من ليلته! فوَقعتِ الفتاة العاشقة في حَيرةٍ بين مُحب عاشق فقير وخاطب راغب ثري! وكلاهما على خلق ودين! فاختارتِ الثاني لتثري قومَها وتنتشلهم من الفقر والعوز مُضحية بحُبها للأول! فتخيلتُ الأول يبكي على أطلال حُبها فلقد خلفته بقايا جسد وخلفها بقايا روح! واخترتُ للأطلال اليمنية قصيدة الشاعر الفذ إبراهيم ناجي: (الأطلال) ببحرها وقوافيها ولم ألتزم عدد الأبيات لطولها!)

يـــا فـــؤادي رَحِـــمَ اللهُ الهـــوى ... هـــذه أطلالـــه تشـــكو النـــوى

بـــات حُبـــي ضـــائعاً مُسْـــتهجناً ... وإلـــى ماضـــيهِ مُلتاعـــاً أوى

****

كيـــف أنســـى غـــادة مِـــن صـــدقها ... بـــادلتْني الحُـــبَ فـــي يُســـر وضِـــيق؟

قلبُهـــا لـــم يعـــرفِ الخـــذلَ ، ولا ... تركتْنـــي فـــي مَجاهيـــل الطريـــق

عاهـــدتْني أننـــي يومـــاً لهـــا ... خيـــرُ زوج ، بيننـــا عهـــدٌ وثيـــق

****

أنسِـــيتْ مـــا بيننـــا ، يـــا للأســـى! ... وأنـــا أبكـــي فـــؤاداً جُرحـــا

وألـــوكُ الوَجـــدَ وحـــدي مُكْرَهـــاً ... فـــي مَســـائي ونهـــاري والضـــحى

عاشـــقٌ تطحنُـــه آلامُـــه ... عكْـــسَ تيـــار الأمـــاني سَـــبَحا

****

أيـــن مِـــن عينـــي غـــزالٌ شـــاردٌ ... فـــي مَغـــاني الأرض تُشـــجيه الظبـــاءْ؟

لـــيس يرضـــى لـــي معانـــاة الهـــوى ... إنمـــا يحمـــلُ عـــن قلبـــي العنـــاء

طيـــــبُ القلـــــب عطـــــوفٌ مُشـــــفقٌ ... مُخبـــــتُ الـــــنفس يُحليـــــه النقـــــاء

وظريـــــفُ الـــــروح فـــــي أحوالـــــه ... ألمعـــــيُ الفهـــــم مُحتـــــدُ الزكـــــاء

****

أيـــن مِنـــي قلـــبُ مَـــن باعـــت غـــدي ... لغـــــريم مالُـــــه أودى بنـــــا؟!

اشـــــترى الحُســـــنَ بمـــــال وافـــــر ... باســـــطاً كـــــفَ غنـــــي بالهنـــــا

لـــم أكـــنْ وحـــدي أقاســـي جُـــودَه ... إنمـــــا أنـــــتِ تجرّعـــــت العنـــــا

نحـــــن الاثنـــــان قتِلنـــــا غِيلـــــة ... وعلـــى المَـــولى جَـــزا مَـــن غالنـــا!

****

يـــــا حبيبـــــاً يمنيـــــاً حُبـــــهُ ... كـــان يجـــري فـــي شـــرايين دمـــي

لـــك قـــدمتُ أحاسيســـي التـــي ... جَمّلـــتْ ذاتـــي ، وزادتْ ألمـــي

هـــذه (صـــنعاءُ) تبكـــي مـــا جـــرى ... و(المُكَـــلا) دمعُهـــا كالـــدِيَم

إن هـــــذا الأمـــــرَ لا نشـــــهدُه! ... لـــيس فـــي العُـــرْب ، ولا فـــي العجـــم!

****

أعطنـــي يـــا حُـــبَ قلبـــي فرصـــة ... عـــلّ حظـــاً طيبـــاً يســـعى إليـــا

علنـــي آتـــي بمـــال يـــا حبيبـــي ... ربمـــا أصـــبحتُ مِـــن فقـــر غنيـــا

واعـــذريني إن تجـــاوزتُ المُنـــى ... أو غـــدا حُبـــي خيـــالاً نرجســـيا

****

يـــا حبيبـــي لـــم يشـــأ رب الســـماءْ ... أن نُـــرى زوجـــين مـــن تحـــت الخِبـــاءْ

هـــذه أطـــلالُ حـــب لـــم يـــدمْ ... وعليهـــا يَغلـــبُ العـــينَ البكـــاء

فاســـعدي بـــالعيش مـــعْ زوج أتـــى ... زارعـــاً بـــين الحبيبـــين الجفـــاء

لا تقـــولي: حظنـــا اخترنـــاه ، لا! ... إنمـــا ربُ الســـما والأرض شـــاء!

الأطلالُ اليمنية 2

(معارضة لقصيدة الأطلال للشاعر الفذ إبراهيم ناجي بك!)

(ليس للمتحابَيْن إلا الزواج! هكذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم -. وهذا الشاب اليمني صاحب التجارة ، وهو من (عُسيلان) وتحديداً من (تمنا) ، كان قد تزوج من المرأة التي أحبها وعشقها ، وهي من (بيحان) وتحديداً من (شبوة) ، كما أخبرني راوي القصة ، وأظنه من الصادقين! ورزقه الله منها بابن سماه: (عز الدين) وبابنة سماها: (دَهماء)! وفي إحدى رحلاته التجارية عاد التجارُ المرافقون بينما لم يعد صاحبُهم! ولم تعرف امرأته (البيحانية) عنه شيئاً! والتمستِ الأخبارَ هنا وهناك دون جدوى! وأصبح هذا الزوج مجهول المصير: فلا هو حيٌ فيُزار ويعود إلى أهله! ولا هو ميت فيُترحمُ عليه! وعاشت هذه الأسرة البائسة المنكوبة أطلالَ عائل غائب ، خلّفهم أطلالَ أجسام ، وخلّفوه أطلالَ روح! على أمل اللقاء به حياً أو ميتاً!)

يـــا فـــؤادي ذبـــتُ مـــن فـــرط الهـــوى! وإلـــــى المَجهـــــول مَحبـــــوبي أوى!

كيـــف فـــي (بيحـــانَ) قـــد عشـــنا ســـوا فـــي بُيـيـــتٍ كـــلَ مـــا نرجـــو حـــوى؟

لـــــم تُفرّقنـــــا ظـــــروفٌ أو قـــــوى! ولـــــذا لمّـــــا يُعـــــذبْنا النـــــوى

وإلـــــى (شَـــــبوةَ) أضـــــناني الجـــــوى أســـألُ النـــاسَ عـــن الـــزوج ثـــوى!

****

لســـــتُ أنســـــاهُ حَليلـــــي والصـــــديقْ وحبيبـــــاً كـــــان لـــــي مِثـــــلَ الشـــــقيقْ

وزفيـــــراً كـــــان مِـــــن بعـــــد الشـــــهيق حُبُـــــه فـــــي القلـــــب جَبـــــارٌ عَميـــــق

إنْ نـــــأى عنـــــي فقلبـــــي لا يُطيـــــق وفـــــؤادي دونـــــه مثـــــلُ الغريـــــق

وأرانـــــي مـــــن همـــــومي لا أفيـــــق ويَزيـــــدُ الخطـــــبَ فقـــــدانُ الرفيـــــق

****

وسِـــــني العُمْـــــر دارتْ كـــــالرحى كـــــل يـــــوم مَـــــرّ أهـــــدتْ تَرَحـــــا

وفـــــؤادي مِـــــن عـــــذابي جُرحـــــا وإلـــــى زوجـــــي خيـــــالي جَمحـــــا

هـــــل يعـــــودُ مـــــن غِيـــــاب فرحـــــا؟ عَـــــوْدُه يشـــــفي فـــــؤاداً ذبِحـــــا

إن قلبـــــي للشـــــكايا جَنحـــــا أيُ قلـــــب لشـــــكاتي فتِحـــــا؟

****

أيـــن مِـــن عينـــي حبيبـــي والهنـــاءْ؟ كـــم رَفعـــتُ رَاحتـــي كُلـــي رجـــاء!

ومعـــي (دَهمـــاءُ) نبكـــي فـــي الـــدعاء أن يـــرد الله مَـــن بالبُعـــد بـــاء

إن (عـــز الـــدين) أعيـــاهُ البكـــاء ربمـــا هـــذا البُكـــا غـــالَ القضـــاء!

فـــإذا بالغائـــب المفقـــود جـــاء لـــيس شـــيءٌ مُعجـــزاً ربَ الســـماء!

****

أيـــن منـــي الـــزوجُ مـــا عنـــهُ غِنـــى؟! هـــو للبيـــت عمـــادٌ وسَـــنا

إننـــا مـــن دونـــه ذقنـــا العنـــا مَسّـــنا الضـــر ، ونجتـــرّ العنـــا

ومِـــن الشـــوق التـــردي مَسّـــنا بنتُـــه (الـــدهماءُ) تُبكينـــي أنـــا

وابنـــه (العـــز) يهادينـــا المُنـــى مُشـــفقاً أن يُـــدرك اثنـــين الفنـــا

****

يـــا حبيبـــاً طيفـــه كـــالنغمِ إنْ يَـــزرْ يَمـــحُ عُتـــيَ الألـــمِ

تفتـــدي رؤيـــاك روحـــي ودمـــي يـــا لطيفـــاً ، يـــا جميـــلَ الشِـــيَم

إن ذكـــراك تُســـلي عشـــمي ولهـــا شـــوقي تخطـــى نهمـــي

والـــذي ســـواك جُـــدْ بـــالرُحُم وارحـــمِ الـــنفسَ ، وأبـــرئ قسَـــمي!

****

فـــي (عُسَـــيلانَ) أنـــاجي مُقلتيـــا والمُنـــى تخفِـــقُ فـــي (تمنـــا) لـــديا

وابنتـــي (الـــدهماءُ) كـــم نـــادت عليـــا وشـــرودي طـــال عقلـــي الألمعيـــا

صـــوتُ (عِـــز الـــدين) وافـــى مَســـمَعَيا وأنـــا أبكـــي ، ومَـــن يُصـــغي إليـــا؟

فـــارحمِ الأســـرة إن كنـــت حَفيـــا أم فـــؤادُ الحِـــب قـــد أمســـى خَلِيـــا؟

****

زارنـــا الأهلـــون ، جـــاؤوا للعَـــزا فشـــكرناهم ، وضـــاعفنا الجـــزا!

كـــم تأملنـــا اللقـــاءَ المـــوجزا! عنـــك مـــا قـــالوه أمســـى معجـــزا

كـــــل فـــــردٍ حُـــــبَ أهـــــلٍ أبـــــرزا ... رغـــــم أن الـــــبعض زوجـــــي لمـــــزا!

وكـــــذا بعـــــضٌ بـــــردٍ غمـــــزا ... هـــــل هـــــمُ أغنـــــوْا عشـــــيراً هَمَـــــزا؟

****

عنـــــدنا المـــــالُ فهـــــل هـــــذا البـــــدَلْ؟ ... نشـــــتري مـــــا نشـــــتهي دون وجـــــل!

هـــــل بمـــــال نشـــــتري بعـــــض الأمـــــلْ؟ ... هـــــل بمـــــال نشـــــتري أجـــــدى الحِيَـــــل؟

ليعـــــود الحِـــــبُ يحيـــــا بالأهَـــــل! ... بعـــــد أن وافـــــاهمُ قـــــربُ الأجـــــل!

لســـــتُ أدري كيـــــف أحيـــــا؟ مـــــا العمـــــل؟ ... يـــــا إلـــــه النـــــاس أدركْنـــــا بحـــــل!

****

قـــــال (عـــــز الـــــدين) أينـــــاهُ أبـــــي؟ ... دونـــــهُ العـــــيشُ كمثـــــل الغيهـــــبَ!

صـــــارحيني بـــــالكلام الطيـــــبِ ... واصـــــدقيني ، والطفـــــي يـــــا أمُ بـــــي!

هـــــل سنقضـــــي عُمرنـــــا فـــــي نصَـــــب؟ ... كـــــلُ طفـــــل بـــــين أم وأب!

وأنـــــا والأخـــــتُ فـــــي وهـــــم غبـــــي ... أن يعـــــود الأبُ يَقضـــــي مَـــــأربي!

****

أيهـــــا الجيـــــرانُ كونـــــوا أهلنـــــا ... واعـــــذرونا فـــــي بـــــلاءٍ هالنـــــا

واذكـــــروا بـــــالخير مَـــــن كـــــان لنـــــا ... كـــــل شـــــيءٍ ، كـــــان يَهـــــدي بالنـــــا

ويُســـــلي بالهنـــــا أحوالنـــــا ... وهنـــــا فـــــي دار قـــــومي عالنـــــا

وغـــــدتْ أموالـــــه أموالنـــــا ... وغـــــدت أقوالـــــه أقوالنـــــا

****

يـــــا حبيبـــــي نُصْـــــبَ عينـــــيّ الغطـــــاءْ ... وعلـــــى المِشْـــــجَب يُشـــــجينا الـــــرداءْ

وإزارُ العُمـــــرة الشـــــهبا كِســـــاء ... وعلـــــى الـــــرف زجاجـــــاتُ الـــــدواء

وعلـــــى المكتـــــب مِســـــباحٌ مُضـــــاء ... وأمـــــام البـــــاب يُبكينـــــا الحِـــــذاء!

كـــــل آثـــــارك تســـــتجدي البكـــــاء ... مـــــا كرهناهـــــا لأنـــــا فـــــي ابـــــتلاء!

****

نرقـــــبُ الأثـــــوابَ زانـــــت غرفتـــــكْ ... وبقايـــــا المســـــك تغـــــزو جُؤنتـــــكْ

وإلـــــى الشـــــباك تهفـــــو طلعتـــــك ... ولـــــدى البـــــاب نواســـــي غَيبتـــــك

وعلـــــى الكُرســـــيّ تبكـــــي غترتـــــك ... وطيـــــوفُ الشـــــوق فـــــي سِـــــجادتك

وعلـــــى السُـــــلّم ترنـــــو خطوتُـــــك ... ردك المَـــــولى تُســـــلي أســـــرتك

****

إن فـــــي (بيحـــــان) أطـــــلالاً قصـــــية ... وهنـــــا فـــــي (شـــــبْوَةٍ) خلـــــفَ الثنِيـــــة

عنـــــد أخـــــوال لنـــــا أهـــــل حَمِيـــــة ... كـــــم تـــــذاكرنا الخـــــلالَ الأريحيـــــة!

بُكـــــرة كـــــان التلاقـــــي أو عَشِـــــية ... لـــــم نكـــــن نـــــدري متـــــى تـــــأتي المنيـــــة!

ولنـــــا فـــــي الصـــــبح أذكـــــارٌ زكيـــــة ... وصـــــلاة الليـــــل بـــــالتقوى نقيـــــة

****

أيهـــــا الغائـــــبُ يرعـــــاك الإلـــــهْ ... إنْ تكـــــنْ مِـــــت دعونـــــا فـــــي الصـــــلاة

أن تـــــرى الأخـــــرى بـــــديلاً للحيـــــاة ... رحمـــــة المـــــولى ثـــــوابٌ للتقـــــاة

أو تكـــــنْ حيـــــاً ليرْجعْـــــك الإلـــــه ... وحـــــدهُ العـــــالمُ بالســـــر وراه

وحـــــده القـــــادر فلننشـــــدْ رضـــــاه! ... هـــــل لنـــــا فـــــي كربنـــــا ربٌ سِـــــواه؟!

****

أيهـــــا الغائـــــبُ بتنـــــا لا نـــــراكْ ... أنـــــا والطفـــــلان لا نبكـــــي ســـــواك

وعلـــــى جمـــــر الغضـــــى دون حِـــــراك ... نســـــهرُ الليـــــلَ يُناجينـــــا هـــــواك

يـــــا إلـــــهَ النـــــاس أســـــعدْ مَـــــن دعـــــاك ... لا تُخيّـــــبْ يـــــا إلهـــــي مَـــــن رجـــــاك

إن يكـــــنْ أدرك محبـــــوبي الهـــــلاك ... ربنـــــا ارحمْـــــهُ ، وألزمْنـــــا هـــــداك

****

أيهـــا التائـــهُ فـــي الأرض الخـــرابْ عُـــدْ إلينـــا مِـــن مَجاهيـــل الســـراب

لا تُطـــلْ بُعـــدك ، أضـــنانا الغيـــاب وطيـــوفُ البُعـــد تُـــدْمي كـــالحِراب

فـــارحمِ الأســـرة مِـــن هـــذا العـــذاب لـــم يُعوّضْـــنا طعـــامٌ أو شـــراب

ربَنـــا أذنْ لحبيبـــي بالإيـــاب رب ذلـــلْ مـــا يُقاســـي مِـــن صِـــعاب

الجمال اليماني

(كان ذلك العاشق المسلم صادقاً مع الله ، وصادقاً مع نفسه وصادقاً مع من أحب. إذ حكى في مجلة عن نفسه أنه رأى فتاة فأعجبه حسنها ، فأحبها وازداد حبه لها بعدما سأل عنها ، لأنه وجدها ذات خلق ودين. وأنهى الولع والشغف بالزواج. عملاً بقول النبي – صلى الله عليه وسلم -: (زوّجوها بمن تحب ، ليس للمتحابين إلا الزواج). أورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى عن ابن عائشة قال: قلت لطبيب كان موصوفاً بالحذق ما هو العشق؟ قال: شغل قلب فارغ. قلت: وقد ذهب بعضهم إلى أنه مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا. مراتب العشق: قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى: أول ما يتجدد الاستحسان للشخص ثم يجلب إرادة القرب منه ، ثم المودة وهو أن يود أن لو ملكه ، ثم يقوى الود فيصير محبة ، ثم يصير خلة ثم يصير هوى فيهوي بصاحبه في محاب المحبوب من غير تمالك ، ثم يصير عشقاً ثم يصير تتيماً ، والتتيم حالة يصير بها المعشوق مالكاً للعاشق لا يوجد في قلبه سواه ومنه تيم الله ، ثم يزيد التتيم فيصير ولهاً والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطل عن أحوال التمييز. وقال بعض العلماء أول مراتب العشق الميل إلى المحبوب ، ثم يستحكم الهوى فيصير مودة ، ثم تزيد بالمؤانسة وتدرس بالجفاء والأذى ، ثم الخلة ثم الصبابة وهي رقة الشوق تولدها الألفة ويبعثها الإشفاق ويهيجها الذكر ثم يصير عشقاً وهو أعلى ضرب. فمبتدأه يصفي الفهم ويهذب العقل ، كما قال ذو الرياستين لأصحابه: اعشقوا ولا تعشقوا حراماً ، فإن عشق الحلال يطلق اللسان العيي ويرفع التبلد ويسخي كف البخيل ويبعث على النظافة ويدعو إلى الذكاء. فإذا زاد مرض الجسد وزاد جرح القلب وأزال الرأي واستهلك العقل ثم يترقى جداً فيصير ولها ويسمى ذو الوله مدلهاً ومستهاماً ومستهتراً وحيران. ثم قال ابن دريد: الصبابة رقة الهوى واشتقاق الحب ، من أحب البعير إذا برك من الإعياء. وأما الحب:(حديث عائشة رضي الله عنها الثابت في صحيح البخاري) أن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال: (الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف). وأساس المحبة والتآلف هو القلب ، لذا نجد أن القلوب تتآلف وتحن لمن يوافق شاكلتها. قال ابن القيم رحمه الله كما في إغاثة اللهفان(132/1): المحبة هي التي تحرك المحب في طلب محبوبه الذي يكمل بحصوله له ، فتحرك محب الرحمن ، ومحب القرآن ومحب العلم والإيمان ، ومحب المتاع والأثمان ، ومحب الأوثان والصلبان ، ومحب النسوان والمردان ، ومحب الأطفال ، ومحب الإخوة. فتثير من كل قلب حركة إلى محبوبه من هذه الأشياء فيتحرك عند ذكر محبوبه دون غيره ، ولهذا تجد محب النسوان والصبيان ، ومحب قرآن الشيطان بالأصوات والألحان لا يتحرك عند سماع العلم وشواهد الإيمان ، ولا عند تلاوة القرآن ، حتى إذا ذكر له محبوبه اهتز له وربا ، وتحرك باطنه وظاهره شوقاً إليه وطرباً لذكره ، فكل هذه المحابّ باطلة مضمحلة سوي محبة الله وما والاها ، من محبة رسوله وكتابه ، ودينه ، وأوليائه ، فهذه المحبة تدوم تدوم ثمرتها ونعيمها بدوام من تعلقت به. وأعود للعاشق المسلم الموحد الذي وقع في عشق الجمال اليماني ، وكان صادق الحب ، فآثر أن يأتي البيوت من أبوابها لا من نوافذها ولا من أسوارها! بل انطلق إلى أهل الجمال اليماني وقبيلته ، وهناك كانت الخطبة والزواج. وتم ذلك كله على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – بعيداً عن حيل الشيطان ومكائده ووساوسه وخطواته الملعونة التي ما تلبث أن تجعل من الإنسان السوي المحترم حيواناً منحطاً يحيا لشهواته ونزواته فقط! من أجل ذلك أنشدت هذه القصيدة من شعري مشيداً بهذا العاشق المحترم الذي لم

يرد بحبه الدنيا وسفولها ليهبط في وحلها ، بل أراد بحبه وجه الله والدار الآخرة في ظاهر أمره والله حسيبه ووكيله ولا نزكي على الله أحداً! إنما أراد بيان ما للحب العذري الصادق من قيمة!)

خَلْـــقٌ وخُلْـــق كـــل ذاك يمـــاني ... وكلاهمـــا اصـــطاد النهـــى ، وســـباني

لمّـــا أشـــأ تعـــذيب قلـــب مُغـــرم ... عشـــق الجمـــال ، ودب فـــي الخفقـــان

وخشـــيتُ أن يبقـــى ضـــحية ســـحره ... متلظيـــــاً بعبيـــــره الفتـــــان

متمنيـــاً منـــه الوصـــال تلطفـــاً ... ليخُصـــــه بمحبـــــةٍ وحنـــــان

والعشـــقُ أدهـــى مـــا يصـــيب متيّمـــاً ... ويـــؤزه فـــي الســـحر والإعـــلان

ولـــذا تزوجـــتُ التـــي أحببتهـــا ... ليكـــون حبـــي صـــادق البرهـــان

كـــيلا أعـــانيَ فـــي الغـــرام صَـــبابة ... تـــودي بطيّـــب عزتـــي وجنـــاني

لأكـــون أصـــدق عاشـــق فـــي عشـــقه ... لـــم يســـتجب لوســـاوس الشـــيطان

لـــم يســـتحلّ محرمـــاً يشـــقى بـــه ... إن الحـــرام ســـبيل كـــل هـــوان

لـــم يـــرض أن يحيـــا أســـير تولـــهٍ ... فالعشـــق درب الصـــب للخســـران

والشـــرع يهـــدي المـــرء مـــن زلاتـــه ... أرأيـــتَ مثـــل شـــريعة الـــرحمن

والله قـــد شـــرع الـــزواج لعزّنـــا ... ولكـــي تـــتم عمـــارةُ البُنيـــان

وبنـــاتُ هـــذا الـــدين لســـن عـــواهراً ... كـــلٌّ تكيـــل الحـــب للأخـــدان

الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!

(عندما يفترضُ أقوامٌ أن الشاعر لا يرد عليه الخطأ في قصيدةٍ ما من قصائده ، أو في ديوان ما من دواوينه ، فإن افتراضهم هذا ينبغي أن يسبقه افتراضٌ آخرُ لا يقل عنه في بداهة العقل والمنطق ، وهو أن هذا الشاعر نبي يوحى إليه ، ومن ثم فهو يُبلغ الناسَ عن ربه ما أوحاه إليه بلا زيادةٍ أو نقصان! فليس له أن يبدل أو يزيد أو ينقص أو يؤخر أو يقدم! ومن ثم أصبح شعره – إن كان ذلك كذلك – نصاً مقدساً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا يوجد به مثقال حبة خردل من خطأ أو خلل أو عيب! ولا نزال نستخرج الإقواء تلو الإقواء ، والسناد تلو السناد ، والإضمار تلو الإضمار ، والبتر تلو البتر ، والتذييل تلو التذييل ، والترفيل تلو الترفيل ، والتسبيغ تلو التسبيغ ، والتشعيث تلو التشعيث ، والحشو تلو الحشو ، والإكفاء تلو الإكفاء ، والإيطاء تلو الإيطاء ، والتضمين تلو التضمين ، وغير ذلك من الأخطاء النحوية والصرفية والإعرابية ، لا أقول في أشعار البارودي وشوقي وحافظ ومطران والعقاد ، ولا أقول في أشعار المتنبي وأبي تمام والبحتري والمعري ، ولا أقول في أشعار جرير والفرزدق والأخطل ، بل في أشعار زهير بن أبي سلمى وعنترة والسموأل وعمرو بن كلثوم والخنساء وحسان بن ثابت ولبيد بن ربيعة والأعشى وغيرهم! ولا تزال الدراسات - في جامعاتنا العربية من جامعات الخليج شرقاً حتى جامعات المغرب العربي غرباً مروراً بمصر والشام – تطلع علينا بأبحاثٍ دقيقةٍ مخلصةٍ نقيةٍ صادقةٍ متوضئةٍ طاهرةٍ تُبين الحقيقة للناس بوجود عيوب قاتلة وأخطاء دامغة في أشعار عمالقة العرب الأولين الغابرين ، وليس فقط في أشعار العرب المعاصرين! لازلنا نقرأ عن الخلل والعيب في الشعر القديم والحديث ، وسوف نظل نكتشف ما لم يكتشفه غيرنا من العيوب والمزالق والأخطاء في شعر العرب! طبعاً أنا لا أقول بضعف شعر العرب الأولين وركاكته وكثرة العيوب والأخطاء فيه ، كما يذهب إلى ذلك خبثاءُ المستشرقين ومن شابههم ممن ينالون من لغة الضاد نحوها وصرفها وشعرها ونثرها! ولا أقر الشاعر الذي يوغل في الأخطاء اللغوية والإملائية والعروضية والبلاغية والنحوية والصرفية ، ويكون ذلك منه طابعاً عاماً في أغلب قصائده! إن مثل هذا النوع من الشعراء ينبغي أن يتعلم العربية أولاً ثم يكتب الشعر! كما أنني لا أقصد النوع الأشد جُرماً وهو الذي يتعمد - عن علم ويقين وسبق إصرار وترصد – الخطأ فيما يكتبه! فهو ينصب الفاعل ويرفع المفعول وينصب اسم (كان) ويرفع اسم (إن) عمداً رغم معرفته بأخطائه! لأنه يعتقد أن هذا لون من ألوان الحداثة والتجديد! وكبرتْ كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً! لكنني أقصد الشاعر الذي تقع منه بعض الهنات والأخطاء البسيطة الت يمكن أن يع فيها سهواً لا عمداً! يخطئ كما أخطأ أبوه آدم – صلى الله عليه وسلم – عندما أكل من الشجرة ، ثم تاب فتاب الله عليه! هل أكل آدم من الشجرة عامداً متعمداً؟ لا! وكذلك الشاعر يقع في الأخطاء دون أن يشعر! فإذا ذكّر ذكَر! بمعنى أنه يدفع بنصوصه وأشعاره إلى المتخصصين النحارير ليصوبوها له بدقة متناهية! ثم يصحح ما توصلوا إليه من أخطاء وعثرات! فهل يخلو الديوان أو النصوص بعد ذلك من الأخطاء؟ والله لا أقطع بذلك! لأنها كلها في عمومها اجتهادات بشر يصيبون ويخطئون ، ويتفقون ويختلفون! ولي مع الكتب والكُتاب نثراً وشعراً قرابة الأربعة عقود – علم الله – وأجد الأخطاء البسيطة وغير البسيطة فأصححها وأعتذر عن كاتبها أو شاعرها! وليس من منهجي أبداً تصيد الأخطاء لأتنقص الآخرين أو أعرّض بهم أو أصل على أكتافهم! وأعلم علم يقين أن من ألف فقد استُهدف! وأعلم علم يقين أن المؤلف ناثراً أو شعراً يضع قريحة فكره على طبق من ذهب

لقرائه! وإذن فالخطأ وراد على الجميع! ووالله إذا انتقلنا إلى الكُتاب والنقاد الغربيين – وأغلبنا ينظر إليهم على أنهم الدقة كلها والتحقيق كله والتدقيق كله – فإنني أجد عندهم الأخطاء القاتلة بعد مراجعتهم وتدقيقهم وتحقيقهم! فكم من موسوعة (جرامر & قواعد نحوية) اشتريتها وطالعت في المقدمة السيرة الذاتية للمؤلف ونبذة مطولة عن لجنة التدقيق والمراجعة من النحويين العباقرة في علم القواعد النحوية الإنجليزية ، وأغلبهم شابوا في هذا العلم! وتمت مراجعة الكتاب على أيديهم عدة مرات! ومع هذا لم يخل من الأخطاء! فأراسلهم فيعترفون بالخطأ ويعدون بتصحيحه في الطبعات القادمة! وإلى اليوم يستخرج النقاد الغربيون الأخطاء تلو الأخطاء عند شكسبير وجون ملتون وألدوس هاكسيلي ووليم ووردث وورث وجاك لندن وعيرهم من الكتاب والنقاد والشعراء من أبناء جلدتهم! وظل شكسبير عندهم الشاعر العملاق والأديب الذي لا يشق له غبار! فرق بين أن تكون الأخطاء عند الكاتب أو الشاعر سبيلاً إلى تحطيمه وبين أن تكون سبيلاً إلى بيان الحقيقة وتوقير المؤلف! مرة ثانية: يخطئ لأنه مجبول على الخطأ! أخطأ أبوه آدم – صلى الله عليه وسلم - ، ثم تاب فتاب الله عليه! بعض الكُتاب أو الشعراء عندما نوافيهم ببعض أخطائهم ونواجههم بها تأخذهم العزة بالإثم ويكابرون ولا يستجيبون للتصحيح رغم وضوح الدليل! هؤلاء يشبهون من قال لربه تعالى: (أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين!) أما عندما يستجيبون أو يناقشون أو يثبتون صوابهم بالدليل فهؤلاء كمن قال الله فيه: (ثم اجتباه ربه بكلماتٍ فتاب عليه وهدى!) وتخرج طبعة لكتاب ما نثراً أو شعراً فيقع الناسُ على الأخطاء فيواجهون بها الكاتب أو الشاعر فيُصدر طبعته الثانية بدون تكرار الأخطاء! ويزيد على ذلك شكر مَن صوّبوه والاعتذار للقراء عن طبعته الأولى التي فيها أخطاء! إن الكتاب الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو القرآن ، فهو محفوظ بحفظ الله له! لم يستحفظ الله عليه أحداً! بل تولى حِفظه بنفسه – سبحانه وتعالى -. وصدق إذ قال: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) والذكر هنا القرآن والسنة بنص الإجماع! وذلك لأن السنة الصحيحة أيضاً وحي أوحاه الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – كما أوحاه القرآن! وإذن فكل كتاب آخر عُرضة لأن يرد الخطأ فيه سهواً أو نقص علم ودراية من صاحبه! إذ لم يحط صاحب فن بكل أسرار ودقائق وخفايا فنه! والشاعر أحد هؤلاء! فإن علم شيئاً فقد خفيت عنه أشياء! وإذا كان أصحاب الملكة والسليقة في العربية يرد عليهم الخطأ فما بالنا اليوم بنا؟ لا ملكة ولا تحدث ولا سليقة! بالعكس إذا تكلمت اليوم في ملأ ما باللغة العربية فلربما أمسك أحد محدثيك بجبينك وقال ثلاثاً: (اخرج يا عدو الله!) زاعماً أن رئياً من الجن قد أصابك أو مسك! فالرحمة الرحمة بالشعراء خاصة شعراء الفصحى الذين يسيرون عكس دفة الحياة وتيارها! ينبغي التلطف بهم والتماس الأعذار لهم! والله الذي بعث محمداً – صلى الله عليه وسلم – بالحق رسولاً نبياً لو كان الأمر بيدي لكنت رحيماً ودوداً براً بشعراء الفصحى في زماني ، ولسهلتُ عليهمُ الأمر ، ولبذلتُ لهم الغالي والنفيس تشجيعاً لهم وتأييداً ، ولساعدتهم بما أستطيعه من النصح والإرشاد ما داموا يسخرون شعرهم في سبيل الذود عن القيم والمبادئ والأخلاق! ولكنتُ لهم ظهيراً ومعيناً في رسالتهم وأشعارهم حسبة لله تعالى وابتغاء مرضاته! ومن باب قول الله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى) ومن باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح: (من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه!) وإنني لأشكر لله أن يمسك مهندس ما في بقعة ما في زماننا هذا بقلمه ويكتب شعراً موزوناً قفى ولو فيه أخطاء! كما أشكر لله أن تفعل الشيء ذاته طبيبة توليد أو أسنان أو باطنة وتنافح عن قيم الإسلام بشعر موزون مقفى

ولو فيه أخطاء! أرشدها إلى الأخطاء ولا أكسر قلبها! أنبهها إلى الأغلاط ولا أدمرها! أضع يدها على المزالق والعثرات ولا أحطمها! ودوري هذا لا يقوم به إلا العظماء الكبار! لأن أفعال العظماء عظيمة وكذلك أفعال الكبار! فرقٌ بين بيان الحق والتشفي والتشهير والتدمير والتحطيم! ولا يكون ذلك على ملأ أبداً بل بيني وبين هذا الشاعر أو تلك الشاعرة! والحمد لله الوسائل الآن مُيسرة ومزللة من: (إيميل أو هاتف أو فيس بوك أو واتس آب أو ما شابه ذلك)! وذلك من باب الدين النصيحة! وأفرح أن الله تعالى سخر قلماً يذود عن الإسلام ، فأقوّمه وأقوّم صاحبه أو صاحبته مبتغياً الأجر من الله وحده! وكم جاءني أحد طلابي بنص كتبه فإن كان قد سرقه وعظته وقلت: لا تكون هذه بدايتك وحاول لتكتب أفضل منه! وإن كان النص له أظهرت له سعادتي الغامرة بمحاولته الجميلة وبينت له خمس ميزات حلوة فيها ، ثم وضحت له بعض الخلل في النحو أو الصرف أو العروض أو ما شابه! فلا أتعمد النيل منه ، ولا انتقاصه ولا السخرية منه ولا الاستهزاء به! بل أقوم بواجبي وأمانتي من النصح والإرشاد والتوجيه! وأتذكر قول الله تعالى: (كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم)! لقد كنت يوماً مثله وربما أقل منه! وكنت ساعتئذٍ بحاجةٍ ماسةٍ لمن يأخذ بيدي ويعلمني ويرشدني! إن الشاعر أخ لنا في الإسلام ، والستر عليه من باب الأولى ، والنصح له ينبغي أن يكون برفق وبإحساس وبشعور وبعاطفة لأن هذه الأشياء مجتمعة هي مادة الشاعر في صياغة نصه! ومن أقوال السَّلف والعلماء في الحثِّ على السَّتْر: قال أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه: (لو أخذت سارقًا لأحببت أن يَسْتُره الله عزَّ وجلَّ ، ولو أخذت شاربًا ، لأحببت أن يَسْتُره الله عزَّ وجلَّ)! ـ وعن أبي الشَّعثاء قال: (كان شُرَحْبِيل بن السِّمْط على جيشٍ ، فقال لجيشه: إنَّكم نزلتم أرضًا كثيرة النِّساء والشَّراب ـ يعني الخمر ـ فمن أصاب منكم حدًّا فليأتنا ، فنطهِّره ، فأتاه ناس ، فبلغ ذلك عمر بن الخطَّاب ، فكتب إليه: أنت ـ لا أمَّ لك ـ الذي يأمر النَّاس أن يهتكوا سِتْر الله الذي سَتَرَهم به)! ـ وعن المعْرُور بن سُوَيْد قال: (أُتي عمر بامرأة راعية زنت ، فقال عمر: ويح المرِّيَّة ، أفسدت حَسَبَها ، اذهبا بالمرِّيَّة فاجلداها ، ولا تخرقا عليها جلدها ، إنَّما جعل الله أربعة شهداء سترًا ستركم به دون فواحشكم ، ولو شاء لجعله رجلًا صادقًا أو كاذبًا ، فلا يطَّلعنَّ سِتْر الله منكم أحد)! ـ وعن الشَّعبي: أنَّ رجلًا أتى عمر بن الخطَّاب ، قال: (إنَّ ابنة لي أصابت حدًّا ، فعَمَدت إلى الشَّفْرة ، فذبَحَت نفسها ، فأدركتُها ، وقد قطعت بعض أوداجها ، فداويتها فبرأت ، ثم أنَّها نَسَكت ، فأقبلت على القرآن ، فهي تُخْطب إليَّ ، فأخبر من شأنها بالذي كان ، فقال له عمر: تعمد إلى سِتْر سَتَره الله فتكشفه؟ لئن بلغني أنَّك ذكرت شيئًا من أمرها ، لأجعلنَّك نَكالًا لأهل الأمصار ، بل أنكِحها نكاح العفيفة المسلمة)! ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (ثلاث أحلف عليهنَّ ، والرَّابعة لو حلفت لبَررْت: لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له ، ولا يتولَّى اللهَ عبدٌ في الدُّنيا فولَّاه غيره يوم القيامة ، ولا يحبُّ رجل قومًا ، إلا جاء معهم يوم القيامة ، والرَّابعة التي لو حلفت عليها لبَررْت: لا يَسْتُر الله على عبد في الدُّنيا ، إلَّا سَتَر عليه في الآخرة)! ـ وعن مريم بنت طارق: (أنَّ امرأة قالت لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: يا أمَّ المؤمنين ، إنَّ كَرِيًّا أخذ بساقي وأنا مُحْرِمَة ، فقالت ـ رضي الله عنها ـ: حِجْرًا حِجْرًا حِجْرًا ، وأعرضت بوجهها ، وقالت بكفِّها ، وقالت: يا نساء المؤمنين ، إذا أذنبت إحداكنَّ ذنبًا ، فلا تخبرنَّ به النَّاس ، ولتستغفر الله تعالى ، ولتتب إليه ؛ فإنَّ العباد يُعَيِّرُون ولا يُغَيِّرُون ، والله تعالى يُغَيِّر ولا يُعَيِّر)! ـ وعن أبي عثمان النَّهدي ، قال: (إنَّ المؤمن ليُعطى كتابه في سِتْرٍ من الله تعالى ، فيقرأ سيِّئاته فيتغيَّر لونه ، ثمَّ يقرأ حسناته فيرجع إليه لونه ، ثمَّ ينظر ، وإذا سيِّئاته

قد بُدِّلت حسنات ، فعند ذلك يقول: (هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ)! - وقال الحسن البصري: (من كان بينه وبين أخيه سِتْر فلا يكشفه)! - وعن إبراهيم بن أدهم ، قال: (بلغني أنَّ عمر بن عبد العزيز قال لخالد ابن صفوان: عِظْني وأوجز. قال: فقال خالد: يا أمير المؤمنين، إنَّ أقوامًا غرَّهم سِتْر الله عزَّ وجلَّ ، وفتنهم حُسْن الثَّناء ، فلا يغلبنَّ جهل غيرك بك علمك بنفسك ، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالسِّتْر مغرورين ، وبثناء النَّاس مسرورين ، وعمَّا افترض الله متخلِّفين مقصرين ، وإلى الأهواء مائلين. قال: فبكى ، ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتِّباع الهوى)! - وقال العلاء بن بدر: (لا يعذِّب الله عزَّ وجلَّ قومًا يسترون الذُّنوب)! - وعن محمود بن آدم قال: سمعت سفيان بن عيينة ، يقول: (لولا ستْر الله عزَّ وجلَّ ما جالسَنا أحدٌ)! - وعن شُبَيْل بن عوف الأَحْمَسِي ، قال: (كان يقال: من سمع بفاحشة ، فأفشاها ، كان فيها كالذي بدأها)! - وعن عبد الله بن المبارك ، قال: (كان الرَّجل إذا رأى من أخيه ما يكره ، أمره في سِتْر ، ونهاه في سِتْر ، فيُؤجر في سِتْره ، ويُؤجر في نهيه ، فأمَّا اليوم فإذا رأى أحدٌ من أحدٍ ما يكره ، استغضب أخاه ، وهتك سِتْره)! - وقال الفضيل بن عياض: (المؤمن يَسْتر وينصح ، والفاجر يهتِك ويُعيِّر)! - وعن عبيد الله بن عبد الكريم الجِيْلِي ، قال: (من رأيته يطلب العثرات على النَّاس ، فاعلم أنَّه معيوب ، ومن ذكر عَورات المؤمنين ، فقد هتك سِتْر الله المرخَى على عباده)! - وقال ابن رجب: (رُوي عن بعض السَّلف أنَّه قال: أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب ، فذكروا عيوب النَّاس ، فذكر النَّاس عيوبهم. وأدركت أقوامًا، كانت لهم عيوب فكَفُّوا عن عيوب النَّاس فنُسيت عيوبهم)! وقال ابن القيِّم: (وأمَّا اكتفاؤه في القتل بشاهدين دون الزِّنا ، ففي غاية الحِكْمة والمصلحة ؛ فإنَّ الشَّارع احتاط للقصاص والدِّماء ، واحتاط لحدِّ الزِّنا ، فلو لم يقبل في القتل إلَّا أربعة لضاعت الدِّماء ، وتواثب العادون ، وتجرؤوا على القتل ؛ وأمَّا الزِّنا فإنَّه بَالَغَ في سِتْره ، كما قدَّر الله سِتْره ، فاجتمع على ستْره شرع الله وقدره ، فلم يقبل فيه إلَّا أربعة يصِفُون الفِعْل وصف مشاهدة ، ينتفي معها الاحتمال ؛ وكذلك في الإقرار ، لم يكتف بأقلَّ من أربع مرَّات ، حرصًا على سِتْر ما قدَّر الله ستْره ، وكَرِه إظهاره ، والتَّكلُّم به ، وتوعَّد من يحبُّ إشاعته في المؤمنين بالعذاب الأليم ، في الدُّنيا والآخرة)! وقال أيضًا: (للعبد سِتْرٌ بينه وبين الله ، وسِتْرٌ بينه وبين النَّاس ، فمن هتك السِّتْر الذي بينه وبين الله ، هتك الله السِّتْر الذي بينه وبين النَّاس)! وقال أيضًا: (ومن النَّاس من طبعه طبع خنزير: يمرُّ بالطَّيِّبات فلا يلوي عليها ، فإذا قام الإنسان عن رجيعه قَمَّه ، وهكذا كثير من النَّاس ، يسمع منك ، ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوئ ، فلا يحفظها ، ولا ينقلها ، ولا تناسبه ، فإذا رأى سقطة ، أو كلمة عَوْراء ، وجد بغيته ، وما يناسبها ، فجعلها فاكهته ونقله)! وقال أبو البركات الغزي العامري في كلامه عن آداب العِشْرة بين المسلمين: (ومنها: الاجتهاد في سِتْر عَورَات الإخوان وقبائحهم ، وإظهار مناقبهم ، وكونهم يدًا واحدةً في جميع الأوقات)! قال العلماء: إنه يجب على المسلم أن يستر أخاه المسلم إذا سأله عنه إنسان ظالم يريد قتله أو أخذ ماله ظلمًا ، وكذا لو كان عنده أو عند غيره وديعة وسأل عنها ظالم يريد أخذها ، يجب عليه سترها وإخفاؤها ، ويجب عليه الكذب بإخفاء ذلك ، ولو استحلَفَه عليها لزمه أن يحلف ، ولكن الأحوط في هذا كله أن يورِّي ، ولو ترَك التورية وأطلق عبارة الكذب ، فليس بحرامٍ في هذه الحال. "الأذكار" ؛ للإمام النووي (ص 580). واستدلوا بجواز الكذب في هذه الحال بحديث أم كلثوم - رضي الله عنها -: أنها سمعت رسول الله - صلَّى الله عليْه وسلَّم - يقول: ليس الكذَّاب الذي يُصلِح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا. أخرجه البخاري (2/ 958، رقم 2546) ، ومسلم (4/ 2011 ، رقم 2605). أجمع

العلماء على أن مَن اطَّلع على عيبٍ أو ذنبٍ أو فجورٍ لمؤمن من ذوي الهيئات أو نحوهم ممَّن لم يُعرَف بالشر والأذى ولم يشتهر بالفساد، ولم يكن داعيًا إليه ؛ كأن يشرب مسكرًا أو يزني أو يفجر متخوفًا متخفيًا غير متهتِّك ولا مجاهر ـ يُندَب له أن يستره ، ولا يكشفه للعامة أو الخاصة ، ولا للحاكم أو غير الحاكم. الموسوعة الفقهية الكويتية\" (24/ 169). وخصوصًا إذا كان ممَّن يُنسَب لأهل الدين ، والطعنُ فيه طعنٌ في الإسلام ، والعيبُ عليه عيبٌ في أهل الإسلام ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ ، إلا الْحُدُودَ). أخرجه أحمد 181/6 والبخاري في (الأدب المفرد) (465). وفي قصة ماعزُ بن مالكٍ الأسلمي ما يؤكد حث الإسلام على الستر على العصاة ، فقد كان ماعز الأسلمي أحدُ الأصحاب الأخيار ممن وقر الإيمانُ في قلبه ، فآمن بربه ، وصدَّق برسالة نبيِّه ، وعاش في مدينة رسول الله يَحمل بين جنبَيه نورَ الإيمان ، وضياء التَّقوى ، بَيْدَ أنَّه لم ينفك عن بشريَّته ، ولم ينسلخ من ضعفه الآدمي ؛ {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}. فزيَّن له الشيطانُ فعلَ الحرام ، وأزَّته نفسُه الأمَّارة نحوَ الفاحشة أزًّا ، وفي ساعة الغفلة وسكرة الشَّهوة وقع في الإثم ، وكان من أمره ما كان. عصى ماعزٌ ربَّه ، وأيقن أنَّ ذاك من عَمَلِ الشيطان ؛ إنه عدو مضل مبين ، فاحترق قلبه ، وتلوَّعت نفسُه ندمًا وأسفًا ، وعاش أيامًا عدة في بُؤس وغمٍّ ، وحسرةٍ وهمٍّ. وعندها قرر ماعز أنْ يبوحَ بأمره ذاك إلى أحد بني عشيرته ، وهو هزَّال بن يزيد الأسلمي ، الذي أشار عليه أن يعترفَ ويقرَّ أمام النبي ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ بخطيئته. مشى المذنب التائب تجرُّه رِجلاه نحوَ الرَّحمة المُهداة ، فوقف في حياءٍ واستحياء ، ونطق بجُرمه ومَعصيته ، فأعرض عنه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكرر ماعز اعترافَه ، وأقرَّ أربعًا ، وألح على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنْ يُقيمَ حدَّ الله ، فلم يكُن بدٌّ من إقامة الحد، حدِّ الرجم ، فرجمه الصحابة حتَّى فاضت روحُه إلى بارئها ، ثم صلَّى عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعا له ، واستغفر ، وأثنى على توبته وصدقه مع ربِّه. فلما بلغ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنَّ هزَّالاً الأسلميَّ هو الذي أشار عليه بالاعتراف ، دعاه ثم قال: "يا هزَّالُ ، لو سترته بثَوْبك ، كان خيرًا لك مما صنعت به" . أخرجه أحمد 216/5(22235) و"أبو داود\"4377 و"النَّسائي\" في "الكبرى"7167 ، الألباني: الصحيحة 29/2. والستر على الناس فضله عظيم وثوابه عميم ، فعَنْ دُخَيْنٍ ، كَاتِبِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، قَالَ: قُلْتُ لِعُقْبَةَ: إِنَّ لَنَا جِيرَانًا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ ، وَأَنَا دَاعٍ لَهُمُ الشُّرَطَ فَيَأْخُذُوهُمْ ، فَقَالَ: لاَ تَفْعَلْ ، وَلَكِنْ عِظْهُمْ وَتَهَدَّدْهُمْ ، قَالَ: فَفَعَلَ ، فَلَمْ يَنْتَهُوا ، قَالَ: فَجَاءَهُ دُخَيْنٌ ، فَقَالَ: إِنِّي نَهَيْتُهُمْ ، فَلَمْ يَنْتَهُوا ، وَأَنَا دَاعٍ لَهُمُ الشُّرَطَ ، فَقَالَ عُقْبَةُ : وَيْحَكَ ، لاَ تَفْعَلْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُؤْمِنٍ ، فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَا موءودة مِنْ قَبْرِهَا. أخرجه أحمد 153/4(17530) و"أبو داود"4892 . ولقد استثنى الإسلام من جملة الستر على العصاة: أولاً: الحدود فإنها تستر على صاحبها وفق الضوابط ، ما لم تبلغ السلطان فإنها لا تستر حينئذ, ودليله ما روي عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ؛ انَّ قُرَيْشا اهَمَّهُمْ شَانُ المرأة الْمَخْزُومِيَّةِ التي سَرَقَتْ. فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إلا أُسامة ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم . فَكَلَّمَهُ أُسامة. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أتشفع في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ. فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إنما هْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أنهم كَانُوا إذا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ ، تَرَكُوهُ وإذا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ ، أقاموا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَايْمُ اللهِ ، لَوْ أن فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا. أخرجه أحمد 41/6 و\"البُخَارِي\" 213/4 و29/5 و\"مسلم\" 114/5. وعن ابن مسعود موقوفاً: ادرأوا الحدود

بالشبهات وأقيلوا الكرام عثراتهم إلا في حد من حدود الله تعالى. ولما جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال له: إن فلان تقطر لحيته خمراً فرد عليه بن مسعود: إن نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به. ثانياً: الشخص الذي يجاهر بالمعصية ، والي يستخف بحدود الله وبالناس ، فليس لهذا الشخص ستر وليس أهلاً له ، فالستر لا يتناول من كان منكره يلحق الضرر بالمجتمع عامة ، وتهريب المخدرات ، أو يتعاطى السحر والكهانة ، ومن أراد التفريق بين المسلمين وتشتيت كلمتهم. وقد رُوِي عن بعض السلف أنه قال: أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب ، فذكروا عيوب الناس ، فذكر الناس عيوبهم ، وأدركت قومًا كانت لهم عيوب ، فكفُّوا عن عيوب الناس فنُسِيت عيوبهم. وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أترعون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه كي يعرفه الناس ويحذره الناس. رواه الطبراني (418/19 ، رقم 1010) الألباني: (ضعيف) انظر حديث رقم: 104 في ضعيف الجامع. وقال محمد بن داود الحدائي ، قلت لسفيان بن عيينة: إن هذا يتكلم في القدر – يعنى إبراهيم بن يحيى فقال سفيان: عرفوا الناس أمره ، وسلوا الله لي العافية. ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص 83. - الله تعالى ستير يحب الستر: من صفات الله تعالى أنه ستير يحب الستر على عباده ، وهذا من كمال رحمته سبحانه ومن تمام فضله ، قال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ، وقال: "وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ". وعَنْ عَطَاءٍ عَنْ يَعْلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ. أخرجه أحمد (4/ 224 ، رقم 17999) ، وأبو داود (4/ 39، رقم 4012) ، والنسائي (1/ 200 ، رقم 406). والبيهقي (1/ 198 ، رقم 908) الألباني :صحيح النسائي (406). وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِى مَعَ ابْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما آخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُدْنِى الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أي رَبِّ. حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: (هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ). أَخْرَجَهُ أحمد 74/2(5436) و"البُخَارِي" 168/3(2441) و"مسلم" 105/8(7115). يروى أنه في عهد سيدنا موسى عليه السلام جف المطر وطلب منه قومه أن يدعو ربه بالغيث وينزل عليهم المطر فصعد سيدنا موسى الجبل ودعا ربه بأن ينزل عليهم المطر فقال له ربه عز وجل: يا موسى كيف انزل المطر و بينكم عاص فرجع موسى إلى قومه وبلغهم بأن بينهم عاص ولم ينزل الله المطر إلا إذا خرج فلم يخرج أحد ثم أنزل الله المطر فصعد موسى الجبل وقال لربه يا رب جمعت القوم و أبلغتهم بأن بيننا عاص فليخرج ولم يخرج أحد وقد أنزلت المطر يا رب فقال سبحانه وتعالى: يا موسى أني أنزلت المطر بعد ما تاب العاصي توبة نصوحة فقال موسى لربه من هو يا رب حتى نعرفه قال الله عز و جل لموسى يا موسى سترته وهو عاص فكيف لا أستره وقد تاب إلى؟! ابن قدامة: كتاب التوابين 82. قال شقيق بن إبراهيم: استتمام صلاح عمل العبد بستِّ خصال: تضرُّع دائم وخوف من وعيده ، والثاني: حسن ظنِّه بالمسلمين ، والثالث: اشتغاله بعيبه ولا يتفرَّغ لعيوب الناس ، والرابع: يستر على أخيه عيبه ولا يُفشي في الناس عيبه ؛ رجاء رجوعه عن المعصية واستصلاح ما أفسده من

قبل ، والخامس: ما اطَّلع عليه من خسَّة عملها استعظمها ؛ رجاء أن يرغب في الاستزادة منها ، والسادسة: أن يكون صاحبه عنده مصيبًا. حلية الأولياء" (8/ 66). ولكي ينال العبد رحمة الله تعالى وعفوه بالستر عليه ، فلا بد له من شروط وأخلاقيات منها: أ- الإخلاص وترك الرياء: قال تعالى: "هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" ، وقال: "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ". عَنِ ابن عَبَّاسٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ، صلى الله عليه وسلم: مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ ، وَمَنْ رَاءَى ، رَاءَى الله بِهِ. أخرجه مسلم 223/8(7585). كان بشر الحافي يقول: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعلَمُ أَنَّ الذُّلَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ العِزِّ ، وَأَنَّ الفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الغِنَى ، وَأَنَّ المَوْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ البَقَاءِ. وقَالَ: قَدْ يَكُوْنِ الرَّجُلُ مُرَائِياً بَعْدَ مَوْتِه ، يُحِبُّ أَنْ يَكْثُرَ الخَلْقُ فِي جِنَازَتِهِ. لاَ تَجِدُ حَلاَوَةَ العِبَادَةِ حَتَّى تَجعَلَ بَينَكَ وَبَيْنَ الشَّهَوَاتِ سُدّاً. السير 466/19. ب- التوبة والإنابة: فالله تعالى من شأنه حبُّ الستر والصون لعباده ، والتجاوز عن هفواتهم والعفو عن زلاتهم ، وقبول التوبة ممن تاب ، قال تعالى: "وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ". وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ ، قَالَ: وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ ، قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الصَّلاَةَ ، قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا ، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللهِ ، قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ ، أَوْ قَالَ: حَدَّكَ. أخرجه البُخَارِي 206/8(6823) و"مسلم" 102/8 (7106). ج- الستر على النفس وعدم المجاهرة بالمعصية: يستحب لمن وقع في معصية وندم أن يبادر إلى التوبة منها ولا يخبر أحداً ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "كُلُّ أَمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ ، فَيَقُولَ يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ". أخرجه البخاري 24/8(6069) و"مسلم" 224/8. وعن ابن عمر رضي الله عنه: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله و ليتب إلى الله فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله. رواه الحاكم والبيهقي ، تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: 149 في صحيح الجامع. قالَ ابن بَطّال: فِي الجَهر بِالمَعصِيَةِ استِخفاف بِحَقِّ الله ورَسُوله وبِصالِحِي المُؤمِنِينَ ، وفِيهِ ضَرب مِنَ العِناد لَهُم ، وفِي السِّتر بِها السَّلامَة مِنَ الاستِخفاف ، لأَنَّ المَعاصِي تُذِلّ أَهلها ، ومِن إِقامَة الحَدّ عَلَيهِ إِن كانَ فِيهِ حَدّ ومَن التَّعزِير إِن لَم يُوجِب حَدًّا ، وإِذا تَمَحَّضَ حَقّ الله فَهُو أَكرَم الأَكرَمِينَ ورَحمَته سَبَقَت غَضَبه ، فَلِذَلِكَ إِذا سَتَرَهُ فِي الدُّنيا لَم يَفضَحهُ فِي الآخِرَة ، والَّذِي يُجاهِر يَفُوتهُ جَمِيع ذَلِكَ. فتح الباري 10:487. وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلهِ ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَلْتَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ. أخرجه أحمد 387/1(3671). عَنْ مَيْمُوْنٍ قَالَ: "مَنْ أَسَاءَ سِرّاً ، فَلْيَتُبْ سِرّاً ، وَمَنْ أَسَاءَ عَلاَنِيَةً ، فَلْيَتُبْ عَلاَنِيَةً فَإِنَّ النَّاسَ يُعَيِّرُوْنَ وَلاَ يَغْفِرُوْنَ ، وَاللهُ يَغْفِرُ وَلاَ يُعَيِّرُ. سير أعلام النبلاء 9:81. وقال ابن القيم رحمه الله: "الذنوبُ جراحاتٌ ، ورُبَّ جرحٍ وقع في مقْتَلٍ ، وما ضُرب

عبدٌ بعقوبةٍ أعظمَ من قسوةِ القلبِ والبعدِ عن اللهِ ، وأبعدُ القلوبِ عن الله القلبُ القاسي "ورحم الله أبا العتاهية حين تخيل لو أن للذنوب رائحة كريهة تفوح فتفضح المذنب كيف يكون حالنا؟ وكيف أن الله قد أحسن بنا إذ جعل الذنوب بلا رائحة. يروى أنهم أتوا إلى عمر رضي الله عنه برجل قد سرق فقال هذا السارق: أستحلفك بالله أن تعفو عني فإنها أول مرة ، فقال عمر رضي الله عنه: كذبت ليست هي المرة الأولى فأراد الرجل أن تثار الظنون حول عمر فقال له: أكنت تعلم الغيب؟ فقال عمر رضي الله عنه: لا ، ولكني علمت أن الله لا يفضح عبده من أول مرة ، فقطعت يد الرجل فتبعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أستحلفك بالله أهي أول مرة؟ فقال: والله إنها هي الحادية والعشرون. ثانياً: الستر على العاصي من صفات المؤمن الصالح: الستر على أهل المعاصي وعدم تتبع سقطاتهم من صفات المؤمنين الصالحين ، ومن حقوق الأخوة الإسلامية ، قال تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ". وعَنْ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أَخْرَجَهُ أحمد 91/2(5646) و"البُخَارِي"! 168/3(2442) و"مسلم" 18/8(6670). قال ابن حجر رحمه الله: "أي: رآه على قبيحٍ فلم يُظهِره ؛ أي: للناس ، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه ، ويحمل الأمر في جواز الشهادة عليه بذلك على ما إذا أنكر عليه ونصحه فلم ينتهِ عن قبيحِ فعلِه ثم جاهَر به ، كما أنه مأمور بأن يستتر إذا وقع منه شيء ، فلو توجَّه إلى الحاكم وأقرَّ لم يمتنع ذلك ، والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضَتْ ، والإنكار في معصية قد حصل التلبُّس بها ، فيجب الإنكار عليه ، وإلا رفَعَه إلى الحاكم ، وليس من الغيبة المحرمة ، بل من النصيحة الواجبة. فتح الباري" (5/ 97). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، أَنَّهُ قَالَ: لاَ يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا ، إِلاَّ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أخرجه أحمد 388/2(9033) و"مسلم" 6686. ومعنى الستر هنا عامٌّ لا يتقيَّد بالستر البدني فقط ، أو الستر المعنوي فقط ، بل يشملهما جميعًا ، فمَن ستَر مسلمًا ستَرَه الله في الدنيا والآخرة ؛ ستَر بدنه كأن رأى منه عورة مكشوفة فستَرَها ، أو رأت امرأة شيئًا من جسد أختها مكشوفًا غير منتبهة إليه فغطَّته ، وستره معنويًّا فلم يظهر عيبه، فلم يسمح لأحدٍ أن يغتابه ولا أن يذمَّه، مَن فعل ذلك ستَرَه الله في الدنيا والآخرة، فلم يفضحه بإظهار عيوبه وذنوبه. عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ مَنْ قَدْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ. قَالَ وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكِ. أَخْرَجَهُ الترمذي (2032) الألباني: رقم: 7984 في صحيح الجامع. ولقد ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم النموذج الأعلى في الستر على الناس وعدم تعييرهم بأخطائهم وهفواتهم ، قال زَيْدَ بن أَسْلَمَ قال خَوَّاتَ بن جُبَيْرٍ ، قَالَ: نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ الظَّهْرَانِ ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مِنْ خِبَائِي فَإِذَا أَنَا بنسْوَةٍ يَتَحَدَّثْنَ ، فَأَعْجَبْنَنِي ، فَرَجَعْتُ فَاسْتَخْرَجْتُ عَيْبَتِي ، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا حُلَّةً فَلَبِسْتُهَا وَجِئْتُ فَجَلَسْتُ مَعَهُنَّ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُبَّتِهِ ، فَقَالَ: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا يُجْلِسُكَ مَعَهُنَّ؟ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِبْتُهُ واخْتَلَطْتُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ جَمَلٌ

لِي شَرَدَ ، فَأَنَا أَبْتَغِي لَهُ قَيْدًا فَمَضَى وَاتَّبَعْتُهُ ، فَأَلْقَى إِلَيَّ رِدَاءَهُ وَدَخَلَ الأَرَاكَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ مَتْنِهِ فِي خَضِرَةِ الأَرَاكِ ، فَقَضَى حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ ، فَأَقْبَلَ وَالْمَاءُ يَسِيلُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ ، أَوْ قَالَ : يَقْطُرُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ ، فَقَالَ: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ جَمَلِكَ؟ ، ثُمَّ ارْتَحَلْنَا فَجَعَلَ لا يَلْحَقُنِي فِي الْمَسِيرِ ، إِلا قَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ؟ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ تَعَجَّلْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، واجْتَنَبْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُجَالَسَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ تَحَيَّنْتُ سَاعَةَ خَلْوَةِ الْمَسْجِدِ ، فَأَتَيْتُ الْمَسْجِدَ فَقُمْتُ أُصَلِّي ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَعْضِ حِجْرِهِ فَجْأَةً فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ وطَوَّلْتُ رَجَاءَ أَنْ يَذْهَبَ ويَدَعُنِي ، فَقَالَ: طَوِّلْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا شِئْتَ أَنْ تُطَوِّلَ فَلَسْتُ قَائِمًا حَتَّى تَنْصَرِفَ ، ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ لأَعْتَذِرَنَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأُبْرِئَنَّ صَدْرَهُ ، فَلَمَّا قَالَ : السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ؟ ، فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا شَرَدَ ذَلِكَ الْجَمَلُ مُنْذُ أَسْلَمَ ، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ ثَلاثًا ، ثُمَّ لَمْ يُعِدْ لِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ. أخرجه الطبرانى (203/4 ، رقم 4146) قال الهيثمى (401/9) رواه الطبرانى من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير الجراح بن مخلد وهو ثقة. قال بعض العلماء: اجتهِد أن تستر العصاة ؛ فإن ظهور معاصيهم عيبٌ في أهل الإسلام ، وأولى الأمور ستر العيوب ، وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: "المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويعير. جامع العلوم والحكم" (1/ 82). لمّا ركب ابن سيرين الدّين وحبس به ، قال: إني أعرف الذنب الذي أصابني يا هذا ، عيّرتُ رجلاً منذُ أربعين سنة ، فقلت له: يا مفلس. وحكى أن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - كان له كاتب ، وكان جيران هذا الكاتب يشربون الخمر؛ فقال يومًا لعقبة: إنَّ لنا جيرانًا يشربون الخمر ، وسأبلغ الشرَط ليأخذوهم ، فقال له عقبة: لا تفعل وعِظْهُمْ. فقال الكاتب: إني نهيتهم فلم ينتهوا ، وأنا داعٍ لهم الشرَط ليأخذوهم ، فهذا أفضل عقاب لهم. فقال له عقبة: ويحك. لا تفعل ؛ فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة). حكى الشعبي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جلس بين مجموعة من أصحابه ، وفيهم جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - وبينما هم جالسون أخرج أحد الحاضرين ريحًا ، وأراد عمر أن يأمر صاحب ذلك الريح أن يقوم فيتوضأ ، فقال جرير لعمر: يا أمير المؤمنين ، أو يتوضأ القوم جميعًا. فسُرَّ عمر بن الخطاب من رأيه وقال له: رحمك الله. نِعْمَ السيد كنت في الجاهلية ، ونعم السيد أنت في الإسلام. البداية والنهاية 61/8. قال سفيان بن حسين: ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية فنظر في وجهي ، وقال: أغزوت الروم؟ قلت: لا قال: أغزوت الهند أو السند أو الترك؟ قلت: لا قال: أفسلم منك الروم ، والهند ، والسند ، والترك؟! ولم يسلم منك أخوك المسلم! كان معروف الكرخي قاعداً يوم على دجلة ببغداد فمر به صبيان في زورق يضربون بالملاهي ويشربون فقال له أصحابه: أما ترى هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا الماء؟ ادع عليهم فرفع يديه إلى السماء وقال: الهي وسيدي كما فرحتهم في الدنيا أسألك أن تفرحهم في الآخرة. فقال له صاحبه: إنما سألناك أن تدعو عليهم ولم نقل ادع لهم ، فقال: إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا ولم يضركم هذا. ابن المُلقِن: طبقات الأولياء 47/1. وعَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَصَابَ ذَنْبًا وَكَانُوا يَسُبُّونَهُ ، فَقَالَ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَجَدْتُمُوهُ فِي قَلِيبٍ أَلَمْ تَكُونُوا تَسْتَخْرِجُونَهُ؟" قَالُوا: بَلَى . قَالَ: "فَلَا تَسُبُّوا أَخَاكُمْ ، وَاحْمَدُوا اللهَ الَّذِي عَافَاكُمْ" ، قَالُوا: أَفَلَا نَبْغَضُهُ؟ قَالَ: "إِنَّمَا أَبْغَضُ عَمَلَهُ فَإِذَا تَرَكَ فَهُوَ أَخِي". البيهقي: شعب الإيمان 63/9. ثالثاً: الستر على العصاة ضوابط وحدود: الستر على العصاة في الإسلام له

حدوده وضوابطه ، فلطالما لم يجاهر العاصي بالمعصية ويتجرأ بها على الله ويحاول إفساد المجتمع بها ، فإنه يعذر ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: وَلاَ أَعْلَمُهُ إِلاَّ عَنِ النَّبِي صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: رَأَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ رَجُلاً يَسْرِقُ ، فَقَالَ لَهُ: يَا فُلاَنُ أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: لاَ وَاللهِ مَا سَرَقْتُ ، قَالَ: آمَنْتُ بِاللهِ ، وَكَذَّبْتُ بَصَرِي. أخرجه أحمد 383/2(8961). ثم تقدم له النصيحة الخالصة التي لا تفضح ولا تجرح! وأن لا يحاول المرء الاشتغال بعيوب الناس سببٌ في فضح عيوب المشتغِل ، والسكوت عن عيوب الناس سببٌ في ستر الله للعبد ، ومَن نظَر لعيوب نفسه شغلتْه عن عيوب الناس ؛ قال ـ صلَّى الله عليْه وسلَّم ـ: يبصر أحدكم القَذَى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه. (صحيح) انظر حديث رقم: 8013 في صحيح الجامع. قال المباركفوري: "وأما الستر المندوب إليه فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفا بالأذى والفساد. فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه ؛ بل يرفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة ؛ لأن الستر على هذا يُطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله ؛ هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت. أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه ، ومنعه منها على من قدر على ذلك ؛ ولا يحل تأخيرها ؛ فإن عجز لزم رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة". انظر: تحفة الأحوذي 215/8. أخرج عبد الرازق بن حميد والخرائطي عن المسور بن مخرمة عن عبد الرحمن بن عوف ، أنه حرس مع عمر بن الخطاب ليلة المدينة ؛ فبينما هم يمشون إذ رأوا سراجًا متقدًا في بيت ، فانطلقوا يؤمونه ، فلما دنوا منه إذا باب مجاف "مغلق" على قوم لهم فيه أصوات عالية ولغط ، فقال عمر ؛ وأخذ بيد عبد الرحمن بن عوف: أتدري بيت مَن هذا؟ قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شُرب "أي يشربون الخمر جماعةً" فماذا ترى؟ قال عمر: أرى أن قد أتينا ما نهى الله عنه قال الله تعالى (وَلا تَجَسَّسُوا) فقد تجسسنا ، فانصرف عنهم وتركهم. البيهقي في سننه الكبرى رقم: 17403 والدر المنثور (7/ 567). ولقد حث الإسلام على الستر لجميع الذنوب والمعاصي ولكن وفق الضوابط الشرعية ، يقول ابن حجر "في شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم "ومَن سَتَرَ مُسلِمًا" ؛ أَي رَآهُ عَلَى قَبِيحٍ فَلَم يُظهِرهُ أَي لِلنّاسِ ، ولَيسَ فِي هَذا ما يَقتَضِي تَرك الإِنكار عَلَيهِ فِيما بَينَهُ وبَينَهُ ، ويُحمَلُ الأَمرُ فِي جَوازِ الشَّهادَةِ عَلَيهِ بِذَلِكَ عَلَى ما إِذا أَنكَرَ عَلَيهِ ونَصَحَهُ فَلَم يَنتَهِ عَن قَبِيحِ فِعلِهُ ثُمَّ جاهَرَ بِهِ. كَما أَنَّهُ مَأمُورٌ بِأَن يَستَتِرَ إِذا وقَعَ مِنهُ شَيء ، فَلَو تَوجَّهَ إِلَى الحاكِمِ وأَقَرَّ لَم يَمتَنِع ذَلِكَ والَّذِي يَظهَرُ أَنَّ السَّترَ مَحَلّه فِي مَعصِيَةٍ قَد انقَضَت ، والإِنكارَ فِي مَعصِيَةٍ قَد حَصَلَ التَّلَبُّس بِها فَيَجِبُ الإِنكارُ عَلَيهِ وإِلاَّ رَفَعَهُ إِلَى الحاكِمِ ، ولَيسَ مِنَ الغِيبَةِ المُحَرَّمَةِ بَل مِنَ النَّصِيحَةِ الواجِبَةِ ، وفِيهِ إِشارَةٌ إِلَى تَركِ الغِيبَةِ لأَنَّ مَن أَظهَرَ مَساوِئَ أَخِيهِ لَم يَستُرهُ. فتح الباري (97:5). إنه لينبغي الستر على المسلم ، ويكون الستر على المسلم الشاعر أكثر وأكثر ، خاصة إن كان قد سخر قلمه وشعره وأدبه في الذود عن القيم والمبادئ والمثل العليا! وتحت عنوان: (المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويفضح!) يقول الأستاذ موسى الأسود ما نصه بتصرف: (الستر على الناس مطلب شرعي ، وخلق اسلامي نبيل ، وعلى المسلم أن يكون محباً للستر على الآخرين ، لكي يستره الله تعالى في الدنيا والآخرة ، فما من أحدٍ إلا وله ذنوبه وأخطاؤه ومعايبه ، يقول أحد السلف: لو كان للذنوب ريح لما استطاع أحد أن يجلس إلى أحد. وقد روي: لو تكاشفتم ما تدافنتم. يَقُولُ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا عَلَى خِزْيَةٍ سَتَرَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ». ويقول عليه السلام: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم».

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال ، وليس بخارج». وردغة الخبال: عُصارة أهل النار. وكل إنسان بحاجةٍ إلى ستر الله تعالى عليه. إن التشهير بالناس من الأمراض الخطيرة التي يتعدى شرها إلى كل فئات المجتمع ؛ فتطال أعراض الناس وحُرماتهم ، خاصة في ظل تطور مواقع التواصل الذي يشهده العالم ، حيث يتخذ المشهِّر التقنية سبيلاً للنيل من الآخرين والطعن فيهم وتشويه سمعتهم. والإسلام يدعو الى الستر وصيانة الأعراض وعدم تتبع عورات الناس والتشهير بهم ، فالله عز وجل ستير يحب الستر ، ويأمر عباده به. وقد جعل الله عز وجل الجزاء من جنس العمل. فمن ستر عورة أخيه ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه كشف الله عورته ، حتى يفضحه بها في بيته. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم. فإنه من اتبع عوراتهم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته). وكان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على ستر العاصين ، فحينما زنى ماعز ، أمره رجل يسمى هزال بأن يذهب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويعترف أمامه بالزنى ، فقال صلى الله عليه وسلم لهزال: «لو سترته بثوبك كان خيراً لك». وهذا يفرض على كل مسلم ، إذا سمع عن أخيه ما يسوؤه أن يبادر بحسن الظن به ، ويرد غيبته حتى لا يشارك في الإثم. قال صلى الله عليه وسلم: من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة. وإذا شاهد خطيئة تتعلق بعرض أخيه المسلم ولم يجاهر بها فعليه أن يبادر بالستر وألا يفضح أمره أمام الناس ، ولا يتناقل الكلام. فالإنسان مطالب بالستر على من ليس معروفاً بالأذى والفساد. فلا ينبغي فضح امرئ ستر نفسه. فالإنسان الذي غلبته نفسه فعصى الله في السر ولم يجهر بمعصيته لا يجوز أن نفضحه ، وننشر خطأه بين الناس. ورد عن دُخين كاتب عقبة بن عامر (رضي الله عنه) قال: قلت لعقبة إن لنا جيراناً يشربون الخمر ، وأنا داع لهم الشرطة فيأخذونهم. فقال: لا تفعل ، ولكن عظهم وتهددهم. قال: ففعل فلم ينتهوا. قال: فجاءه دُخين فقال: إني نهيتهم فلم ينتهوا ، وأنا داع لهم الشرط. فقال عقبة: ويحك لا تفعل فإني سمعت رسول الله يقول: من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موءودة من قبرها. وحذّر الرسول (صلى الله عليه وسلم) من تعيير الناس بالذنوب فقال: من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يفعله. وقال (صلى الله عليه وسلم): أيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء ، يرى أن يشينه بها في الدنيا ، كان حقاً على الله تعالى أن يرميه بها في النار ؛ ثم تلا مصداقه من كتاب الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ..». كذلك يمكننا اتباع النصيحة للمسلم بدأ من التشهير بالأخطاء! وإذا كان الإسلام يدعو للستر على المخطئ فهذا ليس معناه أن نكون سلبيين معه ، أو أن نقف مكتوفي الأيدي أمام ما يرتكبه من أخطاء. ولكن يجب علينا أن ننصحه بالحكمة والموعظة. فالستر لا ينافي النصح بل يتطلبه. قال رسول (صلى الله عليه وسلم): «من رأي منكم منكرا فليغيّره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان». فإذا رأينا شخصا وقع في الخطأ يجب علينا أن نساعده في الإقلاع عن هذا الذنب ، ونفتح له باب الأمل في التوبة ، ونقدم له النصيحة بالرفق واللين. فالمؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعيّر. ويجب أن تكون في السر لأن النصيحة على الملأ فضيحة. قال الإمام الشافعي: «من وعظ أخاه سرّا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وخانه»).هـ. وإذن فكل ابن آدم خطاء ، وليس من أحدٍ إلاَّ وله خطأ لا يحب أن يَطَّلِع عليه أحد من الناس ، ولذلك كان السَّتْر على الناس خلق وهدي نبوي ، لما فيه من حفظ عورات

الْمسلمين وسترهم ، والإمساك عما يسوؤهم ، فتزداد المحبة وتُحفظ الأخوة بينهم ، فالمؤمن يستُر وينصَح ، ولا يهتك ويفضح . ومن صفات الله عز وجل أنه ستِّير ، يستر الذنوب والعيوب وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل حَيِيٌّ سِتِّيرٌ ، يحب الحياء والسِّتْر) رواه أبو داود وصححه الألباني ، أي: يحب السترَ لعباده المؤمنين ، ستر عوراتهم ، وستر ذنوبهم ، فيأمرهم أن يستروا عوراتهم ، وأن لا يجاهروا بمعاصيهم في الدنيا ، وهو يسترها عليهم في الآخرة ، ومما لا شك فيه أن العاصي والمخطئ له حق على مجتمعه ، يتمثل في نصحه بأفضل الطرق وأحسنها مع الستر عليه ، والأصل فيمن رأى منكراً أو خطأً أن يقوم - برفق وحكمة - بالإنكار على فاعله ونصحه مع الستر عليه وعدم التشهير به ، ومن ثم كان صلوات الله وسلامه عليه إذا رأى شيئًا يُنكره ويكرهُه من أحد ، عرَّض وألمح ، ولم يُصَرِّح باسم فاعله ، فعن عائشة رضي الله عنها: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه ما يكرهه لم يقل: ما بال فلان يقول كذا ، ولكن يقول: ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ، يُكنى عنه ولا يسمى فاعله). رواه أبو داود وصححه الألباني. والسيرة النبوية مليئة بالمواقف والأحاديث في أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالستر على المخطئ وعدم فضحه والتشهير به ، ومن ذلك: - عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته ، حتى يفضحه بها في بيته). رواه ابن ماجه وصححه الألباني. قال المنذري: "ستر المسلم هو تغطية عيوبه وإخفاء هنَّاته (زلاته وهفواته وقبائحه)". - وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يستر عبد عبداً في الدّنيا إلّا ستره الله يوم القيامة). - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة). رواه ابن ماجه وصححه الألباني. قال ابن حجر: قوله: (ومن ستر مسلماً) أي: رآه على قبيح فلم يظهره - أي للناس - ، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه". وقال المناوي: "(من ستر أخاه المسلم في الدنيا) في قبيح فعله ، وقوله: (فلم يفضحه) بأنِ اطَّلع منه على ما يشينه (يعيبه) في دينه أو عِرْضِه أو ماله أو أهله فلم يهتكه ولم يكشفه بالتحدث ، (ستره الله يوم القيامة) أي: لم يفضحه على رؤوس الخلائق بإظهار عيوبه وذنوبه ، بل يسهل حسابه ويترك عقابه ، لأن الله حَيي كريم ، وستر العورة من الحياء والكرم". - وروى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المسلم أخو المسلم ، لا يظلِمه ولا يُسلِمُه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرَّج عن مسلم كُرْبةً ، فرَّج اللهُ عنه بها كُرْبة من كُرَب يوم لقيامة ، ومن ستر مسلماً ، ستره الله يوم القيامة). وفي قصَّة ماعز بن مالك الأسلمي عندما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم واعترف على نفسه بالزِّنى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي أشار عليه أن يأتي إليه ويقر على نفسه بالزنى: (يا هَزَّال ، لو سَتَرْته بردائك كان خيراً لك). رواه أحمد وصححه الألباني. قال أبو الوليد الباجي: "وقوله صلى الله عليه وسلم لـهَزَّال: (يا هَزَّال ، لو سَتَـرْته بردائك كان خيراً لك) ، يريد: ممَّا أظهرته من إظهار أمره ، فكان ستْره بأن يأمره بالتَّوبة ، وكتمان خطيئته ، وإنَّما ذكر فيه الرِّداء على وجه المبالغة ، بمعنى أنَّه لو لم تجد السَّبيل إلى سِتْره إلَّا بأن تَسْتُره بردائك ممَّن يشهد عليه ، لكان أفضل ممَّا أتاه ، وتسبَّب إلى إقامة الحدِّ عليه". وقال ابن الأثير: "(ألَا سَتَرْته بثوبك يا هَزَّال) ، إنما قال ذلك حُبّاً لإخفاء الفضيحة ، وكراهيةً لإشاعتها". وفي مصنف عبد الرزاق عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال:

"لوْ لمْ أجِدْ للسارق والزاني وشارب الخمر إلا ثوبي لأحببت أن أستره عليه" ، وفي تفسير الطبري: "عن عامر قال: أتى رجل عمر فقال: إن ابنةً لي كانت وُئِدت في الجاهلية فاستخرجْتُها قبل أن تموت ، فأدْركَت الإسلام ، فلما أسلمت أصابت حداً من حدود الله ، فعمدتْ إلى الشفرة لتذبح بها نفسها ، فأدركتُها وقد قطعت بعض أوداجها (عروقها) ، فداويتُها حتى برِئت ، ثم إنها أقبلت بتوبةٍ حسنةٍ ، فهي تُخْطَبُ إليّ يا أمير المؤمنين ، أفأخبر من شأنها بالذي كان؟ فقال عمر: أتُخْبِرُ بشأنها؟! تعْمَد إلى ما ستره الله فتبديه؟ والله لئن أخبرتَ بشأنها أحداً من الناس لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار ، بل أنكحها (زَوِّجْها) بنكاح العفيفة المسلمة". أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بالستر عامة والستر على ذوي العثرات من أصحاب الفضل والخير خاصة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة) رواه مسلم ، قال النووي: "وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفاً بالأذى والفساد" ، وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود). رواه أبو داود وصححه الألباني ، قال ابن القيم في قوله صلى الله عليه وسلم: (ذوي الهيئات): "الظاهر أنهم ذوو الأقدار بين الناس من الجاه والشرف والسؤدد ، فإن الله تعالى خصّهم بنوع تكريم وتفضيل على بني جنسهم ، فمن كان منهم مستوراً مشهوراً بالخير حتى كبا به جواده ، وأديل عليه شيطانه فلا نسارع إلى تأنيبه وعقوبته ، بل تُقال عثرته ما لم يكن حداً من حدود الله فإنه يتعيّن استيفاؤه من الشريف كما يتعيّن أخذه من الوضيع ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها). متفق على صحته ، وهذا باب عظيم من أبواب محاسن هذه الشريعة الكاملة ، وسياستها للعالم ، وانتظامها لمصالح العباد في المعاش والمعاد". وقال الذهبي: "إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه ، وعُلِم تحريه للحق ، واتسع علمه ، وظهر ذكاؤه ، وعُرِف صلاحه وورعه واتباعه ، يُغفر له زلته ، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه ، نعم ، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ، ونرجو له التوبة من ذلك". الأخطاء والذنوب إذا اقتصرت على صاحبها وفاعلها، ولم يتحصل منها ضرر على الناس ، فإن باب النصيحة هو المتعَيَّن ، وباب الستر مؤكد ، وأمر المذنب والمخطئ إلى ربه ، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه ، وقال ابن عثيمين: "فالستر قد يكون مأموراً به محموداً ، وقد يكون حراماً ، فإذا رأينا شخصاً على معصية ، وهو رجلٌ شرير منهمك في المعاصي ، لا يزيده الستر إلا طغياناً ، فإننا لا نستره ، بل نبلغ عنه حتى يُردع ردعاً يحصل به المقصود". والستر على المخطئ هدي وخلق نبوي ، وهو لا يعني إقراراً لخطأ المخطئ ، ولا تهويناً من زلته ، ولكنه ـ مع الإنكار عليه ومناصحته ـ يأخذ بيده ليستمر في سيره إلى الله ، ويفتح له باب التوبة وتصحيح الخطأ ، إذ ربما يفقد الإنسانُ حياءه عندما تُكْشَف أخطاؤه ، فيتجرَّأ على المزيد من الخطأ ، وقد حثّنا النبي صلى الله عليه وسلم على الستر بفعله وقوله ، وبين لنا أجره وفضله الكبير ، فقال صلى الله عليه وسلم: (من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة).هـ. وتحت عنوان: (الستر على العاصي أخلاق وضوابط) يقول الدكتور بدر عبد الحميد هميسه: دعانا الشارع الحكيم إلى التجاوز عن العورات والستر على أصحاب المعاصي والسيئات ، وجعل ذلك من الأخلاقيات الطيبة التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم ، فالله تعالى لا يحب أن يجاهر الإنسان بكلام السوء ولا بإشاعة السوء ، قال تعالى: "لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ

الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلاَ تَحَسَّسُوا ، وَلاَ تَجَسَّسُوا ، وَلاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا. أخرجه أحمد و"البُخاري". فكل ما كان سيئًا من القول ، فالجهر به لا يحبُّه الله عزَّ وجلَّ ، والتفتيش عن عيوب الناس وتتبع عوراتهم وسوء الظن بهم ليس من أخلاقيات المؤمن ، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا". قال المُفسِّرون: التجسسُ: البحثُ عن عيبِ المسلمين وعورتهم ، أمَّا خَيْر الخلق وأَعْرفُ الخلق بما يُرضي الله ـ تعالى ـ فقد كان عظيمَ الحياء ، عفيفَ اللِّسان ، بعيدًا عن كشف العورات ، حريصًا على كَتْم المعائب والزلاَّت ، كان إذا رأى شيئًا يُنكره ويكرهُه ، عرَّض بأصحابه وألمح ، كم من مرَّة قال للناس: (ما بال أقوام يقولون كذا وكذا) ، (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا). ففي تتبع عورات الناس وفضحهم نشر للرذيلة بين العباد ، وحباً لإشاعة الفاحشة بينهم ، وهو ما حذرنا الله تعالى منه ، قال سبحانه: "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ". لذا فقد اهتم علماء الإسلام بهذا الباب المهم من أبواب الأدب ، فقد بوب البخاري رحمه الله في كتاب الأدب من صحيحه (باب ستر المؤمن على نفسه) ثم ذكر الأحاديث الدالة على ذلك ، وبوب أيضاً في كتابه الأدب المفرد (باب من ستر مسلماً). وبوب الإمام النووي رحمه الله في كتابه شرح صحيح مسلم: (باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه). ثم ساق الأحاديث ، وبوب ابن ماجة في سننه في كتاب الحدود (باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات) ، أما الفقهاء وأصحاب السلوك فقد بوب البغوي رحمه الله) باب النهي عن تتبع عورات المسلمين ، وباب الستر) ، وفصل في ذلك ابن مفلح الحنبلي في كتابه الآداب الشرعية. وكذلك المفسرون عنو بهذا الموضوع عند ذكر الآيات الدالة كابن كثير في تفسيره. والستر معناه: تغطية المسلم عيوبه وإخفاء هناته ، وعدم كشفها للناس مع طلب التوبة والندم عليها ، وتيقنه بأن الله تعالى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النهارِ، وَيبْسُطُ يَدَهُ بِالنهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا. أخرجه أحمد ومسلم. وها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جاءتْها امرأةٌ ، فأخبرتها أنَّ رجلاً قد أخذ بساقها وهي مُحرمة ـ أي: حاول كشف عورتها ـ فقاطعتها عائشةُ ، وأعرضت بوجهها وقالت: "يا نساءَ المؤمنين ، إذا أذنبتْ إحداكُنَّ ذنبًا ، فلا تخبرن به النَّاس ، ولتستغفر الله ، ولتتب إليه ؛ فإنَّ العباد يُعيِّرونَ ولا يُغيِّرون ، والله يُغَيِّر ولا يُعيِّر. مكارم الأخلاق للخرائطي).هـ. وجاء في الدرر السنية ما نصه: (الستر أنواع: <u>أولها</u>: ـ ستر المسلم نفسه: (المسلم عليه أن يستر نفسه ، فلا يُشْهر خطاياه أمام الخَلْق ، ولا يذكر زلَّاته أمام النَّاس ، ولو كانوا أصدقاءه ، إلَّا على وجه السُّؤال والفتيا ، دون تحديد أنَّه الفاعل ، سيَّما عند من يعرفه)! فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كلُّ أمَّتي معافى إلا المجَاهرين ، وإنَّ من المجَاهرة أن يعمل الرَّجل بالليل عملًا ، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملتُ البارحة كذا وكذا ، وقد بات يَسْتُره ربُّه ، ويصبح يكشف سِتْر الله عنه)! وقال صلى الله عليه وسلم: (أيُّها النَّاس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئًا، فليَسْتَتر بسِتْر الله)! <u>ثانياً</u>: ستْر المسلم لإخوانه المسلمين: وكما يَسْتُر المسلم نفسه ، عليه أن يَسْتُر إخوانه المسلمين ، إذا

رأى منهم عيبًا أو خطأً ، قال صلى الله عليه وسلم: (من نفَّس عن مؤمن كُرْبةً من كُرَب الدُّنيا ، نفَّس الله عنه كُرْبةً من كُرَب الآخرة ، ومن سَتَر على مسلم ، سَتَره الله في الدُّنيا والآخرة ، والله في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه)! ستْر الميِّت: إذا غسَّل المسلم ميِّتًا ، فرأى فيه شيئًا معيبًا ، فعليه أن يَسْتره ، ويكتم أمره ، قال صلى الله عليه وسلم: (من غسَّل ميِّتًا، فكتم عليه، غَفَر الله له أربعين مرَّةً)! والوسائل المعينة على اكتساب صفة السَّتْر: أولاً: أن تعلم فضل السَّتْر، وأنَّ من سَتَر أخاه المسلم، سَتَره الله في الدُّنيا والآخرة. ثانياً: أن تستشعر معنى أخوة الإيمان ، فقد قال الله عزَّ وجلَّ: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في تَوَادِّهِم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عُضْو ، تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى)! ثالثاً: أن تضع نفسك مكان أخيك الذي أخطأ وزلَّ ، فهل تحبُّ أن تُفْضَح أم تُسْتَر؟ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم، حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه) ، وعن عكرمة أنَّ ابن عبَّاس ، وعمَّارًا ، والزُّبير - رضي الله عنهم جميعًا - أخذوا سارقًا ، فخلوا سبيله ، فقلت لابن عبَّاس: (بئسما صنعتم حين خلَّيتم سبيله ، قال: لا أمَّ لك ، أما لو كنت أنت ، لسرَّك أن يُخَلَّى سبيلك)! رابعاً: أن ينشغل العبد بإصلاح نفسه: قال الحسن البصري: (يا ابن آدم ، لن تنال حقيقة الإيمان حتَّى لا تعيب النَّاس بعيب هو فيك ، وتبدأ بذلك العيب من نفسك ، فتصلحه ، فما تصلح عيبًا إلَّا ترى عيبًا آخر ، فيكون شغلك في خاصَّة نفسك). وقيل لربيع بن خُثَيْم: ما نراك تعيب أحدًا ، ولا تذمُّه! فقال: ما أنا على نفسي براضٍ ، فأتفرَّغ من عيبها إلى غيرها)!).هـ. وإذن فالهدف من إيراد هذه الآيات وتلك الأحاديث وهاتيكم الطائفة العطرة من أقوال سلفنا الكرام لندلل أن عرض المسلم لا يجوز النيل منه بدون وجه حق! والشاعر قبل أن يكون شاعراً هو أخ لنا في الإسلام ينبغي معاملته برفق وحسن ظن! ولا يزال الشعراء يخطئون ويصيبون من قبل امرؤ القيس إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض بما عليها! ولا يزال الكل يستدرك عليهم ويصحح لهم! وتحت عنوان: (أخطاء الشعراء الكبار) يقول الأديب الأستاذ بداح السبيعي ما نصه: (تأثر الشاعر المبتدئ بشعراء أكبر سنّاً منه وأسبق في نظم الشعر عملية طبيعية يمر بها جميع الشعراء أو معظمهم ، ويأتي التأثر في الغالب بعد مرحلة الإعجاب بشاعر معين ، فيحرص الشاعر المبتدئ على تتبع خطواته والنظم على مِنواله ، وبعد ذلك تكون مرحلة التحرر التي يحاول فيها الشاعر التفوق على نموذجه الشعري وإبداع شيءٍ مختلفٍ لا يُحيل المتلقي على نموذج سابق بصورةٍ صريحة. ومن الأمور السيئة التي ترتبط بمرحلة التأثر - وقد تستمر طويلاً - إعجاب الشاعر الشاب بكل ما نظمه الشاعر الكبير أو المشهور وتقليده تقليدًا أعمى ، واستبعاده لمسألة وقوع شاعره المفضل في أي أخطاء ، وينتج عن هذا الإعجاب والتقليد تكرار نفس الأخطاء التي يقع فيها أستاذه والدفاع عن تلك الأخطاء باستماته. والمشكلة الواضحة في تعاملنا مع أخطاء الشعراء هي أن الناقد يمتلك جرأة كبيرة في نقد أصغر أخطاء الشعراء المبتدئين أو المغمورين ، أمّا عندما يتعلق الأمر بنقد أخطاء الشعراء الكبار والمعروفين فإن الجرأة تتلاشى كليًا ، وقد نجد الناقد يغض الطرف عن أخطاء الشاعر الصريحة أو يقوم بمحاولة إيجاد تأويلات هزيلة يلتمس فيها الأعذار له ، لتصبح تلك الأخطاء مع مرور الأيام حُجة يحتج بها الشاعر المبتدئ لتبرير خطئه حين يقع في نفس الخطأ. وفي عصور أدبية ماضية رأينا جرأة كبيرة من بعض المتلقين في نقد أخطاء الشعراء الكبار بشفافية

، ومن دون خوف من عواقب النقد ، ومن ذلك على سبيل المثال نقد محمد بن موسى الملقب بـ "سيبويه الموسوس" لبيت المتنبي الشهير الذي يقول فيه:

ومــن نكــد الــدنيا علــى الحــر أن يــرى عــدوًا لــه مــا مِــن صــداقته بُــدُ

فقد رأى بأن هناك ألفاظًا أكثر صحة ودقّة في الاستخدام من لفظ "صداقته" في هذا السياق ، وعندما قابله المتنبي وخاطبه مُستفهمًا: "بلغني أنك أنكرت عليَّ قولي: عدوًا ما من صداقته بُد فما كان الصواب عندك؟" ، لم يتردد في توضيح رأيه والقول: "إنّ الصداقة مشتقة من الصدق والمودة ، ولا يسمى الصديق صديقًا وهو كاذب في مودته ، فالصداقة إذن ضد العداوة ، ولا موقع لها في هذا الموضع ، ولو قلت مداراته أو مداجاته لأصبت". وهذا نموذج من نماذج كثيرةٍ جدًا ، ينتقد فيها المتلقي خطأ الشاعر المعروف ، ولا يتردّد في تقديم اقتراحات أو خياراتٍ أفضل تزيد من جودة القصيدة ، وعملية نقد أخطاء الشعراء المعروفين على مستوى الألفاظ أو الصور الشعرية أو المعاني عملية ضرورية تساهم في إيقاف الأخطاء التي يتكرّر من الشعراء الشباب الوقوعُ فيها والدفاعُ عنها بحجة وجودها في أشعار السابقين).هـ. وتحت عنوان: (لماذا يجوز للشاعر ما لا يجوز للكاتب؟!) يقول أستاذنا فهد عامر الأحمدي ما نصه: (اتفقت العرب قديماً وحديثاً على أنه "يجوز للشاعر مالا يجوز لغيره". بمعنى أنه يجوز له كل شيء وفعل أي شيء ـ من مخالفة اللغة وكسر القواعد ، إلى هجاء السادة والتغزل بالحرائر! وبصفتي عضواً في رابطة "الكتاب في الأرض" تتملكني الغيرة ويأكلني الغيظ من هذا التهاون وسعة البال تجاه الشعراء. أتمنى لو يتبنى المجتمع ـ والنقاد من باب أولى ـ قانوناً موازياً وبنداً مشابهاً مفاده: "يجوز للكاتب مالا يجوز لغيره"! فمن حيث اللغة ؛ يجوز للشاعر ليّ القوافي ومخالفة القواعد واللجوء إلى الضعيف والواهي حتى وصل الأمر حداً خطيراً من التكسير والتجاوز (هذه الأيام) مع ما ندعوه بالشعر النبطي. حتى المتنبي لم يسلم من مواطن الزلل بدليل الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية في كتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومة" للجرجاني. ولم يكن للجرجاني من عذر وحجةٍ حيال أخطاء المتنبي سوى العذر القديم (حسناً ، يجوز للشاعر مالا يجوز لغيره). وحين يتسع الفتق على الراقع يلجأ لتبرئة ساحة المتنبي من خلال إيراد أخطاء أكثر شناعة وقع فيها شعراء فطاحل من العصر الجاهلي وهذا في نظري مجرد تبرير الخطأ بالخطأ! ولو كنت مؤلف الكتاب لما سلمت بدوري من التحيز للمتنبي ، ولكنني كنت سأسلك طريقاً أكثر عقلانية وسلامة وإقناعاً للناس. سأقول: إن المتنبي رجلٌ مبدعٌ خلق بمخالفاته اللغوية قواعد لغوية جديدة وأساليب مبتكرة في النحو والإملاء. علمنا أشكالاً جديدة من التراكيب النحوية والتوافيق اللغوية والبدائل الإملائية. وإن لم يرق هذا الرأي لحُماة اللغة العربية والقواعد الحجرية سأسألهم بلا تردد: لماذا إذاً تطالبون الكتّاب بالكمال ، وتتغاضون عمن يتبعهم الغاوون! لماذا تتم محاسبة كتّاب ومفكرين لا يسعون لاستعراض مهاراتهم اللغوية (بقدر إيصال رسالتهم من خلال لغة يفهمها الناس) في حين يتم التجاوز عن شعراء تعد "اللغة المتقنة" عماد بضاعتهم وصميم عملهم بصرف النظر عن فهم الناس أو كما قال البحتري:

علــيّ نحــت القــوافي مــن معادنهــا ومــا علــيّ إذا لــم تفهــم البقــرُ!

ولست من دعاة العامية ، ولكنني على قناعةٍ بأن الوظيفة الأساسية لأي لغة هي إيصال المعاني بدقة ووضوح وفهم كاملين. وهذان المطلبان لا يتحققان إذا تقيدنا بكل الكلمات والتعابير القديمة واعتبرنا كل الكلمات والتعابير الجديدة أخطاء! وتجاوزاً لقواعد النحو! على أي حال ؛ لاحظوا أننا مازلنا نتحدث عما ندعوه لغة فصحى. فالشق الثاني من الموضوع هو الازدواجية والتساهل مع الشعراء في قضايا (يفترض) أنها حساسة ودقيقة في أعرافنا العربية. فالعرب قديماً ـ كما هو حديثاً ـ كانوا يتقاتلون على "التمرة" ويختلفون على "النواة" وعلى من سبق الآخر "داحس" أم الغبراء". ومع ذلك كانت أشرس القبائل تتساهل ـ وبل تستأنس ـ حين يتغزل الشاعر ببناتها ويصف محاسنهن وطيب السمر معهن خارج مضارب القبيلة. ولو عدنا لسير التابعين والصالحين لوجدنا لبعضهم أبياتاً في الشعر والغزل لم تهز مكانتهم أو تقلل من قدرهم أو تثير حفيظة العامة ضدهم. وحتى وقت قريب كان لدينا في المدينة شيخ جليل (أتحفظ على اسمه) له دروس منتظمة في الحرم يحرص الناس على حضورها وتسجيلها. وذات يوم لاحظ أحد طلابه أنه ـ كلما انصرف من حوله الناس ـ سحب كتيباً (من داخل المشلح) يقرأ فيه ثم يخفيه حين يقدم عليه أحد. فسأله الطالب ما هذا يا شيخ؟ فقال هامساً: "مصارع العشاق" نروح بها القلوب كي لا تصدأ! ومرة أخرى أطالب بأن يكون للكتّاب ـ أسوة بالشعراء ـ نصيبٌ من سعة البال وافتراض حسن النية. ويا حبذا لو تبدأ أقسام التصحيح في مؤسساتنا الصحفية بتبني هذا المبدأ!).هـ. وأشكر للأديب الأستاذ فهد عامر الأحمدي هذه النفحات التي استعنا بها هنا في هذا التقديم للقصيدة لندلل أن الشعراء ليسوا أنبياء لتكون قصائدهم وحياً منزلاً لا سبيل إلى إيراد الخطأ فيه ولا الاستدراك عليها! ولقد يفهم من كلامي أنني لا أفرق بين الضرورات الشعرية التي كتبها وحددها علماء العروش والقافية لكل شاعر ، وبين الأخطاء التي يقع فيها الشاعر إن بقصد أو بغير قصد! إن الفرق بينهما كالفرق بين السماء والأرض! وتحت عنوان: (الضرورة الشعرية والخطأ اللغوي) يقول الأديب الأستاذ رمزي العبيدي ما نصه: (إنَّ الضرورة الشعرية هي: ما اعتاد النحاة القدامى أنْ يطلقوه على ما ورد في شواهدهم الشعرية ـ التي يريدونَ منها إثبات صحَّة قاعدةٍ نحوية أو فرعٍ منها قد يكون نادراً أو شاذاً ـ من الشواذ والنوادر التي وردَتْ في شعر العرب الأقدمينَ من الجاهلية حتى بشار بن برد (65 - 167هـ) - (713 - 783م) ، فقد كان آخر الشعراء الذين استشهد سيبويه بشعره ، ذلك بعد أنْ هدَّده بشار بأنَّه سيهجوه شعراً وينال منه إذا لم يستشهد بأشعاره ، ففعل سيبويه مرغماً ، ولأنَّ سيبويه فعل ، فقد استشهد غيره بشعرٍ لبعض شعراءٍ غير ابن برد من الذين سبقوه ، وانتهى الاستشهاد الشعري به ، وكانتْ نيَّة سيبويه أنْ يوقف الاستشهاد حتى بشعراء النقائض ـ جرير والفرزدق والأخطل والراعي النميري ـ لذا فلا ضرورة لشاعر بعد بشار بن برد ، وما ورد في أشعار مَن توفي بعد عام (167هـ ـ 738م) فإنَّه يقع في باب الخطأ اللغوي. فقد عاب النقاد على أبي نواس قوله في بيت من بحر مجزوء الكامل العروضي:

نبِّـــــهْ نَـــــدِيْمَكَ قَـــــد نَعـــــسْ يَسْـــــقِيْكَ كَأسَـــــاً فِـــــي الغَلَـــــس

والصحيح أنْ يقول: (يَسْقِكَ) بجزم جواب الأمر بحذف حرف العلة الذي هو الياء ؛ وعابوا عليه قوله:

كَمَـــــنَ الشَّـــــنّآنُ فِيـــــهِ لَنَـــــا كَكُمُـــــونِ النـــــار فِـــــي حَجَـــــرِه

والصواب أنْ يقول: (حجرها) ، لأنَّ النار مؤنَّثة ، وقد أخطأ في رأيي غير المتواضع مَن أوَّله على وجهٍ لا ضرورة فيه ، بأنْ قال بأنَّ أبا نواس يقصد أو يريد أنْ يقول: (كَكُمُون النارِ في حَجَر الكمون) باعتبار أنَّ (الكمون) هو مذكر مضاف إلى النار ، وقد كذب أبو نواس على نفسه وعلى الناس عندما فسَّر هذا البيت على وجهٍ ليس فيه ضرورة ، بأنْ قال: (ردَدْتُ التذكير إلى النور) بمعنى أنَّه قصد ما يلزم من النار والذي هو نورها ، فقد أخطأ ورفض الاعتراف بخطئه واستخدم ذكاءه في التأويل والتبرير ؛ وتسألني لمَ ترفض التأويلينِ اللذين يبدوان للوهلةِ الأولى مقنعينِ؟ ، أقول: لقد حكمته القافية فالبيت من قصيدةٍ له مطلعها:

أيُّهـــــا المُنْتَـــــابُ عَـــــن عُفْـــــرِه لَسْـــــتَ مِـــــن لَيْلِـــــي ولا سَـــــمَرِه

لاحظوا أنَّ أبا نواس لزم في هذا المطلع ما لا يلزم في التقفية ؛ وعابوا عليه في نفس القصيدة ، قوله:

كَيْـــــفَ لا يُـــــدنِيْكَ مـــــن أمَـــــلٍ مَـــــن رَسُـــــولُ الله مِـــــن نَفَـــــرِه

وما نقدوه إلا لأنَّه قلب المعنى بسبب القافية التي حكمته وتحكَّمَتْ به ، فالمعنى الأصلي هو: (مَن هو من نفر رسول الله) ، ودافع عن أبي نواس بعض النقاد بأنْ توهَّموا أو حاولوا إيهامنا بأنْ قولته هنا ليس فيها خلل ، بأنْ ادَّعوا أنَّه مَن كان من نفر رسول الله فرسول الله من نفره! ، ففي هذا عندي مغالطة كبيرة وقلبٌ للمعاني أيضاً ، ولا أريد التفصيل وأكتفي بالإشارة إلى هذه المغالطة وأصفها بالكبيرة ، حتى لا يكفِّرونني! ؛ والأبيات من بحر عروضي هو مجزوء الكامل. وعابوا عليه في البحر الطويل قوله:

شُمولاً تَخَطَّتها المَنُونُ فَقَد أَتَتْ سِنُونٌ لَهَا فِي دَنِّهَا وَسِنُونُ

تُرَاثُ أُنَاسٍ عَن أُنَاسٍ تخَرَّمُوا تَوارَثَهَا بَعدَ البَنِينِ بَنُونُ

شُـــمولاً تَخَطَتهـــا المَنُـــونُ فَقَـــد أَتَـــتْ سِـــنُونٌ لَهَـــا فِـــي دَنِّهَـــا وَسِـــنُونُ

تُـــرَاثُ أُنَـــاسٍ عَـــن أُنَـــاسٍ تخَرَّمُـــوا تَوارَثَهَـــا بَعـــدَ البَنِـــينِ بَنُـــونُ

قالوا رفع نون الجمع ، وقد أجاز النحاة لغيره من الشعراء ذلك في الضرورة الشعرية ، وليس لأبي نواس ضرورة شعرية كما شرحْتُ وبيَّنْتُ ، لكنَّ بعض العرب يجرونَ النون الزائدة مجرى الأصلية فيعربونها في الشعر وغيره ، ويجعلونها بمثابة كلمة واحدة مع ما اتصلتْ به ، فإذا كان أبو نواس من هؤلاء فلا خطأ عنده ، وهذا الموضوع ـ موضوع النون الزائدة ـ فيه خلاف وفيه نظر ؛ وعندي: إنَّ أبا نواس أخطأ وتمادى في الخطأ. كما عابَ نقاد الشعر على أبي تمَّام قوله:

مِـــن كُـــلِّ أَظمَـــى الثَـــرَى وَالأَرضُ قَـــد نَهِلَـــتْ وَمُقشَـــعِرّ الرُبَـــا وَالشَـــمسُ فِـــي الحَمَـــلِ

البيت من بحر البسيط العروضي ، والصحيح أنْ يقول: (ظمآن الثرى) لا (أظمى الثرى) ، لأنَّ الواحدة (ظمأى) كـ (عطشان وعطشى) ، ولا ضرورة فيه إذا قصد أبو تمَّام بـ (أظمى) معنى آخر هو: (أسود) ، فكأنَّه أراد سواد التراب أو سماره ، فقد قالتِ العرب: (رمحٌ أظمى) إذا كان أسمر ، و (فتاة ظمياء) إذا كانت كذلك. وعابوا عليه قوله:

أَظَنُّ دُموعَها سَنَنَ الفَريدِ وَهِي سِلكَاهُ مِن نَحرٍ وَجيدِ

فقد أراد أنْ يقول: (أَظُنُّ سَنَنَ دُموعَها سَنَنَ الفَريدِ) ، فـ (السَنَن: الطريق) ، فهو يشبِّه تتابع الدموع بتتابع الفريد النادر ، وكان الصحيح أنْ يقول: (أظنُّ دموعها الفريد) لأنَّه هو الذي يشبه الدموع لا طريقه ، ولو قال ذلك لاختلَّ عنده البحر العروضي الذي هو الوافر. أمَّا المتنبي ـ مالئ الدنيا وشاغل الناس ـ فقد عابوا عليه قوله:

خَلَتِ البِلادُ مِنَ الغَزَالَةِ لَيلَهَا فَأَعَاضَهَاكَ اللهُ كَي لا تَحزَنَا

هذا البيت من البحر الكامل ، وهو آخر بيتٍ من قصيدةٍ للمتنبي مطلعها:

الحُبُّ مَا مَنَعَ الكَلامَ الألسُنَا وَألَذْ شَكوَى عَاشِقٍ مَا أعلَنَا

ختم المتنبي هذه المطولة الرائعة ببيت فيه ضعفٌ في التأليف ، فقد وصل الضميرينِ اللذينِ كان يجب عليه فصلهما في قوله: (فَأَعَاضَهَاكَ) ، ليس هذا فقط بلْ قدَّم فيهما الواجب تأخيره ، وهو الهاء ، فالصواب أنْ يقول: (فأعاضكَ الله إيَّاها) ، ولو قال كذلك لتهدَّم عنده بحر الكامل العروضي. ومن نفس البحر عابوا عليه في قصيدةٍ أخرى قوله مكرِّراً الضمير:

جَفَخَتْ وَهُم لا يَجفَخُونَ بِهَا بِهِم شِيَمٌ عَلى الحَسَبِ الأَغَرِّ دَلائِلُ

فقد لجأ المتنبي إلى التعقيد اللفظي ليُسَوِّي أو يستوي عنده البحر العروضي ، فقد كان كلامه خفيَّ الدلالة على المعنى المراد ، فالألفاظ غير مرتبة وفق ترتيب المعاني ، والسبب تكرار الضمير ، فقصده أو أصل الكلام عنده: (جفخَتْ بهم شيم دلائلٌ على الحسب الأغرِّ ، وهم لا يجفخونَ بها) ، وبهذا البيت شوَّه رائعته التي ورد فيها ومطلعها:

لَكِ يا مَنازِلُ في القُلوبِ مَنازِلُ أَقفَرْتِ أَنتِ وَهُنَّ مِنكِ أَواهِلُ

ومن بحر الكامل أيضاً عابوا عليه قوله:

هَذي بَرَزْتِ لَنَا فَهُجْتِ رَسِيْسَا ثَمَّ اِنثَنَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيْسَا

فقد أخطأ بأن أسقط حرف النداء (يا) مع المبهم الذي هو (هذي) ، فالصحيح أنْ يقول: (يا هذي أو يا هذه). وعابوا عليه من بحر الكامل كذلك قوله:

جَلَلاً كَمَا بِيَ فَليَكُ التَبرِيحُ أَغِذَاءُ ذَا الرَشَأِ الأَغَنِّ الشِيحُ

فالصحيح أنْ يقول: (فليكنْ التبريحُ) ، فنون (كان) المحذوفة عند الجزمِ يجب إعادتها إذا لاقَتْ الألف واللام ، وهنا أخطأ المتنبي خطأ نحوياً شنيعاً. وعابوا عليه أيضاً قوله:

أَحَـــادٌ أَم سُـــداسٌ فِـــي أَحَـــادِ لُلَيْلَتِنَـــا المَنوطَـــةَ بِالتَنَـــادِ

فقد أخطأ في هذا البيت الذي هو من بحر الوافر في ثلاثة مواضع ، أولها: أنَّه صرَّف (أحاد) الممنوع من الصرف ، وثانيها : قوله (سداس) والعرب لم تجاوز في العدد (رباع) ، وآخرها : إنَّه حذف الياء من آخر تصغيره لـ (ليلة) ، فقد قال: (لُيَيلَتُنَا) ، والصحيح أنْ يقول: (لُيَيلَيتُنا) ؛ هذا ما قاله عنه نقاد الشعر ، وفيه أقول: إنَّه أخطأ في صرف (أحاد) الممنوع من الصرف في موضعينِ ، وأخطأ في تصغير (ليلة) ، لكنَّه لم يخطأ في قوله (سداس) لأنَّ القياس لا يمنع ، ولا يعتدُّ بأنَّ العدد (رباع) هو أعلى ما ورد في قرآن المسلمينَ ، لأنَّه ورد في تحديد أعلى عدد للزوجات التي يحقُّ للمسلم الواحد أنْ يجمعها على ذمَّته في وقتٍ واحد ، والقياس لا يمنع كما قلنا ، جاء في شعر الكميت بن زيد الأسدي ما لمْ يعترضْ عليه النحاة ، أو يعتبروه من الضرورات الشعرية ـ باعتبار أنَّ للكميتِ ضرورة ـ قوله في بيت من بحر المتقارب:

فَلَـــمْ يِتَريثَـــوكَ حَتَّـــى رَمَيْـــ ـــتَ فَـــوقَ الرِجَـــالِ خِصَـــالاً عُشَـــارَا

وعابوا على المتنبي أيضاً قوله:

واحَـــرَّ قَلبَـــاهُ مِمَّـــن قَلبُـــهُ شَـــبِمُ وَمَـــن بِجِســـمِي وَحَـــالِي عِنـــدَهُ سَـــقَمُ

البيت من بحر البسيط العروضي ، أخطأ فيه المتنبي بأنْ وصل المندوب وحرَّك الهاء الساكنة التي تدخل في الوقف ، كما أنَّه أسقط الياء من المضاف إليه ، فالصحيح أنْ يقول (واحرَّ قلباه). وعابوا عليه من بحر البسيط نفسه قوله:

ابعِـــدْ بَعِـــدْتَ بَياضـــاً لا بَيَـــاضَ لَـــهُ لأَنـــتَ أَســـوَدُ فِـــي عَينِـــي مِـــنَ الظُلَـــمِ

الصحيح أنْ يقول: (أشدُّ سواداً) ، فلا يصحُّ لغة أنْ تقول: (هذا أسود من هذا) ، بل: (هو أشدُّ سواداً) ، وفي التعجب لا يصحُّ قولك: (ما أسودَه) ، بلْ تقول: (ما أشدَّ سواده) ، وقد استغرب نقاد الشعر من المتنبي وأنكروا عليه قوله هذا وهو في معنى التعجُّب. ومن البحر الطويل عابوا عليه قوله:

حَمَلْـــتُ إِلَيـــهِ مِـــن لِسَـــانِي حَدِيقَـــةً سَـــقَاها الحِجَـــى سَـــقيَ الرِيَـــاضَ السَـــحَائِبِ

فقد فرَّق المتنبي بين المضاف والمضاف إليه وخفضه ـ أي أبقاه مجروراً ـ فالصحيح والصواب أنْ يقول: (سقيَ السحائبِ الرياضَ) أو (سقيَ الرياضَ السحائبُ) ، والأمران لا يتناسبان ولا يلاءمانِ البحر العروضي وقافيته. لمْ يقتصر نقد نقاد الشعر العربي القدامى على هؤلاء الشعراء الثلاثة ـ (أبو نواس وأبو تمَّام والمتنبي) ـ الذينَ مثَّلْتُ لهم ، لكنَّني اخترتهم لأنَّ كلَّ واحدٍ منهم يمثِّل قامة شاخصة من قامات الشعر العربي ، فأبو نواس (146 - 198هـ ، 763 - 813م) هو أوَّل مَن خصَّ الخمرة بقصيدة منفردة ولم يسبقه إلى ذلك غيره ، وأبو تمَّام (188 - 231هـ ، 803 - 845م) هو رأس الشعراء المولِّدِينَ أو هو الأبرع في توليد المعاني ، أمَّا

المتنبي (303 - 354هـ ، 915- 965م) فهو مالِئ الدنيا وشاغل الناس بأشعاره ومعانيها ؛ وربَّما اقتصر اختياري لهم أو عليهم لأنَّني وجدْتُ معظم شواهدهم التي نقلتها مجموعة في كتاب واحد هو: (ما يجوز للشاعر في الضرورة) لأبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي المعروف بالقزاز القيراوني ، وبإمكان القارئ الكريم أنْ يكتشف بعد أنْ يضع هذا الكتاب بين يديه أنَّني ردَدْتُ رواية الأبيات إلى صيغتها التي جاءَتْ بها في دواوين شعرائها ـ (أبو نواس ، وأبو تمام ، والمتنبي) ـ وكتبْتُ عليها تعليقاتي ورأيي الذي هو خاصٌ بي ، والذي ليس بالضرورة أنْ يتطابق مع رأي المصنِّف ورأيي والمحققينِ ، وقد كثر الاختلاف معهم أو قلَّ توافقي معهم جميعاً ، وقد أضفْتُ على تلك الشواهد شاهدينِ للمتنبي أحفظهما في ذاكرتي وتحققتُ منهما لدى مراجعتي لديوانه ، وأعرف غيرهما لكنَّني لا أريد الإطناب والإطالة أكثر ممَّا أطنبْتُ وأطلْتُ. وقد برع نقاد الشعر في جانبٍ آخر هو نقدهم للمعاني ، وبرع الشعراء كذلك في التأويل والتبرير والأمثلة على ذلك كثيرة وعديدة أكتفي بسوق بعضٍ منها: * قال أحدهم لبشار بن برد: إنَّك لتجيء بالشعر المتفاوت ، قال بشار: وما ذاك؟ ، قال: (تقول شعراً ثير به النقع) ـ أي الغبار ـ في قولك:

كَـــأَنَّ مُثَـــارَ النَقـــعِ فَـــوقَ رُؤُوسِـــنَا وَأَســـيافَنا لَيـــلٌ تَهَـــاوَى كَوَاكِبُـــه

وتخلع به القلوب ، مثل قولك:

إِذا مَـــا غَضِـــبْنَا غَضـــبَةً مُضَـــرِيَّةً هَتَكْنَـــا حِجَـــابَ الشَـــمسِ أو تُمطِـــرَ الـــدَمَا

إِذا مَـــا أَعَرْنَـــا سَـــيِّداً مِـــن قَبيلَـــةٍ ذُرَا مِنبَـــرٍ صَـــلّى عَلَينـــا وَسَـــلّما

إلى أنْ تقول:

رَبابَـــــــةَ رَبَّـــــــةَ البَيـــــــتِ تَصُـــــبُّ الخَـــــلَّ فـــــي الزَيـــــتِ

لَهـــــا عَشـــــرُ دَجاجـــــاتٍ وَديـــــكٌ حَسَـــــنُ الصَـــــوتِ

فقال بشار: لكلِّ شيءٍ وجهٌ وموضع ، فالقولان الأوَّلان جِدٌ ، وهذا الأخير قلته في جاريتي ربابة ، لأنَّني لا آكل البيض من السوق ، وربابة هذه لها عشرُ دجاجاتٍ وديك ، وهي تجمع البيض منها وتحفظه لي ، وهذا القول عندها أحسنُ من قول: (قِفَا نَبْكِ مِن ذِكرَى حبيبٍ ومنزلِ) عندك. * واجتمع الفرزدق وجرير عند عبد الملك بن مروان في مجلسه ، فقال الفرزدق: النوار بنتُ مجاشع ـ زوجته ـ طالقٌ ثلاثاً إنْ لم أقلْ قولاً لا يستطيع ابن المراغة ـ لقب أم جرير ، لقبها به الفرزدق ، والمراغة: الأتان ، أو أنثى الحِمار العادي والوحشي ـ أنْ ينقضه أبداً ولا يجد في الزيادة عليه مذهباً ، فقال عبد الملك ما هو:

فَهَـــل أَحَـــدٌ يَـــا ابـــنَ المرَاغَـــةِ هَـــارِبٌ مِـــنَ المَـــوتِ؟ ، إِنَّ المَـــوتَ لا بُـــدَّ نائِلُـــه

فَـــإِنِّي أَنَـــا المَـــوتُ الّـــذي هُـــوَ ذاهِـــبٌ بِنَفسِـــكَ ، فَـــانظُر كَيـــفَ أَنـــتَ مُحاوِلُـــه ؟

سكت جرير قليلاً ، ثمَّ قال: أمُّ حرزة ـ زوجته ـ طالقٌ ثلاثاً إنْ لم أكن نقضته وزدْتُ عليه ، فقال عبد الملك: هاتِ فقد والله طلَّق أحدكما لا محالة ، فأنشد:

أَنـــا البَـــدرُ يُعشِـــي طَـــرفَ عَينَيـــكَ فَـــالتَمِسْ بِكَفّيْـــكَ يَـــا ابـــنَ القَـــيْنِ هَـــلْ أنـــتَ نَائِلُـــه ؟

أَنـــا الـــدَهرُ يُفنِـــي المَـــوتَ وَالـــدَهرُ خَالِـــدٌ فَجِئْنِـــي بِمِثْـــلِ الـــدَهرِ شَـــيئاً يُطَاوِلُـــه

بين بيتي جرير ثلاثة أبيات أخرى حذفتهما لأركِّز على المعنى المنشود ؛ وابن القين هو: الفرزدق لا غيره ، والقينُ هو الحداد ، وكان جرير لصعصعة جدِّ الفرزدق قيون ، منهم: جبير ووقبان وديسم ، فلذلك جعل جرير قوم الفرزدق قيوناً ، وكان جرير أيضاً ينسب غالب بن صعصعة والد همام الفرزدق إلى جبير القين. فقال عبد الملك للفرزدق: فضلك والله وطلَّق عليك ، فقال الفرزدق: فما يرى أميرُ المؤمنينَ ، فقال الخليفة: وأيم الله لا تريم ـ يقصد: لن أدعك والله تربح المكان ـ حتى تكتب إلى النوار بطلاقها ، فتأنَّى الفرزدق وحاول التهرُّب ، فزجره عبد الملك ، فكتب بطلاقها! وعابوا على الأحوص قوله لعمر بن عبد العزيز:

وأَرَاكَ تَفعَـــلُ مَـــا تقـــولُ وَبَعضُـــهم مَـــذْقُ الحـــديثِ يَقُـــولُ مَـــا لا يَفعَـــلُ

لأنّ َالملوك لا يُمدحونَ بما يلزم عليها فعله أو القيام به ، بل تمدحُ بالإغراق والتفضيل بما لا يستطيع غيره فعله. * وعاب نفرٌ من النقاد على كثيِّر عزَّة قوله:

أريْـــدُ لأنسَـــى ذِكرَهَـــا فَكأنّمـــا تَمَثَّـــلُ لِـــي لَيلَـــى بِكُـــلِّ سَـــبِيلِ

فقالوا: إذا كان يحبُّها لماذا يريد أنْ ينسى ذكرها؟ * وعابوا على يزيد بن مالك الغامدي قوله:

أكُـــفُّ الجَهـــلَ عَـــن حُلَمَـــاءِ قَـــومِي وأعْـــرِضُ عَـــن كَـــلامِ الجَاهِلِينَـــا

إذا رَجُـــلٌ تَعَـــرَّضَ مُسْـــتَخِفّاً لنَـــا بِالجَهـــلِ أوشَـــكَ أنْ يَحِيْنَـــا

لأنَّه أوجب لنفسه في البيت الأوَّل الحلم والإعراض عن الجُهَّال ، ونفى ذلك بعينه في البيت الثاني بتماديه في معاقبة الجاهل بأقصى عقوبة وهي القتل. * وقف أبو نواس بين يدي الفضل بن يحيى البرمكي ، مادحاً إيَّاه وآله ـ آل برمك ـ بقصيدة مطلعها:

أَرَبْـــعَ البَلَـــى إنَّ الخُشُـــوعَ لَبَـــادِي عَلَيـــكَ وَإنِّـــي لَـــمْ أَخُنْـــكَ وِدَادِي

ولمَّا وصل إلى قوله في آخرها:

سَـــلامٌ عَلَـــى الـــدُنيَا إذا مَـــا فَقِـــدْتُمُ بَنِـــي بَرمَـــكٍ مِـــن رائِحِـــينَ وَغَـــادِي

اشمأزَّ منه الفضل وكشَّر في وجهه واغتاظ منه وكرهه ، ثم أطرق قائلاً له: ويحك نعيْتَ إلينا أنفسنا يا أبا نواس! * واستهجنوا قول أبي محجن الثقفي في وصف جاريةٍ مغنية:

وتَرْفَـــعُ الصَـــوتَ أحيَانَـــاً وَتخفضُـــهُ كَمَـــا يَطِـــنُّ ذبَـــابُ الروضَـــةِ الهَـــزِجُ

فقالوا أيُّ قينةٍ هذه التي تحبُّ أنْ تُشبَّه بالذباب ؛ وقالوا بأنَّه سرق بيت عنترة بن شداد العبسي في وصف ذباب الرياض فقلبه مفسداً المعنى ، وهذا البيت المسروق هو:

وَخَـــلا الـــذُبَابُ بِهَـــا فَلَـــيسَ بِبَـــارِحٍ غَـــرِداً كَفِعـــلِ الشَـــارِبِ المُتَـــرَنِّمِ

* كذلك استهجنوا قول محمد بن أحمد بن حمدان المعروف بالخباز البلدي ـ نسبة إلى مدينة (بلد) العراقية ـ ذلك الشاعر الأميُّ المتوفى سنة (380هـ ـ 990م) ، والذي قال عنه أبو منصور الثعالبي صاحب كتاب (يتيمة الدهر): (كان أمياً وكان حافظاً للقرآن يقتبس منه ، ..... ، ومن عجيب شأنه أنَّه كان أميَّاً وشعره كلُّه مُلحٌ وتحفٌ ، وغررٌ ولُطف ، لا تخلو مقطوعة له من معنىً أو مثلٍ سائر) ، قلتُ: ومع ذلك استهجنوا قوله:

كَـــأنَّ شَـــقَائِقَ النُعمَـــانِ فِيـــهِ ثِيَـــابٌ قَـــد رُوِيْـــنَ مِـــن الـــدِمَاءِ

كَأنَّ شَقَائِقَ النُعمَانِ فِيهِ ثِيَابٌ قَد رُوِيْنَ مِن الدِمَاءِ

مع أنَّ تشبيه الشاعر هنا هو تشبيه مصيب ، إلا إنَّ فيه بشاعة في ذكر الدماء. * واستقبح قول الداهية بشار بن برد:

وَجَـــدَّت رِقَـــابُ الوَصـــلِ أســـيَافَ هَجرِنَـــا وَقَـــدَّت لِرِجْـــلِ البَـــينِ نَعلَـــينِ مِـــن خَـــدِّي

فقالوا: ما أهجن (رجل البين) وأقبح استعارتها ولو كانتْ الفصاحة بأسرها فيها ، وكذلك قالوا عن (رقاب الوصل). * أمَّا أبو تمام فقد نال نصيبه من استقباح النقاد واستهجانهم وتعييبهم شعره ، ومن ذلك قوله:

فَلَوَيْـــتَ بِـــالمَوعُودِ أعنَـــاقَ الـــوَرَى وَحَطَمْـــتَ بِالإِنجَـــازِ ظَهْـــرَ المَوعِـــدِ

فالمعنى في غاية الرداءة ، وفي (حَطْم ظهر الموعد) استعارة قبيحة جداً ، فالإخلاف هو الذي يحطم ظهر الموعد لا الإنجاز. وقوله:

تَحَمَّلْـــتَ مـــا لَـــو حُمِّـــلَ الـــدَهرُ شَـــطرَهُ لَفَكَّـــرَ دَهـــراً أيُّ عِبأَيـــهِ أثقَـــلُ

قالوا: ليس هناكَ معنىً أبعد من الصواب من هذه الاستعارة المَكنيَّة ، بأنْ جعل للدهر عقلاً وجعله مفكِّراً في أيِّ العِبأينِ أثقل. ومثله قوله السابق في نفس القصيدة:

بِيَـــومٍ كَطَـــولِ الـــدَهرِ فِـــي عـــرضِ مِثلِـــهِ وَوَجـــدِيَ مِـــن هَـــذا وَهَـــذاكَ أطـــوَلُ

فمن المحال أنْ يكون للدهر عرضٌ. كذلك استهجنوا إلباسه الزمان صوفاً بعد أنْ كانوا رداءً له في قوله:

كَـــانُوا بُـــرُودَ زَمَـــانِهِم فَتَصَـــدَّعُوا فَكَأنّمَـــا لَـــبِسَ الزَمَـــانُ الصُـــوفَا

ولم يستحسنوا تشبيهه الظُلم بالبعير ووصفه له بأنَّه بارك ، في قوله:

كُلُــوا الصَــبرَ غَضَّــاً وَأشــرَبُوهُ فَــإنّكُم أثَــرْتُم بَعِيْــرَ الظَلَــمِ وَالظَلــمُ بَــارِكُ

* وكان الآمدي صاحب كتاب (الموازنة بين الطائيينِ) قد استهجن واستقبح قول أبي عبادة البحتري في مدح الخليفة المعتزِّ بالله:

لا العَــــذْلُ يَرِدَعُــــــهُ وَلا الــــــــ ـــــــتعْنِيفُ عَــــن كَــــرَمٍ يَصُــــدُّهُ

فقال : وهذا عندي من أهجن ما مُدِح به خليفة وأقبحه ، مَن ذا يعنِّف الخليفة أو يصدُّه ؟ ، إنْ هذا بالهجو أولى منه بالمدح. وهناك نوع أخيرٌ من نقد الشعر العربي لن أتطرَّق إلى نماذجه حتى لا تطول هذه المقالة أكثر ممَّا طالتْ ، وهو ما استحسنوه منه وأثنوا عليه ، علماً أنَّ عندي منه شواهد كثيرة ، كما أنَّ عندي شواهد أخرى كثيرة ممَّا عابوه واستهجنوه واستقبحوه غير التي ذكرتها لم أتطرَّق إليها لنفس السبب. لم يبقَ لي في هذه الأكتوبة إلا أنْ أشير إلى أنَّها رسالة إلى كلِّ مَن يتصدَّونَ لكتابة الشعر ويضمِّنونه أخطاءً لغوية بادِّعاءٍ باطل أنَّها ضرورات شعرية ، فلا علاقة للخطأ اللغوي بالضرورة الشعرية التي توقفتْ عند بشار بن برد المتوفى سنة (167هـ - 783م) ، كما شرحتُ وبيَّنتُ قبلاً. أمَّا شويعري ما يسمُّونها أو يطلقونَ عليها (قصيدة النثر) ، فأقول لهم: أنا لا أعرف أنَّ للنثر قصيدة ، وقد كتبْتُ عن ذلك في مقالة سابقة لي ، وعندي عن النثر وقصيدته المزعومة بحثٌ طويلٌ ضافٍ سأنشره يوماً ما على صفحات جريدة (الزمان) إذا راق القائمينَ على النشر فيها واستحسنوه ، وسأناقش فيه بالتفصيل المُمِلِّ موضوعَ ترجمة أشعار الشعراء الغربيينَ الذين قلَّدهم شويعرونا ولبسوا ثوبهم ، ومنهم ابتدعوا بدعتهم التي سمَّوْها (قصيدة النثر) ، وخلطوا بينها وبين الشعر الحرِّ ، من دون معرفةٍ ودرايةٍ ، وللأسف ساعدهم بعض نقَّادنا على ذلك كلِّه بأنْ أثنوا عليهم ومدحوهم أو سكتوا ، حتى لا يُتَّهمونَ - أو لا يتهمونهم - بالرجعيَّة والانغلاق ؛ وسأبتعد فيه عن ذكر أسمائهم حتى لا أجرح مشاعرهم ، وربَّما أبتدع لهم نصوصاً قريبة من كتاباتهم بتغيير بعض المفردات أو إضافة أخرى من عندي ، حتى لا أقتبس نصوصهم التي سأسفِّه عباراتها وأطعن ببيانها وأفكِّك تراكيبها المفكَّكة أصلاً ، فأحزنهم على أنفسهم ، وأغضبهم منِّي. وأخيراً وليس آخراً : هذا ما عنَّ لي اليوم من ملاحظاتٍ ، آملاً أنْ ألتقيكم في مناسباتٍ أخرى أعرض لكم فيها نماذج نقدية أخرى عن نقد شعر العرب ونثرهم).هـ. إنه درسٌ لكل شاعر وأديب أن يعلم: (وفوق كل ذي علم عليم). وعلى أن الخنساء صحابية شاعرة قديرة ، أحبُها وأجلها ، ولا أنتقص قدرها أبداً – رضي الله عنها وأرضاها –. إلا أنني أذهب إلى أن حسان بن ثابت كان أشعر منها ومن النابغة الذبياني. وقد قرأتُ ودرستُ ديوان كلٍّ منهم فألفيت حساناً شاعراً لا يعاب ، وسطرت فيه قراءتي الأسلوبية التحليلية المعروفة ، انتصاراً لمكانته بين شعراء الصحابة (تلك القراءة الأسلوبية التي تقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. وهي عبارة عن مجموعة مقالات أدبية نشرت جميعها في جريدة الوحدة العربية ما بين 1993م وحتى 1996م في التسعينات من القرن المنصرم). في ص 135 من كتاب (الأجوبة المسكتة) لإبراهيم عبد الله الحازمي ، يقول: (عرضت الخنساء شيئاً من شعرها في معرض الشعر في عكاظ على النابغة الذبياني رئيس الموسم ، فقال لها: اذهبي فأنت أشعر من كل ذات ثديين ، ولولا أن الأعمي (يعنى الأعشى الشاعر) أنشدني قبلك لفضلتك على شعراء هذا الموسم. وكان ممن عرض شعره حسان بن

ثابت الشاعر المعروف ، فغضب وقال للنابغة: أنا أشعر منك ومنها. فقال النابغة الذبياني: أجيبيه يا خنساء. فقالت الخنساء مُعقبة ، وبكل ثقةٍ من الفوز والانتصار الساحق: يا حسان ، ما هو أجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها الآن؟ فقال حسان – رضي الله عنه - بكل ثقةٍ ويقين وعزةٍ كذلك أجوده قولي:

لنـــا الـجـفـــنات الـغـــرّ يـلـــمعن بالـضـــحى وأسـيـافـنـــا يقطـــرن مِـــن نجـــدةٍ دمـــا

فقالت الخنساء: والله يا حسان لقد ضعف افتخارك في ستة مواضع: * أولا: قلت: (الجفنات) وهي ما دون العشر ، ولو قلت: (الجفان) لكان أكثر. * ثانياً: قلت: (الغر) ، والغرة: البياض في الجبهة. ولو قلت: (البيض) لكان أكثر اتساعاً. * ثالثاً: قلت: (يلمعن) ، واللمع شيء يأتي بعد شيء ، ولو قلت: (يشرقن) لكان أكثر ، لأن الإشراق أدوم من اللمعان. * رابعاً: قلت: (بالضحى) ، ولو قلت: (بالدجى) لكان أكثر للطارقين. * خامساً: قلت: (أسياف) وهي ما دون العشرة ، ولو قلت: (سيوف) لكان أكثر. * سادساً قلت: (دماً) ، والدماء أكثر من الدم. فسكت حسان ولم يحر جواباً).هـ. إن كثيراً من النقاد العرب وغير العرب في القديم والحديث يدندنون على هذا الشاهد ليثبتوا بأن الخنساء – رضي الله عنها – بذلك تكون أكثر شاعرية ودقة في فهم ونقد الشعر من حسان بن ثابت. وهم لا يقولون ذلك إحقاقاً للحق ، بل للنيل من حسان فقط. على منهج الأصمعي عندما ذهب إلى أن شعر حسان قد لان بعد دخوله الإسلام ، الأمر الذي لو كانت الخنساء حية ما أقرته على حسان بعد إسلامه. إن هذه المغالطات يعرفها كل من له خبرة وعلم بالشعر العربي تأليفاً ونقداً. والحقيقة أنني حللتُ هذا الخبر ، ووقفت عنده وتأملته طويلاً. ثم درستُ أقوال النقاد وآراءهم فيه. وكانت النتيجة أن حسان بن ثابت أشعر منها بمراحل. إذ الشاعر لا يُحكمُ عليه من بيت أو بيتين ولا من قصيدة بأكملها أو قصيدتين. إنما العُمدة على مُجمل شعره. والذي يطالع ديوان حسان كاملاً ، ويُحلل مادته الشعرية يمكن بسهولة ويسر أن يدرك ما لحسان من المكانة بين شعراء العربية في زمانه وفي زماننا هذا. وعلى النقيض من ذلك فالذي يطالع ديوان الخنساء يدرك أن المادة الشعرية فيه قد تغلب جانب فيها على آخر. فأصبحت الخنساء بهذا الديوان رائدة الرثاء بين شواعر العرب. على حين كان ديوان حسان روضاً مئنافاً يشتمل على كل فنون وأغراض الشعر من الوصف والغزل والفخر والرثاء والمدح والانتصار للحق وأهله. ومن هنا جاز القول عندي بدون تحفظ بأن حسان أشعر منها. وفي كلٍّ خير. هذه صحابية مباركة ، وهذا صحابي مبارك. وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعجبه شعر كل منهما ، ويتذوقه ويطلب الاستزادة منه ، والشواهد على هذا كثيرة ولله الحمد والفضل والمنة. والحقيقة أن حسان منذ أسلم ضمّن شعره كثيراً من النصوص القرآنية والنبوية. وتابع الدكتور أسامة عطية عثمان رسالة علمية تثبتُ صدق الذي نقول! حيث نوقشت بقاعة الواحة بكلية الآداب رسالة الماجستير التي تقدم بها الطالب محمد بن حامد الشمري وعنوانها: "التناص في ديوان حسان بن ثابت". وقد عرض البحث ما انتهت إليه جوليا كريستيفا من نتائج بحوثها الإجرائية في هذا المجال بعد أن استفادت من الإرث النظري ، الذي حدد معالمه ميخائيل باختين في دراساته العميقة في مفهوم الحوارية ، حيث طورت جوليا كريستيفا النتائج البحثية التي انتهى إليها باختين وقسمت مفهومها للتناص إلى ثلاثة مستويات هي: * الاجترار: هو أخذ النص السابق بمعناه ومبناه. * الامتصاص: هو الاكتفاء بأخذ معنى النص السابق دون المبنى. * التجاوز: هو إذابة النص السابق في النص اللاحق إذابة يتعذر

معها الوقوف على النص الأصلي ومعرفته لدى القارئ المتعجل. وقد كشفتْ دراسة ديوان حسان بن ثابت في ضوء ظاهرة التناصّ عن طبقات النصوص التي يستخدمها الشاعر ولا يصرح بها في أغلب الأحيان في إنشاء نصوصه الشعرية التي تتميز بالانفعال الكامل بالإسلام والتأثر الواضح بالقرآن الكريم ، والتركيز الجلي على صفات الرسول صلى الله عليه وسلم والقيم الأخلاقية التي يدعو إليها ، وصناعة هذه الأشعار صناعة فنية تتخذ من التناص سمة بارزة لشعره ، ولقد توصل البحث إلى نتائج منها: أنّ حسان بن ثابت أنشأ أشعاره وهو متمثّل النصّ القرآني والأحاديث النبوية والأحداث التاريخية تمثّلاً جيّداً. وهو ما يؤشّر على مدى إعجاب الشاعر بهذه النصوص الدينية التي قامت عليها الدعوة الإسلامية من جهة ، وبالنصوص التاريخية التي وثّق البحث لها ، من جهة ثانية. إذا لم يعلن الشاعر عن النصّ المصدر الذي يبنى عليه نصّه اللاحق ، فإنّ القارئ لا يجد صعوبة في العثور على نسق التناصّ الذي هو بصدده ، إذ غالباً ما يرد التّناصّ في ديوان حسّان بن ثابت النسق الاجتراري ، يليه النسق الامتصاصي ، فالنسق التجاوزي ، وهو ما يثبت ولع الشاعر بهذه النصوص واتجاهه الواضح نحو الاقتباس منها اقتباساً مباشراً. كما أظهر البحث تشكّل شعر حسّان من نسيج علاقات تناصّية جعلته ملتقى نصوص وقيم عاضد بعضها وعارض بعضها الآخر ، فكشف بآلية التناصّ عن تحوّلات عقائدية وتاريخية واجتماعية أعادت النظر في أبرز الثوابت والقيم الجاهلية).هـ. والذي يقرأ القصة السابقة يتوهم أن النابغة عندما أيد الخنساء في ردها على حسان محق في نقده! ثم رد قدامة بن جعفر (المتوفى سنة 337 هـ) في كتابه نقد الشعر على النابغة وبين أنه أجحف في نقده ، يقول قدامة بن جعفر: فإن النابغة على ما حكي عنه لم يرد من حسان إلا الإفراط والغلو ، وعلى أن من أنعم النظر علم أن هذا الرد على حسان من النابغة خطأ بين ، وأن حسان مصيب ، فمن ذلك أن حسان لم يُرد بقوله الغر أن يجعل الجفان بيضاً وإنما أراد بقوله الغر: المشهورات ، كما يقال يوم أغر ، وليس يراد البياض في شيء من ذلك ، بل تراد الشهرة . وأما قول الخنساء في : يلمعن بالضحى ، أنه لو قال: بالدجى ، لكان أحسن من قوله: بالضحى ، إذ كل شيء يلمع بالضحى ، فهو خلاف الحق وعكس الواجب ، لأنه ليس يكاد يلمع بالنهار من الأشياء إلا الساطع النور الشديد الضياء ، فأما الليل فأكثر الأشياء مما له أدنى نور وأيسر بصيص يلمع فيه ، فمن ذلك الكواكب ، وهي بارزة لنا مقابلة لأبصارنا دائما تلمع بالليل ويقل لمعانها بالنهار حتى تختفي ، وكذلك المصابيح ينقص نورها كلما أضحى النهار ، والليل تلمع فيه عيون السباع بشدة بصيصها. أما قول الخنساء ، إن قوله في السيوف يجرين خير من يقطرن لأن الجري أكثر من القطر ، فلم يرد حسان الكثرة ، وإنما ذهب إلى ما يلفظ به الناس ، ويعتادونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا سيفه يقطر دما ولم يسمع: سيفه يجري دماً ، ولعله لو قال يجرين دما لعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع إلى ما لم تجرِ عادة العرب به (انتهى كلام قدامة بن جعفر). وإنما انصب كلامي على: (من الأشعر منهما حسان أم الخنساء؟) وخلصتُ إلى أن حسان هو الأشعر. ورحتُ أنشد في الإشادة بحسان – رضي الله عنه – هذه القصيدة!) ، وتحت عنوان: (أخطاء الشعراء) يقول الأستاذ الأديب صالح الشايجي ما نصه بتصرف: (ما أجمل عالم الشعر وما أجمل السباحة في بحوره والغوص في معانيه وصوره وأخيلته! إنه أجمل العوالم الإبداعية قاطبة وأشدها جاذبية للناس وأكثرها تأثيراً في النفس البشرية. وما سأكتبه اليوم في هذه المقالة لا يحمل تنقيصاً من مكانة الشعر العلية، ولكنه مجرد تساؤل واستغراب. وقد قال العرب قديما «الشعر ديوان

العرب» لإعلاء شأنه ومكانته. وقالوا أيضاً «يحق للشاعر ما لا يحق لغيره» وهذا القول الأخير هو مربط فرس مقالتي هذي وهنا مناخها أو منصة إطلاقها. لا أدري ما هو القصد من القول «يحق للشاعر ما لا يحق لغيره» ، هل القصد بلاغي أدبي بمعنى أن يجنح في الخيال والمبالغة ويهيم في أجواء متخيلة لا علاقة لها بالواقع ، أم أن من حقه الخروج عن القواعد والمبادئ الأدبية المعروفة. وسأورد أمثلة لما أثار استغرابي مما ورد في أشعار كبار الشعراء لا صغارهم. يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

فـــــإذا رحمـــــت فأنـــــت أمٌّ أو أبٌ هــذان فــي الــدنيا همــا «الرحمــاءُ»!

والشاهد هنا أن يكون الوصف جمعاً والموصوف مثنى فهو يصف «هذان» بـ «الرحماء» بدل «الرحيمان». وهذا مخالف لقواعد النحو العربي. ويقول «شوقي» أيضاً: «أنا من بدّل بالكتب الصحابا» وهو أخطأ هنا في إدخاله حرف الباء على المبقى عليه لا على المتروك ، والباء تدخل على المتروك المستبدّل لا على المبقى عليه. والأصوب أن يقول: «أنا من بدّل بالصحب الكتابا». وثمة بيتان من الشعر مشهوران جداً ويرددان في خِتام كثير من أصواتنا الغنائية:

يـــا أم عمـــرو جـــزاك الله مكرمـــةً ردي علـــيّ فـــؤادي أينمـــا كانـــا

«لا تأخـــذين» فـــؤادي تلعبـــين بـــه وكيـــف يلعـــب بالإنســـان «إنســـانا»

أما البيت الأول فهو سليم وخال من الشوائب ولكن البيت الثاني حوى خطأين ، حيث أخطأ الشاعر بإلغائه مفعول لا الناهية الجازمة والموجبة حذف النون في فعل «تأخذين» ، وكان عليه أن يقول «لا تأخذي» ، أما الخطأ الآخر ففي نصبه للفاعل وقوله: «إنسانا» وكان يجب أن يقول «وكيف يلعب بالإنسان إنسانُ» بدلاً من «إنسانا». فهل كل تلك الخروجات من حق الشاعر حتى يستقيم الوزن وتتناسق القافية! وبعض الشعر يتضاد مع القوانين الكونية. (كم تذكرتُ سويعات الأصيل ### وصدى الهمسات ما بين النخيل). أليس المكان المليء بالأشجار لا صدى للصوت المنطلق فيه. وأيضاً يقول نزار قباني في واحدة من أشهر قصائده:

«الحـــب فـــي الأرض بعـــض مـــن تخيلنـــا لـــو لـــم نجـــده عليهـــا لاخترعنـــاه»

أي: إن الحب في الأرض مجرد تخيل وغير موجود ، ثم يعود ليقول: لو لم نجده على الأرض لاخترعناه. تناقض واضح مفضوح ، ولكنه مر مرور الكرام عليه وعلى محمد عبد الوهاب ملحن القصيدة وأيضا على من غنتها وهي نجاة. ويقول شاعر قديم:

قلـــت قراطيســـكم أم جـــف حبـــركم أم كاتـــب مـــات أم أقلامكـــم (كســـرا)

أم المطايـــا التـــي مـــن بيننـــا ضـــلعت أم الطريـــق الـــذي مـــن بيننـــا (خطـــرا)

ويحتوي البيتان بالنظر إليهما من الزاوية النحوية على خطأين متمثلين في كلمة «كسرا» في ختام البيت الأول و«خطرا» ختام البيت الثاني. فنحن نقول عادة الأقلام كسرت بالتأنيث أما الشاعر فذكرها بقوله «كسرا». أما خطؤه في كلمة «خطرا» في البيت الثاني فلأن الكلمة مرفوعة بالضمة لكونها خبرا للمبتدأ وهو كلمة «الطريق» ويجوز فيها الرفع فقط ولا يجوز

النصب كما وردت في البيت المذكور. لا أظن أن هؤلاء الشعراء يجهلون القاعدة ، ولكن هذا مما يسمى بالضرورة الشعرية ، فهل تصل الرخصة التي أعطيت للشعراء إلى حد التكسير البين لقواعد اللغة؟! وفي قصيدة شهيرة تنسب للإمام الشافعي بيت يقول فيه:

سـلام علـى الـدنيا إذا لـم يكـن بهـا صـديق صـدوق صـادق الوعـد منصـفا

وحسب قواعد النحو المعروفة فإن الصفة تتبع الموصوف ، ولقد طبقها الإمام فوصف كلمة الصديق والتي جاءت مرفوعة بالضمة بالصدوق وصادق الوعد ، وهما صفتان مرفوعتان تتبعان موصوفهما ، ولكنه في الصفة الثالثة وهي «منصفا» نراه قد شذ عن القاعدة فنصب صفة لموصوف مرفوع. لا يمكن أن يقع الإمام الشافعي في مثل هذا الخطأ ، وبالتأكيد هناك مبررات ومسعفات لغوية لجأ إليها الإمام فكتب بمثل هذه الصورة ، وكذلك بقية الشعراء الذين ترصدت بعض أشعارهم).هـ. وتحت عنوان: (خطأ لغوي في ديوان شوقي) يقول الأستاذ محمد جمعة الدربي ما نصه: (قد يتبادر إلى الذهن أنني أشير إلى قول شوقي:

أنـا مَـن بـدَّلَ بالكُتْـب الصِّـحابا لـم أجـدْ لـي وافيًـا إلا الكِتابَـا

حيث يدَّعي كثيرٌ من الباحثين أن الباء لا تدخل إلا على المتروك ، مستدلين بالاستعمال القرآني مثل قول الله تعالى: (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) ، وقوله تعالى: (وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) ، ولكننا نطمئنُّ إلى أن ما جاء به النص القرآني يصلُح للإثبات ، ولا يصلح للنفي ، بمعنى أنه يصلُح دليلًا على صحة الاستعمال المعيَّن ، لكن لا يصلُح دليلًا على خطأ ما عداه ، فالقرآن لم يجمَع اللغة العربية جميعها ، والقرآن ليس هو المصدر الوحيد للصحة اللغوية ، وربَّ عبارة لم يأتِ بها القرآنُ ، جاء بها غيرُه من النصوص الموثقة فارتفَع الحرَجُ عن استعمالها) ، وقد كان في إمكان أمير الشعراء أن يقول: (أنا مَن بدَّل بالصَّحْبِ الكِتابا ....)! ولكنه أدخَل الباء على المأخوذ غيرَ مضطرٍّ ، موافقًا لصحة ـ بل فصاحة ـ ذلك الاستعمال ؛ فقد جاء في شعر الطفيل بن عمرو الدوسي ـ لَمَّا أسلَم ـ في وصف النبي صلى الله عليه وسلم:

فـأَلْهَمَني هُـداي اللّهُ عنـه وَبَـدَّلَ طـالعيْ نَحْسـي بسَـعْدِي

على الرغم من قدرته على أن يقول: (..... .... وَبَدَّلَ طَالِعَيْ سعدي بنحسي)! وقد كان في إمكان الطفيل أن يقول أيضًا محافظًا على القافية: (.... .... وبدَّل طالعي سعدي بنَكْدِ)! ونقل ثعلب عن الفراء أنه يقال: أبدلتُ الخاتم بالحَلْقة: إذا نحَّيتَ هذا وجعلتَ هذه مكانه ، وبدَّلتُ الخاتم بالحلقة: إذا أذبتَه وسوَّيتَه حلقةً ، وبدَّلتُ الحلْقة بالخاتم: إذا أذبتَها وجعلتَها خاتمًا) ، وجاء في المصباح المنير: وأبدلتُه بكذا إبدالًا: نحَّيتُ الأول وجعلتُ الثاني مكانه)]. ولم يكن غريبًا أن تتخذ لجنةُ الأصول بمجمع اللغة العربية بالقاهرة قرارًا بجواز إدخال الباء على غير المتروك ، وأن تجعل المدار في تعيين ذلك على السياق. أما الخطأ الذي نودُّ الإشارة إليه ، فهو كلمة مَناه) في قول شوقي:

كشَّـافةَ مصـر وصِـبيتُها ومَنـاهُ الـدار ومُنيتُهـا

فقد ضُبِطت الكلمة في إحدى الطبعات بالتاء المضمومة ، وإهمال حركة الميم ، وكذلك فعلت وزارة التربية والتعليم المصرية في مقرر الصف الأول الإعدادي على مدار عدة أعوام ، وفسَّرتها بالأمل ، وسألتْ الطلاب في بعض الأنشطة والتدريبات عن مفرد الكلمة! وضُبِطت في طبعات أخرى بالتاء المضمومة مع فتح الميم ، في حين ضبطتْها مكتبة الآداب بضم الميم والتاء. وفي نقاش بين الباحثين ، زعَم بعضُهم أن الكلمة محرَّفة عن بُناه ، وهذا زعمٌ لا دليلَ عليه ؛ لأنه يعني أن بالكلمة تحريفين ، وإذا كان من السهل تحريف التاء المربوطة إلى هاء ، فمن الصعب تحريف الباء إلى ميم في الدواوين الحديثة ، فضلًا عن ضَعف المعنى الذي يُسبِّبه هذا الزعم! أليس وصفُ الكشَّافة بأنهم شرفُ الدار وسُمُوُّها في المستقبل ، أبلغَ من وصفهم بأنهم بناةٌ فقط؟! ورأى آخرون أنها جمع مانٍ ؛ مثل: قاضٍ ، وهذا يُوقع أمير الشعراء في حرَج لغوي وديني ؛ حيث إن لفظ الماني يَرِدُ بمعنى المُقدِّر ؛ كما في قول أبي قلابة الهذلي:

ولا تَقــولَنْ لشــيءٍ ســوفَ أفْعَلُــه حتــى تبــيَّنَ مــا يَمنــي لــك المــاني

أي: يقدِّر لك القادرُ. والذي أَطمئنُّ إليه أن أمير الشعراء أراد مَناهُ بفتح الميم وبالهاء المضمومة ، وهي مصدر ميمي من: ناهَ الشيءُ ينوه: إذا علا وارتفع أو قوِي ، فمَناهُ الدار: شرفُها وسُمُوُّها ، أو قوَّتُها. وقد فطِن إلى هذا الأستاذ إبراهيم الإبياري ، وإن لم يفطَن إلى صحة - وربما فصاحة - إدخال الباء على المأخوذ).هـ. ويقول الأستاذ بلال أحمد ما نصه: (عرف العرب الشعر موزوناً قبل أن يضع الخليل بن أحمد أوزانه وكان شعرهم فصيحا قبل أن يضع أبو الأسود الدؤلي قواعد النحو ثم فصل الخليل العروض على مقاس أشعارهم ووضع الدؤلي القواعد على مجرى كلامهم وأما ما خرج من شعرهم عن الوزن والقواعد فهو خطأ أو ضرورة شعرية أو إقواء. "الإقواء في الشعر العربي" كتيب للدكتور مزيد اسماعيل نعيم يفصل فيه أخطاء الشعر وزناً وقواعد منذ الجاهلية مروراً بالعصور الذهبية للشعر في العصرين الأموي والعباسي. واختلف العلماء على معنى الإقواء كما ورد في الكتاب فمنهم من أرجعه لزحاف في موسيقا الشعر ومنهم من أرجعه لخطأ في النحو ومع ذلك فقد اعتبر ما وقع فيه الشعراء من أخطاء مقصودة أضرتهم عليها الموسيقا أو القافية ضرورات شعرية جائزة في الشعر ممنوعة في غيره وهذه الضرورات وان لم يتم حصرها في كتاب أو دراسة فهي معدودة من صرف الممنوع من الصرف وإطلاق القافية وزيادة حروف المد في بعض الكلمات لاستقامة الوزن وترخيم الأسماء في النداء وسواها. ويبين نعيم كيف وقع معظم شعراء العصر الجاهلي في الإقواء على صعيد الوزن والإعراب فالنابغة الذبياني في معلقته التي تنتهي بحرف الروي الدال المكسورة يقول فيها "وبذاك خبرنا الغراب الأسود" ليجيء حرف الروي مضموماً دون أن ينتبه الشاعر حيث يروي الكتاب أن النابغة لم يقتنع بخطئه حين حدثه بعضهم عنه حتى سمعه مغنى فلم يعد إلى ذلك ثانية. كما يورد الإقواء في قصائد عمرو بن كلثوم وامرئ القيس وأبي ذؤيب الهذلي وسواهم من فحول الشعر الجاهلي ومن ذاك معلقة الحارث بن حلزة التي تنتهي بروي مضموم حيث قال فيها بيتا ينتهي بروي مكسور في قوله: "فملكنا بذلك الناس حتى *** ملك المنذر بن ماء السماء". كما وقع في الإقواء شعراء العصر الأموي كالفرزدق وعبد الله بن مسلم الهذلي ومن العصر العباسي كالبحتري واستمرت ظاهرة الإقواء ثم اضمحلت حتى لا نكاد نرى لها أثراً. يقع الكتيب الصادر عن الهيئة العامة السورية للكتاب في 80 صفحة من القطع الصغير ويذكر أن مؤلفه الدكتور مزيد اسماعيل نعيم له العديد من

المؤلفات في البلاغة والنحو والصرف منها أساس البلاغة للزمخشري وتصريف الأفعال وعلم المعاني والنحو ومسائله).هـ. وقال الأستاذ فيصل سليم التلاوي: (ليس الشاعر نحوياً) ما نصه: (ليس الشاعر نحوياً ولا ينبغي له أن يكون كذلك ، وإلا فارقه إلهام الشعر الذي لا يرتضي (ضرة) ، ولا يقبل المنافسة مع سائر الفنون الأدبية. وعندها يستبدل دفقاته الغزيرة الصافية الصادقة بنتاج صانع محترف ، كأنما ينحت كلماته بإزميل نحات ماهر ، فتأتي بديعة الشكل والقوام ، لكنها جسد خالٍ من الروح ، و من النفس المتوهجة الوثابة. وقد اختلف الشعراء منذ القدم في طريقة معاودتهم النظر في قصائدهم بعد فراغهم منها ، و ذلك منذ البدايات الأولى للشعر ، فقد وجدت فئة قليلة من شعراء العصر الجاهلي تعاود النظر مدققة فاحصة لقصائدها ، مطيلة التأمل والمراجعة حتى سُمّوا (عبيد الشعر) ، و منهم من كان يمضي حولاً كاملاً في مراجعة قصيدته ، حتى سميت قصائدهم بالحوليات ، و من أبرز هؤلاء زهير بن أبي سلمى. ومن الشعراء من يعاود النظر بعد الفراغ من البيت الواحد أو من القصيدة كلها ، مدققاً في سلامة كلماتها ، وفي مطابقتها للقواعد النحوية خاصة رويّها ، ويكتفي بهذه المراجعة السريعة. ومنهم من لا يلقي بالاً لذلك ، ويترك الأمر على عواهنه ، وعلى الصورة التي تفتقت عنها قريحته ، وتدفقت على لسانه للوهلة الأولى. وتبعاً لذلك ولأن الغيث لا يخلو من العيث ، فإن المتتبع المدقق لا بد وأنه ملتقط لدى كبار الشعراء قبل صغارهم هفوات نحوية ولغوية أحياناً ، مَرَدُّ بعضها للغفلة والتسرع وعدم الانتباه ، وذلك وارد حتى عند شعراء المعلقات في العصر الجاهلي. فقد روي في كتب تاريخ الأدب أن النابغة الذبياني لما أنشد قصيدته (المتجردة) ، التي وصف فيها زوجة الملك النعمان بن المنذر ، والتي مطلعها:

مـــن آل ميـــةَ رائـــحٌ أو مغتـــدي عجـــلان ذا زادٍ وغيـــر مُـــزوَّدِ

مضى فيها إلى قوله:

زعـــم البـــوارحُ أن موعـــدنا غـــدا وبـــذاك خبرنـــا الغـــرابُ الأســـودُ

ولم ينتبه إلى ما في ذلك من إقواءٍ برفع الدال في كلمة الأسودُ على عكس سائر القصيدة ، التي رويها دال مكسورة (مُزودِ) ، لاحظ سامعوه ذلك و تهيبوا أن يُخَطِئوه مباشرة ، فأوعزوا إلى جارية أن تتغنى بالقصيدة على مسامعه ، وتطيل المد في كلمة (الأسودُ) حتى انتبه لخطئه ، واستدرك هفوته فقال:

زعـــم البـــوارح أن موعـــدنا غـــدا وبـــذاك تنعـــابُ الغـــرابِ الأســـودِ

ومثله في ذلك مثل بشر بن أبي خازم الذي نبهه أخوه سوادة: إنك تقوي. قال: وما الإقواء؟ قال: قولك:

ألـــم تـــرَ أن طـــول الـــدهر يُســـلي ويُنســـي مثلمـــا نســـيت جـــذامُ

ثم قلت:

وكـــانوا قومنـــا فبغـــوا علينـــا فســـقناهم إلـــى البلـــد الشـــآمِ

فلم يعد بعد للإقواء. وذكر أن بعض شعراء العصر الأموي كان يلحن ، ومنهم الفرزدق الذي هجا عبد الله بن يزيد الحضرمي البصري ، الذي كان ينتقده ويتعقب لحنه ، فقال:

فلـــو كـــان عبـــد الله مـــولى هجوتـــه ولكـــــن عبـــــد الله مـــــولى مواليـــــا

فقال له الحضرمي: لحنت. ينبغي أن تقول مولى موالٍ. وذلك بحذف ياء الاسم المنقوص عند تنوينه رفعاً أو جراً. وبعض قمم الشعراء يخطئون في استخدام بعض المفردات ، لا تدري أكان الباعث على ذلك سهواً و زلة ، أم أن قيد القافية يرغمهم على اختيار الكلمة ولو كانت غير مناسبة ، فتأمل قول المتنبي في مطلع إحدى مدائحه لسيف الدولة وهو مطلع ذائع الصيت ، حيث يقول: (لكل امرئٍ من دهره ما تعودا)! وفي ذلك حكمة جرت مجرى الأمثال ، لأنها مطابقة لطبائع البشر ، حيث أن كل إنسان يسير على ما اعتاد عليه ، و من الصعب تغيير عادات المرء التي ألفها و تعايش معها ، لكنه في شطره الثاني الذي أراد فيه أن يخص سيف الدولة بعادة مُشرِّفة ، تتسم بدوام الشجاعة والبطولة ، و مواصلة مقارعة الأعداء ، اختار أن يكمل قائلاً: (وعادة سيف الدولة الطعن في العدا)! فإذا عدنا إلى معنى طعن في (معجم المعاني الجامع) فإننا نجد: طعن بالرمح ونحوه: وخز به بغرض القتل! طعنه بلسانه: عابه ، شتمه ، أساء إليه بالكلام! وفي التنزيل الحكيم (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر). وطعنوا في دينكم: أي عابوه وانتقصوه. طعن فيه أو في حكمه أو نسبه: عابه وذمه ، ويقال: طعن في الانتخابات بالتزوير. طعن في الشاهد: اعترض على شهادته! طعن في الأمر: اعترض عليه ، وأثار حوله الشبهات. طعن في السن: هرم و شاخ. فهل كان سيف الدولة يطعن في الروم بمثل هذه المعاني التي تقدمت لكلمة طعن في؟ الصواب أن يقال طعن سيف الدولة العدا دون حرف الجر في ، أما قولنا طعن في ، فلا تستخدم إلا للسان ، بمعنى ذمه و ذكره بسوء ، ونحو ذلك طعن في عرضه ، و طعن في شرفه ، و طعن في صدق حديثه. فهل هذا ما أراده المتنبي؟ و هل كان سيف الدولة يطعن في أعراض الروم و أحاديثهم بلسانه ، أم كان يطعنهم برمحه وسيفه؟ كيف كان صدر البيت يمثل افتتاحية مدوية ، و كيف انتهى عجزه ركيكاً هزيلاً حتى عند شاعر كل العصور ، الذي ملأ الدنيا وشغل الناس؟ إنها الزلات التي لا يفلت منها حتى الكبار. وما سقناه من أمثلة ليس سوى غيض من فيض ، و إذا كانت هذه الهنات قد صدرت عن عمالقة الشعراء في مختلف العصور ، فما بالك بغيرهم من سائر الشعراء؟ ومن يتتبع شعراء المهجر مثلاً ، يجد عندهم ما لا يحصى عده من الأخطاء النحوية والعروضية. وشفيعهم أنهم شعراء فقط و ليسوا نحويين ، وأنهم قدموا لنا شعراً يتدفق عاطفة بفعل التشوق والحنين إلى الوطن ، الذي أكسبتهم إياه غربتهم الطويلة في الأمريكتين ، وتلك الروح الإنسانية والنظرات المتفائلة التي تحملها قصائدهم ، بفضل اطلاعهم على الآداب الأجنبية وتأثرهم بها ، وشفيعهم أنهم لم يحرزوا قسطاً وافراً من الدرس والتحصيل ، بل اغتربوا مكافحين وراء لقمة العيش ، فرققت الغربة و المهاجر أحاسيسهم، فأنطقتهم بالشعر العذب. وعندنا شوقي يقول متناولاً حبه لوطنه:-

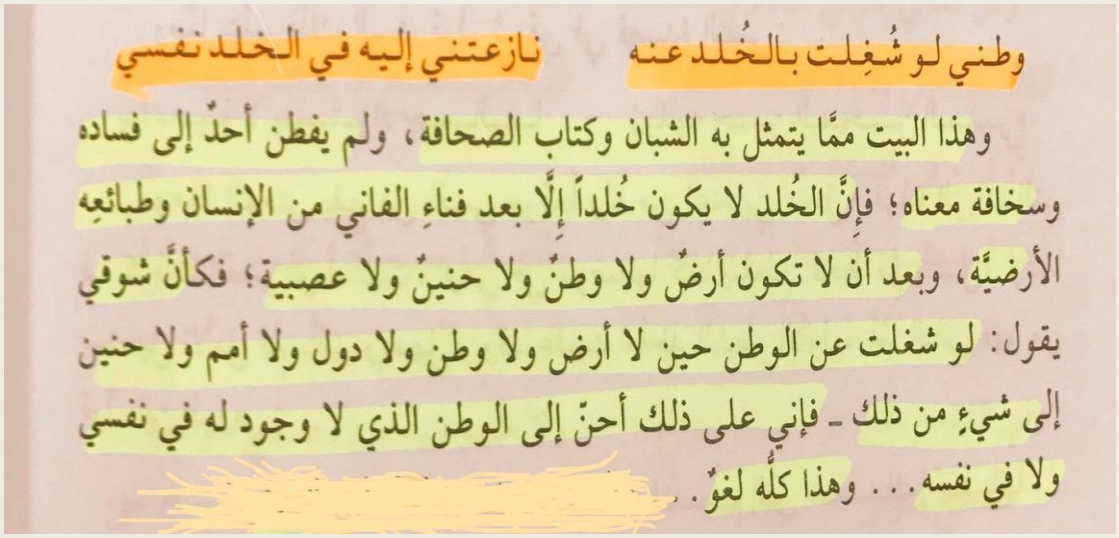

وطني لو شُغِلت بالخُلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

وهذا البيت ممَّا يتمثل به الشبان وكتاب الصحافة، ولم يفطن أحدٌ إلى فساده وسخافة معناه؛ فإنَّ الخُلد لا يكون خُلداً إلَّا بعد فناءِ الفاني من الإنسان وطبائعِه الأرضيَّة، وبعد أن لا تكون أرضٌ ولا وطنٌ ولا حنينٌ ولا عصبية؛ فكأنَّ شوقي يقول: لو شغلت عن الوطن حين لا أرض ولا وطن ولا دول ولا أمم ولا حنين إلى شيءٍ من ذلك ـ فإني على ذلك أحنّ إلى الوطن الذي لا وجود له في نفسي ولا في نفسه... وهذا كلُّه لغوٌ.

وفي جريدة: (الرياض) الصادرة في الخميس 28 رجب 1429هـ -31 يوليو2008م - العدد 14647 ، يقول الأستاذ علي بن حسن العبَّادي في معرض كلامه عن أخطاء شوقي في شعره ما نصه: (وإذا نظرتَ الى أوزان الشعر التي ابتكرها الشعراء ، وأهملها الخليل بن أحمد (رحمه الله) وهي ستة أبحر: (المستطيل والممتد ، والمتوفر ، والمتئد ، والمنسرد ، والمطرد) ، وكل بحر من هذه الأبحر الستة ، له شاهد من الشعر معروف لدى العروضيين ، ونظرت الى الوزن الذي أطلق عليه الشاعر عبد الله الفيفي ، اسم (المسحوب) يأتي هذا الوزن في القمة وزناً وإيقاعاً ، وهو وزن نعدّه من المحاولات الجديدة التي ابتكرها الدكتور الفيفي وله الفضل فيها الذي لا ينكر. وإذن فأمير الشعراء الشاعر الكبير أحمد شوقي قد كتب ابياتاً من الشعر ، قرأناها في مسرحية (مجنون ليلى) وسمّى أحد العروضيين المعاصرين وزنها: وزن (أحمد شوقي) وأبيات الشاعر الكبير (أحمد شوقي) هي:

زيـــادُ مـــا ذاق قـــيسٌ ولا همـــا طـــبخُ يـــد الأمّ يـــا قـــيسُ ذق ممـــا

الأمّ يا قـيسُ لا تـطبـخ السّـمـا

وانظر الأبيات في مسرحية (مجنون ليلى) صفحة (34) طبعة شركة الطباعة بمصر سنة 1954واقطع أبيات أحمد شوقي هكذا! وإذا نظرنا إلى أبيات أحمد شوقي نرى الزحاف قد لحق الأبيات الثلاثة فأصبحت الأبيات ركيكة ، لا تستسيغها الأذن (فزيادُ ما) ، دخل القبض التفعيلة الأصلية (مفاعيلن) فأصبحت (مفاعلن) و(طبخ يدل) دخل الخبن التفعيلة الأصلية (مُستفعلن) فأصبحت (متفعلن) ونقلت الى (مفتعلن) ، فلو وضعنا ما جاء به شوقي في إطار علم العروض لكانت الأبيات الثلاثة من وزن يتكون من: (مستفعلن/فاعلاتن/مفاعيلن) ، وهو وزن يخلو من الإيقاع والموسيقى).هـ. وتحت عنوان: (أخطاء القصيدة) يقول الأستاذ بداح السبيعي ما نصه: (من المؤلفات النقدية الجميلة والممتعة كتاب (أكثر 38 خطأ في الكتابة القصصية وكيف يُمكن تحاشيها) ، ويمتاز هذا الكتاب بأن مؤلفه مُتخصص في الفن الذي يكتب عنه ، ويمتلك خبرة طويلة ساعدته على تتبع ورصد أبرز الأخطاء التي يقع في الكُتاب الشباب باستمرار ، ويُمكن أن يستفيد منه كُتاب القصة والرواية جميعًا بغض النظر عن خبرة الكاتب في ممارسة الكتابة. وكم نحن في حاجة لمثل هذه النوعية من المؤلفات في مجال الشعر أيضًا لتكون مرجعًا يستعين به الشعراء الشباب ، فوجود مثل هذا النمط من الكتب سيكون له أثر كبير في اختصار الطريق

على الشاعر وتجنيبه مغبة الوقوع في أخطاء فنية وقع فيها الشعراء الذين سبقوه في كتابة الشعر ، وقد أدّى غياب – أو ندرة - مثل هذه المؤلفات النقدية ، وميل بعض النقاد للتوسع في تبرير أخطاء الشعراء وإدراجها تحت مفهوم "الضرورات الشعرية" و"يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره" ، أدى إلى استمرار ارتكاب الشعراء لأخطاء بسيطة وصريحة في كتابة القصيدة. وفي كتاب (ذم الخطأ في الشعر) يعترض ابن فارس على مساحة الحرية التي تُمنح للشاعر تحت مُسمى "الضرورات الشعرية" ويتساءل: "ما الوجه في إجازة ما لا يجوز إذا قاله شاعر؟ وما الفرق بين الشاعر والخطيب والكاتب؟ فإن قالوا: إن الشعراء أُمراء الكلام. قيل: ولِمَ لا يكون الخطباء أمراء الكلام ، لِمَ أجزنا لهؤلاء أن يخطئوا ويقولوا ما لم يقله غيرهم؟". ويستمر في طرح تساؤلات منطقية تُعبّر عن رفضه لترك الحبل على الغارب عند التعامل مع أخطاء الشعراء اللغوية. وقد رأينا في حالات عديدة استهتار بعض الشعراء وعنادهم في مسألة قبول نقد أخطائهم كما فعل النابغة الذبياني الذي لم يأبه بما لوحظ في قصيدته الشهيرة في المتجردة من "إقواء" ، وكما فعل الفرزدق الذي هجا نقاده وخاطبهم بثقة: "علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا"! وهناك مؤلفات أخرى توجهت عناية مؤلفيها بشكل مُباشر نحو رصد أخطاء الشعراء وتسليط الضوء النقدي عليها ، ككتاب (الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء) للمرزباني ، و(أوهام شعراء العرب في المعاني) لأحمد تيمور باشا وغيرها ، لكن التأليف عن أخطاء الشعراء لا يستهوي النقاد لصعوبته البالغة ، ولأن الذي يخوض تجربة الكتابة عن أخطاء الأدباء بجرأة لا يسلم من تُهمة "تصيُّد الأخطاء" و"الاصطياد في الماء العكر"!).هـ. ومن الأخطاء اللغوية الشائعة: (مُغْلَقٌ لاَ مَغْلُوقٌ) قال أبو الأسود الدُّؤَلِيّ من البسيط:

وَلاَ أَقُولُ لِقِدْرِ القَوْمِ قَدْ غَلِيَتْ ... وَلاَ أَقُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَغْلُوقُ

لَكِنْ أَقُولُ لِبَابي مُغْلَقٌ وَغَلَتْ ... قِدْرِي وَقَابَلَهَا دَنٌّ وَإِبْرِيقُ

أي إنّه فصيحٌ لا يَلحَنُ. وهو كلامُ العرب ، قال الفرزدق:

مَا زِلْتُ أَفْتَحُ أَبْوَاباً وَأُغْلِقُهَا ... حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا عَمْرِو بنَ عَمَّارِ

وقال أيضًا:

فَتَحْنَا بِإِذْنِ اللّهِ كُلَّ مَدِينَةٍ ... مِنَ الهِنْدِ أَوْ بَابٍ مِنَ الرُّومِ مُغْلَقِ

وقال جرير:

نَحْنُ الحُمَاةُ بِكُلِّ ثَغْرٍ يُتَّقَى ... وَبِنَا يُفَرَّجُ كُلُّ بَابٍ مُغْلَقِ

وقال الشّافعيّ:

الجَدُّ يُدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعٍ ... وَالجَدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقِ

فلا تقلْ: غَلِيَت القِدْرُ ، ولا بابٌ مَغْلُوقٌ وإنْ حكاها ابنُ دُرَيْد عن أبي زيد ؛ لأنّه مِن لحنِ العامّة ، وهو قبيحٌ كما في المزهر (1/ 252) ، ولُثْغَة أو لُغَيَّة رديئة في أغلقه كما في القاموس المحيط (ص915 فصل الغين) ، ونادرة... ورديئة متروكة كما في اللّسان (10/ 291) ، والصّحاح (4/ 1538 غلق) ، ومختاره (ص479) ، ولغةٌ قليلةٌ كما في المصباح المنير (ص269 غ ل ق) ، ولثغة أو لغيّة رديئة متروكة...أو نادرة كما في تاج العروس (26 /258). بل تقولُ: غَلَتِ القِدرُ، وأغلقَ البابَ فهو مُغْلَقٌ. لقد منعَ منه الفُحول من علماء العربيّة ، والعُدول من نَقَلَة اللّغة. قالَ ابنُ السِّكّيت في إصلاح المنطق (1 /188، 190): (بابُ ما جاءَ على فَعَلْتُ بالفتح ممّا تَكسِرُهُ العامّة أو تَضُمُّهُ وقد يَجيءُ بعضُه لغة إلاّ أنّ الفصيح الفتح...ويقالُ: قد غَلَتِ القِدْرُ تَغْلِي غَلْيًا وغَلَيَانًا [بفتحتين] ولا يقالُ: غَلِيَتْ". وقالَ في باب ما يُتَكَلَّمُ بأفْعَلْتُ ممّا يَتَكَلَّمُ فيه العامّة بِفَعَلْتُ (1 /227): "... وقد أَغْلَقْتُ البابَ فهو مُغْلَقٌ ولا يُقالُ: مَغْلُوقٌ ، وقد أَقْفَلْتُهُ فهو مُقْفَلٌ ولا يُقالُ: مَقْفُولٌ". وقال ثعلبٌ في الفَصيح (ص79): " باب أَفْعَل: .... وأَغْلَقْتُ البابَ فهو مُغْلَقٌ ، وأَقْفَلْتُهُ فهو مُقْفَلٌ". وفي أدب الكاتب (ص284، 286): (بابُ ما يُهمَزُ من الأفعال والأسماء والعوامُّ تُبْدِلُ الهمزةَ فيه أو تُسْقطها .... وأَغْلَقْتُ البابَ ، وأَقْفَلْتُهُ ، ولا يُقالُ: غَلَقْتُهُ ، ولا قَفَلْتُهُ".)

خطـــاءٌ المـــرءُ مهمـــا قِيـــل فهّـــامُ ولا تُـــلامُ علـــى الأخطـــاء أحـــلامُ

إن أعملـــتْ فكرَهـــا فـــي الأمـــر واجتهـــدتْ ولـــم يعُقهـــا عـــن التفكيـــر إحجـــام

وهـــل تُصـــيبُ عقـــولٌ فـــي الهـــوى حُبســـتْ؟ وهـــل يكـــون مـــع الأهـــواء إقـــدام؟

كـــم نســـتعينُ بأســـباب لتُســـعفنا حتـــى تُحَقَّـــق أهـــدافٌ وآضـــام!

كـــم نبـــذلُ الجهـــد فـــي ســـر وفـــي علـــن! وكـــم يُســـربلنا عجـــزٌ وإيـــلام!

وكـــم نعـــالجُ بالإصـــرار رِيبتنـــا فـــلا يُعرقـــلُ مـــا ننويـــه أوهـــام!

وكـــم نصـــممُ فـــي تنفيـــذنا خططـــاً وكـــل بنـــدٍ لـــه قيـــدٌ وإلـــزام

وكـــم قـــرار بـــلا فوضـــى نناقشُـــهُ كـــي لا تـــزل بنـــا فـــي التيـــه أقـــدام!

وكـــم عواقـــبَ قبـــل البـــدء ندرسُـــها كـــي لا تضـــل بنـــا فـــي الفكـــر أفهـــام!

فهـــل خـــلا ســـعينا المبـــرورُ مِـــن خطـــأ ونحـــن مَـــن بجميـــع الســـعي قـــد قـــاموا!

لا ســـعيَ يخلـــو مِـــن الأخطـــاء أوجـــدَها قـــومٌ ثمـــارَ الـــذي ســـعَوْا لـــه رامـــوا!

فـــالنقصُ سَـــمتٌ لهـــم ، وهـــم بـــه وصـــفوا ولـــيس فـــي الوصـــف إن حققـــت إبهـــام

ولا أراهـــم بهـــذا الـــنقص قـــد خرجـــوا مِـــن آدميـــتهم ، إنـــي لظـــلّام!

أبـــــوهمُ آدمٌ عصـــــى ، وتوبتُـــــه لمّـــا يكـــنْ بعـــدها فـــي العـــيش آثـــام

كـــل ابـــن آدمَ خطـــاءٌ ، وخيـــرُ فتـــىً مَـــن تـــابَ يُرشـــدُه للتـــوب عـــلام

ومِـــن بنـــي آدمٍ واللهِ شـــاعرُنا فهـــل علـــى خطـــإٍ يُصـــليه لـــوّام؟

كـــم ذاد عـــن بيضـــة الإســـلام محتســـباً! لـــه بشـــرع مليـــك النـــاس إلمـــام

وكـــم تكبـــدَ هـــولاً فـــي منـــاظرةٍ حتـــى يفيـــد الألـــى فـــي غـــيهم هـــاموا!

وكـــم بشـــعر لـــه قـــد خـــاض خندمـــة لـــيُعْلم النـــاس إن أفـــاد إعـــلام!

وكـــم تعقـــبَ بالأشـــعار مِـــن شَـــبَهٍ يريـــد فضـــحَ أنـــاس حولهـــا حـــاموا!

كـــم ســـخر الشـــعر يُحيـــي قِيمـــة وُئـــدتْ! هـــذا الغيـــورُ علـــى الأخـــلاق قـــوّام

كـــم أبطـــل الســـحر زكـــاه الألـــى فجـــروا! والســـحرُ إن راجَ بـــين النـــاس هـــدّام

كـــم للرشـــاد دعـــا مَـــن عنـــه كـــم صُـــرفوا حتـــى غـــزا النـــاسَ إيمـــانٌ وإســـلام!

كـــم بالقصـــائد جلـــى كـــل غامضـــةٍ! ولـــيس يبقـــى مـــع الأنـــوار إظـــلام

بالشـــعر لمّـــا يصـــفْ جمـــال آنســـةٍ حتـــى تُغنيـــه ألحـــانٌ وأنغـــام

بالشـــعر لمّـــا يُزخـــرفْ قـــبحَ معصـــيةٍ لأن زخرفـــة العصـــيان إجـــرام

بالشـــعر لمّـــا يُطـــوّعْ ديـــنَ خالقـــه إذ لـــيس فـــي الـــدين بالأشـــعار إســـهام

بالشـــعر لمّـــا يُنـــافقْ فـــي الـــدنا أحـــداً أوراقـــه برئـــتْ ، وعـــافَ مِرســـام!

بالشـــعر لمّـــا يُدشـــنْ كـــي يكـــون لـــه مـــالٌ وجـــاهٌ وتبجيـــلٌ وإكـــرام

بالشـــعر لمّـــا يُجامـــلْ قيـــد أنملـــةٍ حتـــى تكـــون لـــه جُلـــى وإعظـــام

واليـــوم تقتلـــه عمـــداً علـــى خطـــإٍ وتمـــنحُ الســـيف مَـــن عـــن الإخـــا صـــاموا

مَـــن ذا علمـــت بـــلا عيـــب ولا خلـــل؟ وهـــل بـــلا غلـــطٍ فـــي الأرض آنـــام؟

وأي شِـــعر خـــلا مِـــن بعـــض منقصـــةٍ بهـــا أخِلـــتْ بهـــذا الشـــعر أنغـــام؟

وأي شِـــعر قـــلا يومـــاً ضـــرورته وللضـــرورة فـــي الأشـــعار أحكـــام

وأي شِـــعر تُـــرى شـــروطه اكتملـــتْ فســـطرتْه بـــدون العيـــب أقـــلام؟

وأي شِـــعر تُـــرى أبياتُـــه قبلـــتْ ... فلـــم يعبْهـــا – علـــى التحقيـــق – نَظـــام؟

والبـــاحثون لهـــم دَورٌ وتجربـــة ... قـــالوا: الجـــوازاتُ أنـــواعٌ وأقســـام

كـــم غربلـــوا زبَـــدَ الأشـــعار تحســـبُهم ... مؤلفيهـــا ، وهـــم بنخلهـــا قـــاموا

فبينـــوا سُـــقمَ نـــص رغـــم صِـــحته ... وكـــم تُخِـــل بحُســـن الـــنص أســـقام!

وصـــحوا الـــنص تُشـــجينا طلاوتـــه ... هـــل كـــان فـــي مَعـــرض التصـــحيح إلهـــام؟

مـــن قبـــل (حســـانَ) والأشـــعارُ مـــا ســـلمتْ ... مـــن العيـــوب! لمـــاذا اللـــومُ والســـام؟

مثـــل الـــدروب علـــى ســـاحاتها انتشـــرتْ ... حصـــباؤها ، ويلـــي الحصـــباءَ آكـــام

مَـــن رام شـــعراً بـــلا عيـــب يُكـــدره ... تُقـــدِّم الشـــعرَ ذا رُؤىً وأحـــلام

لـــم يـــوح رب الـــورى شـــعراً لناظمـــه ... وإنمـــا الشُـــعَرا فـــي شـــعرهم هـــاموا

ومـــن هنـــا كانـــت الأخطـــاء ديـــدنهم ... وفـــي القصـــائد ممـــا قلـــتُ أرقـــام

مـــن امـــرئ القـــيس حتـــى اليـــوم تُفجعنـــا ... هـــذي العيـــوبُ لهـــا جبـــرٌ وإرغـــام؟

ولـــيس يســـلم منهـــا شـــاعرٌ أبـــداً ... إلا إذا كتـــب الأشـــعار أعجـــام

بعـــض العيـــوب تُـــرى مُـــراً لآكلـــه ... والـــبعض للآكـــل الـــذوّاق دمـــدام!

إذ الجـــوازاتُ تُعطـــي الشـــعرَ رونقـــه ... كمـــا تكمِّـــل طعـــمَ القـــوم آدام

إن كـــان أخطـــأ (شـــوقي) فـــي قصـــائده ... فهـــل يُؤاخِـــذ إنْ أخطـــأتُ لـــوام؟

يـــا قـــوم كفـــوا عـــن التثبـــيط ، والتمســـوا ... عُـــذراً لمـــن زل ، فـــالتثبيط إفحـــام

وصـــوّبوا معنـــا الأخطـــاءَ دون هـــوى ... ففـــي نصـــيحتكم عطـــفٌ وإكـــرام

وجنبونـــا عصـــا التشـــهير تنهرُنـــا ... فـــلا يكـــون لنـــا فـــي الشـــعر إقـــدام

جـــزاكمُ الله خيـــراً عـــن قصـــائدنا ... صـــححتموها لكـــم فـــي النصـــح إســـهام!

الطالع السعيد في مدح خالد بن الوليد

(لقد أعز الله الإسلام بسيف الله المسلول أبي سليمان خالد بن الوليد – رضي الله عنه -! وحاول أعداء الحنيفية السمحة تشويه سيرة خالد – رضي الله عنه -! ولكنهم فشلوا فشلاً ذريعاً لأن الحقيقة لا تموت ولا يحدها قبر! وتأتي هذه القصيدة في معرض الدفاع عنه وبيان مناقبه بإنصاف وموضوعية وحيدة! عن أبي هريرة قال: نَزَلْنا مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَنْزِلًا فَجعلَ الناسُ يَمُرُّونَ فيقولُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَنْ هذا يا أبا هريرةَ فَأَقُولُ فلانٌ فيقولُ نِعْمَ عبدُ اللهِ هذا فيقولُ مَنْ هذا فَأَقُولُ فلانٌ فيقولُ بئسَ عبدُ اللهِ هذا حتى مَرَّ خالدُ بْنُ الوليدِ فقال مَنْ هذا قُلْتُ هذا خالدُ بْنُ الوليدِ فقال نِعْمَ عبدُ اللهِ خالدُ بْنُ الوليدِ سَيْفٌ من سُيُوفِ اللهِ. إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لمَّا نعى أهلَ مُؤتةَ قال ثمَّ أخَذ الرَّايةَ سيفٌ مِن سيوفِ اللهِ خالدُ بنُ الوليدِ ففتَح اللهُ عليه. جُرِح خالدُ بنُ الوليدِ رضي اللهُ عنه يومَ حُنَينٍ فمرَّ بي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأنا غلامٌ وهو يقولُ: مَن يدُلُّني على رحلِ خالدِ بنِ الوليدِ؟ فخرَجتُ أسعى بين يدَي رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأنا أقولُ: مَن يدُلُّ على رحلِ خالدِ بنِ الوليدِ؟ حتى أتاه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهو مُستَنِدٌ إلى رحلٍ وقد أصابَتْه جراحةٌ فجلَس رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عندَه ودَعا له قال: ورأى فيه ونفَث عليه. مُرَّ على خالدِ بن الوليدِ بزِقِّ خمرٍ فقالَ: أيُّ شيءٍ هذا؟ فقالوا: خلٌّ. فقالَ: جعَلهُ اللَّهُ خلًّا فنظروا فإذاَ هوُ خلٌّ وقد كانَ خمرًا. نزلَ خالدُ بنُ الوليدِ الحيرةَ فقالوا لهُ: احذرِ السُّمَّ لا يسقيكَهُ الأعاجِمُ! فقالَ: ائتوني بهِ فأُتِيَ بهِ فأخذهُ بيدِهِ ، ثمَّ اقتحمَهُ وقالَ بسمِ اللَّهِ. فلم يضرَّه. بَعَثَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ إلى بَنِي جَذِيمَةَ ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أنْ يقولوا أسْلَمْنَا ، فَقالوا: صَبَأْنَا صَبَأْنَا ، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ ويَأْسِرُ ، ودَفَعَ إلى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أسِيرَهُ ، فأمَرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنَّا أنْ يَقْتُلَ أسِيرَهُ ، فَقُلْتُ: واللَّهِ لا أقْتُلُ أسِيرِي ، ولَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِن أصْحَابِي أسِيرَهُ ، فَذَكَرْنَا ذلكَ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: اللَّهُمَّ إنِّي أبْرَأُ إلَيْكَ ممَّا صَنَعَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ مَرَّتَيْنِ. قَتَلَ رَجُلٌ من حِمْيَرَ رَجُلًا مِنَ العَدُوِّ ، فأرَادَ سَلَبَهُ ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ ، وكانَ وَالِيًا عليهم ، فأتَى رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ عَوْفُ بنُ مَالِكٍ ، فأخْبَرَهُ ، فَقالَ لِخَالِدٍ: ما مَنَعَكَ أنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ؟ قالَ: اسْتَكْثَرْتُهُ يا رَسولَ اللهِ ، قالَ: ادْفَعْهُ إلَيْهِ ، فَمَرَّ خَالِدٌ بعَوْفٍ ، فَجَرَّ بردَائِهِ ، ثُمَّ قالَ: هلْ أنْجَزْتُ لكَ ما ذَكَرْتُ لكَ مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ، فَسَمِعَهُ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَاسْتُغْضِبَ ، فَقالَ: لا تُعْطِهِ يا خَالِدُ ، لا تُعْطِهِ يا خَالِدُ ، هلْ أنْتُمْ تَارِكُونَ لي أُمَرَائِي؟ إنَّما مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إبِلًا أَوْ غَنَمًا ، فَرَعَاهَا ، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا ، فأوْرَدَهَا حَوْضًا ، فَشَرِعَتْ فيه فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ ، وَتَرَكَتْ كَدَرَهُ ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ ، وَكَدَرُهُ عليهم. لطم ابنُ عمِّ خالدِ بنِ الوليدِ رجلًا منَّا ، فخاصمه عمُّه إلى خالدٍ فقال: يا معشرَ قريشٍ إن اللهَ عزَّ وجلَّ لم يجعلْ لوجوهِكم فضلًا على وجوهِنا ، إلا ما فضَّل اللهُ به نبيَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم! فقال خالدُ بنُ الوليدِ: اقتصَّ! فقال الرجلُ لابنِ أخيه ، فلما رفع يدَه قال: دَعْها للهِ عزَّ وجلَّ. قال خالدُ بنُ الوليدِ لقد منَعَني كثيرًا مِنَ القراءةِ الجهادُ في سبيلِ اللهِ. فمن خالد بن الوليد وما قصته وما دوره في إظهار الإسلام والتمكين له؟ جاء في (الويكيبيديا) ما نصه بتصرف كبير: (أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي (30 ق.هـ - 21 هـ / 592 - 642 م) ، هو صحابي وقائد عسكري مسلم ، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول. اشتهر بعبقرية تخطيطه العسكري وبراعته في قيادة جيوش المسلمين في حروب الردة وفتح العراق والشام ، في عهد خليفتي الرسول أبي بكر وعمر في غضون عدة سنوات من عام 632 حتى عام 636. يعد أحد قادة الجيوش القلائل في التاريخ الذين لم يهزموا في

معركة طوال حياتهم ، فهو لم يهزم في أكثر من مائة معركة أمام قوات متفوقة عدديًا من الإمبراطورية الرومانية البيزنطية والإمبراطورية الساسانية الفارسية وحلفائهم ، بالإضافة إلى العديد من القبائل العربية الأخرى. اشتهر خالد بانتصاراته الحاسمة في معارك اليمامة وأُلّيس والفراض ، وتكتيكاته التي استخدمها في معركتي الولجة واليرموك. لعب خالد بن الوليد دورًا حيويًا في انتصار قريش على قوات المسلمين في غزوة أحد قبل إسلامه ، كما شارك ضمن صفوف الأحزاب في غزوة الخندق. ومع ذلك ، اعتنق خالد الدين الإسلامي بعد صلح الحديبية ، شارك في حملات مختلفة في عهد الرسول ، أهمها غزوة مؤتة وفتح مكة. وفي عام 638 ، وهو في أوج انتصاراته العسكرية ، عزله الخليفة عمر بن الخطاب من قيادة الجيوش لأنه خاف أن يفتتن الناس به ، فصار خالد بن الوليد في جيش الصحابي أبو عبيدة عامر بن الجراح وأحد مقدميه ، ثم انتقل إلى حمص حيث عاش لأقل من أربع سنوات حتى وفاته ودفنه بها. فمن خالد؟ ومن أبوه؟ ومن أمه؟ ومن قومه؟ وما قبيلته؟ وماذا عن مسيرة حياته قبل وبعد إسلامه؟ إنه: خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، المكنّى بأبي سليمان ، وقيل: أبو الوليد. يلتقي في النسب مع الرسول في مُرة بن كعب الجد السادس للرسول. وأما أبوه: فهو الوليد بن المغيرة سيد بني مخزوم أحد بطون قريش ، رفيع النسب والمكانة حتى أنه كان يرفض أن توقد نارٌ غير ناره لإطعام الناس ، خاصة في مواسم الحج وسوق عكاظ ، وأحد أغنى أغنياء مكة في عصره ، حتى أنه سمّي "بالوحيد" و"بريحانة قريش" ، لأن قريشاً كانت تكسو الكعبة عامًا ويكسوها الوليد وحده عامًا. وأما أمه: فهي لبابة الصغرى بنت الحارث الهلالية من بني هلال بن عامر بن صعصعة من هوازن ، وهي تلتقي في النسب مع الرسول في مُضر بن نزار الجد السابع عشر للرسول. وإذن فخالد وأبوه وأمه يعتبرون أبناء عمومة بعيدة للنبي – صلى الله عليه وسلم -! وأما جده لأبيه: فهو المغيرة بن عبد الله سيد بني مخزوم ، الذي كان الرجل من بني مخزوم يؤثر الانتساب إليه تشرفًا ، والذي كان له من الأبناء الكثير ، أشهرهم الوليد أبو خالد. وأما جدته لأمه: فهي فاختة بنت عامر بن مُعَتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصفة بن قيس عيلان بن مضر ، وعمها هو مسعود بن معتب قائد ثقيف وقيس عيلان في حرب الفجار ، وابن عمها هو الصحابي عروة بن مسعود الثقفي. وفيه نزلت: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)! وأما إخوته: فهم ستة إخوة وقيل تسعة بين ذكور وإناث ، منهم الصحابيان الوليد بن الوليد وهشام بن الوليد ، إضافة إلى عمارة بن الوليد الذي عرضته قريش بدلاً على أبي طالب ليسلمهم محمدًا ، وهو ما رفضه أبو طالب. وأما قبيلته: فبنو مخزوم ، وهي البطن الذي كان له أمر القبة التي كانت تضرب ليجمع فيها ما يجهّز به الجيش ، وأعنة الخيل وهي قيادة الفرسان في حروب قريش. وكان لمخزوم عظيم الأثر في قريش ، فقد كانوا في ثروتهم وعدتهم وبأسهم من أقوى بطون قريش ، وهو ما كان له أثره في اضطلاعهم وحدهم ببناء ربع الكعبة بين الركنين الأسود واليماني ، واشتركت قريش كلها في بناء بقية الأركان ، وقد اشتهر منهم الكثير في الجاهلية والإسلام ، ومنهم الشاعر عمر بن أبي ربيعة والتابعي سعيد بن المسيب. ووفقًا لعادة أشراف قريش ، أرسل خالد إلى الصحراء ، ليربّى على يدي مرضعة ويشب صحيحًا في جو الصحراء. وهو ما حدث للنبي – صلى الله عليه وسلم عندما تربي في بادية بني

سعد! وقد عاد لوالديه وهو في سن الخامسة أو السادسة. مرض خالد خلال طفولته مرضًا خفيفًا بالجدري ، لكنه ترك بعض الندبات على خده الأيسر. وتعلم خالد الفروسية كغيره من أبناء الأشراف ، ولكنه أبدى نبوغًا ومهارة في الفروسية منذ وقت مبكر ، وتميز على جميع أقرانه ، فكان خالد صاحب قوة مفرطة كما عُرف بالشجاعة والجَلَد والإقدام ، والمهارة وخفة الحركة في الكرّ والفرّ. واستطاع "خالد" أن يثبت وجوده في ميادين القتال ، وأظهر من فنون الفروسية والبراعة في القتال ما جعله من أفضل فرسان عصره. كان خالد طويلاً بائن الطول ، عظيم الجسم والهامة ، يميل إلى البياض ، كث اللحية ، شديد الشبه بعمر بن الخطاب ، حتى أن ضعاف النظر كانوا يخلطون بينهما. لا يعرف الكثير عن خالد خلال فترة الدعوة للإسلام في مكة. وبعد هجرة الرسول من مكة إلى المدينة المنورة ، دارت العديد من المعارك بين المسلمين وقريش. لم يخض خالد غزوة بدر أولى المعارك الكبرى بين الفريقين ، والتي وقع فيها شقيقه الوليد أسيرًا في أيدي المسلمين. وذهب خالد وشقيقه هشام لفداء الوليد في يثرب ، إلا أنه وبعد فترة قصيرة من فدائه ، أسلم الوليد وهرب إلى يثرب. كانت غزوة أحد أولى معارك خالد في الصراع بين القوتين ، والتي تولى فيها قيادة ميمنة القرشيين. لعب خالد دورًا حيويًا لصالح القرشيين ، فقد استطاع تحويل دفة المعركة ، بعدما استغل خطأ رماة المسلمين ، عندما تركوا جبل الرماة لجمع الغنائم بعد تفوق المسلمين في بداية المعركة. انتهز خالد ذلك الخطأ ليلتف حول جبل الرماة ويهاجم بفرسانه مؤخرة جيش المسلمين ، مما جعل الدائرة تدور على المسلمين ، وتحوّلت هزيمة القرشيين إلى نصر. شارك خالد أيضًا في صفوف الأحزاب في غزوة الخندق ، وقد تولى هو وعمرو بن العاص تأمين مؤخرة الجيش في مائتي فارس ، خوفًا من أن يتعقبهم المسلمون. كما كان على رأس فرسان قريش الذين أرادوا أن يحولوا بين المسلمين ومكة في غزوة الحديبية. بينما كان المسلمون في مكة لأداء عمرة القضاء في العام السابع الهجري ، وفقًا للاتفاق الذي أبرم في صلح الحديبية ، أرسل الرسول إلى الوليد بن الوليد ، وسأله عن خالد ، قائلاً له: «ما مثل خالد يجهل الإسلام ، ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين على المشركين كان خيرًا له ، ولقدمناه على غيره.» أرسل الوليد إلى خالد برسالة يدعوه فيها للإسلام إدراكاً لما فاته. وافق ذلك الأمر هوى خالد ، فعرض على صفوان بن أمية ثم على عكرمة بن أبي جهل الانضمام إليه في رحلته إلى يثرب ليعلن إسلامه ، إلا أنهما رفضا ذلك. ثم عرض الأمر على عثمان بن طلحة العبدري ، فوافقه إلى ذلك. وبينما هما في طريقهما إلى يثرب ، التقيا عمرو بن العاص مهاجرًا ليعلن إسلامه ، فدخل ثلاثتهم يثرب في صفر عام 8 هـ معلنين إسلامهم ، وحينها قال الرسول: "إن مكة قد ألقت إلينا أفلاذ كبدها". فلما وصل المدينة المنورة ، قصّ خالد على أبي بكر رؤيا رآها في منامه ، كأنه في بلاد ضيقة مجدبة ، فخرج إلى بلاد خضراء واسعة ، ففسرها له أبو بكر: "مخرجك الذي هداك الله للإسلام ، والضيق الذي كنت فيه من الشرك". وفي عام 8 هـ ، وجّه الرسول جيشًا لقتال الغساسنة ، بعد أن اعترض شرحبيل بن عمرو الغساني عامل قيصر الروم على البلقاء الحارث بن عمير الأزدي رسول الرسول محمد إلى صاحب بصرى ، وقتله. انضم خالد حديث العهد بالإسلام إلى ذلك الجيش ذي الثلاث آلاف مقاتل. اختار النبي زيد بن حارثة لقيادة الجيش ، على أن يخلفه جعفر بن أبي طالب إن قتل ، ثم عبد الله بن رواحة إن قتل جعفر ، وإن قتل الثلاثة يختار المسلمون قائدًا من بينهم. وعند وصول الجيش إلى مؤتة ، وجد المسلمون أنفسهم أمام جيش من مائتي ألف مقاتل نصفهم من الروم والنصف الآخر من الغساسنة. فوجئ المسلمون

بالموقف ، وأقاموا لليلتين في معان يتشاورون أمرهم. أشار البعض بأن يرسلوا للرسول ليشرحوا له الموقف ، وينتظروا إما المدد أو الأوامر الجديدة. عارض ابن رواحة ذلك ، وأقنع المسلمين بالقتال. بدأت المعركة ، وواجه المسلمون موقفًا عصيبًا ، حيث قتل القادة الثلاثة على التوالي ، عندئذ اختار المسلمون خالدًا ليقودهم في المعركة. صمد الجيش بقية اليوم ، وفي الليل نقل خالد ميمنة جيشه إلى الميسرة ، والميسرة إلى الميمنة ، وجعل مقدمته موضع الساقة ، والساقة موضع المقدمة. ثم أمر طائفة بأن تثير الغبار ويكثرون الجلبة خلف الجيش حتى الصباح. وفي الصباح ، فوجئ جيش الروم والغساسنة بتغيّر الوجوه والأعلام عن تلك التي واجهوها بالأمس ، إضافة إلى الجلبة ، فظنوا أن مددًا قد جاء للمسلمين. عندئذ أمر بالانسحاب وخشي الروم أن يلاحقوهم ، خوفًاً من أن يكون الانسحاب مكيدة. وبذلك ، نجح خالد في أن يحفظ الجيش من إبادة شاملة. حارب خالد ببسالة في غزوة مؤتة ، وكسرت في يده يومئذ تسعة أسياف. وبعد أن عاد إلى يثرب ، أثنى عليه الرسول ولقّبه بسيف الله المسلول. وبعد شهور ، نقضت قريش أحد شروط الصلح ، عندما هاجم بكر بن مناة بن كنانة حلفاء قريش بني خزاعة حلفاء الرسول. عندئذ توجه الرسول في جيش من عشرة آلاف مقاتل إلى مكة ، وقسم الجيش إلى أربعة أقسام تولى بنفسه قيادة أحدها وأمّر الزبير بن العوام وسعد بن عبادة وخالد بن الوليد على الثلاثة الأخرى ، وأمرهم أن يدخلوا مكة كلّ من باب. فدخلوها كل من الباب الموكل إليه ، ولم يلق أحدهم قتالاً إلا كتيبة خالد ، حيث قاتله عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية في جند جمعوه لقتال المسلمين ، واستطاع خالد أن يظفر بهم ، وقتل منهم عددًا. ثم أرسله الرسول في سرية من ثلاثين فارسًا لهدم العزى صنم جميع بني كنانة ، فهدمها ثم رجع إلى الرسول ، فأخبره فسأله الرسول إن كان قد رأى شيئًا ، فرد بالنفي ، فطلب منه الرسول أن يعود لأنه لم يهدمها. فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه ، فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس ، فضربها خالد فشقها نصفين ورجع إلى الرسول. فأخبره فقال: "نعم تلك العزى ، وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبدا!". وكان موضع العزى ومقر عبادتها في شِعب يعرف بشعب سُقام إلى الشمال الشرقي من مكة اتخذه المشركون حمىً لها. وأما عن سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، فإنه بعد الفتح ، أرسل الرسول السرايا لدعوة القبائل إلى الإسلام ، فأرسل خالد بن الوليد قائدًا على 350 من المهاجرين والأنصار وبني سليم في سرية إلى "بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة" ، ولم يأمره بقتال. وهنا كانت أول زلّات خالد حيث قاتلهم ، وأصاب منهم ، رغم معارضة من كان معه من الصحابة ، ومنه سالم مولى أبي حذيفة وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، فلما وصل الخبر إلى الرسول رفع يديه إلى السماء ثم قال: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد". وأرسل الرسول عليًا إلى بني جذيمة ، لدفع ديّة قتلاهم. ورغم هذا الخطأ ، أشركه الرسول بعد ذلك في غزوة حنين ، حيث جعله الرسول يومئذ قائدًا على بني سليم ، وأصيب يومها إصابات بليغة. كما شارك خالد أيضًا في غزوة تبوك تحت قيادة الرسول ، ومن هناك أرسله الرسول في سرية إلى دومة الجندل ، فدخلها وأسر صاحبها أكيدر بن عبد الملك الذي صالحه الرسول على الجزية ، وهدم صنمهم "وُدّ". في عام 10 هـ ، بعث الرسول خالد بن الوليد في شهر ربيع الأول في سرية من أربعمائة مقاتل إلى بني الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثًا ، فإن استجابوا له يقبل منهم ويقيم فيهم ويعلمهم دينهم ، وإن لم يفعلوا يقاتلهم. لبّى بنو الحارث بن كعب النداء وأسلموا ، فأقام خالد

فيهم يعلمهم الإسلام. ثم كتب خالد إلى الرسول بذلك ، فأمره أن يقيم فيهم يعلمهم ، ثم ليقبل معه وفدهم ، فوفدوا عليه يعلنون إسلامهم. وبعد وفاة الرسول ، انتقضت معظم القبائل العربية عدا أهل مكة والطائف والقبائل المجاورة لمكة والمدينة والطائف على خلافة أبي بكر الخليفة الجديد للمسلمين. اختلفت أسباب الانتقاض ، فمنهم من ارتد عن الإسلام ، ومنهم من ظل على دين الإسلام مع رفضهم أداء فريضة الزكاة ، ومنهم من التف حول مدعي النبوة في القبائل العربية. استغل مانعو الزكاة من قبائل عبس وذبيان وغطفان خروج بعث أسامة بن زيد الذي كان قد أوصى به الرسول قبل وفاته ، وحاولوا مهاجمة المدينة. وبعد أن استطاع الخليفة أبو بكر الصديق صد الهجوم ، وإرساله من يطارد فلول المنهزمين ، عقد أبو بكر أحد عشر لواءً لمحاربة المرتدين ومانعي الزكاة في جميع أرجاء جزيرة العرب. أمّر أبو بكر خالد بن الوليد على أحد تلك الجيوش قوامه 4,000 مقاتل ، ووجهه إلى إخضاع طيئ ثم محاربة مدعي النبوة طليحة بن خويلد وقبيلته بني أسد ، ثم التوجه لإخضاع بني تميم. إلا أنه وقبل أن يتحرك الجيش ، وصل عدي بن حاتم الطائي بأموال زكاة طيىء ، لتنضم بذلك طيىء لجيش خالد. اجتمعت قبائل أسد وفزارة وسليم وفلول عبس وذبيان وبكر حول طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة. توجه إليهم خالد بجيشه ، واشتبك معهم في بُزاخة ، وهزمهم وفرّ طليحة إلى الشام. أمر خالد بعد ذلك بمطاردة فلول المنهزمين ، ثم أمر بإحراق الأسرى بالنيران ونكّل بهم ، وأرسل رؤساءهم مكبّلين بالأصفاد إلى الخليفة لينظر ماذا يفعل بهم ، لما ألحقوا بمن بقوا على دينهم من أذى ، وليكون ذلك ردعًا لمن سيلقاه بعد ذلك. التفت الفلول حول أم زمل التي كانت لها ثارات عند المسلمين ، فقد قتل زيد بن حارثة أمها أم قرفة في سريته إلى بني فزارة ، لتحريضها قومها على قتال المسلمين. فقاتلهم خالد في معركة كبيرة في ظفر ، وهزمهم وقتل أم زمل. وتوجه خالد بعد ذلك بجيشه إلى بني تميم. لم تكن بنو تميم على موقف واحد ، فمنهم بطون إيتاء الزكاة وإتباع خليفة رسول الله ، ومنهم من رأى عكس ذلك ، وبقي فريق ثالث في حيرة من أمرهم. فلما وصل جيش خالد البطاح وهي منزل بنو يربوع ، لم يجد بها أحدًا. كان سيدهم مالك بن نويرة ممن كانوا تحيروا في أمرهم ، وكان قد أمر قومه بأن يتفرقوا. بثّ خالد السرايا ، وأمرهم بأن يأتوه بكل من لم يجب داعية الإسلام ، وإن امتنع أن يقتلوه. وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذّنوا إذا نزلوا منزلاً ، فإن أذن القوم فكفوا عنهم وإن لم يؤذنوا فاقتلوا ، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم عن الزكاة ، فإن أقروا فاقبلوا منهم وإن أبوا فقاتلوهم. عندئذ ، جاءه الجند بمالك بن نويرة في جماعة من قومه ، اختلفت السرية فيهم ، فشهد أبو قتادة الأنصاري أنهم أقاموا الصلاة ، وقال آخرون: إنهم لم يؤذنوا ولم يصلوا. تم أسر مالك ابن النويرة وجيء به إلى خالد ، أمر خالد بقتل ابن نويرة ، واختلف الرواة في سبب قتل خالد مالكًا ، فمنهم من قال أن الأسرى قتلوا لأن الليلة كانت باردة ، وقد أمر خالد بأن يدفئوا الأسرى ، وكانت تعني في لغة كنانة القتل ، فقتلهم الحراس. ومنهم من قال أنه دارت بين خالد ومالك حوارًا استنتج منه خالد أن مالكًا ينكر الزكاة ، بعدما قال الأخير: "أنا آتي بالصلاة دون الزكاة" ، ليرد خالد ويقول: "أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً؟ لا تُقبل واحدة دون الأخرى؟"، فقال له ابن النويرة: "قد كان صاحبكم يقول ذلك" ولم يقل نبي الله أو رسول الله ، فرد عليه خالد: "أوما تراه صاحباً لك! والله لقد هممت أن أضرب عنقك بهذه الكلمة" ، فقال ابن النويرة: "أوبذلك أمرك صاحبك؟" ليتضح لخالد بأن مالك ابن النويرة مرتد فعلاً ، وذلك بتحذيره عدة مرات قبل أن يقوم بقتله بأن يدفع الزكاة وبأن لا يسمي النبي بهذه الصيغة

التي تبين ردته عن الإسلام ، إلى أن مالك أبى بكلا الأمرين ، فقتله ضرار ابن الأزور بأمر من خالد. وفي نفس ليلة مقتل مالك ، تزوج من أم تميم ليلى بنت المنهال زوجة مالك على أنها سبية ، والسبي كان من الأمور المتعارف عليها في الحروب عند المسلمين والكفار ، وهذا الزواج أنكره العديد من الصحابة ، حتى أن أبا قتادة ترك الجيش وعاد إلى المدينة بسبب خلاف مع خالد ، مقسمًا ألا يجمعه لواء مع خالد بن الوليد. استنكر الصحابة في المدينة فعل خالد ، وأرسل أبو بكر في طلب خالد. كان عمر بن الخطاب ممن أغضبه فعل خالد ، حتى أنه طلب من الخليفة أن يعزل هذا الأخير ، إلا أن أبا بكر رفض ذلك ، قائلاً: "ما كنت لأشيم سيفًا سلّه الله على الكافرين". عنّف أبو بكر خالدًا على فعله ، ثم صرفه إلى جيشه ، وودي مالكًا وردّ سبي بني يربوع. وكان شعار «يَا مُحمّدَاه» شعار المسلمين الذي جعل ينادي به خالد بن الوليد في معركة اليمامة. فلقد ادعى مسيلمة بن حبيب النبوة ، واستطاع أن يجمع حوله أربعين ألفًا من قومه بني حنيفة وغيرهم ، ممن أقروا بنبوته. وكان في شهادة "الرجَّال بن عنفوة" الذي كان الرسول قد بعثه مع وفد بني حنيفة ، حين وفدوا عليه ليعلنوا إسلامهم في عام الوفود ليعلمهم الدين ، بأن محمدًا قد أشركه في النبوة ، أكبر الدعم له في ادعائه ، مما زاد من خطورة فتنته على المسلمين. لذا ، فقد وجّه له أبو بكر لواءً بقيادة عكرمة بن أبي جهل ، ثم أردفه بلواء آخر بقيادة شرحبيل بن حسنة. تسرّع عكرمة في قراره بمواجهة جيش مسيلمة وحده قبل أن يدركه جيش شرحبيل بن حسنة ، مما عرّضه لهزيمة نكراء. حين وصل شرحبيل بجيشه ، أدرك صعوبة الموقف ، لذا أرسل للخليفة ليُعلمه بما كان. حينئذ ، كان خالد قد فرغ من أمر بني تميم ، فأمره أبو بكر بالتوجه من البطاح إلى اليمامة ، لقتال مسيلمة الكذاب متنبي بني حنيفة. حين وصل خالد بجيشه إلى ثنية اليمامة ، أدرك جيشه سرية من بني حنيفة ، فأمر بقتلهم واستبقى رئيسهم مجاعة بن مرارة ، لعله يخلُص منه بما ينفعه ، وقيّده بالحديد في خيمته ، وجعل على حراسته زوجته أم تميم. نزل مسيلمة بجيشه في عقرباء على أطراف اليمامة. ثم التقى الجمعان وكانت الغلبة في البداية لبني حنيفة ، فتراجع المسلمون حتى دخلوا فسطاط خالد ، وكادوا أن يبطشوا بأم تميم لولا أن أجارها مجاعة بن مرارة ، لما وجد منها من حسن معاملة. حينئذ ، ثارت الحمية في قلوب المسلمين ، فأظهر المهاجرون والأنصار بطولاتٍ قلبت دفة المعركة لصالحهم ، فتقهقرت بنو حنيفة يحتمون بحديقة مسوّرة منيعة الجدران تسمى بـ "حديقة الرحمن". أدرك المسلمون أنهم إن لم يسرعوا بالظفر بهم ، فقد يطول الحصار ، فطلب البراء بن مالك من رفقائه أن يحملوه ليتسوّر الحديقة وتبعه بعض زملائه ، واستطاعوا فتح باب الحديقة ، وأعمل المسلمون القتل في بني حنيفة ، وقتل وحشي بن حرب مسيلمة ، مما فتّ في عضد بني حنيفة. ومن يومها ، أصبحت الحديقة تسمى "بحديقة الموت". وبعد أن انتهت المعركة تحرك خالد بجيشه ، ليفتح حصون اليمامة ، وكان خالد قد وثق بمجاعة لإجارته لأم تميم. وكان مجاعة قد أرسل للحصون التي لم يكن بها سوى النساء والأطفال والشيوخ ومن لا يستطيعون القتال بأن يلبسوا الدروع. أقنع مجاعة خالدًا بأن الحصون مملوءة بالرجال ، ونظر خالد فوجد جيشه قد أنهكته الحروب ، وقتل منه الكثير حتى أنه قُدر قتلى المسلمون يوم اليمامة بمائتين وألف منهم 360 من المهاجرين والأنصار ، لذا رأى خالد أن يصالحهم على أن يحتفظ المسلمون بنصف السبي والغنائم. عندئذ طلب منه مجاعة أن يذهب ليعرض على قومه الأمر ، ثم عاد زاعمًا بأنهم لم يقبلوا العرض ، فخفّضه خالد إلى الربع. وحين دخل المسلمون الحصون ، لم يجد المسلمون سوى النساء والأطفال والعجزة ، غضب خالد لخداعه ، إلا أنه

وجدها شجاعة من مجاعة ، استطاع بها أن يحفظ بها من بقي من قومه ، فأجاز الصلح. وبعد أن تم لخالد النصر ، طلب من مجاعة أن يزوجه ابنته ، فلبّى مجاعة طلبه. تسبب ذلك في إثارة غضب الخليفة وكبار الصحابة ، لأنه لم يختر الوقت المناسب لذلك ، فقد كانت المدينة في حالة حزن على فقدانهم لألف ومائتي شهيد بينهم 39 من حفظة القرآن الكريم ، وهو ما استدعى جمعهم للقرآن. أرسل أبو بكر لخالد فعنّفه أشد مما عنفه يوم زواجه من أم تميم ، فتألم خالد لغضب أبي بكر. بعد اليمامة ، انتهت مهمة خالد في حروب الردة ، فاتخذ له بيتًا في أحد أودية اليمامة عاش فيه مع زوجتيه. ومع انتهاء حروب الردة ، بلغ أبا بكر أن المثنى بن حارثة الشيباني ورجال من قومه أغاروا على تخوم فارس حتى بلغ مصب دجلة والفرات ، فسأل عنه فأثنى عليه الصحابة. ولم يلبث أن أقبل المثنى على المدينة ، طالبًا منه أن يستعمله على من أسلم من قومه ، فأقر له أبو بكر بذلك. رأى أبو بكر بأن يمدّ المثنى بمدد ليتابع غزواته ، لذا أمر خالد بأن يجمع جنده في اليمامة ، وألا يستكره أحدًا منهم ، ويتوجه إلى العراق. كما أمر عياض بن غنم بأن يتوجه إلى دومة الجندل ليخضع أهلها ، ثم يتوجه إلى الحيرة ، وأيهما بلغ الحيرة أولاً تكون له القيادة. وجد خالد أن جيشه قد قلّ عدده ، فطلب المدد من الخليفة ، فأمدّه بالقعقاع بن عمرو التميمي. تعجّب الناس من هذا المدد ، فقال لهم أبو بكر: "لا يُهزم جيش فيه مثل هذا". وأدرك خالد المثنى قبل أن يصل إليه عياض بعشرة آلاف مقاتل ، لينضم إليه ثمانية آلاف مقاتل هم جند المثنى. كانت أول معارك خالد في العراق أمام جيش فارسي بقيادة "هرمز" في معركة ذات السلاسل. في بداية المعركة ، طالب هرمز أن يبارز خالد ، وكان قد دبّر مكيدة بأن يتكاتل عليه جنده فيقتلوه ، فيفتّ ذلك في عضد المسلمين فينهزموا. لم يعط هرمز خالد قدره ، فقد قتله خالد قبل أن تكتمل المكيدة ، وأدرك القعقاع جند الفرس قبل أن يغدروا بخالد ، ليثبت بذلك للمسلمين صحة وجهة نظر الخليفة فيه. بعد ذلك ، شدّ المسلمون على الفرس وهزموهم ، وأمر خالد المثنى بمطاردة الفلول. استمر المثنى يطارد الفلول ، إلى أن ترامى إلى أذنه زحف جيش آخر بقيادة "قارن بن قريانس" ، فأرسل إلى خالد ، فلحقه خالد بالجيش ، والتحم الجيشان وللمرة الثانية يهزم جيش خالد جيشًا فارسيًا ويقتل قادته في معركة عرفت بمعركة المذار. وأدرك الفرس صعوبة موقفهم ، فقرروا أن يستعينوا بأوليائهم من العرب من بني بكر بن وائل ، والتقى الجيشان في معركة الولجة ، والتي استخدم فيها خالد نسخة مطورة من تكتيك الكماشة ، حيث استخدم مجموعتين من الجند ليكمنوا للفرس. استثارت الهزيمة غضب الفرس وأولياءهم من العرب ، فاجتمعوا في أُلّيس بجيش عظيم ، واشتبك معهم جيش المسلمين في معركة عظيمة تأرجحت وطالت بين الفريقين ، فتوجه خالد بالدعاء إلى ربه ، ونذر أن يجري النهر بدماء أعدائه إن انتصر المسلمون. وفي النهاية ، انتصر المسلمون وفر الفرس والعرب ، وأمر خالد بأسرهم ، ليبرّ بنذره. ثم أمر بحبس النهر ، وضرب رقاب الأسرى ثم أجرى النهر فتحوّل دمًا. وكانت الخطوة التالية لتأمين النصر هي فتح الحيرة عاصمة العراق العربي ، فتوجه بجيشه إليها وحاصرها ، ولما لم يجدوا مهربًا قبلوا بأن يؤدوا الجزية. وبعد أن أراح جيشه ، سار خالد على تعبئته إلى الأنبار وعلى مقدمته الأقرع بن حابس ، فحاصرها وقد تحصن أهل الأنبار وخندقوا حولهم ، فطاف خالد بالخندق بحثًا عن أضيق مكان فيه ، ثم أمر بنحر ضعاف الإبل وإلقائها في ذلك الموضع ، وعبر عليها جيشه ففتح بذلك الحصن. اتجه خالد بعد ذلك إلى عين التمر ، حيث واجه جيشًا من الفرس والعرب من قبائل بني النمر بن قاسط وتغلب وإياد بقيادة "عقة بن أبي عقة" في معركة عين التمر

وانتصر عليهم ، وبذلك أصبح معظم العراق العربي تحت سيطرة المسلمين. وكان عياض بن غنم ما زال في حربه في دومة الجندل منذ بعثه الخليفة لقتالهم ، حيث طال حصاره لعام ولم يظفر بهم. يأس الخليفة من الموقف ، فأمده بالوليد بن عقبة ، وحين وصل إليه الوليد أيقن صعوبة موقف عياض ، فأشار عليه بأن يرسل إلى خالد بن الوليد يستنصره. لم يتردد عياض فأرسل لخالد ، وكان قد همّ بالرحيل عن عين التمر. لذا، فقد توجه خالد إليه بجيشه ، فجعل دومة بينه وبين جند عياض ، ونجح في افتضاض الحصن في معركة دومة الجندل. انتهز أهل العراق فرصة غياب خالد ، فثاروا على الحاميات الإسلامية ، ووصل الخبر لخالد في دومة الجندل ، فلم يطق البقاء وعاد واستطاع اخضاعهم مرة أخرى في معارك المصّيخ والثني والزميل. وواصل خالد زحفه شمالاً حتى بلغ الفراض ، وهي موقع على تخوم العراق والشام ، وأقام فيها شهرًا لا يفصله عن الروم سوى مجرى الفرات. أرسل قائد الروم لخالد يطالبه بالاستسلام ، إلا أن خالد قال له أنه ينتظره في أرض المعركة. ثم بعث إليه الروم يخيرونه إما أن يعبر إليهم أو يعبروا إليه ، فطالبهم بالعبور. استغل خالد عبور الروم إليه ، وحاصرهم بجناحيه مستغلاً وجود النهر خلفهم ، وهزمهم هزيمة ساحقة. كانت معركة الفراض آخر معارك خالد بن الوليد في العراق. أمر خالد جيشه بالعودة إلى الحيرة ، وقرر أن يؤدي فريضة الحج في سرّية تامة دون حتى أن يستأذن الخليفة. وبعد أن أتم حجه علم الخليفة فلامه ونهاه عن تكرار فعله مرة أخرى. وبعد أن افتتح المسلمون دومة الجندل ، أصبح الطريق ممهدًا للتحرك لغزو الشام. أرسل خالد بن سعيد قائد المسلمين على تخوم الشام إلى أبي بكر يستأذنه في منازلة الروم. وبعد أن استشار أبو بكر أهل الرأي ، شجّعته انتصارات المسلمين في العراق على الإقدام على خطوة مشابهة في الشام ، فأذن لخالد بن سعيد. لم يحالف الحظ جيش خالد بن سعيد بعد أن نجح الروم في استدراجه وهزموا جيشه ، وفر في كتيبة من جنده بعد مقتل ابنه ، تاركًا عكرمة يتقهقر بالجيش. لم يُضعف ذلك من عزم الخليفة ، فوجّه أربعة جيوش دفعة واحدة إلى الشام ، بقيادة أبي عبيدة الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص ووجه كل منهم لوجهة مختلفة ، إلا أن الروم جيّشوا لهم في كل موضع جيوشًا تفوقهم عددًا. وجد القادة أنهم إن قاتلوا منفردين فسيهزمون لا محالة ، لذا أرسل أبو عبيدة إلى أبي بكر يطلب المدد. ضاق أبو بكر بالموقف ، فقرر أن يرسل إلى خالد بن الوليد يأمره أن يستخلف المثنى بن حارثة الشيباني في نصف الجند ، ويسير بالنصف الآخر إلى الشام ليمدّ جيوش المسلمين. ضاق خالد بالأمر ، إذ كان يرجو أن يظل بالعراق حتى يفتح المدائن ، إلا أنه امتثل للأمر. وكان أمام خالد طريقان للوصول لقوات المسلمين في الشام ، الأول عبر دومة الجندل ، والثاني يمر بالرقة. ولما كانت حاجة قوات المسلمين في الشام ملحّة لمدده ، تجنب خالد طريق دومة الجندل لطوله ، وقد استغرق أسابيع للوصول إلى الشام. كما قرر أن يتجنب الطريق الآخر لأنه سيمر على الحاميات الرومانية في شمال الشام. اختيار خالد طريقًا وعرًا لكنه أقصر عبر بادية الشام. اتخذ خالد من "رافع بن عميرة الطائي" دليلاً له حيث نصحهم بالاستكثار من الماء ، لأنهم سيسيرون لخمس ليال دون أن يردوا بئرًا. استخدم خالد بطون الإبل لتخزين الماء لشرب الجياد ، وبذلك نجح خالد في اجتياز بادية الشام في أقصر وقت ممكن. ثم أخضع الغساسنة بعد أن قاتلهم في مرج راهط ، ومنها انحدر إلى بصرى ففتحها. وعندئذ جاءته الأنباء بأن جيشًا روميّا قد احتشد في أجنادين ، فأمر خالد جيشه بالتوجه إلى أجنادين ، وراسل قادة الجيوش الأخرى بموافاته في أجنادين. ولما تم اجتماعهم هناك ، جعل

أبو عبيدة بن الجراح على المشاة في القلب ، ومعاذ بن جبل على الميمنة ، سعيد بن عامر بن جذيم القرشي على الميسرة ، وسعيد بن زيد على الخيل. بدأت المعركة بمهاجمة ميسرة الروم لميمنة المسلمين ، ولكن معاذ بن جبل ورجاله صمدوا أمام الهجوم ، ثم شنت ميمنة الروم هجومًا على ميسرة المسلمين ، فثبتوا كذلك. عند ذلك أمر قائد الروم برمي الأسهم ، عندئذ بدأ هجوم المسلمين ، واستبسلوا ففر الروم منهزمين. ثم بلغ خالداً أن الروم قد حشدوا جيشًا آخر يشرف على 240 ألف جندي في اليرموك، فتوجهت جيوش المسلمين إليهم. وأظهر خالد أحد تكتيكاته الجديدة، فقسم جيشه فرقًا كل منها ألف رجل، وجعل على ميمنته عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان، وعلى القلب أبا عبيدة، وجعل على رأس كل فرقة بطلاً من أبطال المسلمين أمثال القعقاع وعكرمة وصفوان بن أمية. ثم رسم خالد خطة لاستدراج الروم بعيدًا عن مواقعهم التي حفروا أمامها الخنادق فكلف عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو التميمي الهجوم بفرقتيهما فجرًا حتى يبلغا خنادق الروم وبعد ذلك يتظاهران بالانهزام ويتقهقران. ونفذ القائدان المهمة بنجاح، فلما رآهم الروم يتراجعون، هاجموهم . وأظهر المسلمون بسالة في القتال الذي استمر إلى الغروب. وأخيرًا تمكن المسلمون من الفصل بين فرسان الروم ومشاتهم، فأمر خالد بمحاصرة الفرسان. فلما ضاق فرسان الروم بالقتال وأصابهم التعب، فتح المسلمون أمامهم ثغرة أغرتهم بالخروج منها طالبين النجاة، تاركين المشاة لمصيرهم. اقتحم المسلمون عليهم الخنادق، وقتلوا منهم ألوفا. كان انتصار اليرموك بداية نهاية سيطرة الروم على الشام. وتفرقت الجيوش بعد ذلك ، فتوجه كلٌ إلى وجهته التي كان أبو بكر قد وجهه إليها ، فتوجه خالد مع أبي عبيدة إلى دمشق ففتحوها بعد حاصروها وصالحوا أهلها على الجزية. وبينما هم هناك إذ أقبل رسول يحمل خبر وفاة أبي بكر وتولي عمر بن الخطاب الخلافة ، ومعه كتاب إلى أبي عبيدة يولّيه إمارة الجيش ويعزل خالداً ، إلا أنه ظل تحت قيادة أبي عبيدة ، كأحد قادته. وبعد أن اطمأن أبو عبيدة إلى مقام المسلمين ، تقدم بقواته ومعه خالد إلى فحل ، وقد كان قد أرسل بعض جنده لحصارها خلال محاصرته لدمشق ، فهزم حاميتها ومن لجأ إليهم من جند الروم الفارين من أجنادين ، وقد أظهر خالد بن الوليد وضرار بن الأزور يوم فحل بطولات ذكرها لهم المؤرخون. وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة يأمره بفتح حمص. انتهز هرقل قيصر الروم انشغال المسلمين في فحل ، فأرسل جيشًا بقيادة توذر (تيودوروس) لاستعادة دمشق. وبينما كان جيش المسلمين في طريقهم إلى حمص ، التقى الجيش البيزنطي في منتصف الطريق في مرج الروم. خلال الليل، أرسل توذر نصف جيشه إلى دمشق لشن هجوم مفاجئ على حامية المسلمين. وفي الصباح ، وجد المسلمون أن جيش الروم قد قلّ عدده ، فتوقع خالد أن يكون الروم قد وجهوا جزءاً من جيشهم لمهاجمة دمشق. استأذن خالد أبا عبيدة ، وانطلق في فرقة من الفرسان ليدرك جيش الروم المتوجّه لدمشق. استطاع خالد أن يهزم هذا الجيش الرومي بعدما حُصر الروم بين قوات خالد وحامية المدينة. عاد خالد لينضم لقوات أبي عبيدة ، وحاصر معه حمص إلى أن سلّم أهلها طالبين الصلح ، فصالحهم أبو عبيدة على شروط وخراج صلح دمشق ، ثم سلمت حماة واللاذقية وعلى نفس الشروط. وواجه عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة صعوبات في مواجهة الروم في فلسطين وجنوب الشام ، لذا أرسلا إلى عمر فأمر أبا عبيدة وخالد بالتوجه إليهم للدعم ، واستطاعت قوات المسلمين تطهير البلاد ثم توجهوا إلى القدس آخر المعاقل البيزنطية في جنوب الشام ، التي فرّ إليها العديد من الناجين من معركة اليرموك ،

وحاصروها. لم تقبل المدينة بالتسليم ، إلا للخليفة شخصيًا. بعد القدس ، توجه جيش أبو عبيدة وخالد ، لاستكمال فتح شمال الشام. وجه أبو عبيدة خالد إلى قنسرين المدينة منيعة الحصون ، فوجد بها جيشًا روميًا عظيمًا ، فقاتلهم خالد وهزمهم في معركة قنسرين ، وفرّت الفلول لتتحصن بالمدينة طالبين الصلح كصلح حمص ، إلا أن خالداً رفض ورأى أن يعاقبهم لمقاومتهم للمسلمين. ولحق جيش أبو عبيدة بن الجراح بقوات خالد بن الوليد في قنسرين بعد فتحها ليتابعا زحفهما إلى حلب ، حيث استطاعا فتحها. لقد كان الهدف التالي للمسلمين أنطاكية عاصمة الجزء الآسيوي من الإمبراطورية البيزنطية. وقبل أن يسيروا إليها ، قرر أبو عبيدة وخالد عزل المدينة عن الأناضول ، بالاستيلاء على جميع القلاع التي قد توفر الدعم الاستراتيجي إلى أنطاكية ، وأهمها أعزاز في الشمال الشرقي من أنطاكية. وقد خاض الروم المدافعون عن أنطاكية معركة يائسة مع جيش المسلمين خارج المدينة بالقرب من نهر العاصي ، لكنها انتهت بهزيمتهم ، وتراجعهم إلى أنطاكية ، فحاصرها المسلمون. فقد الروم الأمل في وصول المدد من الإمبراطور ، فاستسلمت أنطاكية على أن يُسمح لجند الروم بالمرور إلى القسطنطينية بأمان. ووجّه أبو عبيدة خالد شمالاً ، بينما توجّه جنوبًا وفتح اللاذقية وجبلة وطرطوس والمناطق الساحلية الغربية من سلسلة جبال لبنان الشرقية. استولى خالد على الأراضي حتى "نهر كيزيل" في الأناضول. قبل وصول المسلمين إلى أنطاكية ، كان الإمبراطور هرقل قد غادرها إلى الرها ، لترتيب الدفاعات اللازمة في بلاد ما بين النهرين وأرمينيا ، ثم غادرها متوجها إلى عاصمته القسطنطينية. وفي طريقه إلى القسطنطينية ، نجا بصعوبة من قبضة خالد الذي كان في طريقه منصرفًاً من حصار مرعش إلى منبج. وبعد الهزائم الساحقة المتتالية لقوات هرقل في تلك المعارك ، أصبحت فُرصُه لتصحيح أوضاعه قليلة ، بعدما أصبحت موارده العسكرية المتبقية ضعيفة ، لذا لجأ إلى طلب مساعدة من المسيحيين العرب من بلاد ما بين النهرين الذين حشدوا جيشًا كبيرًا توجهوا به نحو حمص ، قاعدة أبو عبيدة في شمال الشام ، وأرسل إليهم جندًا عبر البحر من الإسكندرية. أمر أبو عبيدة كل قواته في شمال الشام بموافاته في حمص ، بعدما حاصرتها القبائل العربية النصرانية. فضّل خالد خوض معركة مفتوحة خارج المدينة ، إلا أن أبا عبيدة أرسل إلى عمر يطلب رأيه. بعث عمر إلى سعد بن أبي وقاص بأن يسيّر جندًا لغزو منازل تلك القبائل العربية المسيحية في بلادها ، وأن يبعث القعقاع بن عمرو في أربعة آلاف فارس مددًا لأبي عبيدة. بل وسار عمر بنفسه من المدينة على رأس ألف جندي. دوت تلك الأنباء في العراق والشام ، فرأت تلك القبائل أن تسرع بالرجوع إلى منازلها ، تاركين جند الروم في مواجهة مصيرهم أمام قوات المسلمين الذين هزموا تلك القوات هزيمة نكراء ، قبل أن تصل قوات المدد من العراق أو المدينة. ثم أرسل أبو عبيدة خالد في قوة لمهاجمة القبائل من الخلف ، وكانت تلك آخر محاولات هرقل لاستعادة الشام. وبعد تلك المعركة ، أمر عمر باستكمال غزو بلاد ما بين النهرين. فبعث أبو عبيدة خالد وبعث سعد عياض بن غنم لغزو شمال بلاد ما بين النهرين. ففتحا الرها وديار بكر وملطية ثم اجتاحا أرمينية حتى بلغ خالد آمد والرها ، وهو يفتح البلاد ويستدفئ الغنائم ، ثم عاد إلى قنسرين وقد اجتمع له من الفيء شيء عظيم. وتحدث الناس بفعال خالد في أرمينية ، وتحدثوا بانتصاراته في الشام والعراق ، فتغنّى الشعراء بفعاله ، فوهبهم خالد من ماله وأغدق عليهم ، وكان ممن وهبهم خالد الأشعث بن قيس الذي وهبه خالد عشرة آلاف درهم. بلغ عمر في المدينة خبر جائزة خالد للأشعث ، فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يستقدم خالد مقيدًا بعمامته ،

حتى يعلم أأجاز الأشعث من ماله أم من مال المسلمين ، فإن زعم أنها من مال المسلمين ، فتلك خيانة للأمانة. وإن زعم أنها من ماله ، فقد أسرف ، وفي كلتا الحالتين يُعزل خالد من قيادته للجيوش. تحيّر أبو عبيدة ، فترك تنفيذ تلك المهمة لبلال بن رباح رسول الخليفة بالكتاب. أرسل أبو عبيدة يستدعي خالد من قنسرين ، ثم جمع الناس وسأل بلال خالدًا عما إذا كانت جائزته للأشعث من ماله أم من مال المسلمين؟ فأجاب خالد أنها من ماله الخاص ، فأعلنت براءته. فاجأ أبو عبيدة خالدًا بأن الخليفة قد عزله ، وأنه مأمور بالتوجه للمدينة. وذهب خالد للمدينة المنورة للقاء عمر ، محتجًا على ما اعتبره ظلمًا ، إلا أن عمر أصر على قراره. وكثر اللغط في الأمصار حول عزل عمر لخالد ، فأذاع في الأمصار: إني لم أعزل خالدًا عن سخطة ولا خيانة ، ولكن الناس فتنوا به ، فخفت أن يوكلوا إليه ويُبتلوا به. فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع ، وألا يكونوا بعرض فتنة. فأغرمه شيئاً ، ثم عوضه ، وكتب فيه إلى الناس بهذا الكتاب ليعذره عندهم وليبصرهم. وكانت تلك هي نهاية مسيرة خالد العسكرية الناجحة. وهناك إجماع على أن خالد توفي عام 21 هـ / 642 م ، إلا أنه هناك خلاف على مكان وفاته. فقد ذكر ابن حجر العسقلاني في الإصابة قولين في وفاته ، قول بأنه توفي بحمص وآخر أن وفاته في المدينة وأن عمر بن الخطاب حضر جنازته ، بينما ذهب أبي زرعة الدمشقي في تاريخه أن وفاته في المدينة ، أما ابن عساكر فنقل في كتابه تاريخ دمشق الكبير عدة روايات ترجح وفاته بحمص ، واستأنس بقول أبي زرعة الدمشقي في وفاته بالمدينة ، ونقل ابن كثير في البداية والنهاية قول الواقدي ومحمد بن سعد بأنه مات بقرية تبعد نحو ميل عن حمص ، وكذلك نقل الرأي الآخر في وفاته بالمدينة ، ولكنه رجح موته بحمص ، كذلك أيّد الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء رأى ابن كثير بترجيح وفاته بحمص. ولخالد بن الوليد جامع كبير في حمص. روي أن خالد قال على فراش موته: لقد شهدت مئة زحف أو زهاءها ، وما في بدني موضع شبر ، إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح وها أنا ذا أموت على فراشي حتف أنفي ، كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء. وحزن المسلمون لموت خالد أشد الحزن ، وكان الخليفة عمر من أشدهم حزنًا ، حتى أنه مر بنسوة من بني مخزوم يبكينه ، فقيل له: ألا تنهاهن؟. فقال: «وما على نساء قريش أن يبكين أبا سليمان ، ما لم يكن نقع أو لقلقة على مثله تبكي البواكي.»

شـــــرُفتْ بـــــك الأســـــفارُ والأشـــــعارُ ... وتشـــــرّفتْ بجهـــــادك الأمصـــــارُ

وشـــــدتْ أهـــــازيجُ القـــــريض ترنُمـــــاً ... وعلـــــى المَضـــــارب أشـــــرقتْ أنـــــوار

وتمايلـــــتْ طربـــــاً عواطـــــفُ شـــــاقها ... بُعـــــدُ الزمـــــان ، وشقشـــــقتْ أطيـــــار

وتـــــأثرتْ بالبُشـــــريات نفوسُـــــنا ... وتـــــأثرَ الأضـــــيافُ والســـــمّار

وتعطـــــرتْ بالـــــذكريات قلوبُنـــــا ... وأهاجهـــــا ـ فـــــي شـــــوقها ـ اســـــتذكار

وتشـــــوقتْ لحُبورهـــــا أرواحُنـــــا ... وهفـــــا لهـــــا ـ فـــــي ســـــعدها ـ اســـــتعبار

أمـــــا البيـــــان فدنـــــدنتْ نفحاتـــــه ... وكأنمـــــا جـــــادت بهـــــا الأزهـــــار

وكـــــذا البـــــديعُ لـــــه شـــــذىً ونضـــــارة ... إن البـــــديع ـ بنصـــــنا ـ مِعطـــــار

وأرى الفصـــاحة تزدهـــي فـــي ثوبهـــا ... لـــــو أبصـــــرتها غـــادة ســـــتغار

والشـــعرُ هـــشّ وبـــشّ يُطـــري (خالـــداً) ... وقليـــــلٌ الإطـــــراءُ والإكبـــــار

والعبقـــــري ثناؤنـــــا يُـــــزري بـــــه ... ولـــنحن - فـــي التقـــدير - بعـــدُ نحـــار

هـــو ذو النجابـــة والصُـــوى فـــي قومـــه ... هـــو - فـــي (قـــريش) - ســـيد مغـــوار

وأبـــــوه ســـــيدُ قومـــــه وغِيـــــاثُهم ... إن طمّـــــتِ البلـــــواءُ والأخطـــــار

و(لبابـــة الصـــغرى) الشـــريفة أمُـــهُ ... عنهـــا ليـــرض الـــراحمُ الغفـــار

وهمـــا و(أحمـــدُ) فـــي عُمومـــةٍ التقـــوْا ... صـــحتْ - بهـــذي النســـبة - الأخبـــار

فـــي ســـادس الأجـــداد والـــدُه التقـــى ... ونبيُنـــا ، هـــل بعـــد ذاك فخـــار؟!

فـــي ســـابع الأجـــداد أمّتُـــه التقـــتْ ... ونبيُنـــا ، نطقـــتْ بـــذا الآثـــار

يـــا ابـــنَ الوليـــد حُبيـــت أعظـــمَ نِســـبةٍ ... لا ريـــبَ فيهـــا ، لـــم يَشُـــبْها عـــار!

ونشـــأت فـــي دار تفـــرّدَ جُودُهـــا ... حتـــى رآهـــا النـــاسُ نعـــمَ الـــدار!

فخـــرتْ (بنـــو مَخـــزومَ) أنـــك شِـــبلها ... بـــين القبائـــل لـــن يكـــون صَـــغار

هـــي أكرمـــتْ ضـــيفاً ، وجـــادت بـــالقِرى ... وكـــأن بيـــت (أبـــي الوليـــد) مَنـــار!

وظللـــت تنصـــرُ ديـــنَ قومِـــك قانعـــاً ... حتـــى أشـــاد ببَـــذلك الكفـــار!

ورأوْك أشـــجعَ فـــارس مُستبســـل ... لِقنـــاهُ – إن حَمـــيَ الـــوطيسُ - أوار

فنصـــرتهم حِينـــاً ، ولـــم تـــكُ وانيـــاً ... بـــل كنـــت - فـــي أم الـــوغى - كَـــرّار

وبـــرزت فـــي (أحُـــدٍ) كأشـــرس فـــارس ... وسَـــبتْ جنانـــك خطـــة وقـــرار

ورميـــت بعـــض غنـــائم تُغـــري بهـــا ... بعـــضَ الرمـــاة مِـــن الـــذين أغـــاروا

حتـــى إذا نزلـــوا انطلقـــت تُـــذيقهم ... بعـــض الـــذي كرهـــوه لمّـــا اختـــاروا

كـــان الخيـــارُ ســـبيلهم لهزيمـــةٍ ... ومُصـــيبةٍ كبـــرى ، فبـــئس خيـــار!

وأتـــاك مكتـــوبُ (الوليـــد) بـــدعوةٍ ... للحـــق مـــا غمضـــتْ بهـــا الأفكـــار

يـــــدعوك دعـــــوة مُخلـــــص مُســـــتيقن ... ودعـــــاؤه شـــــهدتْ بـــــه الأســـــحار

يرجـــو لـــك الخيـــرَ العمـــيمَ ، طريقـــه ... ديـــنٌ لـــه – رغـــم العِـــدا - الإظهـــار

مُتعجبـــاً مِـــن رفضـــك الحـــقَ الـــذي ... هـــو للتقـــاة الصـــالحين شِـــعار

لـــمَ حِـــدت عنـــه ، وإن عقلـــك راجـــحٌ؟! ... اعلـــمْ بـــأن رســـالتي إعـــذار!

أنكـــرت صِـــدقَ (محمـــدٍ) مُتجنيـــاً ... أأخَـــيّ هـــل ســـيُفيدُك الإنكـــار؟!

ونبينـــا – وسْـــط الصـــحابة – قـــال لـــي: ... أينـــاه خالـــدُ؟ لـــم يـــزلْ يَمتـــار؟!

فجهـــرتُ أن يومـــاً سيُسْـــلمُ طائعـــاً ... يـــأتي بـــه المتكبـــرُ القهـــار

فـــإذا بأحمـــدَ مُثنيـــاً مُســـتعبراً ... ويقـــول (خالـــدُ) مـــا لـــه اســـتذكار؟!

هـــل مِثلـــه جهـــل الحنيفـــة مِلـــة ... كالشـــمس ضـــاءَ بهـــا وشـــعَ نهـــار؟!

لـــو أنـــه جعـــل النكايـــة للهُـــدى ... لـــو جَـــدّ للإســـلام فـــيمن ثـــاروا

لأتتـــه مـــن ربـــي الخيـــورُ وفيـــرة ... ولعـــز واســـتعلى بـــه الأخيـــار!

فاســـتدركنْ مـــا فـــات ، وانهـــضْ يـــا أخـــي ... واعلـــمْ بـــأن نصـــيحتي إنـــذار

فقرأتَهـــا والقلـــبُ غـــرّدَ صـــادحاً ... والحـــق بـــانَ ، فمـــا هـــي الأعـــذار؟!

ولقيـــتَ (عثمـــانَ بـــن طلحـــة) ســـاعياً ... وقصـــدت (طيبـــة) إذ بهـــا (المختـــار)!

وصـــحبتما (ابـــنَ العـــاص)! أصـــدقُ رفقـــةٍ ... وأردتُـــمُ الإســـلامَ يـــا أبـــرار

وهنـــاك أعلنـــتُم بهـــا إســـلامَكم ... وتكشـــفتْ – بـــين الـــورى - الأســـرار

ونبينـــا كـــم سَـــرّه إســـلامُكم ... ومُهـــاجرو الأصـــحاب والأنصـــار

فلـــذاتُ أكبـــاد القبيلـــة أقبلـــوا ... فقـــريشُ - مِـــن فـــرط الأســـى - تنهـــار!

و(ابـــنُ الوليـــد) رجـــا دعـــاءَ (محمـــدٍ) ... أضـــحت تُخيـــفُ (ابـــنَ الوليـــد) النـــار!

فأجابـــه: الـــرحمنُ لـــيس مؤاخـــذاً ... عبـــداً علـــى ماضـــيه ، ذا الســـتار!

مـــا قبلـــهُ ســـيَجُبُ إســـلامُ الفتـــى ... فلـــم التخـــوفُ؟ آن الاستبشـــار!

ثـــم انطلقـــت مجاهـــداً تحمـــي الحِمـــى ... ومـــع الســـلام تـــدورُ فـــيمن داروا

ووطئـــت ســـاحاتِ المَعـــامع ضـــيغماً ... وغـــدوت ســـيفاً زانـــه الإشـــهار!

بـــل صـــاحبٌ لأعنـــة الخيـــل انبـــرى ... للغـــزو ، والأعـــدا هـــمُ الفـــرار!

وبكـــتْ (قـــريشٌ) أنْ كفـــرت بـــدينها ... وبكـــى - علـــى إســـلامك - الكفـــار

قـــالوا: صـــبأت! فقلـــت: إنـــي مـــؤمنٌ! ... فاغتـــاظ ممـــا قلتـــه الفجّـــار!

وخبـــرت بالهيجـــاء صُـــبحاً والمســـا ... وبـــدتْ لـــك الأوهـــادُ والأوعـــار

فـــي الكـــر والفـــر اســـتميت مناضـــلاً ... ويُطيعـــك الأجنـــادُ والأنفـــار

مازلـــت تُلهمـــك القيـــادة درسَـــها ... وأتـــتْ خيولـــك ، واســـتوى المضـــمار

وخلفـــت قـــادة (مؤتـــةٍ) فـــي غـــزوةٍ ... ورســـمت دربـــاً مـــا عليـــه غبـــار

وأعـــدت تشـــكيل الجنـــود تقـــودُهم ... للنصـــر ، لمّـــا زاغـــتِ الأبصـــار

وبفـــتح (مكـــة) لـــم تـــؤخرْ همـــة ... فقـــدِمْت واليُمنـــى بهـــا البتـــار

حتـــى إذا اختـــاروا الســـلام غمدتـــهُ ... لمّـــا يعـــدْ طعـــنٌ ولا اســـتكبار

ونبيُنـــا نـــاداهمُ أن يـــذهبوا! ... طلقـــاءُ هـــم! فلتـــأمن الأمصـــار

أأبـــا ســـليمان مَـــدحتُك فارســـاً ... هيجـــاؤه فخـــرتْ بهـــا الأشـــعار

يـــا قـــاهرَ الفـــرس المَجـــوس تحيـــة ... مَـــرتْ علـــى تـــدوينها أعصـــار!

يـــا مُنـــزلاً بـــالروم أعتـــى نكبـــةٍ ... حفلـــتْ بهـــا – للقـــارئ - الأســـفار

لمّـــا طغَـــوْا ، وبظلمهـــم ســـفكوا الـــدما ... بـــك أجريـــتْ – بـــدمائهم - أنهـــار

واســـأل عـــن (اليرمـــوك) قومـــاً عاصـــروا! ... أهـــلُ التـــراجُم غيّـــبٌ حُضّـــار

حتـــى أتـــاك يريـــد رأيـــك (جُرجـــة) ... ولمســـت أن العبـــد فيـــه وقـــار

فأجبتـــه بصـــراحةٍ وصـــرامةٍ ... مـــا قلـــت: هـــذا قائـــدٌ دَيّـــار

كـــلا ، ولـــم تـــكُ فـــي اللقـــا متكبـــراً ... متعاظمـــاً يهتـــاجُ فيـــه الثـــار!

بـــل كنـــت داعيـــة يريـــد لمـــن دعـــا ... نـــورَ الهدايـــة ، إذ خبـــتْ أنـــوار

والعبـــدُ آمـــن ، ثـــم جاهـــد مســـلماً ... ولـــه علـــى نصـــر الهُـــدى إصـــرار

حتـــى إذا رزق الشـــهادة (جُرجـــة) ... عينـــاك زارهمـــا لـــه اســـتعبار!

وســـلوا (اليمامـــة) عـــن بطولـــة (خالـــدٍ) ... وســـلوه يـــومَ تُقوســـمتْ أدوار

فـــأبو عبيـــدة قائـــدٌ يغشـــى الـــوغى ... بـــالأمر ، لا فتيـــا ولا إدبـــار

و(أبـــو ســـليمانٍ) فجنـــديٌ لـــهُ! ... ومُسَـــيّرٌ فـــي ذا ولا يختـــار!

وانصـــعت للأمْـــر المُفصّـــل نصـــه ... وكـــذاك يفعـــلُ ســـادة وكِبـــار

ورُئيـــت فـــي (الألّـــيس) تختصـــر المـــدى ... لـــم تُحـــن هامـــة بأسِـــك الأســـوار!

وشـــهدت (أجنـــادين) مُختـــالاً علـــى ... فـــرس الكرامـــة ، ثـــم طـــال حصـــار

وروى (البخـــاريُ) الروايـــة صُـــححتْ ... هـــو – بالبنـــان – لصـــحتيه يُشـــار

تصـــحيحُ مَـــتْنٍ ، ثـــم بعـــدُ روايـــة ... وإلـــى (الصـــحيح) تُصـــوّب الأنظـــار

مِـــن أن تســـعة أســـيفٍ كســـرتْ لهـــا ... فـــي كـــف (خالـــدَ) وحـــده آثـــار!

مائـــة المعـــارك خاضـــهن جلائـــلاً ... جـــاءت بهـــن جميعـــاً الأخبـــار

لـــم يُهـــزمَنْ فـــي أيهـــن وربنـــا! ... والنصـــرُ جـــاد بـــه لـــه الجبـــار

وشـــهدت فـــتح الشـــام مِـــن بعـــد العـــرا ... ق ، وطالـــتِ الغـــزواتُ والأســـفار

وشـــربت كـــأسَ الســـم مُترعـــة الـــردى ... تُهـــدي الحِمـــام ، فلـــيس منـــه فِـــرار

وروايـــة الســـم الـــذعاف صـــحيحة ... لـــم يعتـــورْ تصـــحيحَها إنكـــار

فـــروى (أبـــو يعلـــى) و(أحمـــدُ) نصـــها ... وكـــذا (ابـــنُ تيميـــةٍ) لـــه إقـــرار

و(الحـــافظ الـــذهبي) حسّـــنَ متنهـــا ... وأراه – فـــي الإســـناد – لا يمتـــار

أمـــا بنـــوك فـــأربعون منحـــتهم ... شـــرفَ الجهـــاد ، فكلهـــم كُـــرار

وأمـــاتهم طـــاعونُ (عمـــواس) ، ونشـــ ... ـــهدُ أنهـــم شـــهداؤنا الأطهـــار!

وبهـــم (بنـــو مخـــزومَ) تفخـــرُ أنهـــم ... فخـــرٌ ، وذخـــرٌ دونـــه الأذخـــار

أأبـــا ســـليمانٍ شـــمختُ بطـــالعي ... هـــذا الســـعيدِ تصـــونه الأشـــعار

وعلـــى ســـرير المـــوت قلـــت مقالـــة ... فيهـــا الـــرواة وســـامعوها احتـــاروا

إذ كنـــت تأمـــل أن تمـــوت مجاهـــداً ... فـــالكلمُ يـــدمى يعتليـــه غبـــار

لا أن يُباغتـــك الـــردى كبُعَيّـــر ... قـــد غـــاب عنـــه رُغـــاؤه الهـــدار

وبكثْـــك - بعـــد المـــوت - أفضـــل نســـوةٍ ... ودمـــوعُهن كأنهـــا الأبحـــار

مـــا اســـتكثرَ (الفـــاروق) طارقـــة البكـــا ... إذ دمعُـــه مُتحـــدرٌ مِغـــزار

يـــا (خالـــدَ) التوحيـــد ذِكـــرُك طيـــبٌ ... ولقلمـــا طابـــت لنـــا الأذكـــار

مـــع (خالـــدٍ) يـــا ربنـــا احشُـــرْنا إذا ... أتـــتِ القيامـــة ، نعـــم ذاك جـــوار!

واشـــمله بالرضـــوان يـــا رب الـــورى ... واســـتره يـــوم العـــرض يـــا ســـتار

يـــا رب نـــوّرْ قبـــره ، وأعـــذه مـــن ... ظلماتـــه ، إذ عنـــدك الأنـــوار

يـــا رب أدخلـــه الجنـــان رحيبـــة ... مـــع مـــن يحـــب ، فتلـــك نعـــم الـــدار!

الغربة بين الأمس واليوم

(اغترب ينشد حياة أفضل ، فراراً بدينه ونفسه وماله ومن يعول. فإذا بالغربة أشد قسوة مما كان فيه. فأوصيته بالصبر والاحتساب حتى يأتي الله بأمره. ورحتُ أذكر الأيام الخوالي التي كان فيها آية في التصبر ومثالاً في الاحتمال ، وقدوة في الاحتساب عند الله تعالى! وإنه لراحل عن دار غربته لا محالة: إما بالرحيل إلى دياره وإن كان يكره ذلك! وإما بالرحيل إلى قبره وأن كان الموت تحفته! وكنت قد سمعتُ إلى محاضرة من سنين عنوانها: (تحفة المؤمن – الموت) للشيخ الطحّان. وكنت أستكثر العنوان ، وبعد مقاساة الغربة ومعاناة الاغتراب ، أيقنت أن الشيخ كان على حق!)

صبّر النفسَ ، وأحْيي الأملا ... أنت - في التصبير - كنت المَثلا

واسمُ للعَليا ، وكنْ معتصماً ... ليس خطبُ النفي أمراً جللا

كسْرُ دنياكَ ، ولا كسْر الهُدى ... إن كسْر الدين يُردي الرجلا

غربة اليوم قديماً ولدتْ ... أوشكتْ يا صاح أن ترتحلا

سيَخط الموتُ فوراً حتفها ... ثم لا تلقى لنفي ثِقلا

لم تكن تعرفُ مِن ديوانها ... غير ظل يستثير البطلا

انظر الشيبَ غزا الرأس ، وقلْ: ... أيها القلبُ كفانا زللا

ضجعة القبر ستبلو أمرنا ... ولذا أحسنْ ، هُديتَ ، العملا

نحن أغرابٌ على الأرض ، فلا ... تُكْثِر الشكوى ، وتُزجِي الجدلا

فإذا لم نكُ أغراباً ، فقلْ ... عابرون سنجوز السبلا

أيها المغرور بالدنيا ، أفقْ ... ثم لا تحتلْ عليها الحِيلا

راحلٌ أنت ، وإن طال المدى ... وبها الإعجابُ أضحى خبَلا

خذ - من الدنيا - رصيداً نافعاً ... عنه جُل الناس عمداً غفلا

واجعل الجناتِ أسمى غايةٍ ... في نعيم وارفٍ قد كمُلا

رب عوّضْنا ، وكنْ عوناً لنا ... لا تخيّبْ سُؤلنا والأملا

الغربة مهر المعالي!

(أحس بأن مجتمعه يجعله على هامش الحياة. فاغتربَ من أجل حياة أفضل. فإذا بالمجتمع الذي هاجر إليه يجعله كذلك على هامش الحياة. فكانت غربته مهراً للمعالي. حيث إنه تحدى غربته وحقق كثيراً من أمانيه وآماله في غربته! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء. قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون عند فساد الناس". وفي رواية: النزاع من القبائل. وجاء من طريق آخر: "بدأ الإسلام غريباً ، ولا تقوم الساعة حتى يكون غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء حين يفسد الناس". وفي رواية لابن وهب قال عليه الصلاة والسلام: " طوبى للغرباء الذين يمسّكون بكتاب الله حين يُترك ، ويعملون بالسنة حين تطفى". وفي رواية: إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء.)

حققتُ - في غربتي - رطيبَ آمالي ... حتى عُرِفتُ بأني الراحلُ الجالي

ولم تعقني - مِن التغريب - شِدّته ... ولم يُلِنني اغتيابُ الحاسد القالي

في غربةٍ نارها تُهدي إليّ لظىً! ... عدِمتُ فيها خِيارَ الصحب والآل

تعقبتني ، فلم أحفلْ بصولتها ... وبتّ - رغم الدواهي - خاليَ البال

وبعد أنشدتُ - مِن شعري - لآلئهُ ... مستعذباً رغم ضِيق العيش والحال

واصطدتُه مِن بحار الضاد محتسباً ... كما تصيدُ اللآلي كَفّ لآل!

مهرُ المعالي اغترابٌ عن مضاربنا ... وبذلُ جهدٍ وأوقاتٍ وأموال

وكم تعجبَ مِن شِعري عباقرة! ... على قريضي لهم عظيمُ أفضال

وأسمعوني - من التدشين - أعذبَهُ ... ومِن جميل الثنا رطيبَ أقوال

وقدموني بألفاظٍ معطرةٍ ... شوقاً ، تدلّ على حُب وإجلال

والشعرُ خفّفَ عني بعضَ واجبهم ... وقابلَ المدحَ بالتعففِ القالي

سجلتُ ما عشتُ أشعاراً تذرّ ضِياً ... وتستهينُ بآلامٍ وأهوال

في غربةٍ همّشتْ دَوْري وتجربتي ... وكبلتني بأصفادٍ وأغلال

فلم أبال بما واجهتُ مِن مِحَن ... فغربتي مَهرُ أحلامي وآمالي

القصيدة الزينبية 2

(معارضة لزينبية الشاعر العباسي صالح بن عبد القدوس)

(كان لهذا الأشيب اليمني تجربة مغايرة للشاعر صالح بن عبد القدوس العباسي ، حيث إن كليهما كان قد تزوج بصبية في عمر بُنياته! ومع تباين الزمانين ، كان هناك تباين كبير في التجربتين! فلقد كانت تجربة الأول العباسي مريرة ومرة وعاتية ومثبطة! بينما كانت تجربة الثاني اليمني المعاصر عذبة وشائقة وماتعة ومشجعة! ودَوري هنا كشاعر هو تصوير شعور وحال وتجربة الأشيب المعاصر شعراً! وقبل أن أفعل معارضاً شاعرنا العباسي صالحاً بن عبد القدوس مُعرّضاً بتجربته القاسية! أسأل وأتساءل وأجيب: ما الجدل الدائر حول قصيدته الزينبية ونسبتها؟ هل هي له؟ أم لعلي بن أبي طالب كما يتخرص المتخرصون ويتساهل المتساهلون؟ واحتاج الأمر إلى تحقيق مطول في ضوء كلام أهل الخبرة والفن من النقاد والأدباء والمحققين وأهل التدقيق! ذلك أن هذا الجدل أثير منذ زمن بعيد! والناس فيه بين متساهل عديم الخبرة ومدقق حصيف له باع في الخبرة! ولسوف أبدأ بالمصادر الشيعية أولاً لأثبت صحة ما ذهب إليه جمهرة أهل النقد والبحث والتحري ، من أن القصيدة لصالح بن عبد القدوس ، ولا علاقة لها بعلي ولا علاقة لعلي رضي الله عنه بها من قريب ولا من بعيد! وهذا لا يعني النيل من علي ولا تنقصه! معاذ الله! إن علياً بن أبي طالب أشعر من صالح بن عبد القدوس بمئات المرات! وديوان علي والشعر الثابت المسند له يدل دلالة كبيرة على ذلك! لكن كلامنا اليوم منصب على القصيدة الزينبية تحديداً! فما صحّةُ سندِ القصيدةِ الزينبيّة؟ وما صحّة نسبتِها حقاً للإمامِ عليٍّ (رضي الله عنه)؟ والجواب: القصيدةُ الزينبيّةُ هيَ قصيدةٌ مشهورةٌ في المواعظِ والمدائحِ على قافيةِ الباء ، تزيدُ أبياتُها على الستّينَ بيتاً ، ومطلعُها: (صَرَمَتِ حِبَالَكِ بعدَ وَصلِكِ زينبُ * والدَّهرُ فيهِ تصرُّمٌ وتقلُّبُ) ، ولذكرِ زينبَ في مطلعِها عُرِفَت بالقصيدةِ الزينبيّة. وكتبَ غيرُ واحدٍ شرحاً عليها: (منها): شرحُ الميرزا جعفرِ بنِ الشيخِ محمّد النوچة دهي التبريزي. (ومنها): البهجةُ السنيّةُ في شرحِ القصيدةِ الزينبيّةِ للأديبِ عبدِ المُعطي بنِ سالمٍ الشبليّ السملاويّ المصريّ. وقد نُسبَت هذه القصيدةُ لأميرِ المؤمنينَ (رضي الله عنه) ، وأُدرجَت في بعضِ الطبعاتِ مِن ديوانِ الإمامِ (علي) رضي الله عنه ، كما في [ديوانِ الإمامِ علي ص26] جمعُ وترتيبِ عبدِ العزيزِ الكرم ، وقد ذكرَ السيّدُ محمّد حُسين الجلاليّ في [فهرسِ التراث ص74] عندَ ذكرِ طبعاتِ الديوان: «ومنها: جمعُ وترتيبُ عبدِ العزيزِ الكرم ، طبعةُ دمشقَ سنةَ 1374هـ = 1955م ، وفيها زياداتٌ لا أصلَ لها ، وقد قابلتُ هذهِ الطبعةَ مع نُسخةٍ مؤرّخةٍ سنةَ 818هـ في مكتبةِ كوهرشاد تحتَ رقم 104 ، فوجدتُهما يختلفانِ في ترتيبِ الأبياتِ والعناوين ، وفي المخطوطةِ بعضُ المصادرِ والأسانيدِ التي حُذِفَت منَ المطبوعة ، كما أنّ في المطبوعةِ زيادةُ القصيدةِ الزينبيّةِ بقافيةِ الباء » ، وهذا واضحٌ بأنّ هذهِ القصيدةَ مزيدةٌ في الديوانِ وليسَت منها. وقالَ السيّدُ محسنٌ الأمين في [أعيانِ الشيعةِ ج2 ص113] عندَ ذكرِه تخميسَ الشيخِ إبراهيم البعلبكيّ لقصيدةٍ في الحِكمِ والآدابِ لأميرِ المؤمنينَ (علي): «والظاهرُ أنّ القصيدةَ المذكورةَ هي المنسوبةَ إلى أميرِ المؤمنينَ ، ولم تصحَّ نسبتُها ، وأوّلها: (صرمَتِ حبالكِ بعدَ وصلِكِ زينبُ * والدهرُ فيه تغيُّر وتقلّبُ) » ، وكلامُ هذا العلّامةِ الأديبِ الألمعيّ واضحٌ في عدمِ صحّةِ النسبة. نعم ، جاءَ في آخرِ القصيدةِ أبياتٌ ـ كما في [ديوانِ الإمامِ علي ص28] المُتقدّمِ ـ تدلّ على أنَّ مُنشيها أميرُ المؤمنينَ ، وهيَ:

(فاصغِ لوعظِ قصيدةٍ أولاكها * طودُ العلومِ الشامخاتِ الأهيب)

(أعني عليّاً وابنَ عمّ محمّدٍ * مَن نالَه الشرفُ الرفيعُ الأنسب)

(يا ربِّ صلِّ على النبيّ وآله * عددَ الخلائقِ حصرُها لا يُحسب)

لكنَّ الأقربَ أنّ هذهِ الأبياتَ مزيدةٌ على القصيدةِ ؛ إذ وردَت القصيدةُ بالمصادرِ مِن غيرِ هذهِ الأبياتِ، فهيَ مُضافةٌ عليها. والظاهرُ أنّ هذهِ القصيدةَ للشاعرِ صالحِ بنِ عبدِ القدّوسِ الأزديّ الذي قُتِلَ على الزندقةِ [ينظر: الأماليّ للسيّدِ المُرتضى ج1 ص100] ، كما ذكرَ ذلكَ غيرُ واحدٍ منَ الأدباءِ والمُحقّقينَ والباحثين ، قالَ ياقوتُ الحمويّ في [مُعجمِ الأدباء ج12 ص8] في ترجمتِه أي ترجمة صالح بن عبد القدوس: « وأشهرُ شعرِه قصيدتُه البائيّةُ التي مطلعُها: (صرمَتِ حبالكِ بعدَ وصلِك زينبُ * والدهرُ فيه تصرّمٌ وتقلّبُ!) » ، وقد أوردَه عبّاس الترجمان في [ديوانِ صالحِ بنِ عبدِ القدّوس ص107]. وقد يشهدُ لصحّةِ نسبتِها لابنِ عبدِ القدّوس: أنّه جاءَ في وسطِ القصيدةِ قوله: (وإذا طمعتَ كُسيتَ ثوبَ مذلّة * فقد كُسيَ ثوبَ المذلّةِ أشعبُ) ، وأشعبُ هذا صاحبُ النوادرِ والظرائف ، يُضربُ به المثلُ في الطمع ، يقالُ له: «أشعبُ الطامع» وهو المُتوفّى سنةَ (154هـ) ، وهوَ معاصرٌ لصالحِ بنِ عبدِ القدّوس ، فتأمّل أيها القارئ المنصف المتبصر المتبحر الباحث عن الحق والحقيقة. ورغم الحكمة التي حوتها القصيدة إلا أن فيها بعض الأبيات حوت الركاكة والرخص العروضية والأخطاء النحوية يترفع عنها العبقري الشاعر والصحابي الجليل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه -! وهناك دراسة تحليلية بلاغية للقصيدة الزينبية للشاعر (صالح بن عبدالقدوس البصري (167هـ -783م) وموازنتها بقصيدة على بن أبي طالب) وهذه الدراسة نشرت في حولية كلية اللغة العربية بجرجا ، وحققتها ونشرتها الباحثة الدكتورة منى عبد الله على فراج المدرس بقسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببنى سويف جامعة الأزهر ، وكانت قد أعطتها العنوان ذاته: (دراسة تحليلية بلاغية للقصيدة الزينبية وموازنتها بقصيدة على بن أبي طالب)! وهذه الدراسة عبارة عن بحث دقيق يرد الحق إلى نصابه والقوس إلى باريها! فهذا البحث تحليل بلاغي لقصيدة من قصائد الشاعر "صالح بن عبد القدوس البصري(167هـ - 783م) ، والشاعر هو: أبو الفضل صالح بن عبد القدوس البصرى ، ويرجح أنه فارسي الأصل ممن ولد ونشأ بالبصرة ، وتسمى قصيدته بالقصيدة الزينبية ، وهي قصيدة حكمية وزهدية ذات نصائح ومواعظ أخلاقية ، فلا يكاد حديث ناصح أو مرب فاضل يخلو من الاستشهاد ببعض أبياتها ، وإن جهل قائلها أو نسب جهلاً إلى غيره مما يدل على عظم هذه القصيدة ، وقد تميزت القصيدة بسلاسة الأسلوب ووضوح المعاني مع المحافظة على الجزالة والفصاحة ، وعلى هذا فهي تعتبر من أروع الشعر العربي لجزالة عباراتها ، ونفاسة حِكمها ، وفوائد نصائحها ، وقد صيغت بأسلوب أدبي بليغ. بدأت بمقدمة غزلية جميلة تطرق بعدها الشاعر إلى المواضيع الأخلاقية والحكمية ، فرغم أنها بدأت بالمقدمة الغزلية إلا أنها ليست من نوع القصائد الغزلية ، بل أبياتها كلها في الحِكمة والزهد ومحاسبة النفس. وقد اختلف المؤرخون في قائل هذه القصيدة ، ولمن تُنسب! فمنهم من قال أنها تنسب لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه ، وقد وردت في ديوانه (وتلك حجة هذا الفريق من الباحثين والنقاد) أنها فقط وردت في ديوان لي بن أبي طالب! ونسأل: هل جمع ابن أبي طالب شعره في ديوان تحددت بدايته كما تحددت نهايته وعلمت قصائده؟ بالطبع لا! بل جمع شعر علي غيره وفي زمان غير زمانه!

فلماذا القطع؟! ونسبت أيضاً لصالح بن عبد القدوس البصري الذي عاش في العصر العباسي الأول. وعلى رضى الله عنه سيد البلغاء والفصحاء ، ولكن هناك حقائق تُثبت أن هذه القصيدة للشاعر صالح بن عبد القدوس. وقد تهيأ للبحث في ذلك خطة مكونة من مقدمة تحدثت فيها باختصار عن الموضوع - سبب اختياري له ، والخطة الموضوعة لدراسته ، هذا أولاً. (والكلام للدكتورة منى فراج) ثانياً: التمهيد: وتحدثت فيه عن1- الشاعر: مولده ونسبه ونشأته ، وحياته ثم اتهامه بالزندقة ووفاته. 2 - ذكرت نبذة عن على بن أبي طالب. 3 - لمحة موجزة عن الموازنة. وتحدثت بإيجاز عن القصيدة الزينبية ولمن تنسب. ثم قمت بتحليل القصيدة تحليلاً بلاغياً ؛ ولأن القصيدة كلها تتحدث في موضوع واحدٍ فلم أقسمها إلى موضوعات ؛ ولكن قمت بتجزئة القصيدة وكل مجموعة من الأبيات ، ووضحت الألفاظ الغامضة وعمدتُ إل إبراز معانيها من المعاجم اللغوية ، ثم التحليل البلاغي الذي يوضح جمال الصياغة والأسرار البلاغية وراء استخدام الألفاظ والمعاني المناسبة والتراكيب التي تُضفي على الكلام حُسناً وبهاءً لما لها من أثر في تثبيت المعنى وتقويته ؛ ولأن هذه القصيدة جاءت على نفس الوزن والقافية لقصيدة لـ"على بن أبي طالب" يخاطب فيها ابنه الحسين ويعظه ، بل إن قصيدة "علي بن أبي طالب" كانت هي الملهمة لـ"صالح بن عبد القدوس" لإنشاء قصيدته! فسوف أقوم بالموازنة بين القصيدتين "الزينبية وقصيدة على بن ابى طالب" التي يعظ فيها ابنه الحسين بإلقاء الضوء على الأبيات المشتركة بينهما في المعنى ، ولذا جعلت عنوان بحثي "دراسة تحليلية بلاغية للقصيدة الزينبية لصالح بن عبد القدوس وموازنتها بقصيدة على بن أبى طالب"! ولقد اتبعت في دراستي التحليلية المنهج الذوقي الممزوج بالمعرفة ، وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها والتي تتضمن السمات التي اتسم بها الشاعر في هذه القصيدة ، ومن أهمها:- *: يحتل الأمر والنهي الصدارة من الأساليب الإنشائية التي استخدمها الشاعر في قصيدته ؛ وذلك لأن غرضها النصح ، فجاء مبناها على غرار (افعل ولا تفعل). *: مال الشاعر إلى التشخيص والتجسيد في خياله فاستخدم الاستعارة بكل أنواعها ، وكانت في غاية الدقة والأحكام ، حيث كانت وسيلة في تحويل المعنويات إلي محسوسات وكائنات حية لها ما للإنسان من صفات!).هـ. ومن أراد بحث الدكتورة منى فراج فليقصد إليه في مظانه! وإنما أنا أوردت كلامها في الجزء الذي يعنيني فقط وطبعاً بتصرفٍ اقتضته ضرورة التأليف! وأشكر من كل قلبي بلدي الدكتورة منى فراج هذه الأديبة الصعيدية بنت بلدي بنت سوهاج ، وما أخميم وجرجا إلا بقعتان معمورتان ذهبيتان من بقاع المحافظة الأم (سوهاج)! هذا وتُنسب القصيدة الزينبية للإمام علي بن أبي طالب في عدة مصادر ، بينما يرجح الكثير من رواة الشعر ومؤرخي الأدب نسبتها إلى الشاعر العباسي صالح بن عبد القدوس ، وقد وردت القصيدة في ديوانَي كل منهما ، باختلاف يسير. والقصيدة في الأصل لصالح بن عبد القدوس كما جاءت في مطلع كتاب لإعلام الناس فيما وقع للبرامكة مع بن العباس: ص3- 6.بولاق سنة 1280هـ ، والذي يدفع إلى القول بعدم صحة قول الإمام هذه القصيدة أنها بلغت سبعين بيتًا ، والصحيح أن الإمام علي لم يقل قصيدة أطول من عشرة أبيات. وتقع القصيدة الزينبية في خمسة وستين بيتًا وسميت بالزينبية نسبة لمطلعها حيث يرد اسم زينب. ويقول مطلع القصيدة:-

صَـــرَمتْ حبالَـــكَ بعـــدَ وصـــلكِ زينـــبُ والدهـــــرُ فيـــــه تصـــــرُّمٌ وتقلـــــبُ

نَـــشَرتْ ذوائِبَهـــا التـــي تَزهـــو بـــها سُـــــوداً ورأسُـــك كالثَّغامَـــةِ أشـــيَبُ

واستمر صالح بن عبد القدوس الأزدي في كيل الحكمة ووصف الدربة والتجربة إلى قوله:-

فاصـــــغ لـــــوعظ قصـــــيدة أولاكهـــــا طـــــودُ العلـــــوم الشـــــامخات الأهيـــــب

أعنـــــي عليـــــاً وابـــــن عـــــم محمـــــد مـــــن نالـــــه الشـــــرفُ الرفيـــــع الأنســـــب

يـــــا رب صـــــل علـــــى النبـــــي وآلـــــه عـــــددَ الخلائـــــق حصـــــرها لا يُحســـــب

وكان هناك تحقيق عن القصيدة الزينبية قام به أستاذنا قحطان محمد صالح الهيتي قال في بعض فقراته ما نصه بتصرفٍ زهيد: (لقد نسب بعض الباحثين هذه القصيدة إلى الإمام علي ، وقد وردت القصيدة في ديوانه ، وقد قال عنها الكثيرون بأنها (منسوبة) ، وبلاغة الإمام علي كما هو معروف لا ترقى اليها أية شكوك فهو سيد البلغاء. ولكن هناك من الحقائق ما يثبت أنها للشاعر صالح عبد القدوس وهي: 1. ذكرها ياقوت الحموي في معجم الأدباء الذي يعد واحداً من المصادر المهمة في الأدب العربي ، فقال ما نصه: "صالح بن عبد القدوس بن عبد الله ، كان حكيماً أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً كان يجلس للوعظ في مسجد البصرة ويقص عليهم ، وله أخبار يطول ذكرها ، اتهم بالزندقة فقتله المهدي بيده ، ضربه بالسيف فشطره شطرين ، وعلق جثمانه بضعة أيام للناس ثم دفن ، وأشهر شعره قصيدته البائية التي مطلعها:

صرمت حبالك بعد وصلك زينبُ والدهر فيه تصرّمٌ وتـقـلـبُ

وكذاك ذكر الغـانـيات فـإنـه آل ببلـقـعةٍ وبـرقٌ خـلـب

هذا ما ورد في معجم الأدباء ، وفي مقتله اختلاف عند المؤرخين! فمنهم من يذكر أن المهدي قتله ومنهم من يذكر أن الرشيد قتله. 2 - ورد في البيت الآتي من القصيدة ذكر (أشعب) الطماع:

وإذا طمعتَ كُسيتَ ثوبَ مذلةٍ فلقد كُسيْ ثوبَ المذلةِ أشعبُ

والمعروف تاريخياً أن (أشعب) لم يظهر على عهد الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، بل ظهر في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، وقد قرأ الكثيرون قصته مع الخليفة المذكور وهي حسب الروايات كما مبين في أدناه - وتبقى العهدة على الراوي فيما قال ، والذنب عليه فيما ذكر من آيات لا يجوز الاستدلال بها - بهذا الأسلوب: والقصة هي: دخل أشعب على أبي جعفر المنصور فوجد أمير المؤمنين يأكل من طبق من اللوز والفستق. فألقى أبو جعفر المنصور إلى أشعب بواحدةٍ من اللوز. فقال أشعب: يا أمير المؤمنين (ثاني اثنين إذ هما في الغار) فألقى إليه أبو جعفر اللوزة الثانية. فقال أشعب: (فعززناهما بثالث) فألقى إليه الثالثة. فقال أشعب: (فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك) فألقى إليه الرابعة. فقال أشعب: (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم) فألقى إليه الخامسة والسادسة. فقال أشعب: (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) فألقى إليه السابعة والثامنة. فقال أشعب: (وكان في المدينة تسعة رهط) فألقى إليه التاسعة. فقال أشعب: (فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) فألقى إليه العاشرة. فقال أشعب: (إني وجدت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)

فألقى إليه الحادية عشر. فقال أشعب: والله يا أمير المؤمنين إن لم تعطني الطبق كله لأقولن لك: (وأرسلناه إلى مائه ألف أو يزيدون) فأعطاه الطبق كله! وعلى وفق هذه القصة سمي بـ (أشعب الطمع) من قبل من ترجموا له ، وبناءً على هذا جاء ذكره في البيت المذكور بالقصيدة ، والذي يبين لنا بأن طمع أشعب هو الذي البسه ثوب المذلة ، فنصح الشاعر بعدم الطمع. من هذا يتبين بأن القصيدة نظمت بعد هذه القصة أي: في العصر العباسي الذي عاش ومات فيه صالح عبد القدوس(ت167هـ). 3 - لقد جمع ما تفرق من ديوان صالح بن عبد القدوس ، الباحث عبد الله الخطيب ، فأحصى (317) بيتاً. (بغداد: دار البصري 1967م) وفيه القصيدة المذكورة. كما وردت القصيدة المذكورة في ديوان شعري باسم (ديوان حكيم الشعر صالح بن عبد القدوس (167هـ.) ، حياته وشعره ونثره ، وهو من جمع وترتيب ودراسة عبد الفتاح إسماعيل غراب ، وأحمد كامل عبد الرؤوف ، ومراجعة وتعليق إسماعيل عبد الفتاح غراب ، وهو من سلسلة شعراء الحكمة ؛ 1 ، دار البدر ، (المنصورة ، 2012) ، الصفحات 41 - 46. ولم يتصدَ باحث أو كاتب لنفي ما ورد في الديوان ابتداءً حول هذه القصيدة ونسبتها إلى صالح بن عبد القدوس. 4 - وردت في القصيدة هذه الأبيات بحق المرأة:

وتَـوَقَّ مـنْ غَـدْرِ النِّساءِ خيانةً فجميعُهُنَّ مكايـدٌ لكَ تُـنصَبُ

لا تـأمنِ الأنـثى حيـاتَكَ إنـها كـالأفعُوانِ يُراغُ منـهُ الأنيبُ

لا تـأمـنِ الأُنثى زمـانَكَ كُـلَّهُ يومـاً ولـوْ حَلَفتْ يميناً تكذِبُ

تُـغري بـلينِ حديثِها وكـلامِها وإذا سَطَتْ فهيَ الصَّقيلُ الأشطَبُ

فهل لنا أن نصدق بأن الإمام علياً (رضي الله عنه) يقول هذا بحق المرأة ، وهو القائل: "لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإن المرأة ريحانة وليس قهرمانة ". فالإمام هنا وصف المرأة بأنها ريحانة بكل ما في هذه الكلمة من معانٍ عطرة ونقية وطيبة ، تسعد وتفرح من ينظر إليها ، أما القهرمانة فهي تلك التي تكلف بأمور الخدمة والاشتغال. 5 - لا بد من الإشارة إلى أن للإمام على قصيدة يعظ ولده الحسين (رضي الله عنهما) ، وربما كانت هي الملهمة لصالح بن عبد القدوس للكتابة على وزنها وقافيتها ، ومنها:

أَحُسَينُ إنّي واعِظٌ وَمؤَدِّبٌ فَاِفهَم فَأَنتَ العاقِلُ المُتَأَدِّبُ

وَاِحفَظ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنٍ يَغذوكَ بالآدابِ كَي لا تُعطَبُ

وأقول مستدركاً على أستاذنا قحطان محمد صالح الهيتي بأن البيت الثاني الذي ينسب لعلي في وصيته لولده الحسين – رضي الله عنهما – فيه إقواء! لأن كلمة (تعطبُ) وردت مرفوعة شأنها في ذلك شأن القصيدة كلها! وحقها النصب لأنها مسبوقة بكي وهي من أدوات نصب المضارع لا رفعه! فهل يقول علي مثل هذا؟ وهل يأتي الإقواء من علي أو حتى يرد على خاطره في قرون الشعر الأولى المفضلة؟! هذا أمر يصعب على العقل تصديقه! هذا ما أردت بيانه بصدد (القصيدة الزينبية) على وفق ما ورد بالمصادر والمراجع التي توافرت لي ، وقد تكون هناك غيرها مما يؤكد أو ينفي حقيقة القصيدة ، وأتمنى أن يتقدم الينا من لديه الدليل القاطع بصحة نسبتها ، وما نحن سوى باحثين عن الحقيقة ولا غاية لنا غير الحقيقة).هـ. وأشكر للباحث هذا

التفصيل الرائع وهذا التبيين الماتع! وبقلم أستاذنا الأديب فاروق مواسي كانت هذه الجولة مع القصيدة الزينبية ، يقول ما نصه: (قيل إن القصيدة الزينبية (نسبة لمطلعها حيث تُذكر زينب) هي لعلي - رضي الله عنه - ، وقيل إنها لصالح بن عبد القدوس ، وقد وردت القصيدة في ديوانَي كل منهما ، باختلاف يسير. وانظر لذلك: ديوان علي بن أبي طالب - تحقيق عبد الرحيم الماردِيني - دمشق- 2005م ، ص 214- 220. وكذلك عباس الترجمان: صالح بن عبد القدوس – حياته ، بيئته وشعره ، وهو من منشورات الجمل - 2013م ، ص 107- 110. والقصيدة جميلة ، وفيها حِكم تقريرية ، وعِبر تعبّر عن تجربة حياتية ، وتقع في خمسة وستين بيتًا ،وهذه القصيدة المشهورة - كما قلت - تنسب لعلي بن أبي طالب ، ومن الطبيعي أن يُشك في نسبتها إليه لأن فيها ذكرًا لأشعب: وأشعب لم يظهر على عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقد توفي سنة 154 هـ في المدينة المنورة ؛ من هنا فقد كان معاصرًا لصالح بن عبد القدوس ، وكان مشتهرًا بالطمع. وهناك ملاحظة: هذا البيت الوارد في القصيدة عن أشعب لم أجده في ديوان عليّ الذي بين يديّ ، لكنا نراه في ديوان عليّ على المواقع ، وربما اطلع د. الترجمان على نسخة أخرى من ديوان علي وفيها هذا البيت ، ولذا كانت ملاحظته عن أشعب. (ص 111.)! *أضيف بيتان في نهاية أبيات القصيدة المنسوبة لعلي ، وفيهما موضع للتساؤل ، وهما يتحدثان عن عليّ نفسه ، وفي تقديري أن شاعرًا ما أضافهما:

أعني عليًا وابنَ عمِّ محمد من ناله الشرفُ الرفيعُ الأنسبُ

يا ربِّ صلِّ على النبي وآله عددَ الخلائق حصرها لا يُحسبُ

أثبت الإمام الدَّميري في كتابه (حياة الحيوان) بعض أبيات القصيدة وذكر قبلها: "وقال بعضهم" ج1 ، ص 43. كما وردت بعض الأبيات في معجم الأدباء لياقوت ، ج12 ، ص 9- على أنها لعبد القدوس. (مادة صالح بن عبد القدوس). ومن الغريب أنني لم أجد للقصيدة ذكرًا في الأغاني ، ولا في خزانة الأدب ولا في الشعر والشعراء وغيرها من أمهات الكتب الأدبية. ومع ذلك فهناك ترجيح ما أن القصيدة هي لصالح بن عبد القدوس ، ولكننا لا نستطيع بما نملك من مصادر قليلة أن نؤكد أن القصيدة كلها لشاعر منهما ، خاصة ونحن نشهد إمكان الإضافة والحذف في كثير من المقتبسات. أما صالح بن عبد القدوس فهو شاعر عباسي كان مولي لبني أسد. وكان حكيمًا متكلمًا يعظ الناس في البصرة ، له مع أبي الهُذيل العلاّف مناظرات ، واشتهر بشعر الحكمة والأمثال والمواعظ ، يدور كثير من شعره حول التنفير من الدنيا ومتاعها ، وذكر الموت والفناء ، والحثّ على مكارم الأخلاق ، وطاعة الله ، ويمتاز شعره بقوة الألفاظ ، والتدليل ، والتعليل ، ودقة القياس. ولقد مرت أحداث في حياة الشاعر جعلته يقارن بين الأسباب كما يقارن بين النتائج ؛ فيَصل إلى آراء مُحكمة مستخلصة من تجاربه وتجارب غيره ، وهي تختلف عما تعارف عليها الناس).هـ. وأخلص من هذا السجال النقدي والبلاغي والأدبي لأدلف إلى السجال الشرعي والمعركة الدائرة أمس واليوم وغداً ، عن زواج الصغيرات من الشواب! ولأنني من غير المتخصصين في الشريعة أحيل نفسي والقراء الأعزاء إلى أهل الاختصاص! وسئل ابن باز وأجاب: فأما السؤال: أنا فتاة أبلغ الخامسة والعشرين من عمري ، زوجني والدي على رجل يبلغ من العمر خمسة وستون عامًا ، رغم أنه لم يستشرني في ذلك ، ولكني سكتُ مرضاة لأمر والدي؟ وأما الجواب: تزويج الوالد لابنته لمن يكبرها في السن إذا رأى المصلحة في ذلك ؛ لا حرج فيه ، أما ما يشيعه الناس في هذا العصر من عدم تزويج

المرأة ممن يكبرها سنًا ؛ فهذا شيء لا أصل له ، ولا وجه له ، وإنما هو من ضلال العقول ، وفساد العقول ، وعدم البصيرة. فالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ تزوج عائشة ، وكان عمره فوق الخمسين ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكان عمرها حين العقد سبع سنين ، وعند الدخول تسع سنين ، وليس في هذا محظور ، والرسول ﷺ هو أكمل الناس في كل شيء ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو أنصح الناس ، فلو كان في هذا شيء من المحذور ؛ لم يفعله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولا أبانه للأمة. ولم يزل المسلمون من قديم الزمان إلى زماننا هذا يتزوج الإنسان من تكبره سنًا ، ومن تصغره سنًا ، ولا حرج في ذلك ، وقد تزوج النبي ﷺ أيضًا خديجة ، وكانت أسن منه بخمسة عشرة سنة ، عمرها أربعون ، وكان حين تزوجها عمره خمس وعشرون ـ عليه الصلاة والسلام ـ. فلا حرج في أن يتزوج الإنسان من تكبره سنًا ، ومن تكون أصغر منه سنًا ، لكن لا بد من مشاورتها ، ولا بد من أخذ رضاها ، هذا هو المهم ، فإذا رضيت بأن تتزوج وهي بنت خمسة عشرة ، بمن سنه أربعون ، أو خمسون ، أو أكثر من ذلك ، فلا حرج في ذلك إذا بين لها ، ولم تغش ، ولم تخدع ، إذا بين لها الأمر ، ورضيت بذلك ؛ فلا حرج في ذلك. ولا يجوز لأحد أن يتكلم في هذه الأمور بغير حق ، فإن معناه الاعتراض على رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا قال: إنه لا ينبغي أن يتزوج من يكبرها ، فمعنى ذلك الاعتراض على رسول الله ﷺ الاعتراض على أصحابه ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ والاعتراض على المسلمين جميعًا ، الذين تزوجوا من تصغرهم سنًا ، وهذا كله باطل ، وكله منكر ، لا وجه له ، وإنما الذي أبانه النبي ﷺ ودعا إليه: هو المشاورة ، وأخذ الإذن من المرأة. قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا: يا رسول الله ، إنها تستحي ، قال: إذنها سكوتها)! عليه الصلاة والسلام ، فلا بد أن يبين لها ، وإذا سكتت ، وهي بكر ؛ كفى ذلك ، وإذا كانت ثيبًا ؛ فلا بد من أخذ إذنها كلامًا ، وهذه البنت الجارية السائلة لما سكتت ، استأذنها أبوها ، وسكتت ؛ كفى ذلك ، وزواجها لا بأس به ، والحمد لله على كل حال. وإذن فالزواج لا حرج فيه ، ولا بأس به ، وإن كان يكبرها بعشرين سنة ، أو أربعين سنة ، أو أكثر ، أو أقل ، إذا كانت راضية بذلك ، وعلى بصيرة ، ولم تخدع ، فلا حرج في ذلك ، والحمد لله ، وكم من شيخ كبير خير للمرأة من شاب يماثلها ، أو يصغرها سنًا ، أو يكبرها ، فهذا يرجع إلى حسن السيرة ، والعشرة ، والقيام بأمر الله ، ومراقبة الله في حق النساء).هـ. رحم الله تعالى الأمام ابن باز وأسكنه فسيح جناته! لقد أقام الحجة وبين المحجة في هذا الأمر! ولمزيد من البيان والوضوح والتأكد أكثر ، نستدرك على فتوى ابن باز بما جاء في (إسلام ويب) من سؤال وجوابه: (أما السؤال فهو: ما حكم الزواج بالصغيرة؟ وهل العقد عليها صحيح؟ وإذا كان العقد عليها صحيحاً فما حكم الاستمتاع بها؟ والإجابــة: فبداية لا بد من الاتفاق على أن الصغر في الشرع ينتهي بالبلوغ. جاء في (الموسوعة الفقهية): واصطلاحاً هو: وصف يلحق بالإنسان منذ مولده إلى بلوغه الحلم. اهـ. فلا يصح شرعاً أن تبلغ البنت البلوغ الشرعي بالحيض أو غيره ، وتوصف مع ذلك بالصغر الذي تتعلق به أحكام شرعية. ومن ذلك مسألة النكاح ، فلا خلاف بين أهل العلم في أن من بلغت فليست بصغيرة في هذا الحكم. والبلوغ قد يحصل في سن مبكرة كالعاشرة مثلاً. قال البخاري في صحيحه: باب بلوغ الصبيان وشهادتهم ، وقول الله تعالى: {وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا} وقال مغيرة: «احتلمت وأنا ابن ثنتي عشرة سنة». وبلوغ النساء في الحيض ، لقوله عز وجل: {واللائي يئسن من المحيض من نسائكم} إلى قوله: {أن يضعن حملهن} ، وقال الحسن بن

صالح: «أدركت جارة لنا جدة ، بنت إحدى وعشرين سنة» اهـ. ولا يخفى أن هذه الجدة قد تزوجت وسنها صغيرة ، وحملت وهي بنت عشر سنين ، والحمل علامة قطعية على البلوغ. ومثل هذا ينبغي أن لا يكون محل خلاف. وعليه لا يصح شرعاً استنكار بعض الناس لزواج البنت في سن مبكرة ، ما دامت قد بلغت البلوغ الشرعي وأطاقت الزواج وأعباءه! وأما الصغيرة التي لم تبلغ فالسؤال في حقها عن مسألتين: ـ الأولى: العقد عليها. ـ والثانية: الاستمتاع بها ، بالوطء أو بما دون الوطء. وجواب السؤال الأول ، أن العقد على الصغيرة صحيح عند أكثر أهل العلم ، حتى لقد حُكي الإجماع عليه ، والحقيقة أنه قد خالف في صحته قلة من أهل العلم ، وهم: ابن شبرمة ، وعثمان البتي ، وأبو بكر الأصم ، فقالوا بأنه لا يزوج الصغير ولا الصغيرة حتى يبلغا لقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ}. وذكر السرخسي في (المبسوط) تعليلهم في ذلك فقال: فلو جاز التزويج قبل البلوغ لم يكن لهذا فائدة ، ولأن ثبوت الولاية على الصغيرة لحاجة المولى عليه ، حتى إن في ما لا تتحقق فيه الحاجة لا تثبت الولاية كالتبرعات ، ولا حاجة بهما إلى النكاح ؛ لأن مقصود النكاح طبعا هو قضاء الشهوة ، وشرعاً النسل ، والصغر ينافيهما ، ثم هذا العقد يعقد للعمر وتلزمهما أحكامه بعد البلوغ ، فلا يكون لأحد أن يلزمهما ذلك إذ لا ولاية لأحد عليهما بعد البلوغ. اهـ. واختار هذا القول بعض المعاصرين ، كالشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ فقال في (الشرح الممتع): القول الراجح أن البكر المكلفة لا بد من رضاها ، وأما غير المكلفة وهي التي تم لها تسع سنين ، فهل يشترط رضاها أو لا؟ الصحيح أيضا أنه يشترط رضاها ؛ لأن بنت تسع سنين بدأت تتحرك شهوتها وتحس بالنكاح ، فلا بد من إذنها ، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وهو الحق. وأما من دون تسع سنين فهل يعتبر إذنها؟ يقولون: من دون تسع السنين ليس لها إذن معتبر ؛ لأنها ما تعرف عن النكاح شيئاً ، وقد تأذن وهي تدري ، أو لا تأذن ؛ لأنها لا تدري ، فليس لها إذن معتبر ، ولكن هل يجوز لأبيها أن يزوجها في هذه الحال؟ نقول: الأصل عدم الجواز ؛ لقول النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «لا تنكح البكر حتى تستأذن» ، وهذه بكر فلا نزوجها حتى تبلغ السن الذي تكون فيه أهلاً للاستئذان ، ثم تستأذن. لكن ذكر بعض العلماء الإجماع على أن له أن يزوجها ، مستدلين بحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ، وقد ذكرنا الفرق ، وقال ابن شبرمة من الفقهاء المعروفين: لا يجوز أن يزوج الصغيرة التي لم تبلغ أبداً ؛ لأننا إن قلنا بشرط الرضا فرضاها غير معتبر ، ولا نقول بالإجبار في البالغة فهذه من باب أولى ، وهذا القول هو الصواب ، أن الأب لا يزوج بنته حتى تبلغ ، وإذا بلغت فلا يزوجها حتى ترضى. لكن لو فرضنا أن الرجل وجد أن هذا الخاطب كفء ، وهو كبير السن، ويخشى إن انتقل إلى الآخرة صارت البنت في ولاية إخوتها أن يتلاعبوا بها ، وأن يزوِّجوها حسب أهوائهم ، لا حسب مصلحتها ، فإن رأى المصلحة في أن يزوجها من هو كفء فلا بأس بذلك ، ولكن لها الخيار إذا كبرت ؛ إن شاءت قالت: لا أرضى بهذا ولا أريده. وإذا كان الأمر كذلك فالسلامة ألا يزوجها ، وأن يدعها إلى الله ـ عزّ وجل ـ فربما أنه الآن يرى هذا الرجل كفئاً ثم تتغير حال الرجل ، وربما يأتي الله لها عند بلوغها النكاح برجل خير من هذا الرجل ؛ لأن الأمور بيد الله ـ سبحانه وتعالى. اهـ. وقد فصل الشيخ في ذلك وناقش أدلة الجمهور في (شرح صحيح البخاري) باب: (إنكاح الرجل ولده الصغار). وأما اختيار شيخ الإسلام الذي ذكره الشيخ فهو في خصوص من لها تسع سنين ولم تبلغ. قال المرداوي في (الإنصاف): البكر التي لها تسع سنين فأزيد ، إلى ما قبل البلوغ: له تزويجها بغير إذنها ، على الصحيح من المذهب ، وعليه جماهير الأصحاب ... وعنه: لا يجوز

تزويج ابنة تسع سنين إلا بإذنها. قال الشريف أبو جعفر: هو المنصوص عن الإمام أحمد. قال الزركشي: وهي أظهر ... واختار أبو بكر ، والشيخ تقي الدين رحمهما الله: عدم إجبار بنت تسع سنين بكراً كانت أو ثيباً. قال في رواية عبد الله: إذا بلغت الجارية تسع سنين فلا يزوجها أبوها ولا غيره إلا بإذنها. قال بعض المتأخرين من الأصحاب: وهو الأقوى. اهـ. والمقصود أن ننبه على أن المسألة فيها شيء من الخلاف ، وليست من المسائل القطعية. مع كون الراجح عندنا هو قول الجمهور القائلين بصحة العقد ، وجمهور العلماء الذين يصححون العقد على الصغيرة ، يستحبون أن ينتظر والدها بلوغها ليستأذنها.قال النووي: اعلم أن الشافعي وأصحابه قالوا: يستحب أن لا يزوج الأب والجد البكر حتى تبلغ ، ويستأذنها لئلا يوقعها في أسر الزوج وهي كارهة. وهذا الذي قالوه لا يخالف حديث عائشة ؛ لأن مرادهم أنه لا يزوجها قبل البلوغ إذا لم تكن مصلحة ظاهرة يخاف فوتها بالتأخير كحديث عائشة ، فيستحب تحصيل ذلك الزوج ؛ لأن الأب مأمور بمصلحة ولده فلا يفوتها. اهـ. وهذا ما رجحه الدكتور عبد الكريم زيدان في موسوعته (المفصل في فقه الأسرة) فقال: نرجح على وجه الاستحباب أن لا يزوج الأب ابنته حتى تبلغ ، إلا إذا وجد المبرر المقبول لتزويجها وهي صغيرة. اهـ. وذكر لذلك عدة أسباب فراجعها هناك. وهذا ما اختارته أيضا الباحثة سها القيسي في رسالتها للماجستير: (زواج الصغار في ضوء تحديد سن الزواج) حيث رجحت صحة العقد ثم قالت: الأولى عدم تزويجها إلا إذا ظهرت مصلحة راجحة. اهـ. وذكرت لذلك أربعة أسباب. وهنا ننبه على أن إنكاح الصغيرة إنما هو مراعاة لمصلحتها ، لا لمجرد رغبة والدها ، حتى لقد نص بعض أهل العلم على بطلان الزواج إذا لم تراع فيه مصلحة الصغيرة ، وأن على القاضي حينئذ فسخه.قال الشوكاني في: (وبل الغمام على شفاء الأوام في أحاديث الأحكام): أما مع عدم المصلحة المعتبرة ، فليس للنكاح انعقاد من الأصل ، فيجوز للحاكم بل يجب عليه التفرقة بين الصغيرة ومن تزوجها ، ولها الفرار متى شاءت ، سواء بلغت التكليف أم لم تبلغ ، ما لم يقع منها الرضا بعد تكليفها. اهـ. وقال الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين في بحثه (ولاية تزويج الصغيرة) المنشور في (مجلة البحوث الإسلامية): ومن أجل ضمان تزويج الأب ابنته الصغيرة ممن في زواجها منه مصلحة لها ، فقد ذكر بعض العلماء لصحة تزويجه إياها شروطا أهمها: 1- ألا يكون بينها وبين والدها عداوة ظاهرة. 2- ألا يكون بينها وبين الزوج عداوة. 3- ألا يزوجها بمن في زواجها منه ضرر بيِّن عليها كهرم ، ومجبوب ونحو ذلك. 4- أن يزوجها بكفء غير معسر بصداقها. اهـ. ومما يحسن ذكره في الدلالة على مراعاة الوالد لمصلحة ابنته عند قبول خطبتها بمن يكبرها في السن ، حديث بريدة قال: خطب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها صغيرة. فخطبها علي ، فزوجها منه. رواه النسائي ، وصححه الألباني. قال القاري في (المرقاة): يحتمل أنها كانت صغيرة عند خطبتها ، ثم بعد مدة حين كبرت ودخلت في خمسة عشر خطبها علي ، أو المراد أنها صغيرة بالنسبة إليهما لكبر سنهما ، وزوجها من علي لمناسبة سنه لها ، أو لوحي نزل بتزويجها له. اهـ. وقال السندي في حاشيته على النسائي: (فخطبها علي) أي عقب ذلك بلا مهلة كما تدل عليه الفاء ، فعلم أنه لاحظ الصغر بالنظر إليهما ، وما بقي ذاك بالنظر إلى علي فزوجها منه ، ففيه أن الموافقة في السن أو المقاربة مرعية لكونها أقرب إلى المؤالفة ، نعم قد يترك ذاك لما هو أعلى منه كما في تزويج عائشة. اهـ. وسن فاطمة رضي الله عنها حين تزوجت ، كما قال ابن عبد البر في (الاستيعاب): كَانَ سنها يوم تزويجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفًا

وكانت سن عليّ إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر. اهـ. وبذلك قال أكثر المؤرخين كالمزي وابن كثير وابن الأثير واليافعي وابن العماد والعصامي. وقال الذهبي في (تاريخ الإسلام): دخل بها علي رضي الله عنه بعد وقعة بدر ، وقد استكملت خمس عشرة سنة أو أكثر. اهـ. وقال المناوي في (إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل): لما شبت فاطمة وترعرعت ، وبلغت من العمر خمس عشرة سنة. وقيل: ست عشرة سنة. وقيل: ثماني عشرة سنة. وقيل: إحدى وعشرين. تزوجها علي. اهـ. وأما المسألة الثانية: وهي مسألة وطء الصغيرة أو الدخول بها، فقد نص أكثر أهل العلم على أن الصِّغَر الذي لا تطيق معه الوطء، مانع من موانع تسليمها لزوجها، ووافقهم الحنابلة في من لم تبلغ تسع سنين. قال النووي: أما وقت زفاف الصغيرة المزوجة والدخول بها ، فإن اتفق الزوج والولي على شيء لا ضرر فيه على الصغيرة عمل به. وإن اختلفا فقال أحمد وأبو عبيد: تجبر على ذلك بنت تسع سنين دون غيرها. وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة: حد ذلك أن تطيق الجماع. ويختلف ذلك باختلافهن ولا يضبط بسن. وهذا هو الصحيح. اهـ. وجاء في (الموسوعة الفقهية): ذهب الفقهاء إلى أن من موانع التسليم الصغر ، فلا تسلم صغيرة لا تحتمل الوطء إلى زوجها حتى تكبر ويزول هذا المانع ؛ لأنه قد يحمله فرط الشهوة على الجماع فتتضرر به. وذهب المالكية والشافعية إلى زوال مانع الصغر بتحملها للوطء. قال الشافعية: ولو قال الزوج: سلموها لي ولا أطأها حتى تحتمله ، فإنه لا تسلم له وإن كان ثقة ؛ إذ لا يؤمن من هيجان الشهوة. اهـ. وأما عند الحنفية فقال ابن نجيم في (البحر الرائق): اختلفوا في وقت الدخول بالصغيرة ، فقيل: لا يدخل بها ما لم تبلغ. وقيل: يدخل بها إذا بلغت تسع سنين. وقيل: إن كانت سمينة جسيمة تطيق الجماع يدخل بها ، وإلا فلا. اهـ. وجاء في الفتاوى الهندية: أكثر المشايخ على أنه لا عبرة للسن في هذا الباب وإنما العبرة للطاقة ، إن كانت ضخمة سمينة تطيق الرجال ولا يخاف عليها المرض من ذلك ; كان للزوج أن يدخل بها وإن لم تبلغ تسع سنين ، وإن كانت نحيفة مهزولة لا تطيق الجماع ، ويخاف عليها المرض لا يحل للزوج أن يدخل بها وإن كبر سنها ، وهو الصحيح. اهـ. ودخول النبي صلى الله عليه وسلم بأمنا عائشة كان بعد بلوغها هذا المبلغ ، ولذلك تأخر بعد العقد عليها بنحو ثلاث سنوات ، كما في الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم "تزوجها وهي بنت ست سنين ، وبنى بها وهي بنت تسع سنين. قال الداودي: كانت عائشة قد شبت شباباً حسناً. اهـ. ومما يؤكد مراعاة هذا المعنى قبل زفاف عائشة ، أنها قالت: أرادت أمي أن تسمنني لدخولي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم أُقبل عليها بشيء مما تريد حتى أطعمتني القثاء بالرطب ، فسمنت عليه كأحسن السمن. رواه أبو داود وابن ماجه ، وصححه الألباني. وهنا نؤكد على أن الصغر الذي هو مانع من التسليم ليس هو الصغر المقابل للبلوغ ، وإنما هو بمعنى عدم القدرة على الوطء. قال النووي في (روضة الطالبين): المراد بالصغيرة والصغير من لا يتأتى جماعه ، وبالكبير من يتأتى منه الجماع ، ويدخل فيه المراهق. اهـ. وبهذا يتبين أن الدخول بالصغيرة منوط بقدرتها على الوطء ، لا بمجرد العقد ، والقاعدة الكلية في ذلك هي قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا ضرر ولا ضرار. رواه أحمد وابن ماجه ، وصححه الألباني. وهذه إحدى القواعد الكلية الخمسة التي ينبني عليها الفقه الإسلامي ، فمتى ثبت الضرر ثبوتاً شرعياً، فقد جاء الشرع الحنيف بإزالته ومنعه. ولذلك ينبغي ضبط أنواع الاستمتاع بما دون الوطء بعدم المضرة أيضاً ، وذلك بكون البنت مطيقة وأهلاً له ، فقد يبلغ بها الصغر أن يمنع الاستماع بها بالكلية ، ويعد اشتهاؤها من الأمور الشاذة الخارجة عن المعتاد ،

كالطفلة غير المميزة ، ولذلك لا يحرم النظر إلى عورتها ، وهذه المسألة من المسائل التي تحتاج إلى تحرير! نعني مسألة: الاستمتاع بما دون الوطء قبل إمكان الوطء؟ والذي نميل إليه أن تجعل إطاقة الوطء في الجملة أو مراهقة هذا الحد هو الوصف المبيح لسائر أنواع الاستمتاع ، درء للضرر المحتمل على الطفلة الصغيرة التي لا تدرك مثل هذه الأمور ، ومما يستأنس به لذلك ما قاله ابن عابدين في تعليل وجوب نفقة الزوجة الصغيرة التي تشتهى للوطء فيما دون الفرج ، حيث قال: لأن الظاهر أن من كانت كذلك ، فهي مطيقة للجماع في الجملة. اهـ. حيث قرن بين اشتهاء ما دون الوطء ، وبين إطاقة الوطء في الجملة. وقد سئل ابن حجر الهيتمي عن رجل طلق زوجته طلاقاً بائناً ، وله منها بنت سنها خمس سنين ، وزوجها والدها بشخص ، وأراد ذلك الشخص أن ينزعها من والدتها وينفق عليها ويربيها عنده في بيته مثلاً أو عند من يختار فهل له ذلك وتسقط حضانة الأم بذلك أم لا؟ فأجاب: لا تسقط حضانة الأم بذلك ؛ لأن الزوج إنما يكون أولى بالحضانة من جميع الأقارب حيث كان له بالزوجة استمتاع بأن تطيق الوطء ، وإلا لم تسلم له. اهـ. فجعل إطاقة الوطء هو سبيل الاستمتاع وموجب التسليم. وهاهنا أمر آخر ينبغي مراعاته لا سيما في أمر الزواج ، وهو العرف ، فإن اطَّرد باستهجان الاستمتاع بالزوجة الصغيرة التي لا تدرك ولا تميز ، فينبغي مراعاة ذلك ، فلا تسلم الزوجة قبل إدراكها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الفتاوى الكبرى): وإذا كان موجب العقد من التقابض مرده إلى العرف ، فليس العرف أن المرأة تسلم إليه صغيرة ، ولا يستحق ذلك لعدم التمكن من الانتفاع. اهـ. وربما قال قائل: ماعلاقة الاسترسال الشرعي بالقصيدة الزينبية؟ وهو سؤال وجيه إذا كان يطلقه صاحبه بحسن نية! والرد عليه: أنني أعارض شاعراً مسلماً في قصيدة مسلمة وأخاطب قراء مسلمين في عمومهم! وإنني أردت فقط أن أثري القصيدة وأجعل القارئ لا يستهجن الزواج بالصغيرات الصبايا لأن الله أحله فهل تحرمه أنت؟! وبعد هذا الاسترسال الفقهي وقبله الاسترسال التاريخي والأدبي والنقدي فأقول: أياً كان الأمر أنا أوردت الرأي والرأي المضاد في محاولة جادة مني لبيان الحق! والنفس تميل بعد هذا التحقيق المضني أن القصيدة الزينبية أكيد للشاعر صالح بن عبد القدوس الأزدي العباسي! وأعود بعد هذا التحقيق الأدبي البلاغي التاريخي بمصدريه الشيعي والسني لأعارض ابن عبد القدوس في زينبيته الرائعة ، معرّضاً بالتجربة الدامية التي عانى منها ووصفها شعراً في الزمن القديم ، الذي يُفترض أنه أكثر خيرية من زماننا المعاصر! ولكن المناقب لا يحدها زمان معين أو مكان بعينه! وليست تُخلع على أشخاص بأعيانهم! ولكنني عندما وجدتُ أشيبنا اليمني المعاصر الذي تزوج من فتاة في عمر بُنياته ، وقد عاش معها أسعد أيام حياته حيث أعادت له شبابه على حد تعبيره وتصادف أن أسمتها أمها (بلقيس) على اسم ملكة سبأ ، وتسمتْ فعلاً بهذا الاسم من الناحية الرسمية! ولكن الأب كان يرغب في تسميتها زينب! ليوافق اسمها اسم كبرى بنات النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ورضي الله عن بناته! وظل الأب يناديها (زينب) حتى بعد تسجيلها (بلقيس) ، وكنتُ من أنصار الأب عملاً بقول الله تعالى: (ادعوهم لآبائهم) واستنبط منها القرطبي في مسائلة أن التسمية للمولود من حق الأب! فأسميتها نزولاً عن رغبة أبيها (زينب) ، حتى إذا ما عارضت قصيدة صالح بن عبد القدوس توافقنا معاً وزناً وموضوعاً وقافية! وإن اختلفنا في تعامل الصبيتين مع الشيبتين! فزينب العباسية أرتْ أشيبها النجوم في رابعة النهار ، وكانت مثالاً للزوجة المعاندة الناشز التي عنفت زوجها وأذاقته العلقم وجرعته الشيح! وزينب اليمنية المعاصرة التي أعادت لأشيبها شبابه بعد المشيب ، وكانت مثالاً للزوجة الصالحة

المخلصة! فتخيلتُ ذلك الأشيب اليمني يحكي لنا تجربته الزوجية وقد تزوج من فتاة في عمر بُنياته على كتاب الله تعالى وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -! فماذا قال؟ وكيف كانت تجربته؟!)

صـــانتْ ودادي رغـــم شـــيبيَ (زينـــبُ) والـــدهرُ كـــم يَعِـــظ الأنـــامَ ، ويَعتـــبُ!

لزمـــتْ مَضـــاربَ قومهـــا فـــي عِـــزةٍ ولكـــم يصـــونُ حَـــلا العفيفـــة مَضـــرب!

لمّـــا تكـــنْ بـــين الكوامـــل سَـــلفعاً خرّاجـــــة ولاجـــــة تتغيـــــب

حجبـــتْ ذوائبهـــا ، فلـــم تظهـــرْ إذن لعيـــون قـــوم شـــوقها يتلهـــب

عُـــدّتْ علـــى الغِيـــد العقائـــل حُـــرة وعلـــى الجلائـــل تلـــك كانـــت تُحســـب

والجســـمَ قـــد سَـــترتْ بســـابغ ثوبهـــا مـــا الســـترُ إن أبـــدتْ جُســـوماً أثـــوَب؟!

ونِقابُهـــا غطـــى محاســـنَ وجههـــا حتـــى تُخـــزّل كـــل عـــين ترقـــب

والكـــف بالقفـــاز صِـــينَ جمالـــه لمّـــا يَعـــدْ ســـهمٌ إليـــه يُصـــوّب

لمّـــا تُصـــافحْ أجنبيـــاً مطلقـــاً هـــذا حـــرامٌ ، والحليـــلُ سيغضـــب

لـــم تـــدْعُ غيـــرَ الله طيلـــة عمرهـــا شِـــركاً تـــراهُ ، ومَزلقـــاً يُتجنـــب

لـــم تهجـــر القـــرآن ، بـــل عاشـــت بـــه إن التـــزام نصوصـــه يتوجـــب

لمّـــا تُنـــافق كـــي تعـــيشَ بـــلا أذىً ولـــذا ـ عليـــه وأهلـــه ـ تتغلـــب

لـــم تبتـــدعْ فـــي الـــدين تُرضـــي قومهـــا كـــم ذا تُضـــيّعُ بدعـــة وتُخيّـــب!

عاشـــت تُصـــلي خمسَـــها فـــي وقتهـــا إن الصـــلاة – إلـــى المليـــك ـ تُقـــرّب

والشـــهرَ صـــامت كـــي تكـــون تقيـــة مِـــن فجرهـــا ، حتـــى يحـــل المغـــرب

وزكاتهـــا أديـــتُ عنهـــا قانعـــاً أنـــي بهـــا – لمليكنـــا ـ أتقـــرب

والبيـــتَ حجّـــتْ فـــي صَـــحابة مَحـــرم صَـــحتْ بـــذا الفتـــوى ، وجـــاء المـــذهب

وتعلمـــتْ عِلـــمَ الكتـــاب وسُـــنة والعلـــمُ أعظـــمُ مـــا يُنـــال ويُطلـــب

وعيالهـــا ربّـــتْ علـــى شـــرع الهُـــدى ولكـــل حـــق جاهـــدوا وتعصـــبوا

أمـــرتْ بمعـــروفٍ لتســـموَ فـــي النســـا والأمـــرُ بـــالمعروف سَـــمتٌ طيـــب

ونهـــتْ نســـاءَ ديارهـــا عـــن مُنكـــر ... كـــم مـــن بيـــوتٍ بالمنـــاكر تُخـــرب!

وعـــن الأغـــاني أعرضـــتْ كـــي تســـتمي ... عمـــا يُقـــدّم للأنـــام المطـــرب

ومِـــن المعـــازف حَـــذرتْ أترابَهـــا ... مـــاذا - لهـــن العـــزف يومـــاً - يُعْقِـــب؟!

وعـــن اغتيـــاب النـــاس صـــامتْ دهرَهـــا ... هـــل يُشـــتهى مَيْـــتُ اللحـــوم ويُرغـــب؟!

هـــي قـــدّرتْ حُبـــي وصـــارمَ غيْرتـــي ... كـــي لا يُجرّعنـــا الشـــقاءَ مُخبّـــب

هـــي جنبتنـــي أنْ أثـــور لتافـــهٍ! ... وإذا انفعلـــتُ لتافـــهٍ مـــا المكســـب؟!

هـــي أســـعدتْني بالحيـــاة هنيئـــة ... فأنـــا الأبـــرّ بزوجتـــي ، والأنجـــب!

وأنـــا الـــذي كـــم عشـــتُ أرحـــمُ ضـــعفها ... وحياءهـــا ، وأنـــا الأعـــز الأهيـــب!

فرأيـــتُ وصـــلَ الغانيـــاتِ ســـعادة ... إن وافـــقَ الإســـلامَ فهـــو الأصـــوب!

وإذا اغتـــذي بالجاهليـــة والهـــوى ... ودجـــى المقاصـــدَ فهْـــو بـــرقٌ خلـــب

هـــذي الحليلـــة جـــدّدتْ فـــيّ الصـــبا! ... ماضـــي الصـــبا ولـــى ، وهـــذا الأطيـــب!

عـــاد الشـــبابُ إلـــيّ أحلـــى عـــودةٍ ... فهـــل المشـــيبُ مِـــن الشـــباب ســـيهرب؟!

كـــلا ، ســـتُطربه الحيـــاة رغيـــدة ... والضـــنك يمضـــي ، والمتاعـــبُ تـــذهب

نحيـــا أنـــا والـــزوجُ أعـــذبَ عيشـــةٍ ... والصـــدعُ – فـــي جـــو المحبـــة - يُـــرأب

هـــو مـــنهجُ التوحيـــد ألـــفَ بيننـــا ... وإلـــى فؤادَينـــا الصـــفاءَ يُحبـــب

وتزيـــدُنا تقـــوى الإلـــه مـــودة ... والـــود خيـــرٌ شمسُـــه لا تغـــرب!

وأذابـــتِ التقـــوى الفـــوارقَ بيننـــا ... فبهـــا نـــداوي جرحَنـــا ونطبـــب

لمّـــا تُعـــايرْني بشـــيب هـــدّني ... والعـــيشُ إمـــا فـــارقتْني الغيهـــب

لمّـــا تمُـــنّ بحُســـنها وجمالهـــا ... والمَـــنّ بالحُســـن الوجـــاعَ يُؤلـــب

لمّـــا يُعيّرْهـــا تخـــرّص حاقـــدٍ ... أمســـى يُـــزوّرُ مـــا يقـــول ويكـــذب

لمّـــا ينـــلْ مـــن عزمهـــا متـــربّصٌ ... أضـــحى يُحقـــر مـــا أتـــتْ ويُعيّـــب

لمّـــا يُميلهـــا عـــن الحـــق الغثـــا ... لمّـــا تكـــنْ بالمغرضـــين تُرحّـــب

مكـــروا بهـــا ، فتنكـــرتْ لخـــداعهم ... قـــالوا: تـــزوّجَ - بالصـــبية - أشـــيب!

قـــالوا: سيكســـرُ كبريـــاءَ عزيـــزةٍ ... أو أنهـــا بالمُســـتهام ســـتلعب

أو أنهـــا حتمـــاً ستعشـــقُ غيـــرَهُ ... وتوابـــعُ العشـــق الحـــرام ســـتُحْجب

أو أنـــه يومـــاً يُطلـــقُ مَـــن غفـــتْ ... إمـــا اســـتفاق اللـــوذعيُ الأدرب

قـــالوا: زواجُهمـــا خِـــداعٌ مُبْـــرمٌ ... تصـــديقه بالعقـــل شـــيءٌ يصـــعب

قـــالوا: زواجُهمـــا الضـــياعُ بعينـــه ... وشـــهادة التطليـــق فـــوراً تُكتـــب

قـــالوا: الـــذي عقـــدَ الـــزواجَ قـــد ارتشـــى ... فعـــروسُ أشـــيبنا عجـــوزٌ ثيـــب

والله خيّـــبَ مـــا ارتـــأوهُ وصـــرّحوا ... وعـــن الـــذي أمضـــاه هـــا هـــم غيّبـــوا

إنـــا أردنـــا الله جـــل جلالـــه ... بزواجنـــا ، ولـــذا العـــواذلُ خيّبـــوا

يـــا صـــالحَ الخيـــر انطلقـــتَ مُحـــذراً ... بالزينبيـــة تســـتطيلُ وتخطـــب

وتلـــومُ أشـــيبَ أن تـــزوّج غـــادة ... وتُحبّـــرُ التـــوبيخ ، ثـــم تؤنـــب

وكأنـــه اقتـــرفَ الكبـــائرَ عامـــداً ... ولهـــا يُشـــرّقُ تـــارة ، ويُغـــرّب

هـــو لـــم يـــزلْ عبـــداً يُحَكّـــمُ شـــرعه ... والشـــرعُ يَحْكـــمُ فعلـــه ويُهـــذب

إن كنـــت جربـــت الـــزواج بغـــادةٍ ... فصُـــلِيت فتنتهـــا ، وراجَ المَقلـــب

ومَضـــغت عَلقمهـــا لتُصـــلحَ شـــأنها ... وأتـــاك منهـــا مـــا تهـــابُ وترهـــب

فلـــم التراشـــقُ بالهجـــاء ، صُـــخورُه ... فـــوق الخلائـــق لـــيس منهـــا مَهـــرب

عممـــت تجربـــة دهتْـــك غمومهـــا ... مـــا القصـــدُ مِـــن هـــذا؟ ومـــاذا المَـــأرب؟

لـــو أن (زينبَـــك) احتـــواك سَـــعيرُها ... فأنـــا حبتْنـــي الســـعدَ طوعـــاً (زينـــب)!

المقابر تتكلم 1 (إنها تذكرة)

(إنني أهمس في آذان من أعماهم الشيطان بألاعيبه فصدهم عن صراط الله المستقيم. وأقول: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)؟ فإلى كل من ذاق حلاوة الإيمان ولذة الاستسلام لله بالتوحيد ولنبيه – صلى الله عليه وسلم – بالمتابعة ولكتابه بالتطبيق. أقول: (إن هذه تذكرة). وأحاول أن أذكر بالله وشرعه وبسنته - تعالى - في إهلاك الظالمين المتجاوزين لحدوده. وأذكر بالموت وأهواله وكرباته ومحنه. وأذكر بمرور العمر سنة وراء سنة ، وأذكر بمن شيعناهم إلى قبورهم ونحن على الأثر. وأذكر بالحساب يوم القيامة والمصير إما إلى جنة وإما إلى نار. مروراً بحياة البرزخ. لعل القارئ لهذي القصيدة يتذكر أنه يوماً سوف يرحل عن هذه الحياة فيحاول صادقاً مع ربه أن يخلص عمله ويتدارك أمره قبل فوات الأوان. ولات ساعة مندم. جاء في (التبصرة) للإمام القرطبي - رحمه الله - قوله: كم من ظالم تعدى وجار ، فما راع الأهل ولا الجار ، بينما هو قد عقد الإصرار ، حلّ به الموت فحلّ من حُلته الإزار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! ما صحبه سوى الكفن ، إلى بيت البلى والعفن ، فلو رأيته وقد حلّت به الفتن ، وشين ذلك الوجه الحسن ، فلا تسأل كيف صار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! سال في اللحد صديده ، وبلى في القبر جديده ، وهجره نسيبه ووديده ، وتفرق شحمه وعبيده ، وتخلى عن الأنصار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! أين مجالسه العالية؟ أين عيشته الصافية؟ أين لذته الخالية؟ كم تسفي على قبره السافية ، ذهبت العين وأُخفيت الأثار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! تقطعت به جميع الأسباب ، وهجره القرناء والأتراب ، وربما فُتح له في اللحد باب النار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! خلي والله بما صنع ، واحتوشه الندم وما نفع ، وتمنى الخلاص وهيهات قد وقع ، وخلاّه الخليل المصافي وانقطع ، واشتغل الأهل بما كان جمع ، وتملّك أعداءه المال والدار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! نادم بلا شك ولا خفا ، باكٍ على ما زلّ وهفا ، يود أن صافي اللذات ما صفى ، وعلم أنه كان يبني من جرفٍ هارٍ على شفا ، فاعتبروا يا أولي الأبصار!).هـ. وأقول: إن الذكي العبقري الكيس هو الذي يعد نفسه إعداداً دقيقاً لهذا اليوم الذي يلقى فيه ربه وخالقه ومولاه. وليعلم أنه مسئول بين يديه عن كل كبيرة وصغيرة من أمره. ومن هنا وجب عليه أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبها الله ، وأن يزن أعماله قبل أن توزن عليه. وأن يتحلل من كل مظلمة كان قد اقترفها من قبل أن يأتي يوم لا درهم فيه ولا دينار. وإنها لنار أبداً أو جنة أبداً فليختر لنفسه ما يشاء. نسأل الله عز وجل من فضله العظيم ، ونعوذ به من غضبه وسوء عذابه. رزقنا الله تقواه ، وأدخلنا جنته ، وزحزحنا عن ناره يوم نلقاه ، وحشرنا مع نبيه. وفي محاضرة له بعنوان: (لو تكلم الموتى) يقول الأستاذ سليمان الماجد – متحدثاً عن معالم النجاة - ما نصه: (معالم النجاة عشرة لا تزيد: * المعلم الأول: لا تُعجب بحالك الراهنة فإن الأعمال بالخواتيم قال - صلى الله عليه وسلم -: (إن العبد ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم). * المعلم الثاني: زيارة القبور خير طريق لتذكر الموت وما بعده فقد صحّ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة). * المعلم الثالث: إذا رأيت ميتاً فتصور أنك أنت الطريح بين يدي الإمام أو على النعش أو من يُنزل في حفرة القبر! فحريٌ بنا حينئذٍ أن نراجع أنفسنا. *المعلم الرابع: لا

تصاحب أهل اللهو والبطالة. * المعلم الخامس: تذكر أنه مع حلاوة المتعة فإنه يعقبها مرارة الندم. * المعلم السادس: لعلك قد كتبت الآن في الأموات بعد مدة يسيرة وأنت تسرح وتمرح بلا توبة ولا مراجعة. * المعلم السابع: كل متعة تعتبر هباءً عند حلول الموت فلماذا نعصي الله - عز وجل - من أجل هذه المتعة {أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ}. * المعلم الثامن: السعيد من وُعظ بغيره ، قال زين الدين المعبّري: (تذكر من مضى من أقاربك وإخوانك وأصحابك وأترابك الذين مضوا قبلك كانوا يحرصون حرصك ويسعون سعيك ويعملون في الدنيا عملك فقصفت المنون أعناقهم وقلعت أعراقهم وقصمت أصلابهم وفجعت فيهم أحبابهم فأُفردوا في قبور موحشة وصاروا جيفاً مدهشة والأحداق سالت والألوان حالت والفصاحة زالت والرؤوس تغيرت ومالت مع فتان يُقعدهم يسألهم عما كانوا يعتقدون ثم يكشف لهم من الجنة والنار مقعدهم إلى يوم يبعثون فيرون أرضاً مبدلة وسماء مشققة وشمساً مكورة ونجوماً منكرة وملائكته منزله وأهوالاً مذعره وصحفٌ منشرة وناراً زفرة وجنة مزخرفة فعُدّ نفسك منهم ولا تغفل عن زاد معادك ولا تهمل نفسك سدىً كالبهائم ترتع ولا تدري). * المعلم التاسع: الأيام خزائن وما مضى فإنه لا يعود{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}. * المعلم العاشر: لا ذكرى بغير إنابة ولا انتفاع بغير استجابة {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}).هـ.)

العمرُ يمضي ، والمنية ترقبُ ... والموتُ ليس بمنذر مَن يهربُ

وسِنيّ عمرك في استباق دائم ... وملائكُ الرحمن سعيَك تكتب

وأراك تضحك ، ثم تلعب عابثاً ... حتى متى في وقت جدّك تلعب؟

أوَلم تشيّع للمقابر ميّتاً ... لترى جلالَ الموت كيف يؤدب؟

أوَلم تغسّل في حياتك ميتاً ... حتى تراجع ما تظن وتحسب؟

أولم تزر أجداث قوم جُندلوا ... ومضوْا ، وفي جوف المقابر غيّبوا؟

أوَما سألت النفس أين شبابها؟ ... والعزمُ أين؟ وأين برقٌ خلب؟

أوَما اعتبرت بمن مضى مسترشداً ... حتى تكف عن الهوى يا مذنب؟

أوَما نظرت إلى فراعنة الدنا؟ ... هل عمّر الأقوامُ ما قد خربوا؟

أوَما نظرت إلى سقيم مبتلىً ... فيردك الأمر الذي هو أصعب؟

قد كنت طفلاً في مُحياه السنا! ... لهوَ الطفولة في الحياة يُغلّب

يختال بين رفاقة مترنماً ... وعلى لحون غنائه يتقلب

تحـــــدوه آمـــــالٌ تشـــــاطره الغنـــــا ... ولهـــا يحـــنّ - علـــى الـــدوام - ويَطـــرب

أبـــــداً تداعبـــــه الحقـــــول فيســـــتحي ... منهـــا ، لـــــه عـــــرقٌ عطيـــــرٌ صـــــيّب

وكـــذا تراهنـــه الـــورودُ علـــى الحُـــدا! ... إن الحُـــداء - لـــدى القلـــوب - محبـــب

أمـــا الحيـــاة فـــلا يُحـــس بعنفهـــا ... وسِـــياطها مِـــن حولـــه تتلهـــب

فطعامُـــه وشـــرابُه قـــد جُهـــزا! ... والفـــذ يأكـــل مـــا يريـــد ويشـــرب

ولباسُـــه وفراشُـــه وأمانـــه ... والأســـرة انبســـطت يتوّجهـــا الأب

نســـبٌ أصـــاب مـــن الأصـــالة جـــذرها ... إن الكـــريم إلـــى الأكـــارم يُنســـب

أمٌ لهـــا نســـبٌ يُـــرامُ وسُـــؤدَدٌ ... وأب لـــه نســـبٌ أعـــز وأنجـــب

وغـــدوتَ فـــي ريـــع الشـــباب مُغـــرداً ... تحنـــو علـــى أرج الشـــباب وتحـــدب

وحبـــاك ربـــك الاســـتقامة والهُـــدى ... والـــدينُ أغلـــى مـــا يُـــراد ويُوهـــب

وقصـــدت للعلـــم الـــذي أعطاكـــه ... ربٌ يعلـــم مَـــن لـــه يترقـــب

فكتبـــت حتـــى قيـــل أروع كاتـــب ... طـــابَ المَعـــينُ! لـــذاك طـــاب المشـــرب!

ودخلـــتَ فـــي ســـاح القـــريض منافحـــاً ... والصـــدقُ فـــي - آفـــاق شـــعرك - مـــذهب

ودعـــوت غيـــرك للهُـــدى مستبصـــراً ... وخطبـــت لمّـــا قيـــل مَـــن ذا يخطـــب؟

ودرســـت لـــم تـــكُ مســـترِيباً جـــاهلاً ... والعلـــمُ فـــي هـــذي الحيـــاة المكســـب

وإذا ســـئلت أجبـــت ترشـــد ســـائلاً ... والجهـــلُ بالأحكـــام بـــئس الغيهـــب!

ومضـــيت للعلمـــاء تســـتبق الخطـــا ... والعلـــم يرفـــع مَـــن يجـــدّ وينصـــب

وقضـــيت ردحـــاً مـــن شـــبابك عالمـــاً ... وبكـــل مـــن يأتيـــك كنـــت ترحـــب

واليـــوم فـــي ثـــوب الكهولـــة تزدهـــي ... مـــاذا يؤمـــل فـــي الحيـــاة الأشـــيب؟

والشـــيبُ قـــد ســـلب الصـــبا بُنيانـــه ... والشـــيب فـــذ لـــوذعيٌ أدرب

لا يهـــزمُ الشـــيبَ العَجـــولَ ســـوى الـــردى ... وســـهامُه أبـــداً ريـــاحٌ قلـــب

يـــا صـــاح باغتـــك المشـــيبُ ، فكـــن علـــى حـــذر ، فلـــيس مـــن الكهولـــة مهـــرب!

فـــانس الشـــبيبة ، إذ تـــولى عهـــدُها ودع الـــذي فـــي شـــيبه يتشـــبب

ذهبـــت أمانيـــك العِـــذاب كئيبـــة والعمـــرُ أغيـــارٌ تـــرى وتقلـــب

وضـــحية الآمـــال مَـــن يُصـــغي لهـــا وكلامهـــا عمـــا قليـــل يـــذهب

والشـــيبُ بـــالتقوى النجـــاة بعينهـــا وبـــدونها عـــارٌ يـــذلُ ويُعطـــب

والله مـــا صـــان الشـــباب موحـــدٌ إلا وشـــمسُ مشـــيبه لا تغـــرب

وإذا أضـــاع شـــبابه متفلـــتٌ ســـيُذل فـــي غـــل المشـــيب ويُنكـــب

وغـــداً تمـــوت ، فلـــن تخلـــد هاهنـــا وتبـــاع دارُك ، والجـــواهرُ تنهـــب

وتعـــالج الســـكراتِ وحـــدك ، فانتبـــه وتـــرى الـــذي مـــا لـــم تكـــن تتحســـب

وتـــذوق مـــا كتـــب المليـــكُ مِـــن الفنـــا وجميـــعُ مـــا خولـــتَ حتمـــاً يســـلب

وعلـــى لظـــى الغمـــرات تصـــرخ عاتبـــاً والمـــوت لـــيس بمُغفـــل مَـــن يعتـــب

وملائـــكُ الجبـــار روحَـــك تجتنـــي! أمِـــروا ، فضـــمهمُ جميعـــاً مَوكـــب

أتـــراك تقـــوى أن تخـــالف أمـــرهم؟ أعلـــى الملائـــك يـــا مغفـــل تغضـــب؟

حتـــى إذا قبضـــوا الوديعـــة جنـــدلتْ أشـــلاءُ جســـمك تســـتغيث وتنـــدب

وإذا بعينـــي غافـــل قـــد غارتـــا وإذا الســـكون عـــن المصـــيبة يعـــرب

وإذا بقلبـــك قـــد توقـــف معلنـــاً بـــدء النهايـــة ، إنـــه لا يكـــذب

وإذا بـــأطرافٍ تغشـــاها الجـــوى واللـــونُ يفـــزع ، والثنايـــا ترعـــب

وســـتدخل القبـــر البهـــيم عليـــك مـــن أثـــر الـــذنوب غمـــائمٌ لا تحجـــب

وتكـــون وحـــدك فـــي التـــراب مُجنـــدلاً! الـــدارُ أيـــن؟ وأهلهـــا والمَركـــب؟

وتكـــون أنـــت غـــذاءَ دودٍ يُـــزدرى أتخالـــه مـــن أكـــل لحمـــك يتعـــب؟

ومُشـــيّعوك عليـــك يُلقـــون الثـــرى والبـــرزخ الأبـــدي قســـراً يُضـــرب

وســـــينزل الملكـــــان حتـــــى يســـــألا ... والأمـــــرُ عـــــن مجنوزنـــــا لا يعـــــزب

عـــــن ربنـــــا والـــــدين ثـــــم نبيـــــه ... سُـــــؤلٌ يخـــــر لـــــه الشـــــجاعُ الأهيـــــب

يـــــا ســـــعد مَـــــن ربـــــي يثبتـــــه ، فـــــلا ... ينســـــــى ولا يهـــــذي ولا يتذبـــــذب

فيقـــــــول: إن الله ربـــــــي وحـــــــده ... ولـــــه الفـــــؤادُ مســـــبحٌ ومـــــؤوب

والـــــدين (إســـــلامٌ) أقمـــــتُ فروضـــــه ... وحييـــــتُ أنصـــــر شـــــرعه وأغلـــــب

أمـــــا نبيـــــي فالحبيـــــب (محمـــــدٌ) ... فيقـــــال: قبـــــرُك فـــــي الـــــدياجي كوكـــــب

ولســـــوف تبعـــــث فـــــي القيامـــــة أعـــــزلاً ... أتـــــرى يُفيـــــدك فـــــي القيامـــــة منصـــــب؟

الأمـــــر أكبـــــرُ مِـــــن ظنونـــــك حســـــرة! ... أتـــــراك كنـــــت لمثـــــل ذاك ترتـــــب؟

إن القيامـــــة لـــــن تجامـــــل مجرمـــــاً ... خـــــدع الـــــورى بـــــالله ، وهْـــــو العقـــــرب

أتـــــرى ضـــــميرك كـــــان يـــــدرك هولهـــــا؟ ... هـــــل كـــــان عقلـــــك راشـــــداً يســـــتوعب؟

أم قـــــد صُـــــرفت عـــــن القيامـــــة والهُـــــدى؟ ... والغِـــــر للشـــــهوات دومـــــاً يُجـــــذب

أزهـــــدت فـــــي الأخـــــرى لتـــــنعم هـــــا هنـــــا؟ ... أنـــــا مِـــــن أمـــــورك فـــــي الـــــورى أتعجـــــب!

أترقـــــعُ الـــــدنيا بـــــدينك لاهيـــــاً ... أتعمّـــــر الـــــدنيا ، ودينـــــك تخـــــرب؟

لـــــمَ كـــــل هـــــذا والحِمـــــام يحوطنـــــا ... وشِـــــراكه فـــــي كـــــل وادٍ تنصـــــب؟

شَـــــتت فكـــــرك ، والـــــدروبُ تشـــــعبتْ ... والـــــدربُ يعضـــــل عنـــــدما يتشـــــعب

فـــــاذكرْ لقـــــاء مهـــــيمن تـــــوّتَ الهُـــــدى ... والـــــذكرُ ينفـــــع مَـــــن يـــــزل ويُنكـــــب

المقابر تتكلم 2 (نصيحة لزائري القبور)

(كثيرون هؤلاءُ الذين يزورون القبور ، ولا يهزهم النظر إليها فضلاً عن الاعتبار بمصير من فيها! وأكثرُ منهم الذين يُشيعون الموتى ولا تدمع عين أحدهم فضلاً عن قلبه! وأكثر من هؤلاء وأولئك من لا يحلو لهم الحديث في التجارة وتدخين السيجارة وأكل الحلوى المِعطارة والسؤال عن العمارة إلا أثناء دفن الميت! وهي لحظات حاسمة تخلعُ الفؤاد وتُبكي العين وتأسرُ اللب! ولكن هيهات لأصحاب القلوب الميتة والعيون العمياء والأفئدة اللاهية والألباب الفارغة أن يُحسّوا بهذا المعنى أو ذاك! ومن هنا صغتُ هذه النصيحة لكل من زار القبر أو شيع جنازة إلى مثواها الأول في عالم الآخرة والبرزخ ، أو عزى قوماً في ميتهم عند القبور ، لتكون بشيراً ونذيراً! لقد كتبتُ عن القبور والموت والرحيل إلى الدار الآخرة عدداً من القصائد يُشكل ديواناً إذا ما ضُمتِ هذه القصائد بعضها إلى بعض! ومهما كتبنا شعراً ونثراً عن القصائد فما أظننا أتينا عليها وأحطنا بأسرارها وغرائبها وعجائبها عِلماً! كان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول: ما أحسن ظواهرك ، إنما الدواهي في بواطنك. ** قال ميمون بن مهران: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور بكى ، ثم أقبل عليّ ، فقال: يا ميمون ، هذه قبور آبائي بني أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المَثلات ، واستحكم فيهم البلى ، وأصابت الهوام أبدانهم ، ثم بكى. قال الإمام الغزالي رحمه الله: تفكر أولاً فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفح الصور ، فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن الموتى ، فيثورون دفعة واحدة. قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ}. فتفكر في الخلائق ، وذلهم وانكسارهم ، واستكانتهم عند الانبعاث خوفاً من هذه الصعقة ، وانتظاراً لما يقضي عليهم من سعادة أو شقاوة ، وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم ، بل إن كنت في الدنيا من المترفين ، والأغنياء المتنعمين ، فملوك الأرض في ذلك اليوم أذل أهل الأرض وأصغرهم وأحقرهم ، فتفكر في حالك ، وحال قلبك هنالك. قال بشر الحارث رحمه الله: نعم النزل القبر لمن أطاع الله عز وجل. والأستاذ محمد صبري عبد الرحيم كان قد لخص خمسة وعشرين عاماً في القبر بقوله: (مراحل الميت في القبر من أول ليلة إلى 25 سنة: في أول ليلة في القبر يبدأ التعفن على مستوى البطن والفرج ، سبحان الله البطن والفرج أهم شيئين صارع بني آدم وحافظ عليهما في الدنيا ، في الحاجتين اللتين خسر الشخصُ الله عز وجل بسببهما ، سيتعفنان في أول يوم في القبر. وبعد ذلك يبدأ الجسم يأخذ لوناً أخضر ، فبعد ذلك سيأخذ الجسم لوناً واحداً فقط. وثاني يوم في القبر تبدأ الأعضاء تتعفن: الطحال والكبد والرئة والأمعاء. وثالث يوم في القبر تبدأ تلك الأعضاء تُصدر روائح كريهة. وبعد أسبوع يبدأ ظهورُ انتفاخ على مستوى الوجه: أي العينين واللسان والخدود. وبعد عشرة أيام سيطرأ نفس الشيء أي انتفاخ ، لكن هذه المرة على مستوى الأعضاء: البطن والمعدة والطحال. وبعد أسبوعين سيبدأ تساقط على مستوى الشعر. وبعد 15 يوماً يبدأ الذباب الأزرق الذي يشم الرائحة على بعد 5 كيلومترات ويبدأ الدود يغطي الجسم كله. وبعد ستة أشهر لن تجد شيئًا سوى هيكل عظمي فقط. وبعد 25 سنة سيتحول هذا الهيكل إلى بذرة وداخل هذه البذرة ستجد عظمًا صغيرًا ويسمى: "عجب الذنب" هذا العظم هو الذي سنبعث من خلاله يوم القيامة. (منه ينبت كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم -!)هـ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: العبد إنما يُؤنسه في قبره عمله الصالح ، فكلّما أكثر من الأعمال الصالحة كالصلاة والقراءة

والذكر والدعاء والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان ذلك هو الذي ينفعه في قبره. ولقد يقع العذاب على بعض أهل القبور في شيء يسير بسيط! مرَّ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على قبرينِ فقال: (إنَّهما ليُعذَّبانِ ، وما يُعذَّبانِ في كبيرٍ! ثمَّ قال: بلى! أمَّا أحدُهما فكان يسعى بالنَّميمةِ ، وأمَّا الآخَرُ فكان لا يستنزِهُ مِن بولِه). ثمَّ أخَذ عودًا فكسَره باثنينِ ثمَّ غرَز كلَّ واحدٍ منهما على قبرٍ ثمَّ قال: (لعلَّه يُخفَّفُ عنهما العذابُ ما لم ييبَسا). الراوي: عبد الله بن عباس | والمحدث : ابن حبان | والمصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 3128 | خلاصة حكم المحدث: [طريقه محفوظ] |التخريج: أخرجه البخاري (218) ، ومسلم (292) باختلاف يسير! والسَّر في تخصيص البول والغيبة والنميمة بعذاب القبر: قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وقد ذكر بعضهم السَّر في تخصيص البول والغيبة والنميمة بعذاب القبر ، وهو أن القبر أول منازل الآخرة ، وفيه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والثواب. والمعاصي التي يعاقب عليها العبد يوم القيامة نوعان: حق الله ، وحق العباد ، وأول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة ، ومن حقوق العباد الدماء. وأما البرزخ فقضى فيه في مقدمات هذين الحق ووسائلهما ، فمقدمة الصلاة: الطهارة من الحدث والخبث ، ومقدمة الدماء: النميمة والوقيعة في الأعراض ، وهما أيسر أنواع الأذى ، فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والمعاقبة عليهما. يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "اعلم أن الجنائز عبرة للبصير ، وفيها تنبيه وتذكير ، قال أسيد بن حضير: ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به ، وما هو صائر إليه. وقال الأعمش: كنا نشهد الجنائز ، فلا ندري من نعزي لحزن الجميع. هكذا كان خوفهم عند الموت! وها هو عمرو بن العاص يرى ميتاً يُقبر فأسرع الى المسجد فصلى ركعتين فقيل له: لم فعلت هذا؟ قال: المقبرة! فتذكرت قول الله جل وعلا (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) ، فاشتهيت الصلاة قبل ان يُحال بيني وبينها. يقول سلمان الفارسي: أضحكني ثلاث: مؤملٌ للدنيا والموت يطلبه ، وغافلٌ لا يُغفل عنه ، وضاحكٌ بملء فيه لا يدري الله راضٍ عنه أم ساخط. وأبكاني ثلاث: فراق الأحبة محمد وصحبه ، وهول المطلع يوم القيامة ، ووقوفي بين يدي الله لا أدري الله راض عني أم ساخط. دخل علي بن أبي طالب المقبرة ، فسلم على أهلها وقال: يا أهل المقابر أما بيوتكم فقد سُكنت ، وأما نساءكم فقد تزوجن غيركم ، وأما أموالكم فقد قسمت! هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم يا أهل المقابر؟ ثم قال: والله لو أجابوا لقالوا: إن خير الزاد التقوى. قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: قال بعض السلف: (إن العمل الصالح يكون مهاداً لصاحبه في القبر ، حيث لا يكون للعبد من متاع الدنيا فراش ولا وساد ولا مهاد ، بل كل عاملٍ يفترش عمله ويتوسده من خيرٍ أو شر). وبعض الناس يعمد إلى الاضطجاع في القبر من باب الموعظة ، وهو عمل غير سديد بالمرة: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: (بعض الناس يذهب إلى المقابر ، ويضطجع في القبر ، يقول: إني أفعل ذلك من باب الموعظة نقول: هذا ليس بسديد ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل: اضطجعوا في القبور فإنها تُذكِّر الآخرة! بل قال: (زُوروا القُبُور) ، فزيارة القبور يحصل بها من الاتِّعاظ وتذكُّر الآخرة ما لا يحصل بهذا ، فهذا لا ينبغي فعله والإنسان إذا كان لا يتَّعِظ إلا إذا اضطجع في القبر ، فهذا معناه أن قلبه أقسى من الحجر! وقال ابن عثيمين كذلك رحمه الله: كان بعض الناس فيما سبق يحفرون قبورًا لهم ، ومن الناس من أحدثوا في هذه بدعة ، وصار كل يخرج يوم إلى هذا القبر الذي حفر ويضطجعُ فيه ، ويزعمُ أنَّ هذا موعظة وتذكير ، ولا شك أن هذا بدعة. حفر الإنسان لقبره قبل أن يموت: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: لا يُستحب للرجل أن يحفرَ قبره قبل أن يموت ، فإن

النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك هو ولا أحد أصحابه ، وأيضاً فإن الله تعالى يقول: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}! والعبد لا يدري أين يموت ، وكم من أعدّ له قبراً وبنى عليه بناءً ، وقُتِلَ أو مات في بلد آخر ، وإذا كان مقصودُ الرجل الاستعداد للموت فهذا يكون بالعمل الصالح). ولقد وَعظ عمر بن عبد العزيز يوماً أصحابه فكان من كلامه أن قال: (إذا مررت بهم فنادهم إن كنت منادياً ، وادعهم إن كنت داعياً ، ومر بعسكرهم ، وانظر إلى تقارب منازلهم. سل غنيهم ما بقي من غناه؟ واسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون ، وعن الأعين التي كانوا للذات بها ينظرون ، واسألهم عن الجلود الرقيقة ، والوجوه الحسنة ، والأجساد الناعمة ، ما صنعت بها الديدان تحت الأكفان؟! أكلت الألسن ، وغفرت الوجوه ، ومحيت المحاسن ، وكسرت الفقار ، وبانت الأعضاء ، ومزقت الأشلاء فأين حُجابُهم وقِبابهم؟ وأين خدمهم وعبيدهم؟ وأين جمعهم وكنوزهم؟ أليسوا في منازل الخلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليسوا في مدلهمةٍ ظلماء؟ قد حِيل بينهم وبين العمل ، وفارقوا الأحبة والمال والأهل). قال العلامة العثيمين رحمه الله: إن عذاب القبر ثابت بالقرآن ، والسنة ، والحسِّ ، فأما أدلة الحسِّ: أنه قد يكشفُ لبعض الناس عن عذاب القبر ، واسأل الذين يكونُون ليلًا عند المقابر تسمع عنهم ما يُعجِّبُ! فأحيانًا يسمعون صياحًا عظيمًا وأفظاعًا وأهوالًا مما يدُلُّ على ثبوت عذاب القبر. وعذاب القبر عذاب دائم ، وآخر منقطع! قال العلامة ابن القيم رحمه الله: عذاب القبر نوعان: نوع دائم ، سوى ما ورد في بعض الحديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين ، فإذا قاموا من قبورهم قالوا: {يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا}! ويدل على دوامه قوله تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}! [والنوع الثاني: إلى مدةٍ ، ثم ينقطع ، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم ، فيعذب بحسب جُرمه ، ثم يخفَّفُ عنه ، كما يعذب في النار مدة ، ثم يزول عنه العذاب وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار ، أو ثواب حج.... قال العلامة صالح بن فوزان الفوزان: عذاب القبر على نوعين: النوع الأول: عذاب دائم وهو عذاب الكافر كما قال تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}. والثاني يكون إلى مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة من المؤمنين فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه وقد ينقطع عنه العذاب بسبب دعاء أو صدقة أو استغفار. من قيل له في قبره: نمَ صالحاً ، فهذا حاله أحسن من الدنيا بألف مرة: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: قوله صلى الله عليه وسلم: «أبدله دارًا خيرًا من داره» الدار الذي سينتقل إليها أول ما ينتقل من الدنيا هي القبر ؛ لكن هل يمكن أن تكون خيرًا من داره؟ الجواب: نعم ، ولولا ذلك ما دعا الرسول بها ؛ إذ إن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يدعو بأمر محال ، والقبر يكون خيرًا من الدنيا إذا فُسح للإنسان مد بصره ، وقيل له: نم صالحًا ، وفُتح له باب إلى الجنة ، أتاه من روحها ونعيمها ، وفرش له من الجنة ، فمن كانت هذه حاله ، فوالله إنها أحسن من الدنيا بألف مرة. والإنسان في قبره إما في نعيم وإما في عذاب: ** قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الإنسانُ منذُ أن تُفارق روحه بدنه هو إما في نعيم وإما في عذاب ، فلا يتأخر النعيم والعذاب عن النفوس إلى حين القيامة العامة ، وإن كان كماله حينئذٍ ، و تبقى النفوس المفارقة لأبدانهما خارجة عن النعيم والعذاب ألوفاً من السنين إلى أن تقوم القيامة الكبرى. ولهذا قال المغيرة بن شعبة: أيها الناس! إنكم تقولون: القيامة ، القيامة ، وإنه من مات فقد قامت قيامتُه. وعن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي ، وتبكي من هذا؟ فقال: إن الرسول – صلى الله عليه وسلم - قال: {القبر أول منازل الآخرة ، فإن ينجُ

منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد منه} ، ثم قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: {ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه}! [رواه أحمد والترمذي وحسنه الألباني]. ومن هنا ندرك أن عالم القبور ينبغي أن نعيش معه بعض الوقت لنسأل أنفسنا: نحن إلى أين؟! وفي حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنه - عن النبي – صلى الله عليه وسلم - أنه قال: {لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد}! [رواه أحمد وحسنه الهيثمي]. ولين معلوماً أن تذكّر الموت لا يعني كثرةَ الحزن وطول النحيب مع الإقامة على التفريط ، إن تذكرنا للموت يجب أن يقترن بخوفنا من سوء الخاتمة. والأعمال بالخواتيم ، كما في حديث ابن مسعود المتفق عليه يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: (فو الله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها). فيا ليت شعري ، كيف تكون خاتمتنا ، وبم يختم الله أعمارنا وأعمالنا؟ لما حضرت محمدَ بن المنكدر الوفاة بكى ، قيل له: ما يبكيك؟ قال: والله ما أبكي لذنب أعلم أني أتيته ، ولكن أخاف أني أتيت شيئًا حسبته هينًا وهو عند الله عظيم. واسمع معي لسعيد بن جبير رضي الله عنه ، يوم يروي لنا قصة صحيحة متواترة ، كما قال الذهبي في سيره ، فيقول: لما مات ابن عباس رضي الله عنه بالطائف ، جاء طائر لم يرَ على خلقته مثله فدخل نعشه ، ثم لم يخرج منه ، فلما دفن إذا على شفير القبر ، تالٍ يتلو ، لا يُرى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ، فيا لها من خاتمة ، ويا لهُ من مصير. ولقد شيع الحسن جنازة ، فجلس على شفير القبر فقال: (إن أمراً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله ، وإن أمراً هذا أوله لحقيق أن يُخاف آخره ، فيا من ستموت عما قريب ، وستكون ساكن القبر غداً! ما الذي غرك من الدنيا الزائلة الفانية؟ أين دارك الفيحاء الغناء؟ وأين نهرك المطرد العذب؟ وأين ثمارك اليانعة؟ وأين رقاق ثيابك الفخمة؟ وأين طيبك وبخورك؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟ يا ليت شعري بأي خديك بدأ البلى. يا مجاور الهلكات صرت في محلة الموت. يا ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا؟ وما الذي يأتيني به من رسالة ربي؟ ثم انصرف الحسنُ رحمة الله فما عاش بعد ذلك إلا جمعة. أيها الناس تفكروا في الذين رحلوا. أين نزلوا؟ وتذكروا القوم نوقشوا وسئلوا. واعلموا أنكم كما تعذلون عذلوا. ولقد ودوا بعد الفوات لو قبلوا. ولكن هيهات هيهات وقد قبروا. لقد حيل بينهم وبين ما يشتهون! عن وهب بن الورد – رحمه الله - قال: بلغنا أن رجلاً فقيهاً دخل على عمر بن عبد العزيز فقال: سبحان الله! فقال له عمر: وتبينت ذلك فعلاً؟ فقال له: الأمر أعظم من ذلك! فقال له عمر: يا فلان! فكيف لو رأيتني بعد ثلاث ، وقد أدخلت قبري. وقد خرجت الحدقتان وتقلصت الشفتان عن الأسنان. وانفتح الفم. ونتأ البطن فعلا الصدر. وخرج الصديد من الدبر؟! وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: "ويحك يا يزيد! من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناس! ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم. من الموت موعده. والقبر بيته. والثرى فراشه. والدود أنيسه. وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر. كيف يكون حاله؟!" ، ثم بكي رحمه الله. قال عبد الحق الأشبيلي: (فينبغي لمن دخل المقابر أن يتخيل أنه ميت ، وأنه قد لحق بهم ، ودخل معسكرهم ، وأنه محتاج حقاً إلى ما هم إليه محتاجون ، وراغب فيما فيه يرغبون ، فليأت إليهم ما يحب أن يؤتى إليه ، وليتحفهم بما يحب أن يتحف به ، وليتفكر في

تغير ألوانهم ، وتقطع أبدانهم ، ويتفكر في أحوالهم ، وكيف صاروا بعد الأنس بهم والتسلي بحديثهم ، إلى النفار من رؤيتهم ، والوحشة من مشاهدتهم وليتفكر أيضاً في انشقاق الأرض وبعثرة القبور ، وخروج الموتى وقيامهم مرة واحدة حفاة عراة غرلاً ، مهطعين إلى الداعي ، مسرعين إلى المنادي). ولله تعالى لا يتخلى عن أولياه ، بل يحفظهم في حياتهم وبعد مماتهم! وهذا ابن كثير – رحمه الله تعالى – يول: لقد وجدت قبورٌ أجسادُ أصحابها صحيحة في سنة (276هـ)! قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: في هذه السنة انفرج تلّ بنهر الصلة في أرض البصرة يعرف بتل بني شقيق عن سبعة أقبر في مثل الحوض ، وفيها سبعة أبدان صحيحة أجسادهم وأكفانهم يفوح منها ريح المسك ، أحدهم شاب وله جمة ، وعلى شفته بلل كأنه قد شرب ماء الآن ، وكأن عينيه مكحلتان وبه ضربة في خاصرته ، وأراد أحدهم أن يأخذ من شعره شيئاً فإذا هو قويَّ الشعر كأنه حيّ فتركوا على حالهم. والله تعالى صرف أبصار العباد عن مشاهدة ما يحدث للميت في قبره لئلا يتدفنوا: قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: الميت قد يُشاهد في قبره ، حال المسألة ، لا أثر فيه من إقعاد وغيره ، ولا ضيق في قبره ولا سعة. والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك ، وستره عنهم إبقاء عليهم لئلا يتدافنوا. وتحت عنوان: (من أقوال السلف عن عالم القبور وأحوال أهله) يقول الأستاذ فهد بن عبد العزيز بن عبد الله الشويرخ ما نصه بتصرف يسير: (القبور ظاهرها تراب ، وهي في الحقيقة إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار. فما هي حال المشيعين للموتى إلى تلك القبور؟ والآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر ، والأهوال التي بين أيدينا ، فصرنا نلهو ، ونغفل ، ونشتغل بما لا يعنينا ، فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة ، فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز. بكاؤهم على الميت ، ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم ، لا على الميت." كم في القبور من مواعظ وعبر ، لو كانت القلوب حية ، نسأل الله الكريم الرحيم أن يوقظ قلوبنا من غفلتها. للسلف أقوال عن عالم القبور وأحوال أهلها ، يسّر الله الكريم فجمعت بعضاً منها ، أسأل الله أن ينفع بها الجميع. أول عدل الآخرة القبور: قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: قال بعضهم: إذا أردت صورة مصغرة ليوم القيامة فاخرج إلى المقبرة تجد فيها الشريف والوضيع ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير ، كلهم سواء ، كلهم تحت التراب. ما هناك أحد له قصر ، ولا أحد عنده خدم ، ولا أحد عنده شيء ، ولهذا قيل: أول عدل الآخرة القبور ، ومما يدل على ذلك قصة الأعرابي حيث جاء أعرابي إلى بلد فيها حاكم ، فإذا الحاكم قد مات ، فسأل عنه فقالوا: إنه مات ، قال: أين ذهب؟ قالوا: ذهب إلى المقبرة ، فجاء إلى المقبرة يري الأبهة يريد الخدم والحشم ، فلما دخل لم يجد إلا حفار القبور ، قال: أين الحاكم الفلاني؟ قال: الحاكم الفلاني هذا ، قال: يا ويله ، ثم قال: وهذا الذي بجواره ما هو؟ قال: هذه امرأة عجوز ناقصة عقل مشهورة في السوق ، وكان قبرها مرشوشاً إذ إنها قد دفنت قريباً ، وقبر الحاكم يابس ، قال: يا ويله هذه تسقى ماء وهذا لا يسقى ماء ، وجلس يتعجب ، فقال له حفار القبور: هذا الأمر كما رأيت. فهذا هو العدل رجل حاكم لا يُدخل عليه إلا باستئذان وامرأة ناقصة العقل هما سواء. العمل الصالح مهاد الإنسان في قبره: قال الله سبحانه وتعالى: {مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُون}. وللإيمان علاقة بعذاب القبر ونعيمه: قال العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

رحمه الله: الميت يعذب في البرزخ أو ينعم ، سواء قُبر أم لم يُقبر ، فإن كان من أهل الخير ناله النعيم والفرح والسرور ، وإن كان من أهل الشر ناله العذاب والألم والحزن الشديد ، ويبقى كذلك كل منهما في هذا البرزخ الذي هو بين الدنيا والآخرة. ويؤمن المؤمنون بأن هذا البرزخ حاجز بين الدنيا والآخرة ، وأن الإنسان بعد مفارقته للدنيا لا تنعدم روحه ، أما بدنه فإنه ينعدم ويفنى ، قد تأكله الأرض ويصير تراباً ورفاتاً ، وقد يحرق ويذرى ولا يبقى له بقية ، ولكن روحه تبقى ، وهي التي يكون عليها العذاب والنعيم ، ويقدر الله أن يوصل إلى بدنه ، ولو كان تراباً ، ما يتألم به أو ما يتنعم به. والعبد متى آمن بهذا استعد له ، فمتى صدقت بأن هذا القبر إما نعيم ، وإما جحيم ، حملك ذلك على أن تتأهب بالأعمال الصالحة وبالعقيدة السليمة ، حتى تنجو من العذاب ، وحتى تسلم منه ، وحتى تظفر بالنعيم الذي هو مقدمة بين يدي نعيم الآخرة قد يكشف لبعض الناس عن عذاب القبر! ولقد قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: البرزخ ، هو الحاجز بين الشيئين ، فهو هنا: الحاجز بين الدنيا والآخرة ، وفي هذا البرزخ ، يتنعم المطيعون ، ويعذب العاصون ، من ابتداء موتهم واستقرارهم في قبورهم ، إلى يوم يبعثون. أي: فليُعدوا له عُدّته ، وليأخذوا له أُهبتهُ. أجساد في التراب ، قد أمنت العذاب ، تنتظر الثواب: قال صفوان بن عمرو أنعم الناس أجساداً في التراب قد أمنت العذاب تنتظر الثواب العاقل من ينظر إلى قبور غيره فيرى مكانه بين أظهرهم: قال الإمام الغزالي رحمه الله: البصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم ، فيستعد للحوق بهم ، ويعلم أنهم لا يبرحون مكانهم ما لم يلحق بهم ، وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيع له كان أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها ، لأنهم عرفوا قدر الأعمار ، فإنما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره ، فيتخلص من العذاب ، فإنهم عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه ، فحسرتهم على ساعة من الحياة ، وأنت قادر على تلك الساعة ، ثم أنت مضيع لها. وأكثر أصحاب القبور معذبين: قال العلامة ابن القيم رحمه الله: أكثر أصحاب القبور معذبين ، والفائز منهم قليل ، فظواهر القبور تراب ، وبواطنها حسرات وعذاب ، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبينات ، وفي باطنها الدواهي والبِليَّات تغلي بالحسرات ، كما تغلي القدور بما فيها ، ويحقّ لها ، وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها. تالله لقد وعظت ، فما تركت لواعظ مقالاً ، ونادت: يا عُمار الدنيا لقد أعمرتم داراً موشكة بكم زوالاً ، وخربتم داراً أنتم مسرعون إليها انتقالاً ، عمرتم بيوتاً لغيركم منافعها وسكناها ، خربتم بيوتاً ليس لكم مساكن سواها. وهناك أسباب منجية من عذاب القبر: قال العلامة ابن القيم رحمه الله: من أنفعها: أن يجلس الإنسان عندما يريد النوم لله ساعةً ، يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله ، فينام على تلك التوبة ، ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ ، ويفعل هذا كل ليلة ، فإن مات من ليلته مات على توبة ، وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل ، مسروراً بتأخير أجله حتى يستقيل ربه ، ويستدرك ما فاته. وليس للعبد أنفعُ من هذه التوبة ولا سيما إذا عقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند النوم ، حتى يغلبه النوم ، فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك ، ولا قوة إلا بالله. وختاماً فالقبور فيها مواعظ وعبر لأصحاب القلوب الحية ، فهذا ثالث الخلفاء الراشدين ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، كان إذا وقف على قبرٍ يبكى ، حتى يبلَّ لحيتهُ, فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكى ، وتبكى من هذا؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه ،

فما بعده أيسرُ منه ، وإن لم ينج منه ، فما بعده أشدُ منه.) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه». [أخرجه الترمذي وابن ماجه ، وحسنه العلامة الألباني]).هـ. جاء في كتاب "حلية الأولياء" (5/ 295) و"إحياء علوم الدين" (4/ 663) و"قصر الأمل" ؛ لابن أبي الدنيا صـ 66-67 عن القعقاع بن عجلان قال: خطَب عمر بن عبد العزيز ، فحَمِدَ الله تعالى وأثنى عليه ، وقال: "أيها الناس ، إنَّكم لن تُخْلَقُوا عبثًا ، ولن تُتْرَكُوا سُدًى ، وإنَّ لكم معادًا يجمعكم الله للحُكم فيكم ، والفصل فيما بينكم ، فخابَ وشقي عبدٌ أخرَجَه الله من رحمته التي وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ ، وجنَّته التي عرضها السَّماوات والأرض ، وإنما يكونُ الأمان غدًا لِمَن خاف الله واتَّقى ، وباع قليلاً بكثير ، وفانيًا بباقٍ، وشقوة بسعادة ، ألا ترَوْن أنَّكم في أسلاب الهالكين ، وسيخلف بعدكم الباقون؟! ألا ترَوْن أنَّكم في كُلِّ يومٍ تُشيِّعون غاديًا أو رائحًا إلى الله ، قد قضى نحبَه وانقطع أملُه ، فتضعونه في بطن صدعٍ من الأرض غير موسَّد ولا مُمهَّد؟! قد خلَع الأسباب وفارَق الأحباب ، وواجَه الحساب؟! وايمُ الله إنِّي لأقولُ لكم مَقالتي هذه ، وما أعلم عندَ أحدٍ مِنكم من الذنوب أكثر ممَّا أعلم من نفسي ، ولكنَّها سننٌ من الله عادلة ، أمَر فيها بطاعته ، ونهى فيها عن معصيته ، واستغفَرَ الله ووضَع كُمَّهُ على وجهه ؛ فبكَى حتى لَثِقَتْ لحيته ، فما عاد إلى مجلسه حتى مات - رحمه الله. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لأبي حازم: "أوصِني ، فقال له أبو حازم: اضَّجِع ثم اجعل الموت عند رأسك ، ثم انظُر إلى ما تحبُّ أنْ يكون فيك تلك الساعة فخُذْ به الآن ، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدَعْه الآن ، فلعلَّ تلك الساعة قريبة". وقال أبو حازم أيضًا: "انظُر كل عمل كرهت الموت لأجله فاترُكه ، ولا يضرُّك متى متَّ". ودخَل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال له: "عِظني ، فقال يزيد الرقاشي: لست أوَّل خليفة تموت يا أمير المؤمنين ، قال: زِدني، قال: لم يبقَ أحدٌ من آبائك من لدُن آدم إلى بلغت النوبة إليك إلا وقد ذاق الموت ، قال: زِدْنِي، قال: ليس بين الجنَّة والنَّار منزل والله... (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) ، وأنت أبصَرُ ببرِّك وفُجورك ، فبكى عمر حتى سقَط عن سريره. وتحت عنوان: (عالم القبور) يقول الأستاذ أمير بن محمد المدري ، وهو إمام وخطيب مسجد الإيمان – في اليمن ما نصه بتصرف: (ما أقصر عمر الدنيا وما أسرع مروره ، فمهما طال الليل لا بد لا بد من دخول الفجر ، ومهما طال العمر لا بد لا بد من دخول القبر. وإذن فهو كأس يشرب منه كل الناس! مهما عمروا في الدنيا!

الموت باب وكل الناس داخله * يا ليت شعري بعد الموت ما الدار؟!**

الدار دار نعيم ، إن عملت بما * يرضي الإله ، وإن فرطت فالنار!**

ومهما امتد عمر الانسان سيقول يوم القيامة عندما يسأل كم لبثت؟ لبثت يوماً أو بعض يوم. قال صلى الله عليه وسلم: (إذا أحب الله عبداً استعمله) قالوا: يا رسول كيف يستعمله؟ قال: يوفقه إلى عمل صالح قبل الموت)! ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله قائلاً: اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه. ها هو رجل من الصالحين – نحسبه ولا نزكي على الله أحداً - كان إماماً لاحد المساجد في صنعاء وفي يوم من الأيام خرج من بيته متوجها إلى المسجد ليصلي صلاة الظهر ، وبعد أن صلى السنة القبلية وقرأ شيئاً من القرآن ، ثم أقيمت الصلاة وتقدم ليصلي بالناس ، وفي الركعة الثالثة في السجدة الثانية سمع الناس مثل الجشاء عبر المكبرات وهم يقولون سبحان الله سبحان الله ، فتقدم أحدهم وأكمل الصلاة ، وحركوا إمامهم ، فإذا هو ميت وقد صعدت روحه إلى بارئها. إنها الخاتمة الحسنه التي لا تأتي إلا من

حسن عمل وصلاة على وقتها وفعل للخيرات وأداء للحقوق وأكل للحلال. ثم تصور يا عبد الله وانت تدخل المقبرة لا زائراً ولا حاملاً! بل محمولاً ميتاً! فتخيل أحب الناس إليك وأقرب الناس إليك وهم ينزلونك إلى قبرك ، ويضعون اللبن ليغلقوا قبرك فأنحجب الضوء عنك ، ثم بدأوا يُحثون على قبرك التراب ، ويقول أحدهم استغفروا لأخيكم ، وسلوا له الثبات فإنه الآن يسأل! ثم ذهبوا وتركوك وحيداً فريداً في ذلك الظلام! من فوقك تراب ، ومن تحتك تراب ، وعن يمينك تراب ، وعن شمالك تراب ، ثم تعاد روحك إلى جسدك ، ويأتيك منكر ونكير فيجلسانك ويسألانك من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فإن كنت من الصالحين الصادقين التائبين ، فإن الله سيثبتك فهو القائل: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)! فتقول بتوفيق الله: ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم! فينادي منادي من السماء أن صدق عبدي! فأفرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له نافذة إلى الجنة ، ثم يُفسح لك في قبرك مد البصر ، ثم يأتيك رجلاً حسن الوجه حسن الثياب طيب الرائحة وهو عملك الصالح وهو أنيسك في قبرك إلى يوم القيامة. أما إن كان العبد والعياذ بالله كافراً مضيعاً لدينه تاركاً للصلاة آكلاً للحرام فاعلاً للمنكرات ومات على ذلك فإنه سيقول: هاه هاه لا أدري! فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي! فأفرشوا له من النار وألبسوه من النار ، وافتحوا له نافذة إلى النار ، ويضيق له في قبره حتى تختلف أضلاعه ، ثم يأتي إليه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب قبيح الرائحة ، وهو عمله السيء وهو رفيقه إلى يوم القيامة. أخي المسلم: هل رأيت القبور؟ هل رأيت ظلمتها؟ هل رأيت وَحشتها؟ هل رأيت شدتها؟ هل رأيت ضيقها؟ هل رأيت عمقها؟ هل رأيت هوامها وديدانها؟ أوَما علمت أنها أعدت لك كما أعدت لغيرك؟ أما رأيت أصحابك وأحبابك وأرحامك الذين نُقلوا من القصور إلى القبور ، ومن ضياء المهود إلى ظلمه اللحود ، ومن ملاعبة الأهل والوالدان إلى مقاساة الهوام والديدان ، ومن التنعُم بالطعام والشراب إلى التمرُغ في الثرى والتراب ، ومن أُنس العشرة إلى وحشة الوحدة ، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل؟ فأخذهم الموتُ على غِرّة ؛ وسكنوا القبور بعد حياة الترف واللذة ؛ وتساوؤا جميعاً بعد موتهم في تلك الحفرة ؛ فالله نسأل أن يجعل قبورنا روضة من رياض الجنة! كان الربيع بن خثيم رحمه الله الذي قال عنه ابن مسعود رضي الله عنه يا ربيع والله لو رآك الرسول صلى الله عليه وسلم لأحبك ، كان رحمه الله يتجهز لتلك الليلة ؛ ويروى أنه حفر في بيته حفرةً ؛ فكان إذا وجد في قلبه قساوةً دخل فيها ؛ وكان يمثل نفسه أنه قد مات وندم وسأل الرجعة فيقول: (رب ارجعون لعلي اعملُ صالحاً فيما تركت). فيجيب نفسه فيقول: قد رجعت يا ربيع! فيرى فيه ذلك أياماً أي يُرى فيه العبادةُ والاجتهادُ والخوفُ والوجل! وعن أبي هريرة ؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الميت يصيرُ إلى القبر: فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزعٍ ولا شعوف (أي غير خائف ولا مذعور) ، ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام. فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه. فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول ما ينبغي لأحد أن يرى الله. فيُفرج له فرجةٌ قِبل النار ؛ فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ؛ فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله عز وجل! ثم يفرجُ له قِبل الجنة ؛ فينظر إلى زهرتها وما فيها ؛ فيقال له: هذا مقعدك ويقال له: على اليقين كنت ؛ وعليه متّ ؛ وعليه تُبعث إن شاء الله. قال: ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مشعوفاً ؛ فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري ؛ فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلته. فيفرج له قِبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ؛ فيقال له:

انظر ما صرف الله عنك. ثم يفرج له فرجة قِبل النار ؛ فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال له: (هذا مقعدك على الشك كنت ؛ وعليه متّ ؛ وعليه تبعث إن شاء الله). رواه ابن ماجه وصححه البوصيري. وروي أن رجلاً ضرب في قبره سوطاً فامتلأ القبر عليه ناراً ؛ لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور ، ومر على مظلوم فلم ينصره). الحديث رواه الطحاوي في بسند حسن. وأخبر صلى الله عليه وسلم كما في حديث سمرة بن جندب الذي رواه البخاري عن تعذيب من يكذب الكذبة تبلغ الآفاق ، وعن تعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به في النهار وعن تعذيب الزناة والزواني ، وعن تعذيب آكل الربا ، أخبر عنهم كما شاهدهم في البرزخ. وفي حديث آخر أخبر صلى الله عليه وسلم عن رضخ رؤوس أقوام بالصخر لتثاقل رؤوسهم عن الصلاة ، وعن الذين يسرحون بين الضريع والزقوم لتركهم زكاة أموالهم ، وعن الذين يأكلون اللحم المنتن الخبيث لزناهم ، والذين تقرض شفاههم بمقارض من حديد لقيامهم في الفتن بالكلام والخطب. وجاء في حديث رواه أبو سعيد عنه صلى الله عليه وسلم ذكر أرباب بعض الجرائم وعقوباتهم: فمنهم من بطونهم أمثال البيوت وهم على سابلة آل فرعون ، وهم أكلة الربا ، ومنهم من تفتح أفواههم فيلقمون الجمر حتى يخرج من أسافلهم ، وهم أكلة أموال اليتامى ، ومنهم من تقطع جنوبهم ويطعمون لحومهم ، وهم المغتابون ، ومنهم من لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ، وهم الذين يمزقون أعراض الناس. فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم ، بحسب كثرتها وقلتها ، وصغرها وكبرها. ما لم يغفر الله لهم ويتجاوز عنهم بتوبة أو رحمة منه تعالى.).هـ. عن أبي العباس الوليد بن مسلم قال: قال بعض الخلفاء على المنبر: "اتَّقوا الله عباد الله ما استطعتم، وكُونوا قومًا صِيحَ بهم فانتبَهوا، وعلموا أنَّ الدنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدَلُوا، واستعِدُّوا للموت فقد أظلَّكم، وترحَّلوا فقد جُدَّ بكم، وإنَّ غايةً تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرةٌ بقصر المدَّة ، وإنَّ غائبًا يجدُّ به الجديدان: الليل والنهار، لحريٌّ بسرعة الأوبة. وإنَّ قادمًا يحلُّ بالفوز أو الشقوة لمستحقٌّ لأفضل العُدَّة، فالتقيُّ عند ربِّه مَن ناصَح نفسه، وقدَّ توبته وغلب شهوته، فإنَّ أجله مستور عنه ، وأملَه خادع له، والشيطان مُوكل به يُمنِّيه التوبة ليُسوِّفها، ويزين إليه المعصية ليرتكبها، حتى تهجم منيَّته عليه أغفل ما يكون عنها، وإنَّه ما بين أحدكم وبين الجنَّة أو النَّار إلا الموت أنْ ينزل به! فيا لها حسرة على كلِّ ذي غفلةٍ، أنْ يكون عمره عليه حجَّة، وأن ترديه أيَّامه إلى شقوة. جعَلَنا الله وإيَّاكم ممَّن لا تبطره نعمة، ولا تقصر به عن طاعةِ الله معصية، ولا يحلُّ به بعد الموت حسرة، إنَّه سميع الدعاء، وإنه بيده الخير، وإنه فعَّال لما يشاء". قال خُلَيد القصَري: "كلُّنا قد أيقن بالموت ، وما نرى له مستعدًّا ، وكلُّنا قد أيقن بالجنة ، وما نرى لها عاملاً ، وكلنا قد أيقن بالنار ، وما نرى لها خائفًا! فعَلامَ تعرِّجون؟ وما عسيتم تنتظرون؟ الموت؟ فهو أوَّل واردٍ عليكم من الله بخير أو بشرٍّ! يا إخوتاه ، سِيروا إلى ربكم سيرًا جميلاً". وقد جاء في "الحلية" عن صلة بن أشيم: أنَّه مَرَّ على شباب يلعبون ، فقال: "يا إخوتاه ، اجتمعوا إليَّ ، فقال لهم: ما تقولون في قومٍ أرادوا سفرًا ، فحادوا عنه نهارًا ، وناموا عنه ليلاً؟ ماذا تقولون: أصابوا أم أخطئوا؟ ثم مرَّ عليهم في اليوم التالي ، ووجدهم يلعبون ، فقال لهم مثل ما قال ، ثم مرَّ عليهم في اليوم التالي ، ووجدهم يلعبون ، فقال لهم مثل ما قال ، فقال شابٌّ منهم: والله إنَّ صلة يعنينا بهذا الخطاب ، ورجعوا عن اللعب إلى طاعة الله". وجاء في كتاب "الزهد الكبير" عن إبراهيم بن بشار قال: "مررت أنا وأبو يوسف الفولي في طريق الشام ، فوثَب إليه رجلٌ فسلَّم عليه ، ثم قال: يا أبا يوسف ، عِظني بموعظةٍ أحفَظها عنك ، قال: فبكى ، ثم قال: اعلم يا أخي أنَّ

اختلاف الليل والنهار وممرَّهما يسرعان في هدم بدنك ، وفَناء عمرك ، وانقِضاء أجلك ، فينبغي لك يا أخي ألا تطمئنَّ ولا تأمن ؛ حتى تعلم أين مستقرُّك ومصيرك ، وساخط عليك ربك بمعصيتك وغفلتك ، أو راضٍ عنك بفضله ورحمته. ابن آدم الضعيف نطفة بالأمس وجيفة غدًا! فإن كنت ترضى لنفسك ، فترد وتعلم وتندم في وقت لا ينفعك الندم ، قال: فبكى أبو يوسف ، وبكى الرجل ، وبكيت لبكائهما ووقعا مغشيًّا عليهما". يقول ابن الجوزي رحمه الله: "أيُّها الناس، تقوَّوْا بهذه النعم التي أصبَحتُم فيها ، على الهرب من النار الموقدة ، التي تطَّلع على الأفئدة ، فإنَّكم في دارٍ الثواءُ فيها قليل ، وأنتم فيها مؤجلون ، وخلائف من بعد القرون ، الذين استقبلوا من الدنيا زُخرفها وزَهرتها ، فهم كانوا أطوَلَ منكم أعمارًا وأمدَّ أجسامًا وأعظم آثارًا ، فجدَّدوا الجِبال وجابوا الصُّخور ، ونقَّبوا في البلاد مُؤيَّدين ببطشٍ شديد وأجسامٍ كالعماد ، فما لبثت الأيَّام والليالي أنْ طوت مدَّتهم ، وعفت آثارهم ، وأخوت منازلهم ، وأنست ذِكرهم ، فما تُحسُّ منهم من أحدٍ ولا تسمع لهم رِكزًا ، كانوا بلهو الأمل آمِنين كبَيات قومٍ غافلين ، أو كصباح قوم نادمين ، ثم إنَّكم قد علمتم الذي قد نزل بساحتهم بيانًا ، فأصبح كثير منهم في دِيارهم جاثمين ، وأصبح الباقون ينظُرون في آثار نقمةٍ ، وزوال نعمةٍ ، ومَساكن خاوية ، فيها آيةٌ للذين يخافون العذاب الأليم. وتحت عنوان: (وحي القبور) قال صاحب (من وحي القلم) الأستاذ الشاعر الأديب مصطفى صادق الرافعي (ت 1356هـ - 1937م) – ولست أعلم مقالاً عن القبور وتشخيصاً لأحوالها وأهوالها مثل هذا – يقول رحمه الله ما نصه: (ذهبتُ في صبُح يوم أحملُ نفسي بنفسي إلى المقبَرَة ، وقد مات لي من الخواطر مَوْتَى لا مَيِّتٌ واحد؛ فكنت أمشي وفيَّ جنازةٌ بمُشَيِّعيها ؛ من فكر يَحملُ فكراً ، وخاطر يتبع خاطراً ، ومعنىً يَبكِي ، ومعنىً يُبكَي عليه. وكذلك دأبي كلما انحدرتُ في هذه الطريق إلى غير ذلك المكان ، الذي تأتيه العيون بدموعها ، وتمشي إليه النفوس بأحزانها ، وتجيء فيه القلوب إلى بقايا. تلك المقابر التي لا يُنَادَى أهلُها من أهليهم بالأسماء ولا بالألقاب ، ولكن بهذا النداء: يا أحبابنا ، يا أحزانَنَا! ذهبتُ أزورُ أمواتي الأعزاء ، وأتصل منهم بأطراف نفسي ؛ لأحيا معهم في الموت ساعةً ، أعرض فيها أمرَ الدنيا على أمر الآخرة ، فأنسى وأذكر ، ثم أنظرُ وأعتبر ، ثم أتعرَّف وأتوسَّم [أستطلع] ثم أستبطِنُ مما في بطن الأرض ، وأستَظهِرُ مما على ظهرها. وجلست هناك أُشْرِفُ من دهرٍ على دهر ، ومن دنيا على دنيا ، وأخرجت الذاكرةُ أفراحها القديمة ؛ لتجعلَها مادةً جديدة لأحزانها ، وانفتح لي الزمن الماضي ، فرأيت رجعة الأمس ، وكأن دهراً كاملاً خُلق بحوادثه وأيامه ، ورُفع لعينيَّ كما ترفع الصورة المعلقة في إطارها. أعرف أنهم ماتوا ، ولكني لم أشعر قطُّ إلا أنهم غابوا ، والحبيبُ الغائبُ لا يتغيَّرُ عليه الزمان ولا المكان في القلب الذي يحبه ، مهما تَراخَتْ به الأيام [امتدت] ؛ وهذه هي بقية الروح إذا امتزجت بالحب في روح أخرى: تترك فيها ما لا يُمحَى ؛ لأنها هي خالدة لا تُمحى. ذهب الأموات ذهابهم ، ولم يقيموا في الدنيا ، ومعنى ذلك أنهم مرُّوا بالدنيا ليس غيرُ ، فهذه هي الحياة حين تعبِّر عنها النفس بلسانها لا بلسان حاجتها وحرصها. الحياة مدةُ عمل ، وكأن هذه الدنيا بكل ما فيها من المتناقضات ، إن هي إلا مَصْنَعٌ يُسَوَّغُ كل إنسان جانباً منه ، ثم يقال له: هذه الأداة فاصنع ما شئت: فضيلتَك أو رذيلتَك. جلست في المقبرة ، وأطرقت أُفكر في هذا الموت ، يا عجباً للناس! كيف لا يستشعرونه وهو يهدم من كل حي أجزاءً تحيط به قبل أن يهدمه هو بجملته ، وما زال كل بنيان من الناس به كالحائط المُسَلَّطِ عليه خرابه ، يتأكَّلُ من هنا ، ويتناثر من هناك؟! يا عجباً للناس عجباً لا ينتهي! كيف يجعلون الحياة مدة نزاع وهي مدة عمل؟ وكيف لا تبرح تنزو النَّوازِي بهم

في الخلاف والباطل ، وهم كلما تَدَافَعوا بينهم قضيةً من النزاع ، فضربوا خصماً بخصم ، وردُّوا كيداً بكيد ، جاء حكم الموت تكذيباً قاطعاً لكل من يقول لشيء: هذا لي؟ أما والله إنه ليس أعجب في السخرية بهذه الدنيا من أن يعطي الناس ما يملكونه فيها لإثبات أن أحداً منهم لا يملك منها شيئاً ؛ إذ يأتي الآتي إليها لحماً وعظماً ، ولا يرجع عنها الراجع إلا لحماً وعظماً ، وبينهما سفاهة العظم واللحم حتى على السِّكّين القاطعة. تأتي الأيام وهي في الحقيقة تفرُّ فرارها ؛ فمن جاء من عمره عشرون سنةً فإنما مضت هذه العشرون من عمره ، ولقد كان ينبغي أن تُصحَّح أعمال الحياة في الناس على هذه الأصل البيِّن ، لولا الطباع المدخولة ، والنفوس الغافلة ، والعقول الضعيفة ، والشهوات العارمة ؛ فإنه مادام العمر مقبلاً مدبراً في اعتبار واحد ، فليس للإنسان أن يتناول من الدنيا إلا ما يرضيه محسوباً له ومحسوباً عليه في وقت معاً ، وتكونُ الحياة في حقيقتها ليست شيئاً ، إلَّا أن يكونَ الضميرُ الإنسانيُّ هو الحيَّ في الحيِّ. وما هي هذه القبور؟ لقد رجعتْ عند أكثر الناس مع الْمَوتى أبنية ميتة ؛ فما قطُّ رأوها موجودةً إلا لينسَوا أنها موجودة ، ولولا ذلك من أمرهم لكان للقبر معناه الحي المتغلغل في الحياة إلى بعيد ؛ فما القبر إلا بناء قائم لفكرة النهاية والانقطاع ، وهو في الطَّرَف الآخر ردٌّ على البيت الذي هو بناء قائم لفكرة البدء والاستمرار ، وبين الطَّرفين المَعْبَد ، وهو بناء لفكرة الضمير ، الذي يحيا في البيت وفي القبر ، فهو على الحياة والموت كالقاضي بين خصمين يصلح بينهما صُلحاً أو يَقضي. القبر كلمة الصدق مبنيةً متجسِّمةً ، فكل ما حولها يَتَكَذَّب ويتأوَّل ، وليس فيها هي إلا معناها لا يَدْخُلُه كذبٌ ، ولا يعتريه تأويل ، وإذا ماتت في الأحياء كلمة الموت من غرور ، أو باطل ، أو غفلة ، أو أثرة ، بقي القبر مذَكِّراً بالكلمة ، شارحاً لها بأظهر معانيها ، وداعياً إلى الاعتبار بمدلولها ، مبيِّناً بما ينطوي عليه أن الأمر كله للنهاية. القبر كلمة الأرض لمن ينخدع فيرى العمرَ الماضيَ كأنه غير ماض ، فيعمل في إفراغ حياته من الحياة بما يملؤها من رذائله وخسائسه ؛ فلا يزال دائباً في معاني الأرض واستجماعها والاستمتاع بها ، يتلو في ذلك تِلْوَ الحيوان ويقْتَاسُ به ، فشريعته جَوْفُه وأعضاؤه ، وترجع في ذلك حيوانيتُه مع نفسه الروحانية ، كالحمار مع الذي يملكه ويعلفه ، ولو سُئل الحمار عن صاحبه من هو؟ لقال: هو حِماري. القبر على الأرض كلمةٌ مكتوبةٌ في الأرض إلى آخر الدنيا ، معناها أن الإنسان حيٌّ في قانون نهايته ؛ فلينظرْ كيف ينتهي. إذا كان الأمر كله للنهاية ، وكان الاعتبارُ بها والجزاء عليها ، فالحياةُ هي الحياةُ على طريقة السلامة لا غيرها ، طريقةِ إكراه الحيوان الإنسانيِّ على ممارسة الأخلاقية الاجتماعية ، وجعلِها أصلاً في طباعه ، ووزن أعماله بنتائجها التي تنتهي بها ؛ إذ كانت روحانيتُه في النهايات لا في بداياتها. في الحياة الدنيا يكون الإنسان ذاتاً تعملُ أعمالَها ؛ فإذا انتهت الحياة انقلبت أعمالُ الإنسان ذاتاً يُخَلَّد هو فيها ؛ فهو من الخير خالدٌ في الخير ، ومن الشر هو خالدٌ في الشر ؛ فكأن الموتَ إنْ هو إلا ميلادٌ للروح من أعمالها ؛ تولد مرتين: آتيةً وراجعة. وإذا كان الأمرُ للنهاية فقد وجب أن تبطل من الحياة نهاياتٌ كثيرة ؛ فلا يترك الشرُّ يمضي إلى نهايته بل يُحسَم في بدئه ، ويُقتل في أول أنفاسه ، وكذلك الشأنُ في كل ما لا يَحسنُ أن يبدأ ، فإنه لا يجوز أن يمتدَّ: كالعداوة والبغضاء ، والبخل والأثرة ، والكبرياء والغرور ، والخداع والكذب ، وما شابه هذه أو شابَهَهَا ؛ فإنها كلَّها انبعاثٌ من الوجود الحيواني ، وانفجارٌ من طبيعته ؛ ويجب أن يكون لكل منها في الإرادة قبرٌ كَيْ تَسْلَم للنفس الطيبة إنسانيتها إلى النهاية. يا مَن لهم في القبور أموات! إن رؤيةَ القبر زيادةٌ في الشعور بقيمة الحياة ، فيجب أن يكونَ معنى القبر من معاني السلام العقليِّ في هذه الدنيا. القبر فمٌ

ينادي: أسرعوا أسرعوا ، فهي مدة لو صُرِفت كلها في الخير ما وَفَتْ به ؛ فكيف يضيع منها ضياع في الشر أو الإثم؟ لو ولد الإنسان ، ومشى ، وأيفع ، وشبَّ ، واكتهل ، وهرم في يوم واحد فما عساه كان يُضيِّع من هذا اليوم الواحد؟ إن أطولَ الأعمار لا يراه صاحبه في ساعة موته إلا أقصرَ من يوم. ينادي القبر: أصلحوا عيوبكم ، وعليكم وقتٌ لإصلاحها ؛ فإنها إن جاءت إلى هنا كما هي ، بقيت كما هي إلى الأبد ، وتركها الوقتُ وهرب. هنا قبر ، وهناك قبر ، وهنالك القبرُ أيضاً ؛ فليس ينظر في هذا عاقلٌ إلا كان نظره كأنه حُكْمُ محكمةٍ على هذه الحياة كيف تنبغي ، وكيف تكون؟ في القبر معنى إلغاء الزمان ، فمن يفهم هذا استطاع أن ينتصر على أيامه ، وأن يسقط منها أوقات الشر والإثم ، وأن يميت في نفسه خواطر السوء ؛ فمن معاني القبر ينشأ للإرادة عقلها القويُّ الثابت ، وكل الأيام المكروهة لا تجد لها مكاناً في هذا العقل ، كما لا يجد الليل محلاً في ساعات الشمس. ثلاثةُ أرواح لا تَصلُح روحُ الإنسان في الأرض إلا بها: روح الطبيعة في جمالها ، وروحُ المعبد في طهارته ، وروحُ القبر في موعظته.)هـ. وهناك خطبة عذبة عنوانها: (موعظة الموت) للأستاذ سامي بن خالد الحمود أقتطف منها هذه الزهرات حيث يقول فيها: (الموت إنها الحقيقة الكبرى! كل حيٍ سيفنى ، وكل جديدٍ سيبلى! وما هي إلا لحظةٌ واحدة ، في مثلِ غمضةِ عين ، أو لمحةِ بصر ، تخرج فيها الروح إلى بارئها ، فإذا العبد في عداد الأموات. ذهب العمر وفات. يا أسير الشهوات. ومضى وقتك في سهو ولهو وسبات. بينما أنت على غيك حتى قيل مات. ونحن في غفلة الحياة ، كثيرًا ما نفاجأ باتصال أو رسالة أو غير ذلك أن فلانًا قد مات ، وقد كان في كامل صحته وعافيته ، وذلك مصداق حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من اقتراب الساعة أن يرى الهلالُ قُبُلاً فيقال لليلتين ، وأن تتخذ المساجد طرقاً ، وأن يظهر موت الفجأة). رواه الطبراني وحسنه الألباني. عجبًا لنا! كيف نتجرأ على الله وأرواحنا بيده؟! وكيف نستغفل رقابته والموت بأمره؟ وقد روي أن ملك الموت دخل على داود عليه السلام فقال: من أنت؟ فقال ملك الموت: أنا من لا يهاب الملوك ، ولا تمنع منه القصور ، ولا يقبل الرشوة ، قال: فإذًا أنت ملك الموت ، قال: نعم ، قال: أتيتني ولم أستعد بعد! قال: يا داود ، أين فلان قريبك؟ أين فلان جارك؟ قال: مات ، قال: أما كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد؟! ينقسم الناس عند الموت وشدته ، والقبر وظلمته ، وفي القيامة وأهوالها ، ينقسمون إلى فريقين: أما الفريق الأول فحالهم: (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ) ، ألا تخافوا مما أمامكم من أهوال الآخرة ، ولا تحزنوا على ما خلفكم في الدنيا من الأهل والولد والمال ، نحن أولياؤكم في الآخرة ، نؤنسكم من الوحشة في القبور ، وعند النفخة في الصور ، ونؤمنكم يوم البعث والنشور. أما الفريق الثاني من الكفار والفجار ، فحالهم: (وَلَوْ تَرَى إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَاتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقّ وَكُنتُمْ عَنْ ءايَـٰتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ). وصية محمد صلى الله عليه وسلم: (أكثروا من ذكر هادم اللذات ، فما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه ، ولا سعة إلا ضيقها). كلام مختصر وجيز ، قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة. وقد قيل: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة: تعجيل التوبة ، وقناعة القلب ، ونشاط العبادة ، ومن نسي الموت عوجل بثلاثة: تسويف التوبة ، وترك الرضا بالكفاف ، والتكاسل بالعبادة. أين هذه الخاتمة مما وقع لعدد من الشباب ، كانوا يستقلون سيارتهم ، والموسيقى تصدح بينهم بصوت مرتفع ، وهم غافلون ، وأبعد ما يفكرون فيه أن يفارقوا هذه الدنيا. وفجأة ، وقع الحادث ، وانقلبت

السيارة عدة مرات ، ثم حُمل المصابون على سيارة الإسعاف ، وكان أحدهم مصابًا بإصابات بليغة ، ويتنفس بصعوبة ، فقال له أدهم: يا فلان قل لا إله إلا الله ، يا فلان قل لا إله إلا الله ، فرد عليه: هو في سقر. هو في سقر ، ثم أغمض عينيه وأرخى رأسه ومات ، فسأل الرجل صاحبيه: أكان يصلي؟ قالوا: لا والله ، ما كنا نصلي جميعًا. إذا زرت المقبرة قف أمام قبر مفتوح ، وتأمل هذا اللحد الضيق ، وتخيل أنك بداخله ، وقد أغلق عليك الباب ، وانهال عليك التراب ، وفارقك الأهل والأولاد ، وقد أحاطك القبر بظلمته ووحشته ، فلا ترى إلا عملك. فماذا تتمنى يا ترى في هذه اللحظة؟ ألا تتمنى الرجوع إلى الدنيا لتعمل صالحاً ، لتركع ركعة ، لتسبّح تسبيحة ، لتذكر الله تعالى ولو مرة؟! ها أنت على ظهر الأرض حيًّا معافى فاعمل صالحاً قبل أن تعضَّ على أصابع الندم وتصبح في عداد الموتى. إذا هممتَ بمعصية ، تذكّر أماني الموتى ، تذكّر أنهم يتمنّون لو عاشوا ليطيعوا الله ، فكيف تعصي الله؟ إذا فترت عن الطاعة ، تذكّر أماني الموتى ، واجتهد في الطاعة ، وبادر إلى التوبة قبل أن يأتيك الموت بغتة ، فتقول: يا ليتني قدمت لحياتي ، واعلم أن ملايين الموتى يتمنون مثل الدقيقة التي تمر من حياتك ليستثمروها في طاعة الله ، وذكره والتوبة إليه ، فلا تضيع دقائق عمرك ، لئلا تتحسر في آخرتك. (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنْ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنْ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ).هـ. يقول ميمون بن مهران: "خرَجتُ مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلمَّا نظَر إلى القبور بكى ، ثم أقبل عليَّ فقال: يا أبا أيوب ، هذه قُبور آبائي كأنهم لم يُشارِكُوا أهلَ الدنيا في لذَّتهم وعيشهم! أمَا تراهم صَرْعَى قد حلَّت بهم المَثُلات ، واستَحكَمَ فيهم البلاء ، وأصاب الهوامُّ في أبدانهم مقيلاً ، لسان حالهم يقول: كنَّا عِظامًا فصِرنا عِظامًا ، وكنَّا نَقُوت فها نحن قُوت ، ثم بكى حتى غُشِي عليه ، ثم أفاق فقال: انطلق بنا ، فوالله ما أعلمُ أحدًا أنعم ممَّن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من عَذاب الله - عزَّ وجلَّ. ألا تبكي لنفسك؟! فلمَّا قرأ الكتاب بكى ؛ حتى بلَّ طرف ثوبه. قال الحارث بن إدريس: قلت لداود الطائي: أوصِني ، فقال: "عسكر الموت ينتظرونك". قال لقمان لابنه: "يا بني ، أمرٌ لا تدري متى يلقاك ، استعدَّ له قبل أنْ يفجاك". وقال محمد بن الحارث: "رأيتُ الحسنَ صلَّى على جنازةٍ ، فكبَّر عليها أربعًا ، ثم اطَّلع في القبر فقال: يا لها من عظة! يا لها من عظة! - ومدَّ صوته بها - لو وافقت قلبًا حيًّا! ثم قال: إنَّ الموت فضَح الدُّنيا ، فلم يدع لذي لُبٍّ فرحًا ، فرَحِمَ الله امرأً أخَذ منها قُوتًا مبلغًا ، وهضَم الفضل ليوم فقره وحاجته ، فكأنَّ ذلك اليوم قد أظلَّكم". وكان الحسن البصري - رحمه الله - يقول أيضًا: الثَّواءُ ها هنا قليل ، وأنتم آخِر أمَّتكم ، وأمَّتكم آخِر الأمم ، وقد أُسرِعَ بخِياركم ، فماذا تنظُرون إلا المعاينة ، فكأنها والله قد كانت ، ما بعد نبيِّكم نبيٌّ ، ولا بعد كتابكم كتابٌ ، ولا بعد أمَّتكم أمَّة ، تَسُوقون الناس والساعة تَسُوقكم ، وما ينتظر أولكم إلا أنْ يلحق آخركم ، فيا لها من موعظةٍ لو وافقت من القلوب حياةً!". وقال الحسن أيضًا: "أيها الناس ، أصبحتم والله في أجلٍ منقوص ، وعمل محصى محروس ، والموت فوق رؤوسكم ، والنار بين أيديكم". وحضر الحسن جنازةً ثم قال: "أيها الناس ، اعمَلُوا لمثل هذا اليوم ، (وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ). كتب حكيمٌ إلى أخٍ له فقال: "إنَّ الحزن على الدُّنيا طويل ، والموت من الإنسان قريب ، وللنقص في كلِّ وقت منه نصيب ، وللبلاء في جِسمه دبيب ، فبادِرْ قبل أنْ تُنادَى بالرحيل، والسلام". وكان يزيد الرقاشي - رحمه الله - يقول لنفسه: "ويحك يا يزيد! مَن ذا يصلِّي عنك بعد الموت؟ مَن ذا يصومُ عنك بعد

الموت؟ مَن ذا يُرضي عنك ربَّك بعد الموت؟ ثم يقول: يا أيها الناس، ألا تبكون وتَنُوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ من الموت طالبه ، والقبر بيته ، والتراب فراشه ، والدود أنيسه ، وهو من هذا ينتظِر الفزَع الأكبر ، كيف يكون حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مَغشيًّا عليه". وجاء في "تهذيب الكمال" (32/ 76) ، وكتاب "المحتضرين" صـ 146 عن دُرُس القزاز قال: لما احتضر يزيد الرقاشي بكى ، فقيل له: ما يبكيك - رحمك الله؟ قال: أبكي على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار ، ثم بكى وقال: مَن يُصلِّي لك يا يزيد ، ومَن يصوم؟ ومَن يتقرَّب لك إلى الله بالأعمال بعدك؟ ومَن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة؟ ويحكم يا إخوتاه! لا تغترنَّ بشَبابكم ، فكأنْ قد حلَّ بكم ما حلَّ بي من عظيم الأمر وشدة كرب الموت ، النجاء ، النجاء ، الحذر، الحذر يا إخوتاه ، المبادرة يرحمكم الله". وكان ابن السماك يقول: ألا مُنتبه من رَقدته؟ ألا مُستيقظ من غَفلته؟ ألا مُفيق من سكرته؟ ألا خائف من صَرعته؟ أقسم بالله لو رأيتَ القيامة تخفق بزلازل أهوالها ، وقد علت النَّار مُشرِفة على أهلها ، وجِيء بالنَّبيِّين والشُّهَداء ؛ لسَرَّك أنْ يكون لك في ذلك الجمع منزلةٌ وزُلفى ، أبَعْدَ الدنيا دار معتمل أم إلى غير الآخرة منتقل؟ كلا ، والله لقد صُمَّت الأسماع عن المواعظ ، وذهلت القلوب عن المنافع. قال عقيل بن عمرو في خُطبته: "إخواني لا بُدَّ من الفَناء ، فليت شعري ، أين الملتقى؟ وقال أحد الزُّهَّاد: "كُونوا من الله على حَذر ، ومن دُنياكم على خَطر ، ومن الموت على وجَل ، ولقُدوم الآخرة على عجَل". قال إبراهيم بن أدهم لابن بشَّار: "يا ابن بشَّار ، مَثِّل لبصرِ قلبِك حُضور ملَك الموت وأعْوانه لقبْض رُوحك ، فانظُر كيف تكون؟ ومثِّل له القيامة وأهوالها وأفزاعها ، والعرض والحساب والوقوف ، فانظُر كيف تكون؟ ثم خرَّ مَغشِيًّا عليه". يقول ابن الجوزي رحمه الله: "إخواني ، إنَّكم تغْدون وتروحون في آجالٍ قد غيبت عنكم ، فانظُروا لخلاصكم قبل انقِضاء أعماركم ، الوحا... الوحا ، فالطالب حثيث ، تذكَّروا تلك الصَّرْعة بين الأهل ، وهم لا يقدرون على ضرٍّ ولا نفع ، والله ما بات عاقلٌ قطُّ إلا على فراش حذر ، إنما هو دبيب من سُقْم ، ثم تُؤخَذون بالكظم ، فإنَّه زلَّت القدم لم ينفع ندم ، لا توبة تنال ولا عثرة تُقَال ولا فداء بمال. وتحت عنوان: (الموت عبر وعظات) قال الشيخ ندا أبو أحمد ما نصه بتصرف: (الموت وما أدراك ما الموت! كفى بالموت واعظًا ، وللقلوب مقرحًا ، وللأحبَّاء مفتتًا ، وللعيون مُبكيًا ، وللنُّفوس محزنًا ، وللجَماعات مُفرِّقًا ، وللذَّات هادِمًا ، وللأُمنيات قاطعًا. الموت: يُفرِّق بين الأحباب والأصحاب ، ويُباعد بين الأقرباء ، ويَحُول بين القرناء ، ويهدمُ اللَّذَّات ، ويقطعُ الصِّلات ، ويُيتِّمُ البنين والبنات ، ويُشتِّت الجماعات. الموت: له هَيْبَةٌ تخضع لها الرؤوس ، وتنحني لها الظُّهور ، وله رهبةٌ تخشع لها النُّفوس ، وتَرجُف من أجلها القُلوب. الموت: يَمضِي في طَريقه ولا يتوقَّف ولا يَتلفِت ، لا يستجيب لصَرخة مَلهُوف ، ولا لحسْرة مُفارق ، ولا لرغبة راغبٍ، ولا لخوف خائفٍ، ولا للوعة أمٍّ، أو شَفقة أبٍ، أو حَنين طفل. الموت: قَضاء نافِذ ، وحُكم شامل ، وأمر حاتم لازم ، لا تمنع منه حَصانة القِلاع ، ولا يَحُول دُونه حِجابٌ ، ولا تردد الأبواب ، كما قال العزيز الوهَّاب: (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ). الموت: لا يَخاف الأباطرة والأكاسرة ، ولا يَخشى الملوك والقَياصِرة ، ولا يَرهب الأُمَراء والقادة ، ولا الزُّعَماء والسَّادة ، يبطشُ بالعظيم كما يبطشُ بالحقير ، ويُفنِي الشيخ الكبير كما يُفنِي الولد الصغير ، ويُهلِك الكهلَ القويَّ ، كما يُهلِك الشابَّ الفتي ، لا يرحم مسكينًا ولا فقيرًا ، ولا يترك عَزِيزًا ولا ذَلِيلاً ، ولا يدعُ بارًّا تقيًّا ، ولا جبَّارًا عصيًّا ، لم ينجُ منه أميرٌ أو وزيرٌ ، ولم يسلمْ منه غنيٌّ أو فقيرٌ ، وما ترَك نبيًّا ولا وليًّا ولا تقيًّا ، ولا يُحابي زاهدًا أو عابدًا ، بل شمل المُقِرَّ والجاحد ، والصَّحيحَ والسَّقيم ،

والمريض والسَّليم ، بل لم يسلمْ منه الملائكةُ الكرام ، وحملةُ العرش العظام ، وجبريل ـ عليه السَّلام ـ وآخِر مَن يموتُ ملكُ الموت. الموت: عاقبة كلِّ حيّ ، وخِتام كلِّ شيء ، ونهاية كلِّ موجود ، سوى الربِّ المعبود ، يستوي فيه المالك والمملوك ، والسيِّد والمسُود ، فلا مفرَّ منه ولا مَحِيص عنه ، ولا مَناص من سُلطانه ، ولا إفلات من شِباكه ، فهو سنَّة الله في خَلقه ، ولن تجد لسنَّة الله تبديلاً ، فمهما عاش المخلوق فهو إلى الموت صائر ، قال تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ). فالكلُّ سيموت ، غير ذي العزَّة والجبروت. يقفُ الأحبَّة بجوار مَن يُنازع سَكرات الموت ، ويتفكَّرون. أهذا فلان المهاب ، الذي ملأ الدنيا ضَجيجًا وصُراخًا ، والذي كان منذُ قليلٍ يتحرَّك هنا وهناك؟ هو الآن أصبح جثَّة هامدة لا حَراك لها ، قد تقلَّصت الشَّفتان ، وثقُل اللسان ، وشخصت العَيْنان ، وبردت القَدمان ، وانهدَّت الأركان. إنَّه منذُ قليلٍ كان الكلُّ يَهابُه ويَخْشاه ، ويتمنَّون رِضاه ، أمَّا الآن فيَنْظُرون إليه نظرةَ إشفاق. يُقال له بلسان الحال: أين لسانُك الفصيح؟ ما أسكَتَك؟ أين صوتُك الشجيُّ؟ ما أخرَسَك؟ أين رِيحك العطرة؟ ما أنتنك؟ أين حَركاتك؟ ما أسكنك؟ أين أموالك الكثيرة؟ ما أفقرك؟ فيا أيُّها الإنسان. يا مَن كنتَ تجري هنا وهناك ، وتمشي على الأرض أو تسبحُ في الماء ، أو تركب الفلك أو تطير في الهواء ، ولك من المال والأولاد والزوجة الحسناء ـ سيأتيك في يومٍ من الأيام ملكٌ مهاب لا يَستأذِنُ لدُخول الأبواب ، ولا يمنعه حِجاب ، فأصبحت أيها الإنسان لمالِكَ تاركًا ، ولأحبائك مُفارقًا ، ولكأس المنيَّة شاربًا ، وعلى الله واردًا ، انقطعت الأعمال فلا أنت في حَسناتك زائد ، ولا إلى دُنياك عائد ، إنها مُصيبة عُظمَى. الموت من أعظم المصائب التي تحلُّ بالإنسان ، وقد سمَّاه الله تعالى في كتابه الكريم: مصيبة ؛ فقال تعالى: (فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ). وذلك لأنَّه تبديلٌ من حالٍ إلى حالٍ ، وانتقالٌ من دارٍ إلى دار ، وهو المصيبة العُظمَى والرزيَّة الكُبرى ، وأعظم منه الغَفلة عنه ، والإعراض عن ذِكره ، وقلَّة التَّفكير فيه ، وعدم الاستعداد له. لذا كان السَّلف الكِرام يُذكِّر أحدُهم أخاه بالموت وما بعدَه ؛ حتى يتأهَّب لهذه اللَّحظة ولا يغفل عنها ، فالموت خير واعظ. كما جاء في الحديث الذي أخرجه الطبراني أنَّ الحبيب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: (كفى بالموت واعظًا ، وكفي باليقين غنى). وكان الفُضيل رحمه الله يقول: "كفى بالله محبًّا ، وبالقُرآن مُؤنسًا ، وبالموت واعظًا ، وكفى بخشية الله عِلمًا ، والاغترار بالله جهلاً". وجاء في كتاب "التذكرة" للقرطبي صـ99: "أنَّه قيل لبعض الزُّهَّاد: ما أبلغ العِظات؟ قال: النظَر إلى الأموات". ولقد كتب محمَّدُ بن يوسف بن معدان الأصبهاني إلى أخيه عبد الرحمن بن يوسف فقال له: "من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف. سلامٌ عليك. فإنِّي أحمَدُ إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو ، أمَّا بعدُ: فإنِّي مُحذِّرك مُتحوِّلك من دار مُهْلتك إلى دار إقامتك وجَزاء أعمالك ؛ فتَصِير في قَرار باطن الأرض بعدَ ظاهِرها ، فيأتيك مُنكرٌ ونَكير ، فيُقعِدانك وينتَهِراك ، فإنْ يكنِ الله معك فلا بأسَ ولا وحشة ولا فاقة ، وإنْ يكن غير ذلك فأعاذني الله وإيَّاك من سُوء مصدع ، وضِيق مضجع ، ثم تتبعك صيحةُ الحشر ، ونفخ الصُّور ، وقيام الجبَّار لفصْل قَضاء الخلائق ، وخلاء الأرض من أهلها ، والسَّماوات من سُكَّانها ، فباحت الأسرار ، وسُعِّرَتِ النار ، ووُضِعت الموازين ، وجِيء بالنبيِّين والشُّهَداء ، (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، فكم من مُفتضح ومَستور ، وكم من هالكٍ وناج ، وكم من مُعذَّب ومرحوم! فيا ليت شعري... ما حالي وحالك يومئذ؟ ففي هذا ما هَدَم اللذَّات ، وسلا عن الشَّهوات ، وقصَّر الأمل ؛ فاستَيْقَظ النائمون وحذَّر الغافلون. أعانَنَا الله وإيَّاك على هذا الخطَر العظيم ، وأوقع الدُّنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعها من قُلوب المتَّقين! فإنما نحنُ به وله. عباد الله ، اسعوا في فِكاك رقابكم ، وأجهِدوا أنفسكم في خَلاصها قبل أنْ تزهق ، فوالله ما بين أحدِكم وبين الندم ، والعلم بأنَّه قد زلَّت به القدم إلا أنْ يحوم عقاب المنيَّة عليه ، ويفوق سهامها إليه ،

فإذا النَّدم لا ينفع ، وإذا العُذر لا يمنع ، وإذا النصير لا يَدفع ، وإذا الشفيع لا يَشفع ، وإذا الذي فات لا يسترجع ، وإذا البائس المحابي به في النَّجاة لا يطمع ، فكأنِّي بك يا أخي وقد صرَخ عليك النسوان ، وبكَى عليك الأهل والإخوان ، وفقَدَك الولدان ، ونفَخ لفُرقتك الجيران ، ونادَى عليك المنادي: قد مات فلان بن فلان ، ثم نُقلت عن الأحباب ، وحُمِلت إلى أرماس التُّراب ، وأضجعوك في محل ضنِّك ، قصير السمك ، مهول منظره كثير وعره ، مغشي بالوحشة ، عرفته مهول الضريح ، مطبق الصفيح ، على غير مِهاد ولا وِداد ، ولا مقدمة زاد ولا استعداد". أخي ، مَن لك إذا ألَمَّ الألم وسكت الصوت ، وتمكَّن الندم ووقَع بك الفوت ، وأقبل لأخْذ الروح ملك الموت ، وجاءت جُنوده وقيل: مَن راق ، ونزلتَ منزلاً ليس بمسكون ، وتعوَّضت بعد الحركات السكون ، فيا أسفًا لك كيف تكون ، وأهوال القبر لا تُطاق ، وفُرِّقَ مالُك وسُكِنَت الدار ، ودار البلاء فما دار إذ دار وشغلك الوِزر عمَّن هجَر وزار ، ولم ينفعك ندم الرفاق. دخَل بهاء الدِّين السُّبكي على الشيخ برهان الدين الإنباسي يعودُه ، وكان تجاههما نعشٌ ، فنظر السبكي إلى النعش ، ثم قال للإنباسي: "يا شيخ برهان الدين ، أتدري ما يقولُ النعش؟ فقال: إنه يقول:

انْظُـــــرْ إِلَيَّ بِعَقْـلِكَ *** أَنَا المُعَدُّ لِحَمْـلِكَ

أَنَا سَرِيرُ المَنَايَـــــا *** كَمْ سَارَ مِثْلِي بِمِثْلِكَ

قال ثابت البُناني: أيُّ عبدٍ أعظم حالاً من عبد يأتيه ملك الموت وحدَه ، ويدخُل قبره وحدَه ، ويوقف بين يدي الله وحده ، ومع ذلك ذنوب كثيرة ، ونِعَم من الله عديدة". وكتب رجلٌ إلى أخٍ له: "أمَّا بعدُ ، فإن الدنيا حُلم ، والآخرة يَقظة ، والمتوسط بينهما الموتُ ، ونحنُ في أضغاث... والسلام". وجاء في كتاب "حلية الأولياء" (8/ 235) أنَّ محمد بن يوسف الأصبهاني كتَب إلى بعض إخوانه فقال: "أقرئ مَن أقرأتنا منه السَّلامَ السَّلامَ ، وتزوَّد لأُخراك ، وتجافَ عن دُنياك ، واستعدَّ للموت ، وبادِر الفوت ، واعلم أنَّ أمامَك أهوالاً وأفزاعًا قد أرعبت الأنبياء والرُّسل... والسلام". ووعظ أعرابيٌّ ابنه فقال له: "أيْ بني ، إنَّه مَن خافَ الموت بادَرَ الفوت ، ومَن لم يَكبحْ نفسه عن الشَّهوات أسرعت به التَّبعات ، والجنَّة والنَّار أمامك". جاء في كتاب "صفة الصفوة" (4/ 215) ، و"تهذيب الكمال" (18/ 15-16): "أنَّ عبد الرحمن بن يزيد - وكان له حظٌّ من دين وعقل - فقال لبعض أصحابه: أبا فلان ، أخبِرني عن حالك التي أنت عليها ، أتَرْضاها للموت؟ قال: لا ، قال: فهل أزمعت التحويل إلى حالٍ ترضاها للموت؟ قال: لا ، والله ما تاقَتْ نفسي إلى ذلك بعدُ ، قال: فهل بعد الموت دارٌ فيها معتمل؟ قال: لا ، قال: فهل تأمن أنْ يأتيك الموت وأنت على حالك هذه؟ قال: لا ، قال: ما رأيت مثل هذه حالاً رضي بها ، وأقام عليها - أحسبه قال: - عاقل". يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - في كتابه "التذكرة" صـ10: "فتفكَّر يا مغرور في الموت وسَكرته ، وصُعوبة كأسه ومَرارته ، فيا للموت من وعدٍ ما أصدَقَه ومن حاكمٍ ما أعدله! كفى بالموت مُقرّحًا للقلوب ومُبْكيًا للعيون ، ومُفرِّقًا للجماعات ، وهادمًا للذَّات ، وقاطعًا للأُمنيات ، فهل تفكَّرت يا ابن آدم في يوم مَصرعك ، وانتقالك من موضعك ، وإذا نقلت من سَعة إلى ضِيق ، وخانَك الصاحب والرفيق ، وهجَرَك الأخ والصديق ، وأخَذت من فراشك وغِطائك إلى عرر ، وغطُّوك بعد لين لحافك بتراب ومدر؟! فيا جامع المال ، والمجتهِد في البُنيان ، ليس لك والله من مالِك إلا الأكفان ، بل هي والله للخَراب والذَّهاب وجِسمك للتراب والمآب ، فأين الذي جمعتَه من مال؟ هل أنقذَكَ من الأهوال؟ كلا ، بل تركتَه إلى مَن لا يحمدك ، وقدِمت بأوزارك على مَن لا يعذرك". ويقول القرطبي أيضًا في كتابه "التذكرة" صـ91: "يا هذا ، أين الذي جمعتَه من الأموال ، وأعددته للشدائد والأهوال ، لقد أصبحتْ كفُّك منه عند الموت خاليةً صفْرًا ، وبُدِّلت من بعد غِناك وعِزِّك ذلاً وفَقْرًا ، فكيف أصبحت

يا رهينَ أوزاره؟ ويا مَن سُلِبَ من أهله وديِاره؟ ما كان أخفى عليك سبيل الرشاد ، وأقل اهتمامك لحمْل الزاد إلى سفرك البعيد ، وموقفك الصَّعب الشديد! أوَمَا علمت يا مغرور أن لا بُدَّ من الارتحال إلى يوم شديد الأهوال ، وليس ينفعك ثَمَّ قيل ولا قال ، بل يعد عليك بين يدي الملك الدَّيَّان ، ما بطشت اليدان ، ومشت القَدَمان ، ونطَق به اللسان ، وعملت الجوارح والأركان ، فإنْ رحمك فإلى الجنان ، وإن كانت الأخرى فإلى النِّيران. يا غافلاً عن هذه الأحوال ، إلى كم هذه الغَفلة والتوان! أتحسب أنَّ الأمر صغير ، وتزعم أنَّ الخطب يسير؟ وتظنُّ أنْ سينفعك حالك إذا آنَ ارتحالُك ، أو ينقذك مالك حين تُوبقك أعمالك ، أو يُغني عنك ندَمُك إذا زلَّت بك قدمك ، أو يعطف عليك معشرُك حين يضمُّك مَحشرُك ، كلا والله ساءَ ما تتوهَّم ، ولا بُدَّ لك أنْ ستعلَم ، لا بالكفاف تقنع ، ولا من الحَرام تشبع ، ولا للعِظات تسمع ، ولا بالوعيد ترتدع ، دأبك أنْ تنقلب مع الأهواء ، وتخبط خبط العَشواء ، يعجبك التكاثُر بما لديك ، ولا تذكُر ما بين يديك. يا نائمًا في غَفلة ، وفي خبطة يَقظان ، إلى كم هذه الغفلة والتَّوان! أتزعُم أنْ ستُتْرَك سُدًى ، وألا تُحاسب غدًا ، أم تحسب أنَّ الموت يقبَلُ الرِّشا ، أم يميز بين الأسد والرَّشا؟ كلا والله لن يدفَع عنك الموت مالٌ ولا بنون ، ولا ينفع أهلَ القبور إلا العمل المبرور. فطُوبَى لِمَن سمع ووعَى ، وحقَّق ما ادَّعَى ، ونهى النَّفس عن الهوى ، وعلم أنَّ الفائز مَن ارعوى ، وأنْ ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأنَّ سعيَه سوف يُرى ، فانتبه من هذه الرقدة ، واجعَلِ العمل الصالح لك عدَّة ، ولا تتمنَّ منازلَ الأبرار ، وأنت مقيمٌ على الأوزار ، عاملٌ بعمل الفجَّار ، بل أكثِرْ من الأعمال الصالحات ، وراقِبِ الله في الخلوات. رب الأرض والسماوات ، ولا يغرَّنَّك الأمل ، فتزهد عن العمل. وعَظ أحد الصالحين الناس فقال لهم: "يا أيها الناس ، اعمَلُوا على مهلٍ ، وكُونوا من الله - عزَّ وجلَّ - ولا تغترُّوا بالأمَل ونسيان الأجَل ، ولا تركَنُوا إلى الدنيا فإنها غدَّارة خدَّاعة ، قد تزَخرَفتْ لكم بغُرورها ، وفتنتكم بأمانيها ، وتزيَّنت لخطَّابها ، فأصبحت كالعروس المحلية ، العيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها عاكفة ، والنُّفوس لها عاشقة ، فكم من عاشقٍ لها قتلت ، ومطمئن إليها خذلت! فانظُروا إليها بعين الحقيقة ، فإنها دار كثيرة بوائقها ، وذمَّها خالقها. جديدُها يبلى ، وملكُها يَفنَى ، وعزيزُها يذلُّ ، وكثيرُها يقلُّ ، ودُّها يموت ، وخيرُها يَفُوت ، فاستيقِظُوا رحمكم الله من غَفلتكم ، وانتَبِهوا من رَقدتكم قبل أنْ يُقال: فلان عليل ، أو مدنف ثقيل ، فهل على الدَّواء من دليل؟! وهل إلى الطَّبيب من سبيل؟! فتُدعى لك الأطباء ولا يُرجى لك الشِّفاء ، ثم يُقال: فلان أوصى ولماله أحصى ، ثم يُقال: قد ثقُل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه. وعرق عند ذلك جَبِينُك وتتابَع أنينُك ، وثبت يقينُك ، وطمحت جفونُك ، وصَدقت ظنونُك ، وتلَجلَجَ لسانُك ، وبكَى إخوانك. وقيل لك: هذا ابنُك فلان ، وهذا أخوك فلان ، ومُنِعت من الكلام فلا تنطق ، وخُتِم على لسانك فلا ينطق ، ثم حَلَّ بك القضاء ، وانتزعت نفسك من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السَّماء ، فاجتمع عند ذلك إخوانُك ، وأُحضرت أكفانُك ، فغسَّلوك وكفَّنوك ، فانقطع عُوَّادك ، واستراح حُسَّادك ، وانصَرَفَ أهلك إلى مالك ، وبقيتَ مرتهنًا بأعمالك. يقول القرطبي - رحمه الله -: "مَثِّل نفسك يا مَغرور وقد حلَّت بك السَّكرات ، ونزَل بك الأنين والغَمرات ، فمِن قائلٍ يقول: إنَّ فلانًا قد أوصى ، وماله قد أُحْصي ، ومن قائلٍ يقول: إنَّ فلانًا ثقل لسانُه ، فلا يعرفُ جيرانه ، ولا يُكلِّم إخوانه ، فكأنِّي أنظُر إليك تسمع الخطاب ، ولا تقدر على ردِّ الجواب. فخيِّل لنفسك يا ابن آدم إذا أخَذت لفِراشك إلى لوح مُغسلك ، فغسَّلك الغاسل ، وأُلبِستَ الأكفان ، وأُوحِش منك الأهل والجيران ، وبكتْ عليك الأصحاب والإخوان ، وقال الغاسل: أين زوجةُ فلان تحالـله؟ وأين اليتامى تركككم أبوكم فما ترَوْنه بعد هذا اليوم أبدًا؟ أيُّها الغافلون عن الموت ، جدُّوا فقد سُبِقتم واستعدُّوا فقد لُحِقتم ، وانظُروا بماذا من الهوى عُلقتم ، ولا تغفلوا عمَّا له خُلِقتم ، ذهبت الأيَّام وما أطعتم ، وكُتِبت الآثام وما أصغَيْتُم ، وكأنَّكم بالصادقين قد وصلوا ، وانقطعتم ، أهذا التوبيخ لغيركم؟ أما قد سمعتم؟ اسمعوا عظة الزمان إن كنتم تسمعون ، وتأمَّلوا تقلب الأحوال إن كنتم تبصرون.

ذكر القرطبي عن محمد بن القرشي أنَّه قال: سمعت شيخنا يقول: "أيها الناس. إنِّي لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، فاعمَلُوا في ظُلمة الليل لظلمة القبور ، وصُوموا في الحر قبل يوم النشور ، وحجُّوا يحط عنكم عظائم الأمور ، وتصدَّقوا مخافة يوم عسير". يا ناسي الموت... كم أسمعك الموت وعيدَك ، فلم تنتبهْ حتى قطع وريدك ، ونقض منزلك وهد مشيبك ، ومزق مالك وفرق عبيدك ، وأخلي دارك وملأ بيدك ، أمَا رأيت قرينك؟ أمَا أبصرت فقيدك؟ أين الوالدون وما ولدوا؟ أين الجبارون وأين ما قصدوا؟ أين أرباب المعاصي؟ على ماذا وردوا؟ أمَا جنوا ثمرات ما جنوا وحصدوا؟ أمَا قدَّموا على أعمالهم في مآلهم ووفدوا؟ أمَا خلوا في ظلمات القبور؟ بكوا والله وانفردوا ، أمَا ذلوا وقلُّوا بعد إن عتوا ومردوا؟ أما طلبوا زادًا يكفي في طريقهم ففقدوا ، أما حلَّ الموت فحلَّ عقد ما عقدوا؟ عايَنوا والله كلَّ ما قدموا ووجدوا ، فمهنم أقوامٌ شقوا وأقوام سعدوا. أيها الغافل ، كم سكَن مثلك في هذا الدار ، فحامَ الموت حول حماهم ودار! ثم ناهضهم وسلب الجار ، فمَن أنذر قبل هجومه فما جار. يا هذا ، العمر عمرٌ قليل ، وقد مضى أكثره بالتعليل ، وأنت تعرض البقيَّة للتأويل ، وقد آنَ الأوان أنْ يرحل النزيل". أيها الغافل، كأنَّك بالموت وقد اختطفك اختطاف البرق ، ولم تقدرْ على دفعه عنك بملك الغرب والشرق ، وتأسَّفت الأسف الشديد (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). يقول ابن الجوزي: "كم يومٍ غابت شمسه وقلبك غائب ، وكم ظلام أُسبل ستره وأنت في عجائب ، وكم أُسْبغت عليك نعمة وأنت للمعاصي تواثِبُ ، وكم صحيفةٍ قد ملأها بالذنوب الكاتبُ ، وكم يُنذِرك سَلبُ رفيقك وأنت لاعبُ! يا مَن يأمَنُ الإقامةَ قد زُمَّت الركائب ، أَفِقْ من سكرتك قبلَ حَسْرتك على المعايب ، وتذكَّر نزول حفرتك وهجران الأقارب ، وانهضْ عن بساط الرقاد وقل: أنا تائب ، وبادِرْ تحصيل الفضائل قبل فوت المطالب ، فالسائق حثيث ، والحادي مُجدٌّ ، والموت طالبُ! اعلَمْ يا ابن آدم أنَّك لدُنياك مفارق ، ولسكرات الموت ذائق ، وللقبر ساكن ، وبين يدي ربِّك واقف ، وعن أعمالك وأقوالك مسؤول ، فأعدَّ للسؤال جوابًا ، وللجواب صوابًا ، واعلم أنَّ الحساب دقيق ، والناقد بصير ، وهو على كلِّ شيء قدير. جاء في "التبصرة" (2/ 206): يا غافلاً عن نفسه ، أمرك عجيب ، يا قتيل الهوى ، داؤك غريب ، يا طويل الأمل ، ستُدعَى فتجيب ، وهذا عن قريب ، وكلُّ آتٍ قريب ، هلا تذكَّرت لحدَك ، كيف تبيتُ وحدك ، ويُباشر الثرى خدَّك ، وتقتسمُ الديدان جلدك ، ويضحكُ المحبُّ بعدك ، ناسيًا عنه بُعدك؟! والأهل مُذْ وجدوا المال ما وجدوا فقدك ، إلى متى وحتَّى متى تترُك رشدك؟! أمَا تحسن أنْ تحسن قصدك؟! الأمل جد مجد ، فلازم جدك". أيها الغافل عن الموت بادِرْ قبل الفوت. يقول شميط بن عجلان - رحمه الله - كما في "صفة الصفوة" (3/ 347) ، و"قصر الأمل" ؛ لابن أبي الدنيا صـ62: "أيها المغترُّ بطول صحَّته ، أمَا رأيت ميِّتًا قطُّ من غير سقم؟ أيها المغترُّ بطول المُهلة ، أمَا رأيت مأخوذًا قط من غير عُدَّة؟ إنَّك لو فكَّرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدَّم من لذَّاتك. أبالصحَّة تغترُّون ، أم بطول العافية تمرحون ، أم للموت تأمنون ، أم على ملك الموت تجترئون؟! إنَّ ملك الموت إذا جاءَ لم يمنَعْه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك. أمَا علمت أنَّ ساعة الموت ذاتُ كربٍ وغُصص وندامة على التفريط؟ ثم قال: رَحِمَ الله عبدًا عَمِلَ لساعة الموت ، رَحِمَ الله عبدًا عمل لما بعد الموت ، رَحِمَ الله عبدًا نظَر لنفسه قبل نزول الموت".اهـ. والآن لنتابع قراءة جزئنا الثاني من: (القبور تتكلم) وعنوانه: (نصيحة لزائري القبور)! ويعقبه الجزء الثالث إن كان في العمر بقية! وأسأل الله أن ينفع به من كتب وقرأ ونشر! هو ولي ذلك والقادر الوحيد عليه!)

انظـــــر الأجـــــداثَ ، واســـــتقص الخبَـــــرْ والـــــتمسْ مِـــــن مَنظـــــر القبـــــر العِبَـــــرْ

وارحـــــم المـــــوتى ، وأشـــــفِقْ ، واحتـــــرمْ أخـــــذة المـــــوت ، وللهـــــول انكســـــر

هـــــذبِ الـــــنفسَ ، وألزمْهـــــا الحَيـــــا ... وتفكـــرْ فـــي الـــذي تحـــوي الحفـــر

حُرمـــــــة الأمـــــــوات لا ، لا تنتهـــــكْ ... واعتبـــرْ - يـــا صـــاح – بـــالعَظم النخِـــر

إنـــــه القبـــــرُ يُبَكّـــــي نـــــاظراً ... إن أطـــالَ العبـــدُ – فـــي القبـــر - النظـــر

بيـــــــتُ دُودٍ ، دُودُهُ لا يرعـــــــوي ... يـــنهشُ اللحـــمَ ، فـــلا يَبقـــى أثـــر

وهْـــو بيـــتٌ مُـــوحشٌ مُســـتوحشٌ! ... عمـــلُ الإنســـان ضـــيفٌ مســـتقر

وهْـــو مَـــأوى غربـــةٍ إنهاؤهـــا ... حِـــلّ مِيعـــادِ النشـــور المنتظـــر

والمقـــــاديرُ لهـــــا أســـــبابُها ... ودخـــولُ القبـــر حَـــتْمٌ مســـتطر

والبرايـــــا قـــــدّرتْ أعمارُهـــــا ... وقضـــــاءُ اللهِ آتٍ والقـــــدر

والمنايـــــا والبلايـــــا سُـــــجّلتْ ... فاجتهـدْ فـي السـعي واصـبر واصـطبر

وتأمّـــلْ فـــي مقـــادير الـــورى ... نصـــبَ عينيـــك حَكايـــا كالسِـــيَر

كـــم طـــوى المـــوتُ فـــراعينَ الـــدنا ... دون إمهـــال كلمـــح بالبصـــر!

كـــم دهـــى المـــوتُ أناســـاً عربـــدوا ... بعـــدما الآيـــاتُ جـــاءت والنـــذر!

كـــم عِظـــاتٍ صـــاغها المـــوتُ لنـــا ... سَـــرْدُها يكـــوي قلوبـــاً تعتبـــر!

أي قلـــب عـــافَ وعظـــاً جـــاءهُ ... فمكـــانَ القلـــب قـــد حـــلّ الحجـــر!

قـــد رأيـــتُ المـــوت أرجـــى واعـــظٍ ... عـــن ســـناهُ يَصـــرفُ الـــنفسَ الخـــور

كـــم دروس ســـاقها عـــن ميّـــتٍ ... مَلـــكَ الـــدنيا ، وبالبَـــأس اشـــتهر!

غـــرّهُ الســـلطانُ ، وانقـــادتْ لـــهُ ... رغـــمَ أنـــف الكـــل قطعـــانُ البَشـــر

وانبـــرى يَختـــالُ فـــي أهوائـــهِ ... والرعايـــا - حولـــه - مِثـــلُ الغجـــر

أفســـدَ الـــدنيا ، وأغـــوى أهلهـــا ... وبمـــا أحـــدثَ بـــاهى ، وافتخـــر

زاعمـــــاً أن الـــــدنايا رِفعـــــة ... فاســـتمى شـــأنُ التـــدني ، وانتشـــر

حـــاربَ الحـــق ، وعـــادى أهلـــهُ ... وأجـــاد اللـــؤمَ - جهـــراً - والـــدَبَر!

بـــــاذلاً مُـــــر الأذى فـــــي كيـــــدهم ... وعلـــــى أعلامهـــــم كـــــال الضـــــرر

مُعْمِـــلاً ســـيفَ الـــردى فـــي قهـــرهم ... غـــالَ بعضـــاً ، ثـــم بعضـــاً قـــد قهـــر

ثـــم حـــاك الزيـــف عـــنهم والفِـــرى ... مثلمـــا يَحتـــالُ كـــذابٌ أشِـــر

واســـــتقرَ الأمـــــرُ: رأسٌ صـــــادقٌ ... والألـــى صـــدّوهُ هـــم أشـــقى الزمَـــر

ثـــم جـــاءَ المـــوتُ يُـــردي المُفتـــري! ... فـــإذا بالخِـــب أضـــحى يُحتضـــر

قـــال للحُجّـــاب: هيـــا أحضـــروا ... أهـــلَ طِبـــي يرفعـــوا عنـــي الخطـــر

وَعْكَـــة هـــذي ، ســـيُنهيها الـــدوا ... ومِـــن الأســـقام قـــد يُنجـــي الحـــذر

وأتـــى الطـــبُ ، وأدلـــى دلـــوه ... أيـــن ممـــا قـــدّر المَـــوْلى وَزَر؟!

خـــيّمَ المـــوتُ ، وألقـــى سِـــتره ... أي طـــبٍ يَبتلـــي هـــذي السُـــتُر؟!

نفـــضَ (الـــدكتورُ) كفـــي عـــاجز ... مُلقيـــاً كـــل الأحـــاجي والإبـــر

لـــم تعـــدْ تُجـــدي العقـــاقيرُ التـــي ... أنـــتجَ الطـــبُ ، فقـــد ولـــى العُمُـــر!

فاحملوهـــا جُثـــة أفضـــتْ إلـــى ... كـــل أعمـــال إليهـــا تفتقـــر

كـــم تـــلا المـــوتُ عبـــاراتِ الأســـى ... عـــن أنـــاس شمسُـــنا هـــم والقمـــر!

أهـــلُ علـــم بينـــوا سُـــبْل الهـــدى ... وأبـــانوا الرشْـــدَ فـــي خـــالي العُصُـــر

شـــرّفوا الـــدنيا بمـــا هـــم خلّفـــوا ... مـــن علـــوم كـــم حـــوتْ أحلـــى الـــدُرر!

فـــي بِقـــاع الأرض ذرّوا عِلمهـــم ... ولهـــم فـــي نشـــره أرجـــى الســـيَر

والتلاميـــذ أتـــوا مـــن بعـــدهم ... بـــاذلين الجهـــدَ فـــي بـــذر الفِكَـــر

فاســـتفادَ النـــاسُ مـــن تعلـــيمهم ... وألانـــوا – للتلاميـــذ - العَسِـــر

ثـــم مـــاتوا ، والعلـــومُ لـــم تمـــتْ ... ولهـــا دومـــاً - علـــى الجهـــل - الظفـــر

والقبـــورُ غيّبـــتْ أجســـامَهم ... لكـــن الـــذكرى تُســـلي مـــن ذكـــر

لا يـــزالُ الـــدهرُ يُعلـــي شـــأنَهم ... ولهـــم - بـــين البرايـــا - ينتصـــر

قبـــرُ كـــلٍّ مـــنهمُ مُســـتودعٌ ... لرُفـــاتٍ مـــا ثـــوى فيهـــا الخبـــر

إيـــهِ يـــا قبـــراً حـــوى أهـــل الهُـــدى! الجثـــامينُ مضـــتْ ، والعِلـــمُ قـــر!

زائـــرَ القبـــر تـــأدبْ ، وارتـــدعْ وتأمـــلْ ، وتبصّـــرْ، وادّكِـــر!

قـــد يُفِيـــقُ القبـــرُ قلبـــاً هائمـــاً إن تملـــى القلـــبُ يومـــاً ، وافتكـــر

قـــد تهُـــز الـــروحَ ذكـــرى ميّـــتٍ بخِـــلال الخيـــر والحُســـنى أمـــر

قـــد يُعيـــدُ القبـــرُ عبـــداً شـــارداً فـــي الضـــلالات ـ تمـــادي ـ والسُـــعُر

زائـــرَ القبـــر تلطـــفْ ، وانتصـــتْ لحـــديث القبـــر ، واعقـــلْ ، واعتبـــر

إن – للقبـــــر – كلامـــــاً قالـــــهُ فـــاقرأ الأقـــوال ، وابحـــثْ فـــي الأثـــر

لـــم يكـــن قـــط حـــديثاً مُفتـــرى بـــل حـــديثاً فيـــهِ أســـمى مُزدجَـــر

لِـــمَ جَـــفّ الـــدمعُ ، واغتِيـــلَ البُكـــا؟ كنـــتَ أولـــى بـــدموع تنحـــدر

كيـــف تهـــذي عنـــد قبـــر ربمـــا فيـــهِ نيـــرانٌ ، أتتْـــه مـــن ســـقر؟!

تحـــرقُ الميّـــتَ صُـــبحاً والمســـا فـــي ذنـــوب بـــات ـ منهـــا ـ يســـتعر

كيـــف لـــم يهزمْـــك قبـــرٌ ربمـــا ضـــمّ جُثمانـــاً فـــآذى واعتصـــر؟!

كيـــف لـــم يـــردُدْك قبـــرٌ عـــن هـــوىً فـــرآك النـــاسُ تجتـــرُ الســـمَر؟!

كيـــف تلهـــو بالنكـــات اســـتغرقتْ وقـــت غِـــر لـــم يُزلزلـــه الكِبَـــر؟!

وعجيـــبٌ أمْـــرُ كَفـــي غافـــل كـــل كـــفٍ – بهواهـــا – تـــأتزر!

كفـــك اليُمنـــى بهـــا الحلـــوى شـــدتْ وفـــمُ الشـــرهان منهـــا لـــم يـــذر

طابـــت الحلـــوى فـــأفنى مـــا اشـــتهى وقضـــى ـ مـــن نهمـــة الأكـــل ـ الـــوَطر

واليـــدُ اليُســـرَى بهـــا ســـيجارة تعـــسَ المُـــدْمنُ ، أشـــجاهُ الخـــدَر!

وي كـــأن القبـــرَ مَلهـــى جـــاءهُ قاصـــداً فيـــه التلهـــي والســـهر!

وي كـــأن القبـــر مقهـــى زارهُ يـــنفخ النرجيـــلَ وهـــاجَ الشـــرر!

تشـــمئز الـــنفسُ مـــن دُخّانـــه ويلـــي دُخّانـــه ريـــحٌ قـــذِر

تعـــسَ التـــدخينُ يُـــردي أهلـــهُ ... هـــل رشـــيدٌ بســـموم ينتحـــر؟!

يُشـــعِلُ الســـيجار عنـــد القبـــر ، لـــم ... يُنســـه القبـــرُ الهـــوى كـــي ينزجـــر!

والمَـــزاجُ العـــذبُ نـــاجى عابثـــاً! ... عَمِـــيَ القلـــبُ - لديـــهِ – والبصـــر!

خـــابَ كيـــفٌ كـــم يُدَسّـــي مُـــدمناً! ... هـــل – مـــع الإصـــرار – ذنـــبٌ يُغتفـــر؟!

ضـــجعة القبـــر تقـــي مَـــن شـــيّعوا ... فتنـــة الـــدنيا وأوهـــامَ البَطـــر

كـــل مَجنـــوز لـــه فـــي قبـــرهِ ... عِبـــرة تُـــورثُ – فـــي الـــنفس - الضـــجر

رحـــلَ المجنـــوز عنهـــا مُكرهـــاً ... وأرانـــا – بعـــد حِـــين – فـــي الأثـــر

هـــل يكـــون القبـــرُ أحلـــى روضـــةٍ ... مـــن جنـــان فـــي جـــوار المقتـــدر؟

أم يكـــون القبـــرُ أشـــقى حُفـــرةٍ ... مـــن جحـــيم ، ثـــم فـــي الأخـــرى ســـقر؟!

إن فـــي القبـــر عِظـــاتٍ تجتنـــي ... فرحـــة فـــي القلـــب تعلوهـــا البُشُـــر

ودُروســـاً تـــدمعُ العـــينُ لهـــا ... فتـــرى الـــدمعَ غزيـــراً ينهمـــر

ولـــذكر المـــوت أخـــذ صـــاعقٌ ... كـــم بهـــذا الـــذكر نفـــسٌ تنكسِـــر!

زائـــرَ القبـــر أطعنـــي ، وانتصـــحْ ... رُبّ نُصْـــح ســـاقَ – للغـــافي – العِبَـــر!

خـــفْ مـــن القبـــر ، وجهـــز زادَهُ! ... راحـــلٌ أنـــت ، تهيـــأ للســـفر!

ربمـــا وافـــاك مـــوتٌ مُزمَـــعٌ ... فتأهـــبْ للقـــاء المقتـــدر!

رحـــم اللهُ امـــرأ يُصـــغي إلـــى ... واعـــظ المـــوت رَضِـــياً بالقـــدر

هـــادمُ اللـــذات آتٍ ، فالقـــهُ ... مســـتعداً قـــد أفادتْـــك النـــذر

ســـوف يـــأتي بغتـــة ، فامهـــدْ لـــهُ ... بســـنا التقـــوى وســـعْي مُـــدّخر

وبأعمـــال تُنجّـــي عـــاملاً ... وبأفعـــال وأقـــوال أخـــر

وادْعُ رب النـــاس ، وانشـــد عونـــه ... فـــي دجـــى الليـــل ، وفـــي وقـــت الســـحر

كتـــب المـــولى علـــى الخلـــق الفنـــا ... وســـيَبقى وجـــهُ خـــلاق البشـــر!

المقابر تتكلم 3 (وصية أصحاب القبور)

(تخيلتُ المفرّطين المقصّرين من أصحاب القبور ، وقد أتيحتْ لهمُ الفرصة ليوصّوا الأحياء من بني البشر ، فماذا يقولون لهم؟ فكانت هذه القصيدة ترجمة لوصيتهم! مهما كتبنا عن الموت وعظة القبر فما أظننا وفينا هذا الموضوع حقه والإحاطة به علماً ووصفاً! جاء في كتاب "الزهد الكبير"؛ للبيهقي عن روح بن مدرك أنَّه قال وهو على المنبر: "الآن قبل أنْ تسقم فتضنى ، وتهرم فتبلَى ، ثم تموت فتنسى ، ثم تُقبر فتَبلى ، ثم تبعَث فتحيى ، ثم تحضر فتدعى ، ثم تُوقَف فتجزى بما قدَّمت وأمضيت ، وأذهبت فأفنيت من مُوبِقات سيِّئاتك ، ومتلفات شَهواتك ، فالآن... الآن وأنتم سالمون". أمَا آنَ للنائم أنْ يستيقظ من نومه؟ وحان للغافل أنْ ينتبه من غَفلته قبلَ هُجوم الموت بمرارة كأسِه؟ وقبل سكون حركاته ، وخمود أنفاسه ، ورحلته إلى قبرِه ، ومقامه بن أدماسه. قال الحسن بن عبد العزيز الجروبي: "مَن لم يردعه القُرآن والموت ، فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع". يا مَن يُدعَى إلى نجاته فلا يجيبُ ، يا مَن قد رضي أنْ يخسر ويخيب ، إنَّ أمرك طريف وحالك عجيب ، أذكر في ذماك راحتك ساعة الوَجِيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). ويحك! إنَّ الحقَّ حاضر ما يغيب ، تُحْصى عليك أعمال الطلوع وأفعال المغيب ، ضاعت الرياضة في غير نجيب ، سيماك تدلُّ وما يخفي المريب ، اسمع: لا بُدَّ لغِربان الفِراق من نعيب ، أنُساكِنُ الغفلة ولغيرنا نعيب؟ يا مَن سِلَعُهُ كلُّها معيب ، اذكر يوم الفزع والتأنيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). لا بُدَّ والله من فِراق العيش الرطيب ، والتحافِ البلى مكان الطيب ، واعجبًا للذَّات بعد هذا كيف تطيب ، ويحك! أحضر قلبك لوعظ الخطيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). تذكَّر مَن قد أُصِيب ، كيف نزل بهم يوم عصيب ، وانتبه... لاحظ الحظ والنصيب ، واحترز... فعليك شهيدٌ ورقيب ، إذا حلَّ الموت حلَّ التركيب ، وتقلب مُقَلُ القلوب في قلب التقليب. ستخرج والله من هذا الوادي الرحيب ، ولا ينفعك البكاء والنحيب ، لا بُدَّ من يوم يتحير فيه الشبان والشيب ، ويذهل فيه الطفل للهول ويشيب ، يا مَن عملُه كلُّه رديء فليته قد شيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). كيف بك إذا أُحضرت في حالٍ كئيب ، وعليك ذُنوب أكثر من رملٍ كثيب ، والمُهيمِن الطالب والعظيم الحسيب ، فحينئذٍ يبتعدُ عنك الأهل والنسيب ، النوح أَوْلَى بك يا مغرور من التشبيب ، أتؤمن أم عندك تكذيب ، أم تراك تصبر على التعذيب؟ كأنك بدمع العين ومائها قد أذيب ، اقْبَل نصحي وأقْبِلْ على التربية والتهذيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). يا مُطالَبًا بأعماله ، يا مسؤولاً عن أفعاله ، يا مكتوبًا عليه جميع أقواله ، يا مُناقَشًا على كلِّ أحواله ، نسيانك لهذا أمرٌ عجيب ، أتسكُن إلى العافية ، وتُساكن العيشة الصافية ، وتظن أَيْمانَ الغرور واقية ، لا بُدَّ من سهم مصيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). لو أحسنت الخلاص أحسنتَ ، لو آمنتَ بالعرض لتجمَّلت وتزيَّنت ، يا مَن قد أنعجمت عليه الأمورُ لو سألت لتبيَّنت ، ويحك! أحضِرْ قلبك إنما أنت في الدنيا غريب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). إلى متى أنت مع أغراضك؟ متى ينقضي زمان إعراضك؟ يا زمن البلى متى زمن إنهاضك؟ تالله لقد كَعَّ من أمراضك الطبيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). يا مَن عمَلُه بالنفاق مغشوش ، تتزيَّن للناس كما يُزيَّن المنقوش ، إنما يُنْظَرُ إلى الباطن لا إلى النُّقوش ، إذا هممت بالمعاصي فاذكُر يوم النُّعُوش ، وكيف تحمل إلى قبرٍ بالجَنْدَل مفروش ، مَن لك إذا جُمِعَ الإنسُ والجن والوحوش ، وقام العاصي من قبره حَيْران مدهوش ، وجاء الجبَّار العظيم وهو مغلولٌ مخشوش ، فحينئذٍ يتَضاءل المتكبِّر وتذلُّ الرؤوس ، ويومئذٍ

يبصر الأكمهُ ويسمع الأطروش ، وينصب الصراط فكم واقع وكم مخدوش! ليس بجادة يقطعها قاصلٌ ولا مرعوش ، ولا تقبل في ذلك اليوم فدية ولا تُؤخذ الأروش ، والمتعوس حِينئذٍ ليس بمنعوش ، وينقلب أهل النار في الأقذار والريح كالخشوش ، لحافهم جمر وكذلك الفروش ، (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ). يا مَن أركان إخلاصه واهية ، أمَا لك من عقلك ناهية؟ إلى متى نفسك ساهية ، مُعجَبة بالدنيا زاهية؟ مُفاخرة للإخوان مضاهية ، النار بين يديك وتكفي داهية وما أدراك ماهية ، (نَارٌ حَامِيَةٌ). تقوم من قبرك ضعيف الجاش ، وقد جأر قلبك في بدنك وجاش ، ووابل الدمع يسبق الرَّشاش ، أتدري ما يلاقي العطاش الظامئة (نَارٌ حَامِيَةٌ). أين مَن عتا وتجبَّر؟ أين مَن علا وتكبَّر؟ أين مَن للدول بالظلم دبَّر؟ ماذا أعد للحضرة السامية (نَارٌ حَامِيَةٌ). لو رأيت العاصي وقد شقي ، يصيحُ في الموقف: "واقلقي" ، اشتدَّ عطشُه وما سقي ، وشرر النار إليه يرتقي ، فمَن يتَّقي تلك الرامية ، (نَارٌ حَامِيَةٌ). لو رأيته يُقاسي حرَّها ، ويُعاني ضرَّها ، جحيمها وقرَّها ، والله لا يدفعُ اليوم شرَّها ، إلا عين هامية (نَارٌ حَامِيَةٌ). يفرُّ الولد من أبيه ، والأخ من أخيه ، وكلُّ قريب من ذَوِيه ، أسمعت يا مَن معاصيه نامية ، (نَارٌ حَامِيَةٌ). لهذا كان المتَّقون يقلقون ويخافون ربهم ويشفقون ، وكم جرتْ من عُيون القوم عيون! كانت جُفونهم دائمة دامية ، من خوفهم من (نَارٌ حَامِيَةٌ). أجارَنا الله بكرَمِه منها ، ووفَّقنا لما ينجي عنها ، وجعلنا بفضله ممَّن قام بما يُؤمَر ، واجتنب ما عنه ينهى ، فكم له من نعم سامية! فاتَّقوا (نَارٌ حَامِيَةٌ). يقول ابن الجوزي - رحمه الله - كما في "التبصرة" (2/ 275): "كأنَّك بالعمر قد انقرض ، وهَجم عليك المرض ، وفات كلُّ مراد وغرض ، وإذا بالتلف قد عَرض أخَّاذا (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). شخَص البصرُ وسكَن الصَّوْت ، ولم يمكن التَّداركُ للفوْت ، ونزل بك مَلك الموت ؛ فسامَت الروَّح وحاذى: (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). عالجت أشدَّ الشدائد ، فيا عجبًا ممَّا تُكابد ، كأنَّك قد سُقيت سُمَّ الأساود فقطَّع أفْلاذًا ؛ (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). بلغت الروحُ إلى التَّراقِي ، ولم تعرف مَن الساقي ، ولم تدرِ عند الرحيل ما تُلاقي ، عِياذًا بالله عياذًا ، (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). ثم درجوك إلى الكفن ، وحملوك إلى بيت العفَن ، على العيب القبيح والأفَن ، وإذا الحبيب من التراب قد حَفَن ، وصرت في القبر جُذاذًا ، (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). وتسرَّبت عنك الأقارب تسري ، تقدُّ في مالك وتُقْرِى ، وغايةُ أمرهم أن تجري دموعهم رذاذًا ، (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). قفَلُوا الأقفال وبضَّعوا البضاعة ، ونَسوا ذِكرك يا حبيبهم بعد ساعة ، وبقيت هناك إلى أنْ تقوم الساعة ، لا تجد وزرًا ولا معاذًا ، (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). ثم قُمت من قبرك فقيرًا ، لا تملكُ من المال نَقِيرًا ، أصبحت بالذنوب عَقِيرًا ، فلو قدَّمت من الخير صار ملجأ وملاذًا ، (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). وقال في موضعٍ آخر: يا مُطلقًا نفسه فيما يشتَهِي ويريد ، اذكُر عند خُطواتك المُبدئ المعيد ، وخَفْ قُبح ما جرَى فالملك يرى والملك شهيد ؛ (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ). هلاَّ استحييتَ ممَّن يَراك إذا رَكِبت من هواك ما نهاك ، ستبكي والله عيناك ممَّا جَنَت يداك ، أمَا تعلم أنَّه بالمرصاد ، فقل لي: أين تَحيد؟ (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ). كم من ظالمٍ تعدَّى وجار! فما راعى الأهل ولا الجار ، بينا هو يعقد عقد الإصرار ، حلَّ به الموت ، فحلَّ من حلَّته الأزرار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). ما صَحِبَه سِوى الكفَن إلى بيت البِلَى والعفَن ، لو رأيته وقد حلَّت به المحن ، وشين ذلك الوجه الحسن ، فلا تسأل كيف صار (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). سالَ في اللحد صديدُه ، وبلي في القبر جديدُه ، وهجَرَه نسيبُه ووَدِيده ، وتفرَّق حشمه وعبيده والأنصار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). أين مجالسه العالية؟ أين عيشتُه الصافية؟ أين لذَّاته الحالية؟ كم تسْفِي على قبره سافية ، ذهبت

العين وأُخْفِيت الآثار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). تقطَّعت به جميعُ الأسباب ، وهجَرَه القرناء والأتراب ، وصار فراشه الجندل والتراب ، وربما فتح له في اللحد باب النار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). خَلا والله بما كان صنَع ، واحتوشه النَّدم وما نفع ، وتمنَّى الخلاص وهيهات... قد وقع ، وخَلاه الخليل المصافي وانقطع ، واشتَغَل الأهل بما كان جمع ، وتملك الضدُّ المال والدار (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). نادم بلا شكٍّ ولا خفا ، باكٍ على ما زَلَّ وهفَا ، يودُّ أنَّ صافي اللذات ما صفا ، وعلم أنَّه كان يبني على شفا جرف هار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). قارنه عمله من ساعة الحَيْن ، فهو يتمنَّى الفرار ، وهيهات... أين؟ ويقول: يا ليت بيني وبينك بُعْد المشرقين ، فهو على فراش الوحدة وحدَه ، والعمل ثاني اثنين ، ولكن لا في الغار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). وهذه إن كانت حالة مَن غَدَا ، فلكلٍّ منكم مثلها غدًا ، فانتبهوا من رقادكم قبل الرَّدى ؛ (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) ، إنما هي جنَّة أو نار؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). أيها الغافلون ، أين أحبابُكم الذين سلفوا؟ أين أترابكم الذين رحَلوا وانصرَفُوا؟ أين أرباب الأموال وما خلفوا؟ نَدِمُوا على التفريط ، يا ليتهم عرفوا هول مقام يشيبُ منه الوليد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). يا مَن جسَدُه حيٌّ وقلبه ميت ، ستُعايِنُ عند الحسرات ما لا تريد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). كم أزعج المنون نُفُوسًا من ديارها! وكم أباد البِلى أجسادًا منعمة لم يدارها! وكم نقل إلى الحفر أرواحًا مذارها! وكم أذلّ في التراب خدودًا بعد مزارها! فابْكِ على نفسك قبل بكاء لا يفيد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). أمَا علمت أنَّك ترحلُ في كلِّ يومٍ مرحلة؟ أمَا علمت أنه يُحصَى عليك من الأعمال خردلة؟ وكم من مُؤمِّل خاله في الحساب ما أمَّله؟ مَرَّ القضاء وعجله ولم تُبَلِّغه الآمال إلى ما يريد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). يا مُعرِضًا عن المولى ، إلى متى الإعراض؟ وقد ولَّى شبابك في طلب الأعراض. أمَا علمت ويحك أنَّ عمرك في انقراض ، وقواك كل ساعة في انتقاض ، ويحك تَزَوَّدْ ، فالسفر والله بعيد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). يا مَن كسَتْه المعاصي ظُلمة الحجاب ، يا مَن أغلق الهوى في وجهه الأبوابَ ، نُحْ على نفسك فربما ينفعُ التعديد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). أمَا علِمت أنَّ الموت لك بالمرصاد؟ أمَا صادَ غيرَك وإياك سيصطاد؟ أمَا بلغك ما فعل بسائر القُصَّاد؟ أمَا حذَّرَكَ غفلتَك عنه في كلِّ موطن ووادٍ؟ أمَا سمعت قول الملك المجيد: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). أين مَن بنَى وشاد؟ واستطال وتأمَّر على العباد؟ ألم يسمعوا الإنذار بالموت والتهديد: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ)؟ فيا مَن ينظُر العِبر بعينيه ، ويسمع المواعظ بأذنيه ، وكلماته معدودةٌ عليه ، ونذيرُ الموت قد دنا إليه بالإسراع والتأكيد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). أيها الغافل ، ربح القومُ وخسِرت ، وساروا إلى الحبيب وما سِرت ، وقاموا بالأوامر وضيَّعت ما به أُمِرت ، وسلموا من رِقِّ الهوى واغتررت فأُسِرت ، فالدنيا تخدمُهم والسعادة تقدمهم حين يحشرون ؛ (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ). لقد شُوقتم إلى الفضائل فما اشتقتم ، وزُجِرتم عن الرذائل وأنتم في سكر الهوى ما أفقتُم ، فلو حاسبتم أنفُسَكم وحقَّقتم ، علمتُم أنكم بغير وثيق توثَّقتم ، فاطلبوا الخلاص من أسْر الهوى فقد جَدَّ الطالبون ؛ (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ).هـ. وفي حديث البراء بن عازب ـ الذي أخرجه الإمام أحمد ـ قال: "خرجنا مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ، ولَما يُلحد ، فجلس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجلسنا حوله ، وكأن على رؤوسنا الطير ، وفي يده

عود ينكت في الأرض ، فرفع رأسه، فقال: (استعيذوا بالله من عذاب القبر) مرتين أو ثلاثًا ، ثم قال: (إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ؛ نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مدَّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه ، فيقول: أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان) ، قال: (فتخرج تَسِيل كما تَسِيل القطرة من فِي السِّقاء ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يده طرْفة عين حتى يأخذوها ، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسكٍ وُجِدت على وجه الأرض) ، قال: (فيصعدون بها، فلا يمرون - يعني: بها - على ملأ من الملائكة ، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا - حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له ، فيُفتح لهم ، فيُشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة ، فيقول الله - عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عِلِّيين ، وأعيدوه إلى الأرض ، فإني منها خَلقتهم ، وفيها أُعيدهم ، ومنها أخرجهم تارةً أخرى) ، قال: (فتعاد رُوحه في جسده ، فيأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام ، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعِث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله ، فآمنت به ، وصدقت ، فينادي منادٍ في السماء: أن صدق عبدي ؛ فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابًا إلى الجنة ، قال: فيأتيه من روحها وطِيبها ، ويفسح له في قبره مد بصره ، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول: أبشِر بالذي يسرُّك ، هذا يومك الذي كنت توعَد ، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول: أنا عملك الصالح ، فيقول: رب أقم الساعة ؛ حتى أرجع إلى أهلي ومالي ، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزَل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المُسُوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول: أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلى سخط من الله وغضبٍ ، قال: فتفرق في جسده ، فيَنتزعها ، كما ينتزع السَّفُّود من الصوف المَبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها ، لم يَدَعُوها في يده طرْفة عين ، حتى يجعلوها في تلك المُسُوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جِيفة وُجِدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة ، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا ، حتى يُنتهى به إلى السماء الدنيا ، فيستفتح له ، فلا يُفتح له) ، ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) فيقول الله - عز وجل -: اكتبوا كتابه في سجين ، في الأرض السفلى ، فتطرح رُوحه طرحًا ثم قرأ: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) ، فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه ، لا أدري ، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه ، هاه ، لا أدري ، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه ، هاه ، لا أدري ، فينادي منادٍ من السماء: أن كذب ، فافرشوا له من النار ، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرِّها وسَمُومها ، ويضيَّق عليه قبره ؛ حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، مُنتن الريح ، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك ، هذا يومك الذي كنت توعَد ، فيقول: من أنت ، فوجهك الوجه يجيء

بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث ، فيقول: ربِّ لا تُقم الساعة) ، (4/ 287) ، (18557) ، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح ، رجاله رجال الصحيح).هـ. وتحت عنوان: (الموت جهة غير متوقعة) يقول الأستاذ الدكتور فهمي أحمد عبد الرحمن القزاز ما نصه بتصرف: (ليس بدعًا من القول أن يكون الموت مصيبة ؛ قال ـ تعالى ـ: (فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ) ، وجزاء الصابر عليها أن الله يصلي عليه ؛ قال ـ تعالى ـ: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ). ومعنى صلاة الله على عبده: أن يخرجه من الظلمات إلى النور؛ قال ـ تعالى ـ: (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا). والموت على دين الإسلام غاية الغايات ، وأسمى الأُمنيات ؛ قال الله ـ تعالى ـ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ). والموت خلْق من خلق الله ؛ قال ـ تعالى ـ: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ). وهو قدرٌ مقَّدر ، فأي خلل في هذا التقدير يؤدي إلى فساد الدنيا ؛ قال ـ تعالى ـ: (نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ). وهذا القدر المحسوم لن يُدفَع ، أو يتقدَّم ، أو يتأخر ؛ قال ـ تعالى ـ: (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ، وقال ـ تعالى ـ: (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ). وقضى الله في كتابه أننا جميعًا سنلاقي هذا المصير المحتوم ؛ قال ـ تعالى ـ: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ). ولو نجا منه أحد وكُتب له الخلد ، لكان أحب خلْق الله له سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال ـ تعالى ـ: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ). كل نفس ذائقة الموت ، وهذا المصير المحتوم سنعيشه بواقعه ؛ كما أخبرنا عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في السنة النبوية المطهَّرة. وهو من موازين الله في خلقه لمن تمنَّاه ، فهو علامة من علامات أولياء الله: (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). من أجل ذلك تحدى الله ـ تعالى ـ بني إسرائيل أن يتمنَّوه إن كانوا يظنون أن الآخرة لهم دون غيرهم ؛ قال ـ تعالى ـ: (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). ونوَّع الله ـ تعالى ـ الوصف فيمن يأتيه الموت على ثلاث صفات: فقد وصف بالحضور ، والمجيء ، والإتيان ، فالذي يقضي حياته بالسيئات صباحَ مساءَ ، فسيحضره الموت ، فيشاهده ، ويكون بمكان قريب منه ـ ليس له توبة ؛ لأنه قد وقع به ، فلا مجال لتوبته ؛ قال ـ تعالى ـ: (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) ، فقد اجتاز مرحلة الغرغرة التي أخبرنا عنها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِر) ، فيكون توبته كتوبة فرعون التي لم تُقبل ؛ لأنه قد فاته هذا، فرأى العذاب: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ). وأما المنفِق الذي يتصدَّق بماله في سبيل الله ، سيسهل أمره إذا جاءه الموت ، فجاء بصيغة الإتيان بقوله ـ تعالى ـ: (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ

فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ). فالإتيان: مجيء الشيء بسهولة ، فأرشدنا ربُّنا أننا إذا أردنا أن يسهل أمرنا في الموت ، فعلينا أن نُكثر من الصدقة. وأما المشرك والمنافق، فيكون الموت عليه شاقًّا ، فجاء بصيغة المجيء. قال - تعالى -: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ). وقال - تعالى -: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ). والمتتبع لآيات التنزيل - ومن خلال التأمل - يجد أن الموت يأتي من مكان غير متوقَّع ، وسأحاول في هذا الكلمات أن أقرب المقصود ، فأقول: الذي يفر من عدو ، فيجعله خلف ظهره ، جلُّ همه أن ينجو منه ، فهو عندما يفر يلتفت خلف ظهره ؛ ليقدِّر المسافة بينه وبين عدوه ، فيزيد من سرعته إن اقترب ، وإذا تباطأ بالجري خلفه يلتقط أنفاسه ، فيخفف قليلاً من سرعته ، فيكون في أمان بالنجاة منه ، ولكن هذا الأمر لا ينطبق على الموت الذي نفر منه جميعًا ، فسيأتي من جهة غير متوقعة ، فسيأتينا من أمامنا وليس من خلفنا ، ويلاقينا وجهًا لوجهٍ ؛ قال - تعالى -: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). بل أخبرنا الله - تعالى - أن هذا الفرار لن ينفعنا أبدًا ؛ قال - تعالى -: (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا). وهذا ما أُكِّد في القرآن بصيغة أخرى ، فالجملة في اللغة متكوِّنة: من فعل ، وفاعل ، ومفعول به ، والأصل فيه هذا الترتيب ، فإذا تقدم المفعول به على الفاعل ، فلحكمة يعلمها أهل الشأن ، ومن حكمها القَصْر وغيرها ، والذي يقرأ القرآن الكريم في موضوع الموت ، يعلم يقينًا حكمة تقدُّم المفعول به على الفاعل في قوله: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ). وقال - تعالى -: (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ). وهذا يتناول الأنبياء وغيرهم ؛ قال - تعالى -: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ). فتقدُّم المفعول به على الفاعل: إما لأن النفس ترغب في تأخيره ، فتأخَّر لذلك. وإما أن يكون المعنى: أنكم تمشون إلى الموت بأنفسكم ، فأنتم تسيرون إليه ، فاستعدوا له ، لا أن يأتكم هو ؛ كقوله - تعالى -: (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ). ومن المعلوم بداهة أن الذي يهاجر من موطنه إلى بلدٍ آخر ، يتوقَّع الخير والشر ، وكل ما يخبئه له القدر سيأتيه في المكان الذي سيهاجر إليه ، لا من البلد الذي تركه خلف ظهره ؛ فلذلك فإن الموت سيأتي من هذا المكان غير المتوقَّع ؛ قال - تعالى -: (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا). فجاء مصطلح "الإدراك" ؛ ليختصر لنا هذا المعنى ، وهذا الذي حصَّن نفسه ، وجلس في حصنه وقصره ، يتوقع أن يأتيه الشر من خارجه ، وليس من داخله ؛ لأنه قد حصن نفسه في مكانه هذا ، من أجل هذا فإن الموت سيأتي من مكان آمِن بنظر هذا العبد ، متناسيًا قوله - تعالى -: (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا). والذي يُشرِف على الغرق في بحر متلاطم الأمواج ، ينتظر أن تأتيه يد العون من خارجه ، ولكن مع الموت - ولا سيما للظالم - فيد العون تقول لهم: أخرجوا أنفسكم. فماذا يختار؟ الجاذب أم المنقذ؟ فإذا كان المنقذ من أهل الرحمة فحَيَّهلاً ، وأما إن كان الآخر ، فسيختار أن تُفرَّق رُوحه في جسده ؛ كما أخبرنا رسول الله -

صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث ؛ قال الله ـ تعالى ـ واصفًا هذا الموقف بقوله: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ). ولعل في ذلك كله تكمن حكمة الإكثار من ذكر الموت ؛ كما أمرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: (أكثروا من ذكر هادم اللذات) ، وفي رواية بالمبالغة: (استكثروا من ذكر هادم اللذات ، فإنه ما ذكره أحدٌ في ضيق إلا وسَّعه الله ، ولا ذكره في سَعة إلا ضيَّقها عليه) ؛ فالإكثار من ذكره يجعل الفرد في تأهُّب دائم لاستقباله ، وهو أمر واقع لا محالة).هـ. وتحت عنوان: (الاستعداد للموت) يقول الأستاذ أحمد محمد مخترش ما نصه بتصرف: (اعلموا أن هذه الحياة أنفاس معدودة في أماكن محدودة بآجال معلومة وأرزاق مقسومة ، قال تعالى: (وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلا فِي كِتَابٍ) فاعلموا عباد الله إنه لن يُعمَر أحدٌ على وجه هذه الأرض ، فكم من أُممٌ عاشت مئات السنين على هذه الأرض فأين هم وأين أجدادنا لقد ماتوا وأنقضت أعمارهم ، فالأعمار عباد الله محدودة. فاعلموا يا رعاكم الله أن الموت مهلك العباد ، وموحش البلاد ، وميتم الأولاد ، ومرمّل النساء ، ومُذل الجبابرة الشداد ، لا يعرف الصغير ولا يميز بين الوضيع والوزير ، سيوفه على العباد مُصَلتة ، ورماحه على صدورهم مشرعة ، وسهامه لا تطيش عن الأفئدة. واعلموا أن الموت هو مفارقة الروح الجسد، وإنه انتقال من حال إلى حال ومن دار إلى دار، ولقد سمى الله الموت في كتابه مصيبة كما قال جل في علاه: (إن أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ) نعم الموت مصيبة! لكن المصيبة الأعظم هي الغفلة عن الموت عدم تذكر الموت عدم الاستعداد للموت ، لقد أوعظنا النبي صلى الله عليه وسلم بموعظة من أبلغ مواعظه تلين القلوب وتدعو إلى المحاسبة وتذكرنا بالآخرة فقال صلى الله عليه وسلم: (أكثروا من ذكر هادم اللذات) نعم أيها الغالي يوم غفلنا عن الموت وسكرته والقبر وظلمته والسؤال وشدته ويوم القيامة وكرباته والصراط وحدته ، يوم غفلنا عن هذه الأشياء قست القلوب وظهر الفساد في البر والبحر ، فاعلموا عباد الله إن من كان للموت ذاكراً كان للموت مستعداً ، قال أبو علي الدقاق: (من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاث أكرم بتعجيل التوبة ونشاط في العبادة وقناعة في القلب ، ومن نسي الموت عوقب بثلاث تسويف في التوبة وكسل في العبادة وعدم القناعة في القلب) ، وذكر الموت يُقلل كل كثير ويكثر كل قليل ، ويزهد في الدنيا ، ويعين على العمل الصالح والإكثار من ذكر الله هو سبيل المؤمنين وعباد الله المتقين. كان الحسن بن يسار كثيراً ما يقول: "يا ابن آدم! نطفة بالأمس ، وجيفة غداً ، والبلى فيما بين ذلك يمسح جبينك كأن الأمر يعني به غيرك ، إن الصحيح من لم تمرضه القلوب ، وإن الطاهر من لم تنجسه الخطايا ، وإن أكثركم ذكراً للآخرة أنساكم للدنيا ، وإن أنسى النّاس للآخرة أكثرهم ذكراً للدنيا ، وإنّ أهل العبادة من أمسك نفسه عن الشر ، وإن البصير من أبصر الحرام فلم يقربه ، وإنّ العاقل من يذكر يوم القيامة ولم ينس الحساب". إذاً يا رعاك الله مما يرقق القلوب التفكر في الموت وفي أحواله وفي القبر وظلماته ، فبالله عليك أخي هل تفكرت يوماً وأنت تخرج في الصباح أنك لن ترجع إلى بيتك مرة ثانية ، هل تفكرت أن هذا اليوم هو آخر يومٍ لك في الحياة ، هل إذا أتاك ملك الموت في هذا اليوم أنت راض عن نفسك ، هل أنت راضٍ عن عملك الذي ستقابل به ربك؟ هل تخيلت حالك قبيل الموت كيف تكون؟ هل تخيلت أنفاسك الأخيرة على أي حال ستنقضي وهل ستكون ممن يحبون القدوم على ربهم أم ستكون كالعبد الآبق يطلب

الرجعة؟ فيا أخي أنت الآن في مهلة فاغتنم فرصة العمل قبل انقضاء الأجل ، فوالله لا ينفعك أن تقول: (رَبِّ ارْجِعُونِ) فلا تغفل عن الموت فإنه ليس له مكان معين ، ولا زمان معين ، ولا سبب معين ، ولا عمر معين يأتيكم بغته وأنتم لا تشعرون (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ). إن الناس عند الموت على حالين إما محبٌ للقاء الله فيحب الله لقائه ، وإما كارهٌ للقاء الله فيكره الله لقائه ، قالت عائشة يا رسول الله كلنا يكره الموت قال: (لا يا عائشة ليس ذاك لكن هو العبد الصالح ـ العبد المستقيم – عند سكرات الموت تأتيه ملائكة الرحمن تبشره بروح وريحان ورب راضي غير غضبان فيفرح بلقاء الله فيفرح الله بلقائه ، أما العبد العاصي – العبد الغافل – فتأتيه ملائكة الرحمن تبشره بسخط وعذاب من الله فيكره لقاءِ الله فيكره الله لقائه). فاستعدوا للموت عباد الله قبل أن يفاجئكم ، قال أبو الدرداء رضي الله عنه وهو يحتضر (ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه؟ ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا؟ ثم بكى فقالت له امرأته: أتبكي وقد صاحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: وما لي لا أبكي ولا أدري علام أهجم من ذنوبي) ، وبكى أبي هريرة رضي الله عنه في مرضه فقيل له: ما يبكيك فقال: (أما إني لا أبكي على دنياكم هذه ، ولكني أبكي على بُعد سفري وقِلة زادي وإني أصبحت في صعودٍ مهبط على جنة أو نار ولا أدري أيهما يأخذ بي). فتخيل يا عبد الله نفسك وأنت على فراش الموت تعاني مرارة الموت ، وتخيل ممشاك إلى القبر ، وتخيل مبيتك فيه وحيداً فريداً في حفرة ضيقة مظلمة مغلقة محكمة ، تخيل أول ليلة تبيتها وأول نزلة تنزلها وأول سؤال تسمعه في القبر من ربك ما دينك ماذا تقول في الرجل الذي بعث فيكم ، تخيل ذلك وتخيل حالك كيف سيكون حينها ، عن أنس رضي الله عنه قال: (ألا أحدثكم بيومين وليلتين لم تسمع الخلائق بمثلهن أول يوم يجيئك البشير من الله تعالى إما برضاه وإما بسخطه ، ويوم تعرض فيه على ربك آخذ كتابك إما بيمينك أو بشمالك ، وليلة تستأنف فيها المبيت في القبور وليلة تمخض صبيحتها يوم القيامة). فاعلم أخي أن الموت هو الخطب الأفظع والأمر الأشنع والكأس التي طعمها أكره وأبشع وأنه الحادث الأهدم للذات والأقطع للراحات والأجلب للكربات والمفرق للجماعات ، فإن أمراً يا رعاك الله يفرق أعضائك ويقطع أوصالك ويهدم أركانك لهو الأمر العظيم والخطب الجسيم. لقد آن للنائم أن يستيقظ من نومه ، وحان للغافل أن ينتبه من غفلته قبل هجوم الموت بمرارة كأسه وقبل سكون حركاته وخمود أنفاسه وقبل رحلته إلى قبره وخلوده بين أرماسه. فمثل لنفسك يا مغرور فمثل يا رعاك الله وقد حلت بك السكرات ونزل بك الأنين والغمرات والناس من حولك مجتمعون تسمع كلامهم وتريد أن تكلمهم فلا تستطيع، فخيل لنفسك يا ابن آدم إذا أخذت من فراشك إلى لوح مغتسلك فغسلك المغسل ، وأنت جثة هامدة لا حركة ولا نفس ، وألبست الأكفان وأوحش منك الأهل والجيران ، وبكت عليك الأصحاب والإخوان وصلوا عليك صلاة لا ركوع ولا سجود لها وحملوك إلى القبر ، وأنزلوك فيه وأدخلوك في ذلك اللحد الضيق المظلم ثم أهالوا عليك التراب ، وانصرفوا عنك وتركوك وحيداً ، لا صديق ولا قريب الكل سينصرف عنك حينها ولا يبقى معك إلا ما قدّمت من عمل ، فتخيل ذلك وتخيل جلوسك لسؤال وما جوابك لهذا السؤال. إن الموت ساعة لا بد منها طال العمر أو قصر ، وإنه لو كان الموت هو نهايتنا ، ولو أننا من بعده تركنا لكان الموت أهون علينا ، بل إن هناك أمور وأهوال وشدائد من بعد الموت! هناك بعث ونشور وحشر وجزاء وحساب ، في محكمة قاضيها هو الله وجنوده الزبانية وساحتها القيامة ، وأن هناك صراطاً وجنة وناراً ، فاستعد أخي لهذه الأهوال. وإذا كان هذا

الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين والأولياء المتقين ، فما لنا عن ذكره مشغولون وعن الاستعداد له متخلفون ، فلمثل هذا اليوم أخي فلتعد الزاد ، ولمثل هذا اليوم فلتهجر العناد والفساد ، ولمثل هذا اليوم فلتتقِ رب العباد. فيا عبد الله ألا دموع تذرفها ، ألا زفرات تنفثها ، ألا توجعات من بين الضلوع تخرجها ، حقا يا عباد الله قست القلوب وران عليها غطاء الذنوب نودع الأموات وها نحن قبل الممات أموات. إنه كأس الموت ، وهو حكم الحي الذي لا يموت تبارك وتعالى ، فهل تذكرت يوماً أخي أنك ستتجرع يوماً هذا الكأس حتى النهاية ، فيا كثير السيئات غداً ترى عملك ، ويا هاتك الحرمات إلى متى تديم زللك ، ويا آكلاً لحوم الناس بالغيبة والنميمة ويا مفرطا في الصلوات ويا هاجراً للقرآن ويا عاكفاً على الأغاني والأفلام الخليعة والمُلهيات إلى متى سيبقى هذا هو حالك؟ وإلى متى ستبقى تعصي رب الأرض والسماوات؟ أأمنت الموت وسكرته؟ أم أنك أيقنت أنك ستعيش إلى الغد؟ أما تعلم أن الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل؟ أما تعلم أن الموت يسعى في تبديد شملك؟ أما تخاف أن تؤخذ على قبيح فعلك؟ واعجباً لك من راحل تركت الزاد في غير رَحَلِك ، أين فطنتك ويقظتك وتدبير عقلك؟ أما بارزت بالقبيح فأين الحزن؟ أما علمت أن الحق يعلم السر والعلن؟ ستعرف خبرك يوم ترحل عن الوطن ، وستنتبه من رُقادك ويزول هذا الوسن! إن الموت حق لا ريب فيه ويقين لا شك فيه ، فمن يجادل في الموت وسكرته ، ومن يخاصم في القبر وضمته ، ومن يقدر على تأخير موته وتأجيل ساعته ، (فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ) فلماذا تتكبر أيها الإنسان وسوف تأكلك الديدان ، ولماذا تطغى وفي التراب ستلقى ، فيا عبد الله لا تغفل عن الموت وأعد الزاد لحين خروج الروح ومفارقتها جسدك ، لعل الله يرحمك ويختم لك بالصالحات أعمالك. فإن حسن الخاتمة لا تكون إلا لمن استقام ظاهره وصلح باطنه من الرياء والنفاق ، ومن علامات حسن الخاتمة: أن يتوفاك الله على الإسلام ، وأن يوفق الله العبد للتوبة عن الذنوب والمعاصي والإقبال على الطاعات ، وأن يوفق الله العبد للنطق بالشهادة ، فمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ، قد يقول قائل أحد الغافلين المفرطين العاصين لرب الأرض والسماء إذا جاءني الموت سأقول لا إله إلا الله ، هيهات هيهات حينها والله لن تستطيع قولها ، ذلك من تلبيس الشيطان عليك ، نعم تستطيع الآن قولها عشرات المرات بل آلاف المرات لكن وقتها لن يستطيع أحداً قولها إلا من وفقه الله لقولها. ومن علامات حسن الخاتمة أيضاً أن يموت العبد على عمل صالح من صلاة أو صيام أو جهاد أو قراءة قرآن. ذكر بعض الفضلاء أن امرأة عجوزاً كانت من أهل الصلاة والطاعة ، وفي يوم وهي في مصلاها ساجدة ، أرادت أن ترفع من سجودها فلم تستطع ، صاحت بابنها ، أجلسها كهيئة السجود ، حملها إلى المستشفى ، ولكن لا فائدة ، فقد تجمدت أعضاؤها على هذه الحال ، قالت يا بني خذني إلى مصلاي أتعبد وأصلي إلى أن يفعل الله ما يشاء ، ولم تزل في صلاة وهي على هيئة السجود لا تقوى على الحراك ، فقبض الله روحها وهي ساجدة ، غسولها وهي ساجدة، كفنوها وهي ساجدة ، أدخلت إلى قبرها وهي ساجدة ، وتبعث يوم القيامة بإذن الله وهي ساجدة!).هـ. وتحت عنوان: (الموت والحشر والحساب) يقول الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم ما نصه بتصرف: (يقول جل شأنه: (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ). ووصف وقت مجيء الموت بالسكرة والسكرات ؛ لأنها تُغطِّي عقل الإنسان فتَسلُبه القوة المدرِكة للمعلومات ، وذلك عند اشتِداد النزع ، وخروج الرُّوح من أجزاء البدن ، ونزْع الروح من الجسم أشدُّ من ضربات السيف على البَدَن ، وكان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

يُدخِل يده في قَدَحٍ من الماء ، ويَمسح وجهه الشريف ـ حين حضَرتْه الوفاة ـ ويقول: (إن للموتِ لسَكَرات). (ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ): أي: ذلك الموت ، وهذه اللحظات كنت تَفِر منها وتَهرَب ، فقد جاءتك ، فلا محيد ولا مناص ولا خَلاص ، كل الناس يكرهون الموت ، إلا أنَّ المشركين يَحرِصون على الحياة أكثر من المؤمنين ؛ لعدم اعتِقادهم بالحياة الآخرة ؛ يقول عز مِن قائل: (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ). والمؤمن يكْره الموت جِبِلَّة ، وربما يرغَب في الحياة ؛ لاستِدراك ما فاته من العمل الصالح ، أو الاستِزادة منه ، وكثير من السلف الصالح كانوا يستبشِرون بالموت ولقائه ؛ لأنه البوابة التي يدخلون منها إلى جنات النعيم ، ولقاء الأحبة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصَحْبه الكرام. (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ): جاء ذِكر النفخ في الصُّور في آيات كثيرة ، ومرجِعها إلى نَفختين: النفخة الأولى: (نفخة الصَّعْق): وجاء ذِكرها في قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ). النفخة الثانية: (نفخة البعث): وجاء ذِكرها في قوله تعالى: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) ، ولا يدري أحدٌ كم يكون الوقت بين النفختين. وجاءت آيات في سياقات مُتعدِّدة تُذكِّر بالنفخة الثانية: (نفخة البعث) ؛ كما في قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ). وقوله تعالى: (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا). ثم يأتي النداء لجمع الناس إلى أرض المحشر: وهل هذا النداء نفْخة ثالثة ، أو نداء خاصٌّ يجمع الناس إلى الموقف؟ قال تعالى: (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِير). وسمَّى القرآن الكريم هذا الحشر بِناءً على نداء المنادي ، وسماه تارة بالصيحة ، وتارة بالزَّجرة ، وهو أسلوب قرآني يُراعي السياق عند التعبير عن الحقيقة الواحدة بألفاظ مختلفة. فمثلاً استخدام "الزجرة" مناسب تمامًا لإيقاعات النازعات التي تُمثِّل السرعة والاضطراب في النفوس ، والهَلَع في القلوب ؛ يقول عز من قائل: (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ). وحشْر الناس إلى أرض المحشر بِناءً على تلك الزجرة يَلُفه الخوف والفزع والسرعة ، والعنف والذل وخشوع البصر وشُرود الذهن من المحشورين ، الذين لا يُدرِكون حقيقة المصير الذي يتوجَّهون إليه ، والمقر الذي يَستقِرون فيه. وذهَب بعضهم إلى أن النفخات ثلاث: الأولى: نفخة الفزع الأكبر: وأُشير إليها في قوله تعالى: (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ). الثانية: نفخة الصعق: وهي التي يكون بها موت الخلائق ، وخَراب الكون ، وجاءت الإشارة إليها في سورة الزمر في قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ). وفي سورة الحاقة في قوله تعالى: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ). الثالثة: نفخة البعث والنشور: كما في قوله تعالى: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ). وهي التي جاء التعبير عنها أحيانًا بالصيحة والنداء والزجرة. وسواء كانت النفخات ثلاثًا أو اثنتين ومعها الصيحة ؛ فكلها تُبيِّن القضاء المُبرَم لحشر الناس إلى أرض المحشر ؛

لإجراء الحساب ، ووزْن الأعمال في ذلك الموقف العصيب واليوم الرهيب. (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ): جاء التعبير القرآني بأساليبَ كثيرة في وصْف حال الناس عند توجُّههم إلى أرض المحشر ، وكل صورة منها تعكِس الحال الداخلية لأصحابها ، إما على قَسَمات وجوههم أو على طريقة سَيْرهم ، أو بعض أحوالهم الأخرى: أما السرعة والذُّل: فتَعرِضه الآيتان في قوله تعالى: (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ). والجزاء من جِنس العمل: لقد كانوا يُسرِعون للطواف حول أصنامهم وهم فَرِحون ، مبتهلون مستبشِرون ، وفي أعيادهم ومناسباتهم للاحتفال بطقوسهم الدينية ، كانوا يخرجون زرافاتٍ ووُحْدانًا ، واليوم يَخرُجون من القبور تَغشاهم الذِّلة والقلق والاضطراب ، إنه اليوم الموعود الذي أنكرَوه وكذَّبوا به. أما خروجهم من أصقاع الأرض وانتشارهم عليها من كل حَدَب وصوب ، فتُصوِّره الآيات التالية ؛ يقول تعالى: (خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ). إن التشبيه بالجراد الكثير الذي يملأ وجْه الأرض ، ويأتي من كل جِهة تصوير دقيق وراعب لصورة الناس ، وهم هائمون على وجوههم يخرجون أفواجًا تِلو أفواج ، وهم في تلك الحالة المُفزِعة المُضطرِبة. أما الأحوال التي يكون عليها الناس نتيجة انعكاس أحوالهم (المعنوية) على الظاهر المادي ، فيَعرِضها القرآن الكريم في صورٍ مُذهلة: يقول عز من قائل: (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ) ، قيل: السائق من الملائكة ، والشهيد: شاهِد عليه من نفسه ، وقيل: مَلَكان. (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ): الغفلة: الذهول عما شأنه أن يُعلَم ، والمراد بها هنا الإنكار والجحود ؛ إذ المؤمن لا يغفُل عن الموت والحساب ، وإن جاءته أوقات غفَل فيها عن ذِكْر الموت والحشر ، فسَرْعان ما يتذكَّر كل ذلك عند صلواته ، وعند أذكاره ، فمن عظمة الإسلام أن ربَط المسلمين بأدعية وأذكار وعبادات تُذكِّرهم بالله وباليوم الآخر كل أوقاتهم. والغطاء: هي الشواغِل والاهتمامات والحُجُب التي كانت تشغَله عن ذِكر الموت ، أو رؤية حقائق الموت ، وقبْض الرُّوح. (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ): حِدة البصر: نفاذُه في المرئيات ، وعند خروج الرُّوح من البدن تتكشَّف الحقائق للإنسان ، وتصبح المغيَّبات مشاهَدات ، يُدرِكها الإنسان ، ولا يبقى مجالٌ لِما كانوا يقولون في الحياة الدنيا ، وكانوا يقولون: (أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) ، ويتحقَّقون من البعث والجمع ؛ كما ورَد في قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) ، وكل إنسان تتكشَّف له الحقائق عند الموت ؛ فالمؤمن يرى مقعده من الجنة ، والكافر يرى مقعده من النار ؛ لذا لم تُقبَل توبة الكافر عند غرغرة الموت ؛ لأن وقت الابتلاء بالتصديق أو التكذيب قد فات ، وظهرت الحقائق لكل أحد. (وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ): القرين: الشيطان الموكَّل بكل إنسان ، يدعوه إلى الشر ، ويَصرِفه عن الخير. يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما من أحد إلا وكِّل به قرينٌ من الجن) ، قالوا: وإياك؟ قال: (وإياي! إلا أنَّ اللهَ أعانني عليه فأسلَم ، فلا يأمرني إلا بخير). (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ

الشَّدِيدِ) ؛ الخطابُ للملائكة الموكَّلين به. (كَفَّارٍ عَنِيدٍ): كفَر بنِعَم الله عليه ؛ من العقل والسمع والبصر والصحة والمال والأولاد ؛ فلم يشكر نِعَم الله عليه ، ولم يستخدِم تلك النِّعمَ فيما خُلِقت له ، وعانَد دواعيَ الإيمان من داخِله ؛ الفطرة والعقل ، ومن خارِج نفسه ؛ دعوة الأنبياء والمرسلين ، والسائرين على منهجهم ؛ من المصلحين والأئمة المهديِّين. (مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ): على رأسها: الصدق ، وأعمال البر ، والإنفاق في سبيل الله ، ويدخل فيها العمل الصالِح في مختلف مجالات الحياة ، مما يُصلِح حياة الأفراد والجماعات ، ويقيمها على شريعة الله. وقيل: الذي يمنع دخول الناسَ في الإسلام ؛ فالخير كله في الإسلام. (مُعْتَدٍ مُرِيبٍ): مُتجاوزٍ لحدود الحق ، سواء بالكلمة أو بالفعل ، وغير ذلك من أساليب الظلم والشر ، ومرتابٍ شاكٍّ في الحق ، وفي دعوة الأنبياء والبراهين المقامة من الكتاب المفتوح الكون ، والكتاب المُنزَّل. (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ): سواء كان هذا الإله المزيَّف من الأوثان المادية أو المعنوية ، كالعِلم والمبدأ والحزب والقوم... فكل هؤلاء عُبِدت من دون الله في العصور السابقة واللاحِقة. (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ): يقول قرينه: لم أكن سببًا في إضلال هذا الإنسان ، وإنما كان ضلاله ذاتيًّا ؛ فطغى هو بضلاله ، وقيل: إن الكافر يزعُم أن المَلَك الموكَّل بكتابة سيئاته قد زاد فيما كتَب ، فيقول الملك: ربنا ما أطغيتُه ؛ أي: ما زدتُ عليه". (قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ): كل الكفرة والمجرمين يتنصَّلون من جرائرهم التي عمِلوها في الدنيا ، ويُلقون بالتَّبِعة على متبوعيهم من الإنس والجن الذين أضلُّوهم ، إلا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي أعطى العقل والإدراك لكل شخص يُحاسِبه على ذلك: (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) ، نعم قد تتضاعَف العقوبة على الداعية إلى الضلالة ، فيكتب عليهم أوزار الذين كانوا سببًا في إضلالهم ، ولكن لا يُنقَص من عذاب الأتباع ؛ فكلٌّ فيها خالد ، وقد جاء بيان كل ذلك على ألسنةِ الأنبياء والمرسَلين ، فلا يظلِم ربك أحدًا ، إن الحق ثابتٌ مستمر ولا يمكن تغييره أو التلبيس عليه ، فلا تمويه ولا تغيير ولا تبديل ، ولا ظُلْم ، ولا يظلم ربك أحدًا. (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ):خلَق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الجنة وجهنم ، ووعَد لكل واحدة منهما ملأها ؛ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (لا تزال جهنم يُلقى فيها ، وتقول: هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قَدَمه ، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط ، وعِزَّتك وكرَمك ، ولا يزال في الجنة فضلٌ ، حتى ينشئ الله لها خلْقًا آخر فيُسكِنهم في فضول الجنة). (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ): تزيَّنت الجنة واقترَبت للمتقين الذين يعودون إلى ربهم ، ويتوبون كلما وقَعوا في ذنبٍ ، ولا يُصِرون على الإثم. عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (تحاجَّت الجنة والنار، فقالت النار: أوثِرتُ بالمتكبرين والمتجبِّرين ، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقَطُهم؟ قال الله ـ تبارك وتعالى ـ للجنة: أنت رحمتي أرحَم بكِ من أشاء من عبادي ، وقال للنار: إنما أنت عذابي ، أعذِّب بكِ من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تَمتلئ حتى يضع الله ـ تبارك وتعالى – رِجْلَه ، فتقول: قط قط ، فهنالك تمتلئ ويُزْوى بعضُها إلى بعض ، ولا يظلِم اللهُ من خلْقه أحدًا ، وأما الجنة فإن الله يُنشئ لها خَلْقًا). (خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ): من خاف الله ـ تعالى ـ في سِرِّه ؛ حيث لا يراه أحد إلا الله ـ عز وجل ـ فيحفظ نفسه من الذنوب ، كما يحفظها في الجَهر ، وقيل: للتائب في السر من ذنوبه إذا ذكرها كما فعَلها في السر ، وقيل: الذي يَستتر

بطاعته لئلا يُداخِلها في الظاهر رياء. (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ): تتلقى الملائكةُ أهلَ الجنة بالترحاب وبُشرى الخلود في دار النعيم ؛ كما قال - تعالى -: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ). (لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا): لأهل الجنة ما يتَمنَّون: (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ) ، يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم -: (فيها ما لا عينٌ رأت ، ولا أُذُن سمِعت ، ولا خَطَر على قلب بشر). (وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ): الزيادة: النظرُ إلى وجه الله الكريم ، وقيل: اجتِماعهم كل جمعة بربهم. وقيل: الزيادة: الحور العين التي تُبْعث من السحاب)هـ. يُروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه -: "أنه قال لكعب الأحبار: حدِّثنا عن الموت ، فقال كعب: نعم يا أمير المؤمنين ، هو كغصن كثير الشوك أُدخِل في جوف رجل ، فأخذتْ كلُّ شوكة بعِرْق ، ثم جذَبه رجلٌ شديدُ الجذب ، فأخذ ما أخذ ، وأبقى ما أبقى". وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول: "لو أن لي طِلاع الأرض ذهبًا ، لافتديت بها من هول المَطلَع". وقال شداد بن أوس: "الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن ، وهو أشد من نشرٍ بالمناشير وقرْض بالمقاريض ، وغَلْي في القدور ، ولو أن الميت نُشِرَ (بُعِث من قبره) ، فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ، ما انتفعوا بعيش ولا تلذَّذوا بنوم". وذات يوم دخل الحسنُ البصري على مريض يَعوده "فوجده في سكرات الموت ، فنظر إلى كَرْبه ، وشدَّةِ ما نزَل به ، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم ، فقالوا له: الطعام يرحمك الله! فقال: يا أهلاه ، عليكم بطعامكم وشرابكم ، فوالله لقد رأيتُ مصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقاه". وصدَق عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ حيث قال: "السعيد مَن وُعِظ بغيره". وقيل لبعض الزُّهاد: "ما أبلغ العظات؟ فقال: النظر إلى الأموات". ولما حضرت عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ الوفاة قال له ابنه عبد الله: "يا أبتاه ، إنك قد كنتَ تقول لنا: ليتني كنتُ ألقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت ، حتى يَصِف لي ما يَجِد ، وأنت ذلك الرجل ، فصِفْ لي الموتَ ، فقال: والله يا بني لكأن جَنْبِي في تَخْت ، وكأني أتنفَّس من سَمِّ إبرة ، وكأن غصن الشوك يُجَرُّ به من قدمي إلى هامتي ، ثم قال:

ليتني كنتُ قبل ما بدا لي في قلال الجبالِ أرعى الوعولا

والله ليتني كنتُ حيضًا ، أعركتني الإماء بدريب الإذخر". (كتاب المحتضرين ص 93). وتحت عنوان: (الموت حق على الإنس والجن)يقول الأستاذ الشيخ ندا أبو أحمد ما نصه: (في "صحيح البخاري" عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول: (أعوذ بعزَّتك ، الذي لا إله إلا أنت ، الذي لا يموت ، والإنس والجن يموتون). فالموت عاقبة كل حي ، وختام كل شيء ، ونهاية كل موجود ـ سوى الرب المعبود ـ فالكل سيموت ، إلا ذا العزَّة والجبروت ، فالموت طالبٌ لا يعجزه المقيم ، ولا ينفلت منه الهارب ، فهو قضاءٌ نافذ ، وحُكمٌ شامل ، وأمرٌ حاتمٌ لازم ، لا مهرب منه ولا مفر ، وبعد الموت يُجازَى كلُّ إنسان منَّا بما عَمِلَ في هذه الحياة الدنيا ؛ كما قال ـ تعالى -: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجنَّة فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) ، وقال - تعالى -: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ). قال ابن عباس - رضي الله عنهما ـ في تفسير هذه الآية: "نختبركم بالشدة والرخاء ، والصحة والسَّقم ، والغنَى والفقر ، والحلال والحرام ، والطاعة والمعصية ، والهُدَى والضلال ؛ أي: لننظر كيف شكركم

وصبركم ، (وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) ، لا إلى غيرنا فنجازيكم بأعمالكم". وأخرج الإمام أحمد - بسندٍ حسن - عن أنس - رضي الله عنه - قال: "لما قالتْ فاطمة ذلك ، يعني لما وجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كرب الموت ما وجد ، قالت فاطمة: واكرباه: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يا بُنَيَّة ، إنه قد حضر بأبيك ما ليس الله بتاركٍ منه أحد لموافاة يوم القيامة). (السلسلة الصحيحة: 1738). وكان الإمام أحمد يقول: "يا دار، تخربين ويموت سكانك". وكتب سالم بن عبد الله بن عمر إلى عمر بن عبد العزيز في رسالةٍ له طويلةٍ منها: "أما بعد ، فإن الله - تبارك وتعالى - خلق الدنيا لما أراد ، وجعل لها مدَّة قصيرة ، فكان ما بين أولها إلى آخرها ساعة من النهار ، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء ، فقال: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ). (حلية الأولياء: 284/5).هـ. وتحت عنوان: (سكرات الموت) يقول الشيخ ندا أبو أحمد ما نصه: (للموت سكراتٌ يُلاقيها كل إنسان حين الاحتضار ؛ فقد أخرج ابن أبي الدنيا أن عائشة - رضي الله عنها - دخلتْ على أبيها أبي بكر - رضي الله عنه - في مرَض موته ، فلما ثَقُل عليه ، تمثَّلت بقول الشاعر:

لعمرك ما يُغني الثراءُ عن الفتى إذا حشرجتْ يومًا وضاق بها الصدرُ

فكشف عن وجهه ، وقال - رضي الله عنه -: ليس كذلك ، ولكن قولي: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). والمقصود بسكرات الموت: هي "كُرُباته وغمراته" ، قال الراغب - رحمه الله - في "مفرداته": "السُّكْر: حالة تَعرِض بين المرء وعقله ، وأكثر ما تُستعمَل في الشراب المُسكِر ، ويُطلَق في الغضب والعِشق والألم والنُّعاس والغشي الناشئ عن الألم وهو المراد هنا". (فتح الباري: 440/11). ولو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرْب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها ، لكان جديرًا بأن يتنغَّص عليه عيشه ، ويتكدَّر عليه سروره ، ويُفارِقه سهوه وغفلته ، وحقيق بأن يطول فيه فِكرُه ، ويَعظُم له استعدادُه ، لا سيّما وهو في كلّ نفَس بصدده ، فالموت كما قيل: "كربٌ بيد سواك ، لا تدري متى يغشاك". والعجيب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات ، وأطيب المجالس من اللهو ، فانتظَر أن يدخل عليه إنسان ، فيَضربه خمس ضربات بالسيف ، لتكدَّرت عليه لذَّاته ، ولفسَد عليه عيشه ، وهو في كل نفَس بصدد أن يدخل عليه مَلَك الموت بسكراتِ النَّزع ، وسكرات النزع كما قيل: أشدُّ من ضربٍ بالسيف ، ونشرٍ بالمناشير ، وقرضٍ بالمقاريض ؛ لأن قطْع البدن بالسيف إنما يؤلِم لتَعلُّقه بالرُّوح، فكيف إذا كان المتناوَل المباشَر نفْس الرُّوح؟! وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوَّته في قلبه وفي لسانه ، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه من شدة ألمه ؛ لأن الكرب قد بلغ فيه ، وتَصاعَد على قلبه ، وبلغ كلَّ موضعٍ منه ، فهدَّ كلَّ قوة ، وضعَّف كلَّ جارحة ، فلم يترك له قوة الاستغاثة ، ولو كان المجذوب عِرْقًا واحدًا ، لكان ألمه عظيمًا ، فكيف والمجذوب نفس الرُّوح؟! لا من عِرْق واحد بل من جميع العروق ، ثم يموت كلُّ عضو من أعضائه تدريجيًّا فتبرُد أولاً قدماه ، ثم ساقاه ، ثم فخذاه ، ولكل عضوٍ سكرة بعد سكرة ، وكُرْبة بعد كربة ، حتى يبلُغ بها إلى الحُلقوم ، فعند ذلك ينقطِع نظرُه عن الدنيا وأهلها". انظر: التذكرة للقرطبي. ولم يَسلَم الأنبياء - مع علوِّ مكانتهم ورِفعة منزلتهم - من سكرات الموت ، يُروى عن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - لما مات قال الله - عز وجل - له: (كيف وجدتَ الموتَ؟ قال إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -: كسفود جُعِل في صوف رَطب ثم جُذِب ، فقال له رب العزة: أما إنَّا قد هوَّنا عليك). ويُروى عن موسى - عليه السلام -: "أنه لما صارت رُوحه إلى الله - عز وجل -

قال له ربه: (يا موسى ، كيف وجدتَ الموت؟ قال: وجدتُ نفسي كشاة حيَّة بيد القصَّاب تُسلَخ). ورُوي عنه أيضًا أنه قال: "وجدتُ نفسي كالعصفور الحي حين يُقْلَى في المِقلاة ، لا يموت فيستريح ، ولا ينجو فيطير". وقد عانى الرسول - صلى الله عليه وسلم - كذلك من هذه السكرات ؛ فقد أخرج البخاري من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: "إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان بين يديه رَكوةٌ - أو علبة فيها ماء ، يشك عمر (أحد رواة الحديث) - فجعل يُدخِل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: (لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات) ، ثم نصب يده فجعل يقول: (في الرفيق الأعلى) ، حتى قُبِضَ ومالت يده". قال أبو عبد الله: العلبة من الخشب ، والرَّكوة من الأدم (الجِلْد). وأخرج البخاري عن عائشة أيضًا - رضي الله عنها - قالت: "مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإنه بين حاقِنَتي وذاقنتي ، فلا أكره شدة الموت لأحد بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم". وفي "الصحيح" أيضًا: "أنه لما ثَقُل النبي - صلى الله عليه وسلم - جعل يتغشَّاه الكرب ، فجعلت فاطمة - رضي الله عنها - تقول: واكرب أبتاه! فقال - صلى الله عليه وسلم -: (لا كَرْب على أبيك بعد اليوم). وعند الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس - رضي الله عنه - قال: "لما قالت فاطمة ذلك - يَعني لما وجَد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كَرْب الموت ما وجد ، قالت فاطمة: واكرباه! قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يا بُنيَّة ، إنه قد حضر بأبيك ما ليس الله بتارك منه أحدًا لموافاة يوم القيامة). (السلسلة الصحيحة: 1738). لكن ما الحكمة من تشديد الموت على النبيِّين ، يُجيب عن هذا القرطبي - رحمه الله - فقال: "لتشديد الموت على الأنبياء فائدتان: الأولى: تكميل فضائلهم ورفْع درجاتهم ، وليس ذلك نقْصًا ولا عذابًا ، بل هو من جنس ما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد: (إن أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل). والثانية: أن يعرف الخَلق مقدار ألم الموت وأنَّه باطن ، وقد يَطَّلع الإنسان على بعض الموتى ، فلا يرى عليه حركة ولا قلَقًا ، ويرى سهولة خروج الرُّوح ، فيظن سهولة أمر الموت ، ولا يعرف ما الميت فيه ، فلما ذكر الأنبياءُ الصادقون في خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على الله تعالى ، وتهوينه على بعضهم قطَع الخلقُ بشدة الموت الذي يُقاسيه الميت مُطلقًا ؛ لإخبار الصادقين عنه ، ما خلا الشهيد (قتيل الكفار) ، فإنه لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم مسِّ القرصة ، كما ثبت في الحديث".اهـ. فإذا كانت هذه سكرات الموت على الأنبياء والمرسلين وعباد الله الطيبين ، فكيف بالظالمين الذين قال عنهم رب العالمين: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ). يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: "(وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ) ؛ أي في سكراته وغمراته وكرباته: (وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ) ؛ أي: بالضرب ؛ كقوله: (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي) ، وقوله: (وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ). قال غير واحد: (بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ) ؛ أي: بالعذاب ، كقوله: (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) ؛ ولهذا قال: (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا) ؛ أي: بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ؛ ولهذا يقولون لهم: (أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ) ، وذلك أن الكافر إذا احتُضِر بَشَّرته الملائكة بالعذاب والنَّكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم ، وغضب الرحمن الرحيم ، فتتفرَّق رُوحه في جسده ، وتعصى وتأبى الخروج ، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم ، قائلين لهم: (أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ

تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) ؛ أي: اليوم تُهانون غاية الإهانة ، كما كنتم تَكذِبون على الله ، وتستكبرون عن اتباع آياته ، والانقياد لرُسله ، وقد وردت الأحاديث المتواترة في كيفيَّة احتضار الكفار عند الموت".اهـ. ففي مسند الإمام أحمد عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم قال -: (وإن العبد الكافر - وفي رواية الفاجر - إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة غِلاظٌ شدادٌ ، سود الوجوه معهم المُسوح من النار ، فيجلسون منه مدَّ البصر ، ثم يجيء مَلَك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول ، أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال: فتفرَّق في جسده ، فينتزعُها كما يَنتزِع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول ، فتُقطَّعُ معها العُروقُ والعصبُ). سؤال: ولعل قائلاً يقول: إذًا ، ما الفارق بين الأتقياء والأشقياء ، وبين الصالح والطالح؟ فالكل يُعاني من سكرات الموت! نقول: لا يستويان ؛ فإن الكافر والفاجر يُعانيان من الموت أكثر مما يُعاني منه المؤمن ؛ كما دلَّ على ذلك الحديث السابق ، فتتقطَّع مع خروج الرُّوح العروق والعصب ، هذا أمر. والأمر الآخر: أن سكرات الموت للكافر أو الفاجر: محنة ونقمة وشدة وعذاب ونَكال. أما سكرات الموت للمؤمن التقي النقي: فهي مِنحة ونعمة ورحمة ؛ حيث يُغفر بها الذنوب ، أو تُرفع بها الدرجات. فقد رُوي عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: "إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلُغها بعمله ، شُدِّد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة ، وإن الكافر كان قد عمِل معروفًا في الدنيا ، هُوِّن عليه الموت ، ليستكمل ثوابَ معروفه في الدنيا ، ثم يصير إلى النار". (رواه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت).هـ. وتحت عنوان: (التذكير بالموت هادم اللذات) يقول الشيخ عبدالله بن صالح القصيِّر ما نصه: (إنه مما يروى عنه صلى الله عليه وسلم في الموت قوله عليه الصلاة والسلام: "أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت ، وأفضل العبادة التفكر ، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة"! وقوله صلى الله عليه وسلم: "أكثر ذكر الموت ، فما من عبد أكثر ذكره إلا أحيا الله قلبه وهون عليه الموت ، وإنه لا يكون في كثير إلا قلله ، ولا في قليل إلا أجزاه". وقوله عليه الصلاة والسلام: "أكثروا ذكر هادم اللذات - يعني الموت - ، فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه ولا في سعة إلا ضيقها عليه". وقوله صلى الله عليه وسلم: "أكثروا ذكر الموت فإنه يُمحص الذنوب ، ويزهد في الدنيا ، فإن ذكرتموه عند الغنى هدمه ، وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم". كفى بالموت واعظاً وباليقين غنى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ، واحبب من أحببت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، وإنما يكون ذلكم عند الموت ، حين يرى المحتضر ما يبشر به بحسب عمله. أيها الناس إنكم في دار هدنة ، وأنتم على ظهر سفر ، والسير بكم سريع ، وإن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء ، وجلاؤها كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن ، وإنكم لو رأيتم الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره! وفي مسند الديلمي رحمه الله عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وما من أهل بيت إلا وملك الموت يتعاهدهم في كل يوم مرتين ، فمن وجده قد انقضى أجله قبض روحه فإذا بكى أهله وجزعوا قال: لم تبكون؟ ولم تجزعون؟ فو الله ما نقصت لكم عمراً ، ولا حبست لكم رزقاً وإن لي فيكم لعودة ثم عودة ثم عودة حتى لا أبقي منكم أحدًا". وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال: "احضروا موتاكم

ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة ، فإن الحليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع ، والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف ، والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله. في سنن النسائي رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا حضر المؤمن ـ أي عند قبض روحه ـ أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء ، فيقولون: أخرجي راضية مرضياً عنك ، إلى روح وريحان ورب غير غضبان! فتخرج كأطيب ريح المسك ، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضاً حتى يأتوا به باب السماء ، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض! فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليه ، فيسألونه: ماذا فعل فلان ، ماذا فعلت فلانة؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا ، فإذا كان ـ يعني ميتاً ـ قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذهب إلى الأمة الهاوية! وإن الكافر إذا حضر أتته ملائكة العذاب بمسح أي كفن من النار ـ فيقولون أي لروحه: ـ اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله! فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتوا بها باب الأرض ، فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتوا بها أرواح الكفار ـ يعني في السجن أسفل سافله. وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، قالوا إنا نكره الموت ؛ قال: ليس ذلك ، ولكنه إذا حضر فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله ، والله عز وجل للقائه أحب وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم! فإذا بشر بذلك كره لقاء الله ، واللهُ للقائه أكره". روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أول ما يبشر به المؤمن روح وريحان وجنة نعيم ، وأول ما يبشر به المؤمن أن يقال له: أبشر ولي الله برضاه والجنة قدمت خير مقدم ، قد غفر الله لمن شيعك ، واستجاب لمن استغفر لك وقبل ممن شهد لك ، وما من ميت يوضع على سريرة فيخطى به ثلاث خطى إلا نادي بصوت يسمعه من يشاء الله ، يا إخوتاه ، ويا حملة نعشاه ، لا تغرنكم الدنيا كما غرتني ، ولا يلعبن بكم الزمان كما لعب بي ، أترك ما تركت لذريتي ، ولا يحملون عني خطيئتي ، وأنتم تشيعوني ثم تتركوني ، والجبار يخاصمني".هـ. وتحت عنوان: (ذكر الموت وتمنيه) يقول الدكتور عبدالله بن حمود الفريح ما نصه: (من أصيب بضُرٍّ من مرض ونحوه ، فإنه لا يتمنى الموت بسبب ذلك الضر ؛ لحديث أنس رضي الله عنه ، أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: "لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا ؛ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي". ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: "لاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ وَلاَ يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ وَإِنَّهُ لاَ يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلاَّ خَيْرًا" ، فدلّ الحديث على النَّهي عن تمني الموت ، وعن الدعاء به على النفس ، لأنَّ زيادة العمر خير للإنسان إذا استغلَّه ، فهو إمَّا يزيد في الطاعة ، أو يستغفر عن الذنب ، وجاء في لفظ البخاري: "لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ ؛ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ". ويُستثنى من ذلك حالتان يُشرع للإنسان فيهما تمنِّي الموت: الأولى: إذا خَشِي على دينه من الفتنة. ويدلّ على ذلك: أ. قوله تعالى عن مريم: (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا) وذلك حينما حملت ، وخافت على نفسها العار ، بأن تتهم في عِرضها كونها جاءت بولد من غير أب ، وعلى هذا يُحمل ما ورد من الأخبار في تمنِّي السلف للموت ، بأنهم خافوا على دينهم من الفتنة. ب. حديث معاذ رضي الله عنه الطويل ، وفيه: قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: "وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً ؛ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ" ، وموت الإنسان ولو بعد

عمر قصير غير مفتون ، خير له من أن يموت مفتوناً. والثانية: إذا كان موته شهادة في سبيل الله تعالى. ويدلّ على ذلك: أ. حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ". ب. حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه أنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ".).هـ. يقول الأستاذ محمد بن صالح المنجد تحت عنوان: (ذكرى المثوى)ما نصه: (لقد ألهتنا هذه الدنيا عن الله ، لقد ألهانا ما في هذه الدنيا عن الاستعداد للدار الآخرة ، إن هذا البهرج ، وهذه الزينة ، أن هذ الألوان والسلع ، إن هذه التسالي والألعاب ، إن هذه الأفلام والمسلسلات ، إن هذه الأسفار والسياحات ، إن هذه الملابس والصناعات ، قد ألهتنا عن الله – تعالى - ، والاستعداد للدار الآخرة ، ولا يزال أهل الدينا في غفلة حتى يأتيهم الموت ، فإذا ماتوا انتبهوا. الموت - يا عباد الله - الذي حثنا النبي ﷺ على تذكّره ، وأمر بذلك ، فقال: أكثروا ذكر هادم اللذات ، وامتثالاً لأمره ﷺ! تعالوا بنا نتذكر شيئاً من الأمر الذي أمرنا به ﷺ ، وهو تذكر الموت ، لعل الله – تعالى - أن ينعش قلوبنا بذكره ، وأن يزيل الغفلة عن القلوب الصدئة ، وأن يعود من انحرف إلى الجادة ، وأن يزداد الذي سلك الجادة عبادة ، قال الله – تعالى -: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ). نَفِرُّ من الحوادث ، ونَفِرُّ من الأمراض إلى الأطباء والمستشفيات ، نَفِرُّ من الموت ، والموت ملاقينا ، (وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) ، إنه مجيء أكيد ولا بد ، (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ) ، إن هذا الموت - يا عباد الله - آتٍ لا محالة ، كيف بأمر إذا نزل قطع الأوصال ، أمر يقطع أوصالك ، ويفرق أعضاءك ، ويهدم أركانك ، إنه حقٌ أمر عظيم ، وخطبٌ جسيم ، وإن يومه لهو اليوم العظيم ، قال ابن مسعود -رضي الله عنه -: "ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله" ، وهذا الأمر قد نسيناه ، دهانا مجرد ذكر الموت والحديث فيه ، والكثير يغضب إذا ذكر الموت ، ويقول: تنغص علينا حياتنا وعيشتنا ، تنغص علينا أكلنا ومعيشتنا ، وذكر الموت ليس لتكدير حياة الناس ، وإفساد مجالسهم ، ونزع السعادة منهم ، وإنما لإصلاح حالهم ، وتنوير قلوبهم ، وجعلهم مستعدين للقاء الله والقدوم عليه. قيل للحسن - رحمه الله -: يا أبا سعيد ، كيف نصنع؟ نجالس أقواما يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير ، فقال: "والله إن تخالط أقواما يخوفنك حتى يدركك أمن خير من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى يدركك الخوف". وقال - رحمه الله -: كان من كان قبلكم يقربون هذا الأمر ، كان أحدهم يأخذا ماء لوضوئه ، ثم يتنحى لحاجته ؛ مخافة أن يأتيه أمر الله وهو على غير طهارة ، فإذا فرغ من حاجته توضأ". إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك ، ولا كثرة احتشادك ، أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب شديد ، وغصص وندامة على تفريط ، رحم الله عبداً عمل لساعة الموت ، وما نراه في المقابر أعظم عظة أكبر معتبر. تمر بنا أيام أيها الإخوة ، تتابع علينا أخبار الوفيات ، تتابع الجنازات ، وأخبار الأموات ، هذا صديق ، وهذا قريب ، وهذا جار قد اختطفهم الموت بأمر الله تعالى ، وما نراه في المقابر أعظم عظة ، وأكبر معتبر ، فحامل الجنازة اليوم محمول غداً ، ومن يرجع من المقبرة إلى بيته اليوم سيرجع عنه غداً ، ويترك وحيداً فريداً ، مرتهناً بعمله ، فإنْ خيراً فخير ، وإنْ شراً فشر. فيا عبد الله لا تغرنك الصحة والقوة والعافية ، ولا يغرنك الشباب وكلام الأصحاب ، لا يغرنك عِشاء ساكن قد يوافي بالمنيات السحر ، قد يأخذ على حين غفلة ، وأنت لا ترى الموت يصل إليك ، بل تراه بعيداً. إذا جاءنا هذا

الأمر من الله ، فهل للطبيب من سبيل فتدعى الأطباء؟ أو إلى الشفاء طريق فيرجى الشفاء؟ ما يقال إلا فلان أوصى ، ولماله أحصى ، قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ، ولا يعرف جيرانه ، وعرق الجبين ، وتتابع الأنين ، وثبت اليقين ، وصدقت الظنون ، وتلجلج اللسان ، وبكى الإخوان ، هذا ابنك فلان ، وهذا أخوك فلان ، قد منعت من الكلام فلا تنطق ، وختم على لسانك فلا ينطق ، ثم حل بك القضاء ، وانتزعت النفس من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السماء ، فاجتمع عند ذلك إخوانك ، وأحضرت أكفانك ، فغسلوك وكفنوك ، فانقطع عوادك ، واستراح حسادك ، وانصرف أهلك إلى مالك ، وبقيت مرتهنا بأعمالك. قال سفيان الثوري - رحمه الله - مبيناً حال شيخ كبير في استعداه للموت: رأيت شيخاً في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة ، أنتظر الموت أن ينزل بي ، لو أتاني ما أمرته بشيء ، ولا نهيته عن شيء ، ولا لي على أحد شيء ، ولا لأحد عندي شيء أنتظر الموت ، أنتظر أمر الله على عبادة وطاعة. لو أتانا الموت يا عباد الله ، فقرع أبوابنا ، واستأذن للولوج - ولن يستأذن - لاحتجنا إلى سنواتٍ طويلةٍ ، نرتب أمورنا ، ونسدد حقوقنا ، ولكن السلف كانوا على استعداد دائم. انظر يا أخي في غدك ، ودنو أجلك ، وقلة عملك ، فقد كتب بعض أهل الحكمة إلى رجل من إخوانه: يا أخي احذر الموت في هذه الدار ، قبل أن تصير إلى دار تتمنى الموت فيها فلا تجده ، يتمنى الموت في ذلك اليوم ، (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ)! فلنحذر في هذه الدار ، قبل أن نصير إلى دار يتمنى فيه الموت فلا يحصل. قال يحيى بن معاذ - رحمه الله -: "مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلها للعبد في ماله عند الموت ، قيل: وما هما؟ قال: يؤخذ منه كله ، ويسأل عنه كله ، فأي مصيبة في المال أعظم من هذه؟ لو احترق ، لو ذهب في الدنيا يأتي بدلاً منه ، يأتي هو ببدل منه ، لكن عند الموت يؤخذ منه كله ، ولا يأتي ببدل ، ويسأل عنه كله ، وعن كل درهم: من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ قيل لعبد الله بن عمر: "توفي فلان الأنصاري ، قال: رحمه الله ، قالوا: ترك مئة ألف ، قال: لكن هي لم تتركه" وكيف تتركه وهنالك كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. وهذه كلمات أخرى لمعاذ بن جبل لما نزل به الموت ، ثم قال: "مرحبا بالموت ، زائر مغيب ، وحبيب جاء على فاقة ، اللهم إني كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا ، وطول البقاء فيها ، لكري الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لطول ظمأ الهواجر ، وقيام ليل الشتاء ، ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر". فكانوا ثابتين عند الموت لما كانت لهم الثبات في الحياة ، الطاعة في الحياة تثمر ثباتا عند الموت ، والمعصية في الحياة تثمر اللجلجة والحشرجة وعدم التوبة ، وقلة الثبات عند الموت. ولذلك كان السلف - رحمهم الله - أثبت ما يكونون في تلك الساعة ، وهي أحوج ما يكون فيها الإنسان إلى الإيمان ، وإلى سلامة العقيدة. لما حضره ابن عباس ، فقال له: أبشر يا أمير المؤمنين ، أسلمت مع رسول الله حين كفر الناس وقاتلت مع رسول الله حين خذله الناس ، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، ولم يختلف في خلافتك رجلان ، فقال عمر: أعد ، فأعاد ، فقال: عمر المغرور من غررتموه ، لو أن لي ما على ظهرها من بيضاء وصفراء من الذهب والفضة لافتديت به من هول المطلع. ولما حضرت سلمان الفارسي الوفاة بكى ، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: "ما أبكي جزعا على الدنيا ، ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب" ، هذا هو الذي يكون معك في الدنيا كزاد الراكب ، فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضع عشرة درهماً ، خاف من بضعة عشر درهما أن يكون خالف فيها وصية الرسول ﷺ. ها نحن نمر في الجنائز ،

ونمشي فيها ، ونحملها ، ولا تدمع العيون ، ولا تتحرك القلوب ، ولا ترى على الوجوه آثار الخشية من هذا المصير ، والله إنها غفلة ، وإلا فمن لا يعتبر بمحمول إلى حفرة ضيقة؟ قال الأعمش: كنا نشهد الجنازة ، ولا ندري من المعزى فيها لكثرة الباكين ، ليس أهل الميت فقط هم الذين يبكون ، كل الناس يبكون فيها ، وإنما كان بكاؤهم على أنفسهم لا على الميت. وقال إبراهيم النخعي: "كانوا يشهدون الجنازة فيرى فيهم ذلك أياماً ، ترى آثار حضور الجنازة أياما". وقال أسيد بن حضير: "ما شهدت جنازة وحدثت نفسي بشيء سوى ما يفعل بالميت ، وما هو صائر إليه". وقال إبراهيم النخعي - رحمه الله -: "كنا إذا حضرنا الجنازة ، أو سمعنا بميت عرف فينا أياماً ؛ لأنا قد عرفنا أنه قد نزل به أمر صيره إلى الجنة أو إلى النار ، وإنكم في جنازتكم تتحدثون بأمور الدنيا. والله يُرى في الجنازة من يضحك ، ويرى في المقبرة من يضحك ، ويرون خارجين من المقابر وبأيديهم السجائر يدخنون ، ضحك وتدخين ، هذا في أعظم مكان يمكن أن يتذكر فيه الإنسان على وجه الأرض ، في المقبرة ، غاية الغفلة ، فماذا تعرف وتنتظر وتتوقع خارج المقبرة؟ إذا كان غفلة في المقبرة ، فماذا نتوقع خارج المقبرة؟ ولذلك لا عجب إذاً أن يقعوا في معاصي متواليات ، ويسهروا الليالي في المعاصي ، وهؤلاء اليوم وفي هذا الشهر - شهر الحر - يريدون السفر بأي طريقة إلى بلاد الكفر والعصية ، وهؤلاء بائعو السياحة ، يتفننون في إغراء المسلمين بقضاء إجازاتهم في بلاد الكفر التي غابت عنها شمس الدين والفضيلة ، وهي محاولات للسطو على أماناتنا الأموال والأولاد ، لأن الله قال: (لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ). وهذا أبٌ لا يحفظ ولده ، وهذا صاحب مال لا يحفظ ماله).هـ. والآن لنتابع ما من الله تعالى علينا به في جزئنا الثالث من سلسلة: قصائد المقابر تتكلم!)

تُفِيـــدُ المـــواعظ مَـــن يعتبـــرْ ... ويَســـعَدُ بالنصـــح مَـــن يـــدّكِرْ

وتنفـــعُ أهـــلَ النهـــى نفحـــة ... مِـــن اللـــوم تُزجـــي الوصـــايا الغـــرر

طوتْنـــا الحيـــاة بطوفانهـــا ... فبتْنـــا - إلـــى سُـــوئها - ننحـــدر

وعَـــز علينـــا اتبـــاعُ الهُـــدى ... ولـــم نســـتفدْ مِـــن مُبـــين النـــذر

وتاهـــتْ عـــن الـــدرب أقـــدامُنا ... وصِـــرْنا نواجـــهُ مـــا لا يسُـــر

عصَـــينا المليـــكَ ، ولـــم نمتثـــلْ ... بـــرغم اســـتطاعتنا مـــا أمـــر

ولـــم ننتـــهِ النهـــيَ عنـــه نهـــى ... بـــرغم وضـــوح الـــدليل الأغـــر

ولمّـــا نحِـــلّ الحـــلالَ الـــذي ... أحـــلَ لنـــا - فـــي الـــدنا - المقتـــدر

ولمّـــا نُحَـــرّمْ حرامـــاً لـــهُ ... ولـــم نـــدْر مـــا خبّأتْـــهُ الغِيَـــر

وزُيّـــن للـــنفس مـــا تشـــتهي ... وشـــهوتُها ناولتْهـــا الخـــوَر

فمالـــتْ إلـــى المعصـــيات التـــي ... دهـــتْ عزمهـــا ، فاحتواهـــا الكـــدر

وحَنـــــتْ إلـــــى اللهـــــو مُنقـــــادة! لديـــــه لهـــــا الـــــورودُ ثـــــم الصـــــدَر

لهـــــا احلولـــــتِ الموبقـــــات ، فلـــــم تجـــــدْ مَـــــن يهيـــــب بهـــــا أن تـــــذر

وطاوعـــــــتِ الجهـــــــلَ مُختـــــــارة فكـــــالَ لهـــــا اللـــــؤمَ بعـــــد الـــــدَبَر

فكـــــم أســـــرفتْ ، واعتـــــدتْ ، وافتـــــرتْ وبالضـــــــر خـــــيّمَ لـــــم تعتبـــــر!

وفـــــي الخيـــــر لـــــم تعـــــرفِ المُبتـــــدا فضـــــــلت هـــــــدايتها للخبـــــــر!

وكـــــم داعبتْهـــــا طيـــــوفُ المُنـــــى فعاشـــــــتْ بآمالهـــــــا تبتشـــــــر!

وكـــــم صـــــدّها الـــــوهمُ عـــــن رُشـــــدها! فمـــــا استصـــــحبتْ مِـــــن هواهـــــا الحَـــــذر

وكـــــم للتقاليـــــد قـــــد أذعنـــــتْ وللحـــــق والعـــــدل لـــــم تنتصـــــر!

بغيـــــر المهـــــيمن كـــــم أقســـــمتْ! فهـــــل غيـــــرُه خـــــالقٌ للبشـــــر؟!

وكـــــم غيـــــرَ رب البرايـــــا دعـــــتْ! فهـــــل عنـــــد ذا الغيـــــر نفـــــعٌ وضـــــر؟!

وكـــــم غيـــــرَ رب الـــــورى حَكّمـــــتْ! وأبـــــئسْ بـــــه مِـــــن تـــــرد وَعِـــــر!

وكـــــم ذا أقـــــرتْ فســـــاداً طغـــــى! وبـــــين الأنـــــام ســـــرى وانتشـــــر

وكـــــم ســـــحَرَ الزيـــــفُ تفكيرَهـــــا فظلـــــتْ - بنيرانـــــه - تســـــتعر!

وكـــــم تركـــــتْ مِـــــن صـــــلاةٍ بـــــلا مُســـــوّغ يجعلهـــــا تعتـــــذر!

وكـــــم عـــــن أداء الزكـــــاة نهـــــتْ! فهـــــل مثـــــلُ ذلـــــك أمـــــرٌ يُقـــــر؟!

وكـــــم عقـــــتِ الوالـــــدين ضـــــحىً! كـــــأنْ قـــــد تســـــاوى عقـــــوقٌ وبـــــر!

وكـــــم ســـــامرَ الـــــنفسَ أكـــــلُ الربـــــا! وتحريمُـــــهُ واضـــــحٌ مســـــتطر

وكـــــم أهـــــدرتْ حـــــق مَـــــن يُتّمـــــوا! كـــــأن حقـــــوقَ اليتـــــامى هـــــدر

وكـــــم زايلـــــتْ صـــــدقها والوفـــــا! وبالكِـــــذب حـــــلّ الأذى والخطـــــر

وكـــــم صـــــامتِ الشـــــهرَ لـــــم تلتـــــزمْ بأخلاقـــــه رغبـــــة فـــــي الأجُـــــر!

وكـــــم أنصـــــتتْ – ويحهـــــا – للغِنـــــا! وكـــــم أطلقـــــتْ – فـــــي النســـــاء – البصـــــر!

وكـــــم شَـــــوّهَ الكِبْـــــرُ إحســـــانها! فصـــــارت – بإفلاســـــها - تفتخـــــر

وكـــــم ســـــربلَ العُجْـــــبُ أخلاقهـــــا فأمســـــتْ – إلـــى رُشْـــدها – تفتقـــر!

وكـــــم مـــــن شـــــهادة زور أتـــــتْ! فلـــم تلـــق – فـــي عيشـــها – مِـــن ظفـــر

وكـــــم قـــــذفتْ مُحصـــــناتٍ ، ولـــــم تتُـــبْ! حيـــث باتـــت بـــذا تشـــتهر

وكـــــم أكلـــــتْ مـــــالَ قـــــوم غفـــــوا وحازتْـــــهُ لمّـــــا اعتـــــرتْهم غِـــــرَر!

وكـــــم راءتِ النـــــاسَ كـــــي يُخـــــدعوا ولكـــــنْ بهـــــا الفـــــذ لـــــم ينبهـــــر!

وكـــــم خانـــــتِ اللهَ لـــــم تحتـــــرمْ عُهـــــوداً كعبـــــدٍ خـــــؤون أشـــــر!

وكـــــم درّســـــتْ تبتغـــــي رِفعـــــة كمُرتـــــزق أجـــــرَهُ ينتظـــــر!

وكـــــم كتمـــــتْ عِلمَهـــــا ترتجـــــي تفرّدَهـــــا – فـــــي الـــــورى – بـــــالنظر!

وكـــــم بالقضـــــا خصّـــــها اســـــتهزأتْ! وكـــــم ســـــخِرتْ مـــــن مَريـــــر القـــــدر!

وبـــــالمنّ كـــــم أحبطـــــتْ أجرَهـــــا! فبـــــالمن مجـــــدُ الفتـــــى ينـــــدحر

وكـــــم لعنـــــتْ مؤمنـــــاً قانتـــــاً! كـــــأتي بهـــــا بُغضَـــــه تـــــدّخِر!

وكـــــم صـــــدّقتْ كاهنـــــاً مجرمـــــاً يُصَـــــدّقه مَـــــن بربـــــي كفـــــر!

وكـــــم قاطعـــــتْ جُـــــلّ أرحامهـــــا كمـــــا يفعـــــلُ – اليـــــوم – بعـــــضُ الغجـــــر!

وكـــــم بالنميمـــــة دَكـــــتْ عُـــــرَىً كمثـــــل الحريـــــق ابتـــــدا بالشـــــر!

وكـــــم جادلـــــتْ عـــــن أنـــــاس عَتـــــوا وكـــــانوا – علـــــى الخلـــــق – مثـــــلَ التتـــــر!

كـــــم اغتابـــــتِ القـــــومَ تُـــــزري بهـــــم! وكـــــم مَكـــــرتْ بالتقـــــاة البُـــــدُر!

وأدركهـــــا المـــــوتُ مُلتاعـــــة علـــــى الســـــوء منهـــــا مِـــــراراً صَـــــدر

وجـــــاءت - إلـــــى القبـــــر - مكســـــورة وكسْـــــرُ التلاعـــــب لا ينجبـــــر!

وصـــــــــاحبُها أزهُ حالهـــــــــا فكـــــم أوبقـــــتْ سَـــــمعَهُ والبصـــــر!

وكنـــــا جميعـــــاً علـــــى إثـــــرهِ كمـــــا يتْبـــــعُ الخطـــــوَ أهـــــلُ الأثـــــر

وظلمـــــــة أجـــــــداثنا راهنـــــــتْ علـــــى عمـــــل طيّـــــب مُبتشـــــر

فمـــا حصّـــلتْ منـــه لـــو ظِلـــهُ ... لتـــدفعَ عنـــا الـــبلا والخســـر

يمينـــاً نـــدمْنا علـــى فعلنـــا ... وطالـــت علينـــا سِـــنيُ الضـــجر

وطـــال العـــذابُ ، وزاد الأســـى ... وطـــفّ الشـــقا ، والمـــرارُ اســـتمر

ظننـــا الحيـــاة تطـــولُ بنـــا ... لنصـــلح قبـــل فـــوات العُمُـــر

لكـــي نســـتعد للقيـــا الفنـــا ... لكـــي لا نـــرى – فـــي القبـــور - الكـــدر

ولكـــنّ نجـــمَ الأمـــاني خبـــا ... وأرهـــقَ كـــل الوجـــوه القتـــر

فيـــا ســـائلي عـــن ضـــنا حالنـــا! ... بُلِينـــا بحـــال فظيـــع عَسِـــر

فخـــذ عِبـــرة مِـــن أنـــاس شـــقوا ... يكـــنْ لـــك - فـــي شـــأننا - مُزدجـــر

وســـددْ وقـــاربْ ، وكـــن واعيـــاً ... ووحـــدْ إلهـــك ، واتـــلُ الســـور

وتـــابعْ نبيَـــك مسترشـــداً ... فأنـــت – إلـــى هديـــه - مفتقـــر

وأصـــلحْ ، ولا تصـــطحبْ مـــن غـــوى ... فعـــيشُ الغـــويّ كعـــيش الحُمُـــر

وزهـــرة عُمْـــرك ضـــاعت سُـــدىً ... ومهمـــا يطـــلْ يخترمْـــهُ القِصَـــر

أفيقـــوا - إلـــى رُشْـــدكم - أهلنـــا ... لكـــي تتركـــوا طيبـــاتِ السِـــيَر!

وهيـــا اســـتقيموا كمـــا ربُكـــم ... بآياتـــه – فـــي الكتـــاب - أمـــر

أنيبـــوا إلـــى الله كـــي تُفلحـــوا ... وفيمـــا أتيـــتم أعيـــدوا النظـــر

وصـــيتنا هـــذه دُرة ... فهـــل تقـــدُرون ثمـــينَ الـــدُرَر؟!

ومـــوتُ الفتـــى قـــادمٌ فجـــأة ... فهـــل منـــه ســـوف يُـــولي الـــدُبُر؟!

وتـــأتي الملائـــكُ مـــأمورة ... بـــأن تنـــزع الـــروح مِـــن مُحتضـــر

ليُصـــبح بعـــدُ حـــديثَ الـــورى ... وأقصوصـــة دق فيهـــا الخبـــر

فيـــا رب ســـلمْ مـــن المنتهـــى ... وزحـــزحْ تقـــاة الـــورى عـــن سَـــقر

وأدخِـــلْ جنانـــك أهـــلَ التقـــى ... لتُســـعدهم رؤيـــة المقتـــدر!

(مهما كتب الكاتبون عن الجنة ونعيمها ، وصفة أهلها وساكنيها وحورها ، وفاكهتها ومائها وعسلها وخمرها ولبنها ، وظلالها وأنهارها وأشجارها ، وحُلِيها وفرشها ولباسها ، وكلام أهلها والملائكة فيها ، فإنهم يكتبون في إطار: (ما لا عين رأتْ ولا أذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلب بشر). ومن هنا تأتي كلماتُهم وقصائدُهم تقريبية للصورة فقط. والسبب أنهم لم يرَوْا الجنة لتكون كلماتُهمُ انعكاساً لمّا رَأوْا. والحقيقة التي يجب أن ندركها اليوم أن كل نعيم دون الجنة حقير ، وكلَ بلاءٍ دون النار عافية. وأن الغمسة الواحدة في الجنة تُنسِي صاحبَها شقاءَ الدنيا كلَه ، وأن غمسةً واحدة في النار تنسِي صاحبَها نعيمَ الدنيا كلَه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لغدوة في سبيل الله أو رَوْحة خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ولقابُ قوس أحدكم أو موضعُ قدمه في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعتِ امرأة من نساء أهل الجنة إلى أهل الأرض لملأتْ ما بينهما رِيحاً ، ولأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها". انظر صحيح الجامع. وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: شهدتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً وَصفَ فيه الجنة. حتى انتهى. ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ في آخر حديثه: فيها ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطرَ على قلب بشر ، ثم اقترأ هذه الآية: (تتجافى جنوبُهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون* فلا تعلمُ نفسٌ ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون). رواه مسلم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة خيمة من لؤلؤةٍ مجوفة ، عرضُها ستون ميلاً في كل زاويةٍ منها أهلٌ ما يرون الآخرين ، يطوفُ عليهمُ المؤمنون ، وجنتان من فضةٍ آنيتُهما وما فيهما ، وجنتان من كذا ، آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداءُ الكِبْر على وجهه في جنة عدن". صحيح البخاري. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قلنا يا رسول الله ما لنا إذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من أهل الآخرة ، فإذا خرجنا من عندك فآنسنا أهالينا وشممنا أولادنا ، أنكرنا أنفسنا؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أنكم تكونون إذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك لزارتكم الملائكة في بيوتكم ، ولو لم تُذنبوا لجاء الله بخلق جديدٍ كي يُذنبوا فيغفرَ لهم. قال: قلت: يا رسول الله مم خلق الخلق؟ قال: من الماء. قلت: الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة من فضةٍ ولبنة من ذهب ، ومِلاطها المسكُ الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران ، مَن دخلها ينعم لا يبأس ، ويخلدْ لا يموت ؛ لا تبلى ثيابُهم ولا يفنى شبابُهم. ثم قال: ثلاثٌ لا ترد دعوتهم: الإمامُ العادل ، والصائمُ حين يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام ، وتُفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين". صحيح الترمذي. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (إن في الجنة لشجرة يسير الراكبُ في ظلها مائة سنةٍ ما يقطعها ، واقرأوا إن شئتم: (وظل ممدود) ، ولقابُ قوس أحدكم في الجنة خيرٌ مما طلعت عليه الشمس أو تغرب). والحقيقة أنني عجبت من الدنيا وأهلها! أما الدنيا فلستُ أدري لماذا يبيع بعضُ الناس آخرتهم من أجل دنياهم وقد علموا زوالها وحقارتها؟ قال القرطبي في تفسيره للآية الكريمة: (لقد خلقنا الإنسان في كبد): (أول ما يُكابد الإنسانُ قطعَ سُرته ، ثم إذا قُمِط قماطاً ، وشَد رباطاً يُكابد الضيقَ والتعب ، ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع ، ثم يكابد نبْت أسنانه ، وتحرُكَ لسانه ، ثم يكابدُ الفِطامَ الذي هو أشد من اللطام

ثم يكابد الخِتان والأوجاع والأحزان ، ثم يكابد المُعلم وصَولته ، والمؤدبَ وسياسته والأستاذ وهيبته ، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيلَ فيه ، ثم يكابدُ شغلَ الأولاد والخدم والأجناد ، ثم يكابد شغلَ الدور وبناء القصور ، ثم الكِبَر والهِرم ، وضعف الركبة والهَرم ، في مصائبَ يكثر تعدادها ، ونوائبَ يطولُ إيرادُها ، من صداع الراس ووجع الأضراس ، ورمد العين وغم الدين ووجع السن وألم الأذن ، ويكابد محناً في المال والنفس ، مثل الضرب والحبس ، ولا يمضي عليه يومٌ ولا يقاسي فيه شدة ، ولا يكابد إلا مشقة ، ثم الموت بعد ذلك كله ، ثم مساءلة الملك وضغطة القبر وظلمته ، ثم البعثَ والعرضَ على الله ، إلى أن يستقر به القرارُ إما في الجنة وإما في النار). هـ. فالفوز كل الفوز لمن كان من أهل الجنة ، والخسران كل الخسران لمن حرم نفسه بشقوته دخول الجنة ، وإنما أوبق نفسه بدخول دار الإهانة (النار) أعاذنا الله منها. وكان الباعث عن كتابتي عن الجنة أحد الأناشيد الجميلة التي مطلعها: (أن تدخلني ربي الجنة) فقلتُ إذا كنتُ أريد بشعري الجنة فينبغي أن أكتب عنها شعراً!)

نِعـــمَ الفضـــلُ ، ونِعـــم المِنـــة ... أن يُـــــدخلك الله الجنـــــة!

وتـــرى مـــا لا عـــينٌ نظـــرتْ ... ويُكَـــذبُ مَـــن ينظـــرُ عينـــه

وتعـــي مـــا لا أذنٌ ســـمعتْ ... عنـــه ، ولمّـــا تُـــدركْ شـــأنه

تلـــك - علـــى قلـــب - مـــا خطـــرتْ ... بـــل هـــي - مِـــن مَولانـــا - مِنـــة

فـــي الجنـــة رؤيـــة بارينـــا ... ونلاقـــي - فيهـــا - هادينـــا

وملائكـــــة الله تُهنـــــي ... وتُقابلنـــــا ، وتُحيينـــــا

وحوالينـــا رُسُـــلُ المَـــولى ... تبعـــثُ نـــورَ الفرحـــة فينـــا

والشـــهداءُ – لهـــم - دَندنـــة ... والحُـــورُ العِـــينُ تُســـلينا

فـــي الجنـــة أنهـــارٌ حلـــوةْ ... هـــي – للشـــارب - أنقـــى سَـــلوةْ

مِـــن مـــاءٍ لـــم يأسَـــنْ أبـــداً ... أو كوثرِهـــا بيـــد الأســـوة

أو لـــبنٍ طعمتُـــه طابـــتْ ... أو خمـــرٍ لـــذتها حلـــوة

يـــا رب أذقنـــا لـــذتها ... واســـتجب المَأمـــلَ والـــدعوة

فـــي الجنـــة فاكهـــة ينعـــتْ ... ومِـــن الآكـــل بعـــدُ اقتربـــتْ

ونخيـــــــلٌ تُعقِـــــــبُ رُمانـــــــاً وحـــــــدائقُ زينـــــتْ ، وابتشـــــرت

وحَـــــوارٍ مـــــا مَسّـــــتْ بشـــــراً بـــــل صِـــــينتْ ، وعلينـــــا قصِـــــرت

وخيـــــامُ الحُـــــور مُزركشـــــة والحُـــــورُ - علـــــى البُسُـــــط - اتكـــــأت

وحُلـــــيّ الجنـــــة مِـــــن ذهـــــبِ! ولآلـــــئُ تأســـــرُ عـــــن رغـــــبِ

والثـــــوبُ حريـــــرٌ مُخضـــــرٌ يَـــــذهبُ رونقـــــه بـــــالكُرَب

ولهـــــم لحـــــمُ الطيـــــر طعـــــامٌ ممـــــا يرغـــــبُ أهـــــل القُـــــرَب

ومِـــــزاجُ الكـــــافور شـــــرابٌ بعـــــدَ زواج الغِيـــــد العُـــــرُب

والكلمـــــاتُ صـــــدىً وتحايـــــا تعكـــــسُ أخلاقـــــاً وســـــجايا

لا تـــــأثيمَ ، ولا لاغيـــــة إن اللغـــــوَ أذىً وخطايـــــا

بـــــل تســـــليمٌ وتســـــابيحٌ بقلـــــوب ســـــلمتْ ، ونوايـــــا

ونفـــــوسٍ زكّاهـــــا المَـــــولى فـــــي أســـــعد قـــــومٍ وبرايـــــا

ربَ النـــــاس ارزقنـــــا المَـــــأوى إن الجنـــــة خيـــــرُ المَثـــــوى

عُقبـــــى أهـــــل الخيـــــر جميعـــــاً فلنســـــتبق - اليـــــومَ - الخطـــــوا

نحـــــو الجنـــــة دون تـــــرو سَـــــعياً ، أو جَريـــــاً ، أو حَبـــــوا

فلنعمـــــلْ ، ولـــــنخلصْ حتـــــى نـــــدخلَ فـــــي الآخـــــرة المـــــأوى

بُردة أبي بكر الصديق

(معارضة لقصيدة الشاعر العراقي الدكتور عباس الجنابي: الثاني اثنين!)

(منذ زمن بعيد كتب الشاعر العراقي الدكتور عباس الجنابي قصيدته: (الثاني اثنين) يُطري فيها أبا بكر الصديق – رضي الله عنه -. والتي يقول مطلعها:

الثـــاني اثنـــين تبجـــيلاً لـــه نقـــفُ تعظيمُـــه شـــرفٌ مـــا بعـــده شـــرفُ

هـــو الـــذي نصـــر المختـــار أيـــده مصـــدقاً حيـــث ظنـــوا فيـــه واختلفـــوا

إلى أن ختمها الدكتور الجنابي بقوله منتصراً للصديق من أعدائه وخصومه:

يـــا ســـيدي قلـــتُ: عهـــدُ الله يُلزمُنـــي مـــن كـــل أخـــرقَ ســـباب سأنتصـــفُ

ســـأكتُبُ الشـــعر فـــي الأرحـــام أزرعُـــه حتـــى تُحَـــدث عـــن أخبـــارك النطـــف!

إن الكتابة عن الصديق أبي بكر – رضي الله تعالى عنه - شرفٌ كبيرٌ لكاتبها! وإن الذود عنه وسله سلا من ألسنة الحاقدين المغرضين الكارهين أعدائه ، عبادة من العبادات وشعيرة من الشعائر يُثاب عليها فاعلها! ولقد احتارت الأقلام منذ فجر التاريخ في وصف الصديق وبيان كُنه وسبر أغوار خصيته العظيمة! ولعل أصدق ما يوصف به الصديق قول الأديب الكبير محمد حسين هيكل – رحمه الله تعالى -: "هذا الرجل الوديع السمح الأسيف ، السريع إلى التأثر ، وإلى مشاركة البائس في بؤسه والضعيف في ضعفه ، تنطوي نفسه على قوة هائلة لا تعرف التردد ولا الإحجام ، وعلى قدرةٍ ممتازةٍ في بناء الرجال ، وفي إبراز مَلكاتهم ومواهبهم ، وفي دفعهم إلى ميادين الخير العام ، يُنفقون فيها كل ما أتاهم الله من قوة ومقدرة". فمن هو الصديق؟ إنه الصحابي الجليل ذو القدر النبيل عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، وينتهي نسبه إلى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، ويلتقي في نسبه مع النبي (صلى الله عليه وسلم) عند مرة بن كعب ، ومن هذا المنطلق يمكننا بسهولةٍ ويُسر أن نعتبر نبينا – صلى الله عليه وسلم – والصديق أبا بكر – رضي الله تعالى عنه – أبناء عمومة! ويُنسب إلى "تيم قريش" ، فيقال: "التيمي". وكان أبو بكر يُسمَّى في الجاهلية "عبد الكعبة" ؛ فسماه النبي (صلى الله عليه وسلم) عبد الله ، ولقّبه عتيقاً ؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال له: أنت عتيقٌ من النار. وقيل لجمال وجهه وقيل لأنه لم يكن في نسبه شيءٌ يُعاب به ، كما سُمِّي بالصدّيق لتصديقه خبر الإسراء والمعراج! وقِيل كان يُسمى بالصديق في الجاهلية لأنه لم يكذب قط. وأمه سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وهي بنت عم أبيه ، وتُكنَّى أم الخير. يصف الأستاذ الأديب سمير حلب نشأة الصديق العصامية فيقول ما نصه بتصرفٍ يسير: (نشأ أبو بكر في مكة المكرمة ، فلما جاوز الصبا إلى الشباب عمل في التجارة ، فكان بزازًا يبيع الثياب ، واستطاع أن يُحقق نجاحًا كبيرًا في تجارته ، فتزوج في بداية شبابه من قتيلة بنت عبد العزى ، فولدت له عبد الله ، وأسماء (رضي الله عنهما) ، ثم تزوج بعد ذلك من أم رومان بنت عامر بن عويمر ، فأنجب منها عبد الرحمن ، وعائشة (رضي الله عنهما). وكانت تجارته تزداد اتساعاً وتزيد معها أرباحه وثروته ، وقد هيأت له شخصيته القوية وأخلاقه الكريمة بعض أسباب نجاح تجارته ،

فقد كان رجلاً رضي الخلق ، رقيق الطبع ، رزينا لا يغلبه الهوى ، ولا تملكه الشهوة ، يتميز برجاحة العقل وسداد الرأي ، وكان لا يشارك قومه في عقائدهم وعاداتهم ، فلم يشرب خمرًا قط في الجاهلية ، وكان وجيهاً من وجهاء قريش ورؤسائها ، عارفاً بالأنساب بل أعلم قريش بها ، وقد كانت إليه الأشناق (الديات) في الجاهلية. وقد عاش أبو بكر في حي التجار والأثرياء في مكة ، وهو الحي الذي كانت تعيش فيه خديجة بنت خويلد ، ومن هنا نشأت الصداقة بينه وبين النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وكان - لتقاربهما في السن وفي كثير من الصفات والطباع - أكبر الأثر في زيادة الألفة بينهما ، فقد كان أبو بكر يصغر النبي (صلى الله عليه وسلم) بنحو عامين. وحينما بُعث النبي (صلى الله عليه وسلم) ، كان أبو بكر أول من آمن به ، وما إن عرض عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) الإسلام حتى أسلم ، ولم يتردد لحظة في الإيمان به ، وشارك منذ اللحظة الأولى في الدعوة إلى الله بنفسه وماله ، وكان لحب الناس له وإلفهم إياه أثرٌ كبيرٌ في استجابة الكثيرين منهم للإسلام ؛ فقد أسلم على يديه عدد من كبار الصحابة ، منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام ، وغيرهم كثيرون من أهل مكة. وكان إيمان أبي بكر قويًا عظيمًا ، يتعدى كل الحدود ، وتسليمه بصدق النبي (صلى الله عليه وسلم) يفوق كل وصف ، ولعل أصدق ما يوصف به قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده فيه كبوة ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ما عكم حين ذكرت له ، وما تردد". ولعل مرد العجب هنا يكمن في شخصية أبي كبر ذاتها ؛ فهو مع حكمته ورجاحة عقله وجرأته تاجرٌ تقتضي منه تجارته أن يضع حساباً لصِلاته بالناس ، وعدم مواجهتهم بما يخالف مألوف آرائهم وعقائدهم ؛ خشية ما يجره ذلك على تجارته ، ومعاملاته ، ولكنه ارتفع بنفسه فوق ماديات الحياة ، وآثر العقيدة الصحيحة على زيف الحياة وبهرج متاعها. وكان لإسلام أبي بكر دورٌ كبيرٌ في تثبيت دعائم الدين الجديد ، والتمكين له ؛ فهو لم يقف من تأييد الإسلام ونصرته عند حدود الدعوة والإقناع لكسب مزيد من الأتباع ، وتعزية الأرقاء والمستضعفين من المسلمين الذين يُلاقون الكثير من العنت والاضطهاد والتعذيب من الكفار والمشركين ، وإنما كان يبذل من نفسه وماله ؛ فقد أعتق أبو بكر سبعة ممن كانوا يُعذّبون في الله ، منهم بلال بن رباح وعامر بن فهيرة. حتى إنه أنفق ثروته التي اكتسبها من تجارته ، والتي كانت تقدر بنحو أربعين ألف درهم. أنفقها كلها في سبيل الله ، فلما هاجر إلى المدينة بعد نحو عشر سنوات لم يكن معه من ذلك كله غير خمسة آلاف درهم. وقد ذكر له النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك وأثنى عليه فقال: "ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر". وكانت حادثة الإسراء امتحاناً حقيقياً لإيمان المسلمين في صدر الدعوة ، فبعد وفاة أبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وسلم) ووفاة خديجة زوجة النبي (رضي الله عنها) ، وقد كانا نعم العون له في دعوته ، وبعد ما لقيه (صلى الله عليه وسلم) من إعراض أهل الطائف وتعرضهم له وتحريضهم سفهاءهم وصبيانهم عليه - أراد الله تعالى أن يُسرِّي عن نبيه ، فأسرى به إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به إلى السماء ، ولكن الكفار والمشركين اتخذوا هذه الحادثة مثاراً للتندر بالنبي (صلى الله عليه وسلم) والسخرية منه ، والتشكيك في دعوته ، وقد انساق وراءهم بعض ضعاف الإيمان ، ممن أسلموا ، وتردد آخرون ، فلما جاء أبو بكر إلى المسجد واستمع إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو يصف بيت المقدس ، وكان قد زاره من قبل صدّقه في وصفه الذي طابق ما رآه ، فأخرس ذلك ألسنة المشركين ، وثبّت قلوب المؤمنين وأعاد الثقة في نفوسهم ، وقضى على

البلبلة التي أراد هؤلاء المشركون إثارتها).هـ. وكأني بأبي بكر – رضي الله تعالى عنه – يُعده الله إعداداً ليكون له هذا الدور البالغ من نصرة الإسلام ونبيه وكتابه والمؤمنين به فيما بعد! ودوره في الهجرة إلى المدينة درٌ كبيرٌ وعظيمٌ للغاية! فلقد ازداد تعرض المشركين للنبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ، وهاجر كثير من المسلمين إلى الحبشة ، ولكن أبا بكر – رضي الله تعالى عنه - بقي مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وعندما هاجر المسلمون إلى المدينة ظل أبو بكر – رضي الله تعالى عنه - إلى جوار النبي (صلى الله عليه وسلم) ينصره ويسانده في دعوته. وظل أبو بكر في مكة ينتظر اليوم الذي يهاجرُ فيه مع النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة ، بعد أن سبقهما المسلمون إليها ، حتى أذن الله لنبيه بالهجرة. وكان أبو بكر قد أعد العُدة لهذا اليوم ، وجهَّز راحلتين للهجرة إلى المدينة ، وفي الثلث الأخير من الليل خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) من داره بعد أن أعمى الله عيون فتيان قريش المتربصين حول الدار يريدون الفتك به ، وكان أبو بكر في انتظاره وهو يغالب قلقه وهواجسه ، فخرجا إلى غار ثور ليختبئا فيه حتى تهدأ مطاردة قريش لهما. ووصل المشركون إلى الغار ، وصعد بعضهم أعلى الغار للبحث عنهما ، ولم يدر بخلد أحد منهم أنه لا يفصلهم عن مطارديهما سوى ذلك النسيج الواهن الذي نسجته العنكبوت على فتحة الغار. ونظر أبو بكر الصديق إلى أقدام المشركين على باب الغار ، فهمس إلى النبي (صلى الله عليه وسلم): لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا ، فرد النبي (صلى الله عليه وسلم) بإيمان وسكينة: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟". حتى إذا ما يئس المشركون من العثور عليهما انصرفوا راجعين ، فخرجا من مخبئهما يكملان الطريق إلى المدينة. وعاش أبو بكر – رضي الله تعالى عنه - في المدينة حياة هادئة وادعة ، وتزوج من حبيبة بنت زيد بن خارجة فولدت له أم كلثوم! ثم تزوج من أسماء بنت عميس فولدت له محمدًا. وظل أبو بكر إلى جوار النبي (صلى الله عليه وسلم) في المدينة ، بل كان أقرب الناس إليه حتى تُوفي (صلى الله عليه وسلم) في (12 من ربيع الأول 11هـ = 3 من يونيو 632م). وكان لوفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) وقعٌ شديدُ القسوة على المسلمين ؛ فقد أصابهم الذهول ودارت الدنيا من تحت أقدامهم غير مصدقين ، أو أنهم لا يريدون أن يصدقوا ذلك الخبر ، حتى إن عمر بن الخطاب ذهب به الغضب مذهباً كبيراً ، وراح يتوعد الذين يرددون ذلك الخبر ، ويأخذ به الجزع فيقول: ما مات رسول الله ، وإنما واعده الله كما واعد موسى ، وليرجعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليقطعن أيدي أناس وأرجلهم. ولكن أبا بكر برغم ما عُرف به من الرقة والوداعة ، يقف قوياً متماسكاً يستشعر خطورة الموقف ، ويستشرف الأخطار المحدقة بالإسلام والمسلمين ، فيزداد تماسكاً وقوة ، يدفعه إيمانه الشديد بالله ، وحبه وإخلاصه لنبيه إلى اتخاذ موقف إيجابي لإنقاذ المسلمين من هوة الخلف والاختلاف ، والعمل على الحفاظ على وحدتهم وتماسكهم ، وتتجلى قوته النفسية وبُعد نظره إلى المستقبل في تلك الساعة العصيبة التي أخذت بألباب المسلمين وعقولهم ، حينما يقترب من جسد النبي (صلى الله عليه وسلم) المُسجّى ، فيكشف عن وجهه ، ويكب عليه يقبله ، وهو يقول: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله طبت حيا وميتا". ثم أتى المسجد فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال: "أما بعد أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت". ثم قرأ: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين". فخرج الناس يتلونها في سكك المدينة كأنها لم تنزل إلا ذلك اليوم. وما إن علم

الأنصار بوفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يتشاورون ولا يدرون ماذا يفعلون ، وبلغ ذلك المهاجرين فقالوا: نرسل إليهم يأتوننا ، فقال أبو بكر بل نمشي إليهم ، فسار إليهم ومعه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ؛ فتراجع الفريقان الكلام وكثر الجدل واللغط بين الفريقين حتى كاد الشر يقع بينهما أكثر من مرة ، فقال بعض الأنصار منا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر: نحن الأمراء وأنتم الوزراء ؛ فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "الأئمة من قريش" ، وقال: "أوصيكم بالأنصار خيرًا: أن تقبلوا من محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم". واستمر الجدل والخلاف بين الفريقين حتى قال عمر: "أنشدتكم الله هل تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمر أبا بكر أن يصلي بالناس؟ قالوا: اللهم نعم ، قال: فأيكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ فقالوا: كلنا لا تطيب نفسه ، ونستغفر الله. وسارعوا جميعاً بالبيعة لأبي بكر ، فكان لتلك البيعة الفضل في تجميع كلمة المسلمين وتجنيبهم فتنة ضارية وانقسامًا وخِيمًا وحربًا ضروسًا بين أبناء الدين الواحد لا يعلم مداها إلا الله وحده. بعث جيش أسامة كان أول أمر أصدره الخليفة أبو بكر الصديق بعد أن تمت له البيعة هو إنفاذ جيش أسامة الذي جهزه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبيل وفاته لغزو الروم ، والذي كان يضم كبار الصحابة والمهاجرين والأنصار. وقد أبدى بعض المسلمين عدم رضاهم لتولية أسامة قيادة الجيش لصغر سنه ، وأفضوا إلى أبي بكر بمخاوفهم من أن تنقضّ عليهم بعض قبائل العرب المتربصة بالمسلمين وجماعات المرتدين الذين نفضوا أيديهم من الإسلام ، منتهزين فرصة خروج الجيش من المدينة ، وأظهروا له تخوفهم من أن تفترق عنه جماعة المسلمين ، فقال أبو بكر بثقةٍ ويقين: "والذي نفس أبي بكر بيده ، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته". فلم يجد الصحابة بُدًّا من الإذعان لأمر الخليفة ، والامتثال له ، وخرج أبو بكر الصديق يشيّع الجيش وهو ماش وأسامة راكب ليشعرهم بإمارة أسامة فيسلموا له ولا يخالفوه ، وأحس أسامة بالحرج فأراد النزول عن دابته ، وقال: "يا خليفة رسول الله ، والله لتركبنّ أو لأنزلنّ". فقال أبو بكر: والله لا تنزل ، ووالله لا أركب ، وما عليَّ أن أغبّر قدمي في سبيل الله ساعة. وحينما حان الوداع خطب أبو بكر في رجاله قائلاً: "أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ، ولا بعيرًا إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنيةٍ فيها ألوان من الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليه ، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف خفقاً ، اندفعوا باسم الله ، أقناكم الله بالطعن والطاعون". تلك الوصية الخالدة التي صارت تمثل دستور المسلمين في القتال ، وتعبر عن مدى ما بلغه المسلمون من تحضر وإنسانية في الحروب ، في عصور ساد فيها الجهل وفشت الفوضى والغوغاء ، وسيطرت الهمجية على الأمم والشعوب. ولم يخيب أسامة رجاء الخليفة فيه ، فقد استطاع أن يحرز النصر على الروم ، واقتحم تخومهم ، وتوغل في ديارهم ثم عاد بجيشه إلى المدينة ، وقد حقق الغاية التي خرج من أجلها وهي تأمين حدود الدولة الإسلامية ، وإلقاء الرهبة والهيبة في قلوب الروم ، فلا يحاولون التحرش بالمسلمين ، كما أدت إلى كف عرب الشمال

عن محاولات التعرض للمدينة والهجوم عليها. حرب المرتدين انتهزت بعض القبائل التي لم يتأصل الإسلام في نفوسها انشغال المسلمين بوفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) واختيار خليفة له ، فارتدت عن الإسلام ، وحاولت الرجوع إلى ما كانت عليه في الجاهلية ، وسعت إلى الانشقاق عن دولة الإسلام والمسلمين سياسياً ودينياً ، واتخذ هؤلاء من الزكاة ذريعة للاستقلال عن سلطة المدينة، فامتنعوا عن إرسال الزكاة وأخذتهم العصبية القبلية ، وسيطرت عليهم النعرة الجاهلية. واستفحل أمر عدد من أدعياء النبوة الذين وجدوا من يناصرونهم ويلتفون حولهم ، فظهر "الأسود العنسي" في اليمن ، واستشرى أمر "مسيلمة" في اليمامة ، و"سجاح بنت الحارث" في بني تميم ، و"طلحة بن خويلد" في بني أسد ، و"لقيط بن مالك" في عُمان. وكان هؤلاء المدعون قد ظهروا على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ولكن لم يستفحل أمرهم ويعظم خطرهم إلا بعد وفاته. وقد تصدى أبو بكر الصديق لهؤلاء المرتدين بشجاعةٍ وجُرأةٍ وإيمان ، وحاربهم بالرغم من معارضة بعض الصحابة له ، وكان بعضهم يدعوه إلى الرفق بهم والصبر عليهم ، فيجيب في عزم قاطع: "والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقاتلتهم عليه ، والله لأقاتلن من فرَّق بين الزكاة والصلاة". وأرسل أبو بكر الصديق الجيوش لقتالهم حتى قضى على فتنتهم ، وأعاد تلك القبائل على حظيرة الإسلام ، وقد اتسم أبو بكر الصديق ببعد النظر والحكمة وذلك بإصراره على التصدي لهؤلاء المرتدين ، ورفض المساومة على فرض من فروض الدين ، فقد قطع بذلك عليهم الطريق إلى المزيد من المساومات ، كما كان ذلك إعلاناً واضحاً أنه لا تهاون ولا تنازل في أمر يخص الدين أو يتعلق بالعقيدة ، أمام كل من تسول له نفسه من القبائل أن يحذو حذو هؤلاء. جمع القرآن الكريم استشهد عدد كبير من كبار الصحابة ممن يحفظون القرآن الكريم في حروب الردة التي استغرقت أكثر عهد الصديق ، وقد زاد من جزع المسلمين لاستشهاد هؤلاء الأعلام من الصحابة ما يمثله فقد هؤلاء من خطر حقيقي على القرآن الكريم والسنة المشرفة ، وكان عمر بن الخطاب من أوائل الذين تنبّهوا إلى ذلك الخطر ، وبعد تفكير عميق هداه الله إلى فكرة جمع القرآن الكريم ، فلما عرض ذلك على أبي بكر تردد في أول الأمر وقال: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ ولكن عمر ظل يراجعه ويجادله حتى شرح الله صدره لهذا الأمر ، واقتنع برأي عمر فدعا زيد بن ثابت وكلفه بتنفيذ تلك المهمة الجليلة ، فانطلق زيد يجمع القرآن الكريم من الرقاع والعظام وجريد النخل والحجارة الرقيقة ، ثم أخذ يرتبه في آيات وسور ، واتبع في ذلك طريقة عملية دقيقة مُحكّمة ، فكان لا يثبت آية إلا إذا اطمأن إلى ثبوتها بشهادة العدول من الصحابة الحفاظ ، ولا يمنعه من ذلك أنه يحفظ القرآن حتى أتم تسجيله وتدوينه ، كما نزل على النبي (صلى الله عليه وسلم). فكان ذلك العمل هو أعظم أعمال الصديق على الإطلاق على كثرة أعماله وعظمة إنجازاته ، فقد ساهم في حفظ كتاب الله من الضياع ، وصانه من الوهم والخطأ واللحن. وفاته وتُوفي أبو بكر الصديق يوم الجمعة (21 من جمادى الآخرة 13 هـ = 22 من أغسطس 634م) ، ودفن مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في بيت عائشة (رضي الله عنها) ، وقد اختُلف في سبب وفاته ، فذكروا أنه اغتسل في يوم حار فحمّ ومرض خمسة عشر يومًا حتى مات وقيل بأنه أصيب بالسل ، وقيل أنه سُمّ ، وقد رثاه عمر فقال: "رحم الله أبا بكر فقد كلف من بعده تعباً". كما رثاه الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري – رضي الله تعالى عنه -! ويقول الأستاذ الأديب عبد الرحمن بن عبد الله السحيم عن الصديق أبي بكر – رضي الله تعالى عنه -: ما نصه بتصرف زهيد: (ما حاز

الفضائل رجل كما حازها أبو بكر رضي الله عنه. فهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم).هـ. قال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نخيّر بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فنخيّر أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم. رواه البخاري. وروى البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما صاحبكم فقد غامر. وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء ، فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ ، فأقبلت إليك فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر ـ ثلاثاً ـ ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثَمّ أبو بكر؟ فقالوا: لا ، فأتى إلى النبي فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعّر ، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله والله أنا كنت أظلم ـ مرتين ـ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت ، وقال أبو بكر: صَدَق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لي صاحبي – مرتين ـ فما أوذي بعدها. وهو ثاني اثنين في الغار مع نبي الله صلى الله عليه وسلم. قال سبحانه وتعالى: (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا). قال السهيلي: ألا ترى كيف قال: لا تحزن ولم يقل لا تخف؟ لأن حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم شغله عن خوفه على نفسه. وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدّثه قال: نظرتُ إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه. فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ ولما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل الغار دخل قبله لينظر في الغار لئلا يُصيب النبي صلى الله عليه وسلم شيء. ولما سارا في طريق الهجرة كان يمشي حينا أمام النبي صلى الله عليه وسلم وحينا خلفه وحينا عن يمينه وحينا عن شماله. ولذا لما ذكر رجال على عهد عمر رضي الله عنه فكأنهم فضّلوا عمر على أبي بكر رضي الله عنهما ، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر ، لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر ، فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه ، حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا بكر مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي؟ فقال: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك. فقال: يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني؟ قال: نعم والذي بعثك بالحق ما كانت لتكون من مُلمّة إلا أن تكون بي دونك ، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الجحرة ، فدخل واستبرأ ، قم قال: انزل يا رسول الله ، فنزل. فقال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر. رواه الحاكم والبيهقي في دلائل النبوة. وقد أُمِرنا أن نقتدي بهم ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ. رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما ، وهو حديث صحيح بمجموع طرقه. واستقر خليفة للمسلمين دون مُنازع ، ولقبه المسلمون بـ "خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم". وفي الصحيحين عن عائشةَ رضي اللّهُ عنها قالت: لما مَرِضَ النبيّ صلى الله عليه وسلم مرَضَهُ الذي ماتَ فيه أَتاهُ بلالٌ يُؤْذِنهُ بالصلاةِ فقال: مُروا أَبا بكرٍ فلْيُصَلّ. قلتُ: إنّ أبا بكرٍ رجلٌ أَسِيفٌ [وفي رواية: رجل رقيق] إن يَقُمْ مَقامَكَ يبكي فلا يقدِرُ عَلَى القِراءَةِ. قال: مُروا أَبا بكرٍ فلْيُصلّ. فقلتُ مثلَهُ: فقال في الثالثةِ ـ أَوِ الرابعةِ ـ: إنّكنّ صَواحبُ يوسفَ! مُروا أَبا بكرٍ فلْيُصلّ فصلّى. ولذا قال عمر رضي الله عنه: أفلا نرضى لدنيانا

من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا؟! وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى اكتب كتاباً ، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر. وجاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمته في شيء فأمرها بأمر ، فقالت: أرأيت يا رسول الله إن لم أجدك؟ قال: إن لم تجديني فأتي أبا بكر. رواه البخاري ومسلم. وقال عليه الصلاة والسلام: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر. رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه ، وهو حديث صحيح. وكان أبو بكر ممن يُفتي على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. ولذا بعثه النبي صلى الله عليه وسلم أميراً على الحج في الحجّة التي قبل حجة الوداع. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان. وأبو بكر رضي الله عنه حامل راية النبي صلى الله عليه وسلم يوم تبوك. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ، فوافق ذلك مالاً فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً. قال: فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله! قال عمر قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبداً. رواه الترمذي. قال عمرو بن العاص لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قال: قلت: من الرجال؟ قال: أبوها. رواه مسلم. وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال: إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله. قال: فبكى أبو بكر ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خير ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المُخير ، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن مِن أمَنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدّ إلا باب أبي بكر. ومن فضائله رضي الله عنه أن الله زكّاه! قال سبحانه وبحمده: (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى * إِلا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى).وهو من السابقين الأولين بل هو أول السابقين! قال سبحانه: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). وقد زكّاه النبي صلى الله عليه وسلم! فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة". قال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك لست تصنع ذلك خيلاء. رواه البخاري في فضائل أبي بكر رضي الله عنه. ومن فضائله رضي الله عنه أنه يُدعى من أبواب الجنة كلها! قال عليه الصلاة والسلام: من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير ؛ فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة! ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام وباب الريان . فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يُدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر. رواه البخاري

ومسلم. ومن فضائله أنه جمع خصال الخير في يوم واحد! روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة. ومن فضائله رضي الله عنه أن وصفه رجل المشركين بمثل ما وصفت خديجة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما ابتلي المسلمون في مكة واشتد البلاء خرج أبو بكر مهاجراً قِبل الحبشة حتى إذا بلغ بَرْك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارَة ، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأنا أريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي. قال ابن الدغنة: إن مثلك لا يخرج ولا يخرج فإنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكَلّ وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ، وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلادك ، فارتحل ابن الدغنة فرجع مع أبي بكر فطاف في أشراف كفار قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرج ، أتُخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق؟! فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وآمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة: مُر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا! قال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فطفق أبو بكر يعبد ربه في داره ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة في غير داره ، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وبرز فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون وينظرون إليه! وكان أبو بكر رجلاً بكّاءً لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة ، فقدم عليهم فقالوا له: إنا كنا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه في داره ، وإنه جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره وأعلن الصلاة والقراءة وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا ، فأته فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبى إلاّ أن يعلن ذلك فَسَلْهُ أن يرد إليك ذمتك فإنا كرهنا أن نخفرك ، ولسنا مُقرين لأبي بكر الاستعلان . قالت عائشة فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال: قد علمت الذي عقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد إلي ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له قال أبو بكر: إني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله. رواه البخاري. وكان عليّ رضي الله عنه يعرف لأبي بكر فضله! قال محمد بن الحنفية: قلت لأبي – علي بن أبي طالب رضي الله عنه -: أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر ، وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. رواه البخاري. وقال عليّ رضي الله عنه: كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله به بما شاء أن ينفعني منه ، وإذا حدثني غيره استحلفته ، فإذا حلف لي صدقته ، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الطهور ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله تعالى إلا غفر الله له ثم تلا: (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم) الآية. رواه أحمد وأبو داود. ولم يكن هذا الأمر خاصاً بعلي رضي الله عنه بل كان هذا هو شأن بنِيه! قال الإمام جعفر لصادق: أولدني أبو بكر مرتين. وسبب قوله: أولدني أبو بكر مرتين ، أن أمَّه هي فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وجدته هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر. فهو يفتخر في جّدِّه ثم يأتي من يدّعي اتِّباعه ويلعن جدَّ إمامه؟ قال جعفر

الصادق لسالم بن أبي حفصة وقد سأله عن أبي بكر وعمر ، فقال: يا سالم تولَّهُما ، وابرأ من عدوهما ، فإنهما كانا إمامي هدى ، ثم قال جعفر: يا سالم أيسُبُّ الرجل جده؟ أبو بكر جدي ، لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما. وروى جعفر بن محمد – وهو جعفر الصادق - عن أبيه – وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي – رضي الله عنهم أجمعين ، قال: جاء رجل إلى أبي – يعني علي بن الحسين ، المعروف والمشهور بزين العابدين - فقال: أخبرني عن أبي بكر؟ قال: عن الصديق تسأل؟ قال: وتسميه الصديق؟! قال: ثكلتك أمك ، قد سماه صديقاً من هو خير مني ؛ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصار ، فمن لم يُسمه صدِّيقاً ، فلا صدّق الله قوله ، اذهب فأحب أبا بكر وعمر وتولهما ، فما كان من أمر ففي عنقي! ولما قدم قوم من العراق فجلسوا إلى زين العابدين ، فذكروا أبا بكر وعمر فسبوهما ، ثم ابتركوا في عثمان ابتراكا ، فشتمهم. وابتركوا: يعني وقعوا فيه وقوعاً شديداً. وما ذلك إلا لعلمهم بمكانة وزيري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبمكانة صاحبه في الغار ، ولذا لما جاء رجل فسأل زين العابدين: كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأشار بيده إلى القبر ثم قال: لمنزلتهما منه الساعة. قال بكر بن عبد الله المزني رحمه الله: "ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ، ولكن بشيء وَقَرَ في قلبه". وجمع بيت أبي بكر وآل أبي بكر من الفضائل الجمة الشيء الكثير الذي لم يجمعه بيت في الإسلام! فقد كان بيت أبي بكر رضي الله عنه في خدمة النبي صلى الله عليه وسلم ، كما في الاستعداد للهجرة ، وما فعله عبد الله بن أبي بكر وأخته أسماء في نقل الطعام والأخبار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار. وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم هي بنت أبي بكر رضي الله عنه وعنها. قال ابن الجوزي رحمه الله: "أربعة تناسلوا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد". ومن أعماله قبل الهجرة أنه أعتق سبعة كلهم يُعذّب في الله ، وهم: بلال بن أبي رباح ، وعامر بن فهيرة ، وزنيرة الأمة ، والنهدية وابنتها ، وجارية بني المؤمل ، وأم عُبيس. ومن أعظم أعماله التي قام بها بعد تولّيه الخلافة حرب المرتدين! فقد كان رجلا رحيما رقيقاً ولكنه في ذلك الموقف ، في موقف حرب المرتدين كان أصلب وأشدّ من عمر رضي الله عنه الذي عُرِف بالصلابة في الرأي والشدّة في ذات الله! روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستُخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب ، قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمِرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله؟ قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فو الله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق. لقد سُجِّل هذا الموقف الصلب القوي لأبي بكر رضي الله عنه حتى قيل: نصر الله الإسلام بأبي بكر يوم الردّة ، وبأحمد يوم الفتنة. فحارب رضي الله عنه المرتدين ومانعي الزكاة ، وقتل الله مسيلمة الكذاب في زمانه. ومع ذلك الموقف إلا أنه أنفذ جيش أسامة الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم أراد إنفاذه نحو الشام. وفي عهده فُتِحت فتوحات الشام ، وفتوحات العراق. وفي عهده جُمع القرآن ، حيث أمر رضي الله عنه زيد بن ثابت أن يجمع القرآن. وكان عارفاً بالرجال ، ولذا لم يرضَ بعزل خالد بن الوليد ، وقال: والله لا أشيم سيفاً سله الله على عدوه

حتى يكون الله هو يشيمه. رواه الإمام أحمد وغيره. وفي عهده وقعت وقعة ذي القَصّة ، وعزم على المسير بنفسه حتى أخذ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بزمام راحلته وقال له: إلى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد: شِمْ سيفك ولا تفجعنا بنفسك. وارجع إلى المدينة ، فو الله لئن فُجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً ، فرجع أبو بكر رضي الله عنه وأمضى الجيش. وكان أبو بكر رضي الله عنه أنسب العرب ، أي أعرف العرب بالأنساب. ومع هذا كله كان الصديق من أزهد الناس! فلقد مات أبو بكر رضي الله عنه وما ترك درهماً ولا ديناراً! عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قال: يا عائشة انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبح فيها والقطيفة التي كنا نلبسها ، فإنا كنا ننتفع بذلك حين كنا في أمر المسلمين ، فإذا مت فارددية إلى عمر ، فلما مات أبو بكر رضي الله عنه أرسلت به إلى عمر رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه: رضي الله عنك يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك. وكان أبو بكر رضي الله عنه ورعاً زاهداً في الدنيا حتى لما تولى الخلافة خرج في طلب الرزق فردّه عمر واتفقوا على أن يُجروا له رزقا من بيت المال نظير ما يقوم به من أعباء الخلافة. قالت عائشة رضي الله عنها: كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوماً بشيء ، فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهّنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته ، فلقيني فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه. رواه البخاري. بارك الله في الدكتور السحيم وغفر له! فلقد أبدع في إيراد هذه الزبَد من حياة الصديق رضي الله تعالى عنه! أفلا يقرأ هذا الكلام أولئك الأفاكون الكذابون الوضاعون البلهاء السفهاء اذين لا تكف ألسنتهم – أخرسها الله – عن النيل من أبي بكر صباحاً ومساءً؟! إنهم لما خونوا الصحابة حرمهمُ الله تعالى الخير الكثير! وانطلقوا للتاريخ يجمعون الأخبار! والأحاديث الملفقة التي ما صحت أسانيدها فضلاً عن متونها! وراحوا يتلقفون العلل والأكاذيب والتلفيقات المزورة المفبركة وكالوا الدجل والأغاليط والأباطيل عن أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وعلى رأسهم الصديق أبو بكر وعمر بن الخطاب! وزاد الأمر سوءاً وانحطاطاً بأن يسبون الصحابة ويلعنونهم! فكانت هذه البردة في الانتصار للصيق – رضي الله تعالى عنه – وهي خطوة على الطريق! ولا أزعم لها الكمال! بل هو شرف المحاولة ليس إلا!

يـــا ثـــانيَ اثنـــين نَعـــمَ الصِـــهرُ والسَـــلفُ ... أطريـــك بالشـــعر مَمْنونـــاً ، وأنتصِـــفُ

مَـــن ذا يُباريـــك فـــي عِـــز وفـــي نسَـــب ... والنـــاسُ بالنســـب العـــالي لـــك اعترفـــوا؟

أمّـــنْ يُضـــاهيك فـــي الفضـــائل اقتصـــرتْ ... عليـــك وحـــدك فـــي كـــل الألـــى سَـــلفوا؟

أمّـــن يُحاكيـــك فـــي القبيلـــة اتسَـــمتْ ... بخيـــر وصْـــفٍ بـــه الأبـــاة كـــم هتفـــوا؟!

أمـــن يُســـاميك فـــي الألقـــاب قـــد خلعـــتْ ... عليـــك فـــي القـــوم هـــم لقولهـــا ألفـــوا؟

مَكـــيّ مـــن أشـــرف الأعـــراب أجمعِهـــم ... وهـــل علـــى مَجـــدها الأشـــاوسُ اختلفـــوا؟

مِـــن آل (تَـــيْم) وهـــم أماجـــدٌ صُـــدُقٌ ... قـــريشُ والتـــيمُ صِـــيتٌ كلـــه شَـــرف

قبيلـــة أشـــرقتْ فـــي العُـــرب سِـــيرتُها ... دُرٌ يُغلفـــــه اللحـــــاءُ والصَـــــدَف

ووالـــدٌ ضـــاربٌ فيهـــا بســـهم عُـــلا ... ففـــي الذؤابـــة مِـــن أهـــل الحِجـــا يقـــف

(أبـــو قحافـــة) فـــي (تـــيم) كبـــدر دُجـــيً ... وزادَهُ ألقـــاً بـــين الـــورى الحَنـــف

ويـــومَ أســـلمَ حـــاز الفخـــرَ عـــن رغـــب ... وحُـــط عنـــه الـــذي قـــد كـــان يَقتـــرف

أتـــى نبـــيَ الهُـــدى والـــرأسُ ثاغمـــة ... والعقـــلُ مُتـــزنٌ فمـــا بـــه خَـــرَف!

فقـــال: هـــلا أتيـــتُ الشـــيخ أرحمـــهُ ... مـــن مُؤنـــة الســـير تؤذيـــهِ وتعتسِـــف؟

نبينـــا رحمـــة للعـــالمين أتـــتْ ... والصـــحبُ مـــن بعـــده القـــدواتُ والســـلف

قـــال: اخضِـــبوا الشـــيبَ صُـــبوا فوقـــه كتمـــاً ... حتـــى نـــراه عـــن الثغـــام يَختلـــف!

أمـــا (العتيـــقُ) فمحبـــورٌ بوالـــده ... إذ بـــات بـــالحق والإســـلام يلتحـــف

والأم (ســـلمى) خِـــلالَ الخيـــر قـــد جَمعـــتْ ... ذي (أم خيـــر) بهـــذا الإســـم تتصـــف!

وعـــاد داعيـــة فـــي الأهـــل مُبتشـــراً ... يـــدعو ويصـــبر نعـــمَ الـــواعظ الألـــف!

فأســـلمتْ زوجُـــه والأهـــلُ قاطبـــة ... خلـــفَ (العتيـــق) جميـــعُ الأهـــل قـــد وقفـــوا

هـــذا (أبـــو بكـــر) الـــدنيا تـــوقرُهُ ... ولـــيس يبغضـــه إلا الألـــى انحرفـــوا

والغـــارُ يشـــهدُ بالمَعيـــة احتفلـــتْ ... بهـــا التـــراجُمُ والأســـفارُ والصـــحُف

يقـــولُ: يُبْصـــرُنا الكفـــارُ لـــو نظـــروا ... أقـــدامُهم ، وأنـــا واللهِ أرتجـــف!

فقـــال (أحمـــدُ) يـــا صُـــويحبي لا تخـــفْ ... لـــن يغلـــبَ الحـــقَ ذاك الباطـــلُ الصـــلِف

واللهُ يـــا صـــاحبي بعِلمـــه مَعنـــا ... آمـــنْ بربـــك لا تعبـــأ بمـــن صـــدِفوا!

اثنـــان نحـــن ، ورب النـــاس ثالثنـــا ... لا تخـــشَ بطشـــتهم ومـــا لـــه هـــدِفوا!

هـــذا (أبـــو بكـــر) الـــديارُ تشـــهده ... مُـــوكَلاً بـــدياتٍ كالهـــا الجنـــف

فـــي الجاهليـــة لـــم تســـقط بـــه ديـــة ... بـــل كـــان يقضـــي بهـــا قســـراً لمـــن ضـــعفوا

وجبهـــة الشـــهم للأصـــنام مـــا ســـجدتْ ... شـــأنَ الـــذين علـــى أصـــنامهم عكفـــوا

ولـــــم يكـــــنْ يقتـــــل الأولاد تلبيـــــة ... لـــوازع العُـــرف ، بـــئسَ الطبـــعُ والعُـــرُف

لأن فطرتـــــــه تـــــــأبى مَخـــــــارفهم ... فجُـــلّ شُـــبانهم والشـــيبِ قـــد خرفـــوا

وكـــــان يـــــرحمُ مســـــكيناً ومبتئســـــاً ... طغـــى عليـــه الضـــنا والقهـــرُ والشـــظف

وكـــــان يأســـى إذا مـــا شـــاف أرملـــة ... يـــود لـــو صـــدّ مَـــن حقوقهـــا اعتســـفوا

وكـــــان يُكـــــرمُ أيتامـــــاً ويَكفلهـــــم ... وكـــان يـــأتي لهـــم بالشـــيء هـــم شـــغفوا

وأولٌ هـــو فـــي الرجـــال قـــد تبعـــوا ... هَـــدْي النبـــي ، وفـــي حيـــاتهم حَنِفـــوا

وأولٌ هـــو فـــي المحبـــة ارتفعـــتْ ... لأوْجهـــا ، واســـتمى الـــودادُ والشـــغف!

وأولٌ هـــو فـــي الإنفـــاق مـــا بـــذلتْ ... كبذلـــه أبـــداً كفـــوفُ مَـــن صـــرفوا

لـــم يخـــش فقـــراً ولا ضِـــيقاً ولا عـــوزاً ... ولـــم يُهـــدِه إمـــلاقٌ ولا تلـــف

وجـــاء والـــدُه للبيـــت يســـبقه ... حِـرصُ المُفـاوض لـم يَغمُـض لـه طـرف

يقـــول: هـــذا عتيـــقٌ جـــادَ مُنـــدفعاً ... لـــم يُبـــق للأهـــل دُرّاتٍ بهـــن كُفـــوا!

فأقبلـــتْ بنتُـــه (أســـماءُ) حاملـــة ... بعـــضَ الحصـــى جَمعـــتْ شَـــتاته الشـــعُف

تقـــول: هـــذي بقايـــا المـــال خلفهـــا ... أبـــي ، فأبشـــرْ ولا يرُجّـــك الأســـف!

فقـــال: أســـعدْتِني ، فلـــم يعُـــدْ قلـــقٌ ... ولـــم يعـــدْ أرقٌ فـــي القلـــب أو أفـــف!

وفـــي (تبـــوكٍ) أبـــو بكـــر يُجهزهـــا ... وبُغيـــة العـــف مـــن إلهـــه الزلـــف!

إذ جهـــز الجـــيشَ تجهيـــزاً يتيـــهُ بـــه ... كـــي لا يســـود بهـــذا العـــالم الغســـف

يريـــدُ نصـــرَ جنـــود الله ، يَـــدْعمهم ... فحبـــذا رغبـــة! وحبـــذا الهـــدف!

ولـــم يقـــلْ عـــن (تبـــوكٍ) كـــم تُكلفنـــي ... بـــل قـــال: يـــا حبـــذا التكليـــفُ والكُلـــف!

وحَـــجّ بالصـــحب فـــي مكـــان قائـــدهم ... فلـــم يُصِـــبه غـــرورُ الـــنفس والصـــلف!

ووقـــر الصـــحبُ حجـــاً كـــان قائـــده ... وثمّنـــوا بذلـــه جـــداً ومـــا أنفـــوا!

وكـــان خلّفـــه النبـــيُ فـــي مـــرض ... نعـــمَ الخليفـــة والتخليـــفُ والخلـــف!

وجـــــيء بالمصـــــطفى يـــــؤمّ أمتـــــه ... والصـــحبُ مِـــن حُـــبهم عليـــه قـــد عطفـــوا

أمـــــا (العتيـــــقُ) ففـــــوراً عـــــاد خطوتـــــه ... إلـــى الـــورا خلـــفَ مَـــن خِلافـــه وقفـــوا

فقـــــال (أحمـــــدُ): يـــــا صـــــديقُ أمّ بنـــــا ... فـــلا يكـــون مِـــن المِحـــراب منصـــرف!

أنـــــت الإمـــــامُ فكـــــنْ بـــــالأمر مشـــــتغلاً ... والأمـــــرُ جـــــدٌ ، فـــــلا لـــــينٌ ولا طـــــرَف!

وكنـــــت أهـــــلاً لِمَـــــا المُختـــــارُ رَشّـــــحه ... مِـــــن الإمامـــــة بالتوحيـــــد تلتحـــــف

خليفـــــة لـــــم تـــــرَ الـــــدنيا لـــــه شَـــــبهاً ... فـــــلا عُلـــــوٌ علـــــى الأنـــــام أو تـــــرف

ولا تـــــرَبّحَ مِـــــن وظيفـــــةٍ وُكِلـــــتْ ... إليـــــه مثـــــل الألـــــى تُغـــــريهمُ الوُظـــــف

تكليـــــفٌ الأمـــــرُ لا تشـــــريفَ يدمغـــــه ... ولـــــيس ســـــيفَ أذىً يعلـــــو بـــــه الطلـــــف

وبـــــايعَ الكـــــلُ فـــــي سِـــــر وفـــــي علـــــن ... مِـــــن بعـــــد أن رحـــــلَ النبـــــي ، واختلفـــــوا

بكـــــوا كثيـــــراً علـــــى رحيـــــل أســـــوتهم ... وعـــــن حقيقـــــة حُـــــب المُجتبـــــى كشـــــفوا

لكـــــنهم وجـــــدوا صِـــــدّيقهم جـــــبلاً ... مـــــن الثبـــــات ، يُواســـــي الـــــدمّ قـــــد نزفـــــوا

مِـــــن بعـــــد أن وقـــــفَ (الفـــــاروق) يُعلنهـــــا ... وللكـــــلام صَـــــدىً بالبـــــأس يتصـــــف

يقـــــول مختارنـــــا مضـــــى لموعـــــدةٍ ... مـــــع المليـــــك ، فـــــلا حـــــزنٌ ولا أســـــف

وســـوف يـــأتي كمـــا (موســـى) الكلـــيمُ أتـــى ... وإن ذا قـــــدرٌ ، ومـــــا بـــــه صُـــــدَف!

ومَـــــن يقـــــلْ مـــــات فالحســـــامُ مَوعـــــدُه ... يمـــــوتُ نـــــاسٌ إذا فـــــي قـــــولهم هرفـــــوا

بالســـيف أحصـــدُ مَـــن بانـــت ســـخافتُه ... ولســـتُ أســـمعُ مَـــن أقـــوالهم ســـخف

فقـــــامَ صِـــــدّيقنا خطيـــــبَ منبـــــره ... والعلـــــمُ فـــــي قلبـــــه والفقـــــهُ والثقـــــف

حتـــــى يُعـــــالجَ مَـــــن خـــــارتْ عـــــزائمُهم ... وشـــــفها الوجـــــدُ والإيـــــلامُ والرجَـــــف

فقـــــال: يـــــا أيهـــــا الأقـــــوامُ فاســـــتمعوا ... وأنصـــــتوا للـــــذي أقـــــولُ ، واعترفـــــوا

مَـــــن كـــــان يعبـــــدُ فـــــي الـــــدنيا (محمـــــدَنا) ... فإنـــــه مـــــات ، يـــــا عُبّـــــادُ فانصـــــرفوا!

ومَـــــن لـــــرب الســـــما قـــــد عـــــاشَ يعبـــــدُه ... وبالإطاعـــــــة للـــــــرحمن مُتصـــــــف

فـــــإن رب الســـــما لا مـــــوت يُدركُـــــه! ... إن الإلـــــه عـــــن المخلـــــوق مختلـــــف

نمـــــوتُ نحـــــن ، ويبقـــــى الله خالقنـــــا ... إنـــي أخاطـــبُ مَـــن لانـــوا أو ارتجفـــوا

عُـــودوا لرُشْـــدِكمُ يـــا قـــوم ، واعتـــدلوا ... ولا يُضـــــلنكم زيـــــغ ولا سَـــــرف!

أقـــــول أنصـــــحكم ، واللهُ ســـــائلني ... وكـــم عـــذرتُ الألـــى فـــي كـــربهم ضـــعفوا!

بـــــايعتموني علـــــى كـــــوني خليفـــــتكم ... هـــــل مـــــنكمُ أحـــــدٌ علـــــيّ مختلـــــف؟

قلـــتم: رضـــينا! وإنـــي اليـــوم فـــي مِحـــن ... ولســـــتُ للأمـــــر أســـــبيه وأختطـــــف

إمـــــا اســـــتقمتُ فعـــــوني واجـــــبٌ أبـــــداً ... والســـــيفُ يَقصـــــمني إن كنـــــتُ أنحـــــرف!

أســـــقطتُ كـــــل حقـــــوقي فـــــي خلافـــــتكم ... والواجبـــــات أنـــــا بهـــــا ســـــألتحف

والجـــيشَ أرســـلتُ كـــي يلقـــى (مُســـيلمة) ... فقـــــد تملكـــــه الغـــــرورُ والصـــــلف

فقـــــال: إنـــــي رســـــولٌ ، فـــــاقتفوا أثـــــري ... ودعـــــوة الغِـــــر مثـــــلُ الـــــثلج تَرتكِـــــف

راجـــــتْ وأيّـــــدَها أعتـــــى جـــــلاوذةٍ ... مِـــــن الـــــذين ســـــبا عقـــــولهم خـــــرف

وبـــــاء بالنصـــــر جـــــيشٌ أنـــــت قائـــــده ... وجنـــدُك الشـــم جـــيشَ الكفـــر قـــد نســـفوا

وإن تـــــراهُ بـــــ (أجنـــــادينَ) منتصـــــراً ... والجنـــدُ عـــن عـــزة الإســـلام قـــد كشـــفوا

و(مَـــرْج صُـــفرنا) بالنصـــر قـــد ظفـــرتْ ... علـــى الأعـــادي الألـــى بســـحْقنا هتفـــوا

والنصـــرُ باغـــت فـــي (اليرمـــوك) مَـــن دَحـــروا ... جنـــدَ العـــدا ببطـــولاتٍ بهـــا عُرفـــوا

حتـــــى إذا فتحـــــت (شـــــامٌ) و(حِيرتُنـــــا) ... وغـــرّدَ اليُســـر فـــي الأصـــقاع والثطـــف

الله أكبـــــر يـــــا صِـــــدّيق أمتنـــــا ... يـــا مَـــن قصـــيدتنا عنـــهُ لنـــا شـــرف!

(ابـــنُ الســـليمان) مَـــن حتـــى يُشـــرّفكم؟! ... إن صـــاغ عـــنكم فـــأهلوهُ بكـــم شَـــرُفوا

أعتقـــت ســـبعة أصـــحاب تريـــدُ لهـــم ... عيشـــاً كريمـــاً ففيـــه الـــرزقُ والكَنَـــف

أشـــفقت لمّـــا رأيـــت العبـــدَ مُنجـــدلاً ... علـــى البطـــاح ومِنـــه الـــدمُ يرتعـــف!

وكنـــتَ فـــي العلـــم والإفتـــاء مدرســـة ... منهـــا جميـــعُ الـــورى والصـــحب كـــم رشـــفوا

وكنـــتَ أتقـــى بـــنص الـــذكر نقرؤهـــا ... و(الليـــلُ) لـــيس مـــدى الأيـــام ينخســـف!

كنـــــتَ اغتســـــلت بليـــــل بـــــاردٍ فـــــإذا ... بالليـــــل يهـــديك أســـقاماً بهـــا التلـــف

فمـــت مـــن بعـــدها ، والنـــاسُ قـــد حزنـــوا ... وبالمصـــيبة فيـــك الكـــل قـــد أســـفوا!

عُقـــودَك الســـت يـــا صِـــديقنا انصـــرمتْ ... وجـــاءك المُنتهـــى للـــروح يقتطـــف

أســـلمت روحـــك للـــديان عـــن رغـــب ... وكلنـــا مِـــن كـــؤوس المـــوت نرتشـــف

ربـــاه فـــارضَ عـــن الصـــديق مـــا طلعـــتْ ... شـــمسٌ ، وبللـــتِ المَرابـــعَ النتـــف!

ودمـــــرَ اللهُ مَـــــن يُـــــزري بســـــيرته ... هـــل الغضـــنفرُ هـــل يُـــزري بـــه نغـــف؟!

يـــا رب صُـــنْ عِرضَـــه مـــن أن يُدنســـه ... قـــومٌ كِتـــابتُهم عنـــهُ هـــي القـــرف!

لا يُثبتـــون الـــذي يُلقـــون مِـــن شُـــبَهٍ ... وعنـــدهم يســـتوي الطعـــامُ والعلـــف!

لا نقـــل قـــد ظهـــرتْ لهـــم أدلتـــه ... والعقـــلُ أودى بـــه التزويـــرُ والخـــرف

يغـــالطون ، ومـــن يُصـــغي لـــذي غلـــطٍ ... ويهرفـــون بشـــيءٍ عنـــه مـــا عرفـــوا!

أراحـــك الله يـــا صـــديق مـــن بُهُـــم ... قـــد اســـتوى الـــثَخْن عنـــد العيـــر والعَجَـــف

فـــداك أمـــي أيـــا صِـــدّيقنا وأبـــي ... مـــا صُـــوّرتْ فـــي دجـــى أرحامِهـــا النطـــف

بُردة عائشة

فداكِ أبي وأمي ونفسي يا ابنة الصِدّيق!

(بُردة عائشة – معارضة لقصيدة الدكتور عائض القرني)

(لقد قرأتُ الكثير عن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما -! سواءً في ذلك لكُتاب من الأقدمين الغابرين أو من الحاضرين المعاصرين: نثراً وشعراً! حتى كانت بُردة الدكتور الشاعر عائض القرني عن عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما - ، فتواصلتُ معه وأرسل لي بعض أبياتها والتمستها كاملة ، وطالعتُها في نهم وشوق وتوأدة ، فألفيتُها مُعلقة مُذهبة حَولية مِيمية من عيون شعر العرب في الانتصار لأم المؤمنين عائشة! ولفرط إعجابي بها رأيتُ أن أعارضها ، ووعدتُ الدكتور بذلك! والحقيقة أننا أمام امرأةٍ عظيمةٍ ذاتِ مناقبَ وسجايا ، يعجز عن الإتيان بها الرجال! ونحن ننتصر لأمهاتنا في النسب ممن ينال منهن بحق أو بغير حق! فما بالنا لا ننتصر بالحق المحض لأمهاتنا في العقيدة والتوحيد؟ وخاصة إن كنا أمام واحدةٍ من النساء قد عقمتْ أرحامُ النساء في القديم والحديث عن أن تلد مثلها! امرأة بقامة عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – جيرة بالدفاع عنها اليوم وأمس وغداً ضد الحملة المسعورة الملعونة التي تنال منها بالباطل! ألا لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على كل من نال منها بالباطل! إننا أمام امرأةٍ ذاتِ مناقبَ وفضائلَ لا نكاد نجدها مجتمعة في امرأة مثلها! فمن فضائل أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ومناقب حبيبة رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: 1 - أنها أمُّ المؤمنينَ أمُّ عبدِ الله: عائشةُ بنتُ الإمام الصِّدِّيق الأكْبر ، خليفةِ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أبِي بَكْرٍ عبدِ الله بنِ أبي قُحَافةَ عثمانَ بنِ عامرِ بن عمرو بن كعْب بن سعْد بن تَيْم بن مُرَّة ، بن كعْب بن لُؤيٍّ ; القرشيَّة التيميَّة ، المكيَّة ، النبويَّة ، أم المؤمنين ، زَوْجة النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - أفْقَه نِساءِ الأُمَّة على الإطلاق. وأمُّها هي: أُمُّ رُومانَ بنتُ عامرِ بن عُوَيمر ، بن عبدِ شمْس ، بن عتاب ابن أُذينة الكِنانية. وعلى هذا تكون عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – في الذؤابة من حيث النسب العريق العظيم! هاجَر بعائشةَ أبواها ، وتزوَّجها نبيُّ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قبل مُهاجرِه بعدَ وفاة الصِّدِّيقة خديجة بنت خُوَيلد – رضي الله عنها - ، وذلك قبلَ الهِجرة ببضعة عشَرَ شهرًا ، وقيل: بعامين ، ودخَل بها في شوَّال سَنةَ اثنتين مُنصرفَه - عليه الصلاة والسلام - مِن غزوةِ بدر ، وهي ابنةُ تِسْع ، فرَوَتْ عنه عِلمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، وعن أبيها ، وعن عمر ، وفاطمة ، وسعْد ، وحمْزَة بن عمرو الأسْلمي ، وجُدَامَةَ بنتِ وهْب. 2- حُبُّ النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - لها: فلقد اختارَها الله لنبيِّه ، حيثُ رآها في المنام ، كما جاء في الصحيحَيْن - واللَّفْظ لمسلِم - عن عائشةَ قالتْ: قال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: (أُريتكِ في المنام ثلاثَ ليالٍ ، جاءَني بكِ المَلَك في سَرَقةٍ (قطعة) مِن حريرٍ ، فيقول: هذه امرأتُك ، فأَكْشِف عن وجْهِكِ ، فإذا أنتِ هي ، فأقول: إنْ يَكُ هذا مِن عندَ الله يُمضِه). وعن عمرِو بن العاص - رضي الله عنه - قال: بعَثَني رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - على جيشِ ذاتِ السلاسل ، قال: فأتيتُه قال: قلتُ: يا رسولَ الله ، أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: (عائشة) ، قال: قلت: فمِن الرِّجال؟ قال: (أبوها إذًا) ، قال: قلت: ثُمَّ مَن؟ قال: (عمر) ، قال: فعدَّ رِجالاً ؛ أخرجه الشيخان. 3- دعاءُ النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - لها: عن عائشةَ قالت: لمَّا رأيتُ مِن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - طِيبَ النَّفْس قلت: يا رسولَ الله ، ادعُ اللهَ لي ، فقال: (اللهمَّ اغفرْ لعائشةَ ما تقدَّم مِن ذنبِها وما تأخَّر ، وما أسَرَّتْ

وما أعْلَنتْ) ، فضحِكتْ عائشةُ حتى سقَط رأسها في حِجْرِ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - من الضحِك ، فقال: (أيَسرُّكِ دُعائي؟) ، فقالت: وما لي لا يَسرُّني دعاؤك؟! فقال: (واللهِ إنَّها لدَعْوَتي)! أخرجه البزَّار في مسنده ، وحَسَّنه الألباني. 4- ثناءُ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وصحابته عليها: عن أبي موسى الأشعريِّ - رضي الله عنه - قال: قالَ رسولُ اللَّهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: (كَمَلَ منَ الرِّجال كثيرٌ ، ولم يَكْمُلْ منَ النِّساءِ إلاَّ مريمُ بنتُ عِمرانَ ، وآسِيةُ امرأةُ فِرعونَ ، وفضْلُ عائشةَ على النِّساءِ كفَضْلِ الثَّريدِ على سائرِ الطعام). صحيح البخاري. وعَنْ عَائِشَةَ - رضِي الله عنها - قَالَتْ: قال - صلَّى الله عليه وسلَّم - يَوْمًا: (يا عائِشَ ، هَذا جبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ) ، فَقُلْتُ: وَعليه السلام ورحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكاتُه ، تَرَى ما لا أَرى - تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلَّى الله عليه وسلَّم! رواه الشيخان - البخاريُّ ومسلم. وعن الحَكَمِ: سمعتُ أبا وائلٍ قال: "لَمَّا بعَثَ عليٌّ عَمَّارًا والحسنَ إلى الكوفَة ؛ ليستَنفِرَهم ، خَطبَ عمَّارٌ فقال: إنِّي لأعلمُ أنَّها زوجتُهُ في الدُّنيا والآخِرة ، ولكنَّ اللَّهَ ابتَلاكم ؛ لتتبعوهُ أو إيَّاها". رواه البخاري. وعَنْ أَنَسِ بن مالكٍ - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - يَقولُ: (فَضْلُ عائِشَةَ على النِّساءِ كَفَضْلِ الثَّريدِ على الطَّعام)! رواه الشيخان - البخاري ومسلم. 5- وأما عن عبادتها وزُهدها: فلقد كانتْ أُمُّ المؤمنين كثيرةَ الصيام ، حتى ضعُفت بنيتُها جداً ، كما جاء في السِّيَر للذهبي - رحمه الله تعالى - عن عبد الرحمن بن القاسِم ، عن أبيه: أنَّ عائشةَ كانتْ تصوم الدَّهْر. كما كانتْ زاهدةً في الدنيا ، فعَنْها قالت: "ما شَبِع آلُ محمَّد يومَيْن من خُبزِ بُرٍّ إلا وأحدهما تَمْر". متفق عليه. وعن عطاء: أنَّ معاويةَ بعَث إلى عائشةَ بقِلادةٍ بمائةِ ألْف ، فقسمتْها بيْن أمَّهات المؤمنين. وعن عُروةَ ، عن عائشة: أنَّها تصدَّقتْ بسَبْعِين ألفًا ; وإنَّها لتُرقِّع جانبَ دِرْعها - رضي الله عنها. وعن أُمِّ ذَرَّة ، قالت: بعَث ابنُ الزبير إلى عائشةَ بمالٍ في غِرَارتَيْن ، يكون مائة ألْف ، فدَعَتْ بطَبق ، فجعَلتْ تُقسم في الناس ، فلمَّا أمسَت ، قالت: هاتِي يا جاريةُ فُطوري ، فقالت أمُّ ذَرَّة: يا أمَّ المؤمنين ، أمَا استطعتِ أن تشتري لنا لحمًا بدِرْهم؟! قالت: لا تُعنِّفيني ، لو أذْكَرتِني لفعلتُ. 6- فِقهُ وعِلم أمِّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: قال الزُّهريُّ: لو جُمِع عِلمُ عائشة إلى عِلمِ جميعِ النساء ، لكان علمُ عائشةَ أفْضلَ. كما أنَّ الله قد وهَبَها الذكاءَ والفِطنة ، وسُرعةَ الحافظة ، قال ابن كثير: "لم يَكُن في الأُممِ مثلُ عائشةَ في حِفْظها وعِلْمها ، وفصاحتِها وعَقْلِها". ويقول الذهبيُّ: "أفْقَهُ نِساء الأمَّة على الإطلاق ، ولا أعْلمُ في أمَّة محمَّد ، بل ولا في النِّساء مُطلقًا امرأةً أعلمَ منها". وقدْ تجاوز عددُ الأحاديث التي روتْها ألْفَيْن ومائة حديث عن النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهي مُشتَهِرة في كُتُب السُّنَّة: البخاري ومسلم ، والسُّنن والمسانيد ، وغيرها ؛ قال الحافظُ الذهبيُّ: مُسْنَد عائشة يبلُغ ألْفَين ومائتين وعشرة أحاديث ؛ اتَّفق البخاريُّ ومسلمٌ لها على مائةٍ وأربعةٍ وسبعين حديثًا ، وانفرَد البخاريُّ بأربعةٍ وخمسين ، وانفرد مسلِمٌ بتِسعة وستِّين. ويقول عُروةُ بنُ الزُّبَيْر: "ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بفِقه ، ولا بِطبٍّ ولا بِشِعر من عائشةَ - رضي الله عنها". وقال فيها أبو عُمرَ بنُ عبد البرِّ: "إنَّ عائشةَ كانتْ وحيدةً بعصرها في ثلاثةِ علوم: علم الفقه ، وعلم الطب ، وعلم الشِّعر". كما كانتِ المرجعَ الكبيرَ لكِبار الصحابة ، خاصَّة عندَ المواقف والملمَّات ، كما كانتْ تُفتي بما لدَيْها من عِلمٍ وفِقه في عهد الخليفةِ عمرَ وعثمانَ - رضي الله عنهما - إلى أن تُوفِّيت - رحمها الله ورضي عنها. 7- نزول براءتِها مِن حادثة الإفْك من عندَ الله تعالى: وقدْ تعرَّضَتْ - رضِي الله عنها - إلى ابتلاءٍ شديد ، وفِتْنةٍ كبيرة ، حيث طَعَن في شرَفِها وعِرْضها المنافقون في المدينة ، فأنْزَل الله براءتَها من فوقِ سبعِ سموات ، وقد قالتْ - رضي الله عنها - كما في

الصحيحين: "... ثُمَّ تحولتُ واضطجعتُ على فِراشي ، والله يعلم أنِّي حينئذٍ بريئةٌ ، وأنَّ الله مُبرِّئي ببراءتي ، ولكن واللهِ ما كنتُ أظنُّ أنَّ الله منزلٌ في شأني وحيًا يُتْلَى ، لشأني في نفْسي كان أحْقرَ مِن أن يتكلَّم الله فيَّ بأمْر ، ولكن كنتُ أرْجو أن يرَى رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - في النومِ رُؤيَا يُبرِّئني الله بها ، فواللهِ ما رام رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم – مجلسَه ، ولا خرَج أحدٌ مِنْ أهل البيت حتَّى أُنزِل عليه ، فأخَذَه ما كان يأخُذُه من البُرَحَاء ، حتى إنَّه ليتحدَّر منْه مِن العَرَق مثل الجُمَان ، وهو في يومٍ شاتٍ مِن ثِقَلِ القوْل الذي أُنزِل عليه. قالت: فَسُرِّي عن رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهو يَضْحَك ، فكانتْ أوَّل كَلمةٍ تَكلَّم بها أنْ قال: (يا عائشةُ ، أمَّا اللهُ فقدْ بَرَّأكِ) ، قالت: فقالتْ لي أُمِّي: قُومِي إليه ، فقلتُ: واللهِ لا أقومُ إليه ، فإنِّي لا أحْمَدُ إلاَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ. قالت: وأنزَل الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ). قال ابنُ كثير: "فغار اللهُ لها وأنْزَلَ براءتَها في عشْر آياتٍ تُتلى على الزمان ، فسَمَا ذِكْرُها ، وعلا شأنُها ؛ لتسمعَ عفافَها وهي في صِباها ، فشَهِدَ الله لها بأنَّها مِنَ الطَّيِّبات ، ووعدَها بمغفرةٍ ورِزق كريم". ومَع هذه المنزِلَةِ العالية ، والتبرِئة العالية الزكيَّة مِنَ الله تعالى ، تَتَواضَعُ وتقول: "ولَشَأنِي في نفْسي أهونُ مِن أن يُنزِل الله فيَّ قرآنًا يُتْلَى"! 8- وأما عن خصائص أمِّ المؤمنين - رضي الله عنها -: فيقول ابنُ القيِّم - رحمه الله تعالى -: ومِن خصائصها الفريدة: أنَّها كانتْ أحبَّ أزواج رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم – إليه ، كما ثبَت عنْه ذلك في البخاريِّ وغيره ، وقد سُئِل: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: (عائشة) ، قيل: فمِن الرِّجال؟ قال: (أبوها). ومِن خصائصها كذلك: أنَّه لَمْ يتزوَّج امرأةً بِكرًا قط غيرها ، ومن خصائصها أيضاً: أنَّه كان يَنزِل عليه الوحيُ وهو في لحافِها دونَ غيرِها ، ومِن خصائصها: أنَّ الله - عزَّ وجلَّ - لَمَّا أنزل عليه آيةَ التخيير بدأ بها فخيَّرها ، فقال: (ولا عليكِ ألاَّ تَعْجَلي حتى تستأمري أَبَوَيك) ، فقالت: أفِي هذا أسْتَأمِر أبوي؟! فإنِّي أُريد اللهَ ورسولَه والدارَ الآخِرة ، فاستنَّ بها - أي: اقتَدَى - بقيةُ أزواجه - صلَّى الله عليه وسلَّم - وقُلْنَ كما قالتْ. ومِن خصائصها: أنَّ الله سبحانه برَّأها ممَّا رماها به أهلُ الإفك ، وأنْزَل في عُذرِها وبراءتِها وحيًا يُتْلَى في محاريبِ المسلمين وصلواتهم إلى يومِ القيامة ، وشَهِد لها بأنَّها مِنَ الطيِّبات ، ووعَدَها المغفرةَ والرِّزقَ الكريم ، وأخْبَر سبحانه أنَّ ما قيل فيها مِنَ الإفك كان خيرًا لها ، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شَرًّا لها ، ولا عائبًا لها ، ولا خافضًا مِن شأنها ، بل رَفَعها الله بذلك وأعْلى قدْرَها ، وأعْظَمَ شأنها ، وصار لها ذِكرًا بالطيب والبراءة بيْن أهلِ الأرض والسماء ، فيا لها مِن مَنْقَبة ما أجلَّها! ومِن خصائِصها - رضي الله عنها -: أنَّ الأكابرَ مِنَ الصحابة - رضي الله عنهم - كان إذا أَشْكَل عليهم أمرٌ مِن الدِّين استفتوها فيَجِدون علمَه عندَها. ومِن خصائصها - رضي الله عنها -: أنَّ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - تُوفِّي في بيتها ، وفي يومِها ، وبيْن سَحْرِها ونَحْرها ، ودُفِن في بيتها. ومِن خصائصها - رضي الله عنها -: أنَّ الناسَ كانوا يتحرَّوْن بهداياهم يومَها مِن رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - تقربًا إلى الرسولِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - فيُتْحفونَه بما يحبُّ في منزلِ أحبِّ نسائِه إليه - صلَّى الله عليه وسلَّم ورضي الله عنهنَّ أجمعين. وقال الإمام بدرُ الدِّين الزَّرْكشيُّ في "الإجابة لإيراد ما استدركتْه عائشةُ على الصحابة" - وهو يَتكلَّم في خصائصها ، رضي الله عنها – الأربعين ، قال: "والخامِسة - أي: مِن الخصائص -: نزول براءتِها منَ السماء بما نَسَبه إليها أهلُ الإفك في ستَّ عشرةَ آية متوالية ، وشَهِد لها بأنَّها من الطيِّبات ، ووعَدها بالمغفرةِ والرِّزق الكريم ، قال: والسادس: جَعله قُرآنًا يُتْلَى إلى يومِ القيامة ؛ أي: الآيات التي نزلَتْ في براءتِها. وقال - في العاشرة -: وجوب محبَّتِها على كلِّ أحد ، ففي

الصحيح: لمَّا جاءتْ فاطمة - رضي الله عنها - إلى النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال لها: (ألسْتِ تُحبِّين ما أُحبُّ؟) قالت: بلى ، قال: (فأَحبِّي هذه - يعني: عائشة) ، وهذا الأمْرُ ظاهِرُه الوجوب. وقال - في الحادية عشرة -: إنَّ مَن قذَفها فقَدْ كفَر ؛ لتصريحِ القرآن الكريم ببراءتِها ، وقال - في الثانية عشرة -: مَن أنْكَر كونَ أبيها أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق - رضي الله عنه - صحابيًّا كان كافرًا ، نصَّ عليه الشافعيُّ ، فإنَّ الله تعالى يقول: (إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) ، ومُنكِر صُحْبةِ غير الصِّدِّيق يَكْفُر لتكذيبه التواتُر ؛ انتهى مختصرًا. 9- وفاتها - رضي الله عنها -: تُوفِّيت - رضي الله عنها وأرْضاها - سَنَةَ سَبْعٍ وخمسين على الصحيحِ ، وقيل: سَنَة ثمان وخمسين ، في ليلةِ الثلاثاء لسَبْعَ عشرةَ خَلَتْ مِن رمضان بعدَ الوتر ، ودُفنت من ليلتها ، وصلَّى عليها أبو هريرة ، بعدَ أن عمرتْ ثلاثًا وستين سَنَة وأشهرًا - كما ذَكَر الذهبيُّ في "السِّير". 10- حُكم الإسلام فيمَن سبَّ أمَّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: قال تعالى في تزكيةِ أمِّ المؤمنين ومكانتِها وغيرِها من زوجاتِ النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ). وقدْ أجْمَع علماءُ الإسلام قاطبةً مِن أهل السُّنَّة والجماعة على أنَّ مَن سبَّ أمَّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ورَماها بما برَّأها الله منه أنه كافِرٌ، ورُوي عن مالكِ بن أنس أنَّه قال: مَن سَبَّ أبا بكرٍ وعُمرَ جُلِد ، ومَن سَبَّ عائشةَ قُتِل ، قيل له: لِمَ يقتلُ في عائشة؟ قال مالك: فمَن رماها فقدْ خالَفَ القرآن ، ومَن خالف القرآنَ قُتِل. قال أبو مُحمَّد ابنُ حزْم الظاهريُّ - رحمه الله-: قول مالك هذا صحيحٌ ، وهي رِدَّة تامَّة ، وتكذيبٌ لله تعالى في قَطْعِه ببراءتها. وقال أبو الخطَّابِ ابنُ دِحية في أجوبة المسائل: وشَهِد لقول مالك كتابُ الله ، فإنَّ الله إذا ذَكَر في القرآن ما نَسَبه إليه المشرِكون سبَّح نفسَه لنفسِه ، قال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ) ، والله تعالى ذَكَر عائشةَ ، فقال: (وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) ، فسبَّح نفْسَه في تنزيهِ عائشةَ ، كمَا سبَّح نفسَه لنفسِه في تنزيهه ؛ حكاه القاضي أبو بكر ابن الطيِّب. وقال أبو بكر ابنُ زياد النيسابوريُّ: سَمعتُ القاسمَ بنَ محمَّد يقول لإسماعيلَ بن إسحاقَ: أُتِي المأمون في (الرَّقة) برَجلين شَتَم أحدُهما فاطمةَ ، والآخَرُ عائشةَ ، فأمَر بقَتْل الذي شتَم فاطمةَ وترَك الآخَر ، فقال إسماعيلُ: ما حُكْمُهما إلاَّ أن يُقتلاَ ؛ لأنَّ الذي شتَم عائشةَ ردَّ القرآن. قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية - رحمه الله - تعقيبًا عليه: وعلى هذا مضَتْ سِيرةُ أهل الفِقه والعِلم مِن أهل البيت وغيرِهم. وقالَ ابنُ العربيِّ - رحمه الله -: كلُّ مَن سبَّها بما برَّأها الله منه فهو مُكذِّب لله ، ومَن كذَّب الله فهو كافِر. وقال ابن قُدامة: فمَن قذَفها بما بَرَّأها الله منه فقدْ كفَر بالله العظيم. وقال الإمامُ النوويُّ - رحمه الله -: براءةُ عائشة - رضي الله تعالى عنها - مِنَ الإفْك ، وهي براءةٌ قطعية بنصِّ القرآن العزيز، فلو تَشكَّك فيها إنسانٌ - والعياذ بالله - صار كافرًا مرتدًّا بإجماعِ المسلمين. وقال ابنُ القيِّم - رحمه الله -: واتَّفقتِ الأُمَّة على كُفْر قاذفِها. وقد رُوِي عَنْ عَمْرِو بنِ غالِبٍ: أنَّ رَجُلاً نالَ مِنْ عائِشَةَ عندَ عَمَّارٍ ، فقالَ: اغْرُبْ مَقْبُوحًا ، أَتُؤذِي حَبِيبةَ رَسُول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم؟! قال الذهبيُّ في السِّيَر: صحَّحَه الترمذيُّ في بعضِ النُّسخ ، وفي بعضِ النُّسخ قال: هذا حديثٌ حسَن. عن عروة "أن عائشة - رضي الله عنها - كانت تسرد الصوم" – تتابع أيام الصيام - وعن القاسم: "أنها كانت تصوم الدهر ، لا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر". وعن القاسم قال: "كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة - رضي الله عنها - فأسلم عليها ، وغدوت يومًا فإذا هي قائمة تسبح ، وتقرأ: (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) ، وتدعو وتبكي وترددها ، فقمت حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتي ، ثم رجعت ؛ فإذا

هي قائمة كما هي تصلي وتبكي!". وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها - قالت: "كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي ، وَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي ، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَاللهِ مَا دَخَلْتُهُ إلا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي ، حَيَاءً مِنْ عُمَرَ" (رواه أحمد ، وصححه الألباني). وقد ابتلي بمثل بلاء أمنا عائشة يوسف -عليه السلام- ، وكانت براءته على لسان قريب من امرأة العزيز: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ). وابتليت أيضًا مريم - عليها السلام -: (قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) ، فجاءت براءتها على لسان صغيرها النبي عيسى -عليه السلام-: (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا). وبراءة عائشة - رضي الله عنها - لم تأت على لسان قريب أو نبي ، ولكن برأها الله من فوق سبع سماوات في عشر آيات من سورة النور ، قرآنًا يتلى إلى قيام الساعة يشهد لعائشة - رضي الله عنها - من قوله – تعالى -: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ. لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ. لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ. وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ. وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ. يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ. وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ). ونزل فيها وفي أمثالها من المؤمنات العفيفات الطاهرات: (وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ). وكَانَ مَسْرُوقٌ إِذَا حَدَّثَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَ: "حَدَّثَتْنِي الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ ، حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللَّهِ ، الْمُبَرَّأَةُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ" (البداية و النهاية لابن كثير).وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وهُما يَدِينَانِ الدِّينَ..." (صحيح البخاري). وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تكنَّى بـ "أم عبدالله"، ويلتقي نسبها مع النبي ﷺ في مُرة بن كعب. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت لِلنَّبيِّ ﷺ: "يا رَسولَ اللهِ، كُلُّ نِسائِكَ لها كُنيةٌ، غَيري. فقال لها رَسولُ اللهِ ﷺ: اكتَني أنتِ أُمَّ عَبدِ اللهِ. فكان يُقالُ لها: أُمُّ عَبدِ اللهِ، حتى ماتَتْ، ولم تَلِدْ قَطُّ" (تخريج المسند بإسناد صحيح). وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بيضاء جميلة، وهذا هو سبب تسمية السيدة عائشة بالـ "حُميْراء"، فالحُميرْاء هي البيضاء. وقال ابن حجر في الفتح: "والعرب تطلق على الأبيض الأحمر كراهة اسم البياض لكونه يُشبه البرص ولهذا كان ﷺ يقول لعائشة يا حميراء" اهـ. وكان جسمها رضي الله عنها قليلاً وبعد الزواج بفترة زاد جسمها. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "كانَت أمِّي تعالِجُني للسُّمنةِ ، تريدُ أن تُدْخِلَني على رسولِ اللَّهِ ﷺ: فما استقامَ لَها ذلِكَ ، حتَّى أَكَلتُ القثَّاءَ ، بالرُّطَبِ ، فسَمِنْتُ ، كأحسَنِ سِمنةٍ" (صحيح ابن ماجه). وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مُسمَّاةً لجبير بن مطعم بن عُدي، فخطبها رسول الله ﷺ بعد

أن سلَّها أبوها من أهله لإصراره على الكفر. "فأتى أبو بَكرٍ المطعمَ فقالَ: ما تقولُ في أمرِ هذِهِ الجاريةِ؟ قالَ فأقبلَ على امرأتِهِ فقالَ لَها: ما تقولينَ؟ فأقبلت على أبي بَكرٍ ، فقالت: لعلَّنا إن أنْكحنا هذا الفتى إليْكَ تُصبنْهُ وتدخلْهُ في دينِكَ فأقبلَ عليْهِ أبو بَكرٍ فقالَ: ما تقولُ أنتَ؟ فقالَ: إنَّها لتقولُ ما تسمعُ! فقامَ أبو بَكرٍ وليسَ في نفسِهِ منَ الموعدِ". (تاريخ الإسلام للإمام الذهبي بإسناد حسن). وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: "تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَخْرَجِ النبيِّ ﷺ إلى المَدِينَةِ بثَلاثِ سِنِينَ، فَلَبِثَ سَنَتَيْنِ أوْ قَرِيبًا مِن ذلكَ، ونَكَحَ عائِشَةَ وهي بنْتُ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ بَنَى بها وهي بنْتُ تِسْعِ سِنِينَ" (صحيح البخاري). وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "فضلت على نساء النبي ﷺ بعشر، قيل: ما هن يا أم المؤمنين؟ قالت: لم ينكح بكراً قط غيري ، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري ، وأنزل الله عز وجل براءتي من السماء ، وجاءه جبريل بصورتي من السماء في حريرة ، وقال: تزوجها ، فإنها امرأتك ، فكنت أغتسل أنا وهو من إناءٍ واحد ، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري ، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه ، ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري ، وكان ينزل عليه الوحي وهو معي ، ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيري ، وقبض الله نفسه وهو بين سحري ونحري ، ومات في الليلة التي كان يدور علي فيها ، ودفن في بيتي". (الطبقات الكبرى لابن سعد). * بين سَحْري ونَحْري: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في (فتح الباري): "وَالسَّحْر: هُوَ الصَّدْر ، وَهُوَ فِي الْأَصْل الرِّئَة. وَالنَّحْر: الْمُرَاد بِهِ مَوْضِع النَّحْر (أسفل الرقبة)" اهـ. وقال الإمام أبو الوفا ابن عقيل الحنبلي رحمه الله: "انظر كيف اختار لمرضه بيت البنت ، واختار لموضعه من الصلاة الأب". وقد توفي عنها النبي ﷺ وهي في الثامنة عشرة من عمرها. إن علم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بحرٌ لا يُثبر قعرُه ولا تُرى شطآنه ، وعُبابٌ لا تُكدِّره الدِّلاءُ ، وسحاب تتقاصر عنه الأنواء ، ومرجعًا صافياً رقراقاً يُرجَع إليه في مسائل العلم الشائكة فينهمر منه العلم الذي يُرشد الضال ويسكن به الحيارى. ولم لا!! وهي رضي الله عنها من أكثر رواة الأحاديث النبوية ، وقد عدّ الذهبي أحاديث عائشة 2210 حديث. وقال الحاكم في المستدرك: "إنَّ رُبْعَ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ نُقِلَت عَن السَّيِّدَة عَائِشَةَ". وقال الزُّهري رحمه الله: "لو جُمِع علم نساء هذه الأمة ، فيهن أزواج النبي ﷺ ، كان علم عائشة أكثر من علمهنّ". (رواه الطبراني). وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "ما أشكَل علينا ـ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ ـ حديثٌ قطُّ فسأَلْنا عائشةَ إلَّا وجَدْنا عندَها منه عِلْمًا" (سنن الترمذي). وعن عُروةَ بن الزبير رضي الله عنه قال: "ما رأيْتُ امرأةً أعلمَ بطبٍّ ولا بفقهٍ ولا بشِعرٍ مِن عائشةَ". (مجمع الزوائد بإسناد حسن). وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال: "ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بسُنن رسول الله ﷺ ولا أفقهَ في رأي إن احتُيج إلى رأيه، ولا أعلم بآية فيما نزلتْ ، ولا فريضة ـ مِن عائشة". ومن أسباب المكانة العلمية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (شدة ذكائها، وقوة ذاكرتها. ـ زواجها من النبي ﷺ في سن مبكرة وملازمتها له ﷺ إلى أن توفاه الله تعالى. ـ كثرة ما نزل من الوحي في حُجرتها. ـ رغبتها في التعلم ، فكانت رضي الله عنها لا تسمع أمراً تستشكله ، إلا وتستفسر عنه. وقدْ أجْمَع علماءُ الإسلام على أنَّ مَن سبَّ أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها ورَماها بما برَّأها الله منه أنه كافِرٌ. وقال الإمام القرطبي رحمه الله: "قال بعض أهل التحقيق: إن يوسف ـ عليه السلام ـ لما رُمِي بالفاحشة برأه الله على لسان صبي في المهد ، وإن مريم لَمَّا رميت بالفاحشة برأها الله على

لسان ابنها عيسى ـ صلوات الله عليه ـ وإن عائشة لما رميت بالفاحشة برأها الله ـ تعالى – بالقرآن ؛ فما رضي لها ببراءة صبي ولا نبي حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان" (الجامع لأحكام القرآن). وقال ابن العربي رحمه الله: "إن أهل الإفك رموا عائشة المُطهرة بالفاحشة ، فبرَّأها الله ، فكل من رماها بما برأها الله منه فهو مُكذِّب لله ، ومن كذب الله فهو كافر" اهـ. وقال الزمخشري: "ولو فليت القرآن كله ، وفتشت عما أوعد به من العصاة ، لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة" اهـ. إنه لشرف كبير لكل شاعر مسلم أن يحتوي ديوانه على قصيدة يُنصف فيها أمه وأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق – رضي الل عنهما ـ! وإن بُردتي هذه أجعلها سهماً من سهام الحق في الرد على كل من ينتقص هذه الأم العبقرية العظيمة التي لا أجد من الكلمات ما أصف به نعم الله عليها من العلم والرشد والفقه واللغة والشعر والفصاحة والبلاغة والإبانة والخطابة والفتوى والطب والمناظرة! يقول الأديب الأستاذ مسلم بن محمد اليوسف في محاضرةٍ له عن أم المؤمنين عائشة وتحت عنوان: (حياة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها) ما نصه بترف زهيد: (أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها ـ تُعتبر من أولي اللواتي حملن لنا هذا الدين القويم ، فكان لها الفضل العظيم رضوان الله عليها في نقل وصيانة هذا الدين إلينا كما كان لها فضل نشر نور الإسلام ، وعلومه. فقد دأب بعض أهل الهوى والفكر المنحرف ، الدخيل على ديننا الحنيف دأبوا على النيل من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن طريق أزواجه الأطهار رضوان الله عليهن عمومًا ، وعائشة رضي الله عنها على وجه الخصوص لمكانتها العلمية في ديننا الحنيف. فكان لها الفضل العظيم رضوان الله عليها في نقل وصيانة هذا الدين إلينا كما كان لها فضل نشر نور الإسلام ، وعلومه. تِلكم أم المؤمنين الصديقة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة من أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي الشريف وأشدهم حفظاً له. فأما عن حياة أم المؤمنين عائشة ملكة العفاف الخاصة والعامة. أم المؤمنين عائشة ملكة العفاف ، ظفرت بألقاب لم تظفر بها غيرها من أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن أجمعين منها: 1- عائش: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي عائشة رضي الله تعالى عنها بقوله: «يا عائش» تحببًا ، وتحسنًا لمكانتها المميزة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففي الصحيحين عن عائشة ، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عائش! هذا جبريل يُقرئكِ السلام». رواه الشيخان: البخاري في صحيحه ومسلم في صحيحه. 2- حميراء: وكذلك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى حبيبته عائشة رضي الله عنها بالحميراء ، تحببًا إليها وملاطفة لها ومن ذلك ما رواه عدد من العلماء من رواية أم المؤمنين عائشة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: دخل الحبشة المسجد يلعبون ، فقال لي: «يا حميراء! أتحبين أن تنظري إليهم» ، فقلت: نعم ، فقام بالباب وجئته فوضعت ذقني على عاتقه ، فأسندت وجهي إلى خده" قالت: "ومن قولهم يومئذ أبا القاسم طيبًا" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حسبك» فقلت: يا رسول الله لا تعجل، فقام لي ثم قال: «حسبك» فقلت: "لا تعجل يا رسول الله" قالت: "وما لي حب النظر إليهم، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه". * قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حميراء! أتحبين أن تنظُري إليهم؟!» يعني: إلى لعب الحبشة ورقصهم في المسجد. ولفظ: «حميراء»: معناه البيضاء ؛ لأن أم المؤمنين كانت بيضاء رضي الله عنها. والعرب تطلق على الأبيض أحمر لغلبة السمرة على لون العرب ، والعرب تقول: امرأة حمراء أي بيضاء. وسئل ثعلب: "لم خص الأحمر دون الأبيض؟ فقال: لأن العرب لا تقول رجل أبيض

من بياض اللون ، إنما الأبيض عندهم الطاهر النقي من العيوب ، فإذا أرادوا الأبيض من اللون قالوا أحمر" (لسان العرب المحيط؛ لابن منظور، إعداد: يوسف خياط، ونديم مرعشلي ، دار لسان العرب المحيط ، مجلد: [714/1]). 3- ابنة الصديق: كثيرا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناديها بابنة الصديق تحببًا وإكرامًا لابنة الصديق لما لها وأبيها من مكانة عظيمة في قلبه وقلب كل مؤمن بالله ورسوله. من ذلك ما روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "قلت يا رسول الله: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}- ؛ هو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «لا يا ابنة الصديق: ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ، ويخاف أن لا يُقبل منه». (شرح العقيدة الطحاوية ؛ تخريج الشيخ الألباني ص: [365]). 4- ابنة أبي بكر: كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي أم المؤمنين بابنة أبي بكر لبيان عظيم مكانتها ومكانة أبيها أحب الناس إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: "أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي ، فأذن لها ، فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة ، وأنا ساكتة". قالت: "فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي بنية ألست تحبين ما أحب؟». فقالت: بلى ، قال: «فأحبي هذه»" ، قالت: "فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجعت إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرتهن بالذي قالت ، وبالذي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلن لها: ما نراكِ أغنيتِ عنَّا من شيء فارجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة ، فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبدًا". قالت عائشة: "فأرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب. وأتقى لله وأصدق حديثًا ، وأوصل للرحم وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالًا لنفسها في العمل الذي تصدّق به ، وتقرّب به إلى الله تعالى ، ما عدا سورة من حدة كانت فيها ، تسرع منها الفيئة". قالت: "فاستأذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، - ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع عائشة في مرطها ، على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها- فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة". قالت: "ثم وقعت بي ، فاستطالت علي ، وأنا أرقب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرقب طرفه ، هل يأذن لي فيها" ، قالت: "فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكره أن أنتصر" ، قالت: "فلما وقعت بها لم أنشبها حتى أنحيت عليها" ، قالت: "فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسَّم: «إنها ابنة أبي بكر»". (رواه مسلم في صحيحه ، ج: [1891/4]). 5- المُوَفقة: وأيضًا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي أم المؤمنين بالموفقة لتوفيق الله تعالى لها بكل ما تقول أو تفعل رضي الله تعالى عنها. روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة» ، فقالت عائشة: فمن كان له فرط من أمتك؟ قال: «ومن كان له فرط يا موفقة». (رواه الترمذي في جامعه ، ج: [376/3] ، وقال عنه: "حسن غريب" ، وقد ضعّفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير ، برقم: [5801]). 6- أم عبد الله: كنَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين

عائشة رضي الله عنها بأم عبد الله. روت عائشة رضي الله عنها قولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "أم كل صواحبها لهن كنى ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فاكتني بابنكِ عبد الله» ، يعني ابن أختها فكانت تُكنَّى بأم عبد الله" (سنن أبي داود، دار الفكر بيروت لبنان، ج: [293/4]). وفي رواية ثانية عن عائشة رضي الله عنها قالت: "لمّا وُلِدَ عبد الله بن الزبير أتيتُ به النبي صلى الله عليه وسلم فتفل في فيه ، فكان أول شيء دخل جوه ، وقال: «هو عبد الله وأنتِ أم عبد الله» ، فما زلت أكنى بها وما ولدت قط". (صحيح ابن حبان ، مؤسسة الرسالة ، عام 1193م ، ج: [55/16]). 7- أم المؤمنين: بهذا اللقب لقبت عائشة رضي الله عنها كغيرها من أمهات المؤمنين وبيان ذلك قوله سبحانه وتعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا}. وهذه الألقاب التي لُقِّبَت بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبالتالي فهي تستحق بجدارةٍ أن تعطى لقبًا جديدًا ألا وهو: لقب ملكة العفاف كبرهان محبة مني ، كما هو اعتذار عمَّا لحقها ومن يحبها من أذى لقاء تقوُّلات من أهل الزيغ والضلال. ولادة أم لمؤمنين عائشة ، ونشأتها: وُلِدَت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في مكة المكرمة قبل الهجرة بسبع سنين تقريبًا. وقد تربت رضي الله عنها شطرًا في بيت الصديق (تسع سنين) ، وشطرًا آخر في بيت النبوة (تسع سنين أيضًا). زواجها من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: بعد وفاة خديجة رضي الله عنها لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سنتين أو قريبًا من ذلك دون زوجة ، ثم جاءته خولة بنت حكيم رضي الله عنها فعرضت عليه خطبة عائشة بنت أبي بكر الصديق فعقد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة ، وهي بنت ست سنين ودخل بها في المدينة المنورة ، وهي بنت تسع سنين. وقد وصفت أم المؤمنين رضي الله عنها زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: "تزوجني الرسول صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحرث بن خزرج فوعكتُ فتمرّق شعري ، فوفى جميمة ، فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي ، فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي ، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج ، حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئًا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت ، فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني ، فلم يرعني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فأسلمتني إليه ، وأنا يومئذ بنت تسع سنين". (صحيح البخاري ، ج: [4/ 251-252]). وقد كانت رضي الله عنها وأرضاها أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان عليه والصلاة والسلام يُصرِّح بذلك كما ورد في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه حيث سأله: "أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة» قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها». (رواه الشيخان ؛ البخاري في صحيحه ، ج: [113/5]. ومسلم في صحيحه ، ج: [1856/4]). قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: "وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض ، وما كان عليه السلام ليحب إلا طيبًا ، وقد قال: «لو كنت متخذًا خليلًا من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلًا ، ولكن أخوة الإسلام أفضل». (أخرجه البخاري في صحيحه ، ج: [1338/3]). فأحب أفضل رجل من أمته ، وأفضل امرأة من أمته ، فمن أبغض حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حري أن يكون بغيضًا إلى الله ورسوله وحبه عليه السلام لعائشة كان أمرًا مستفيضًا ألا تراهم يعني الصحابة رضوان الله عليهم يتحرون بهداياهم يومها تقربًا

إلى مرضاته (سير أعلام النبلاء للذهبي ؛ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ج: [142/2]). - بعض صور معاملة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لزوجه عائشة رضي الله تعالى عنها: لقد كانت الصديقة عائشة بنت الصديقة رضي الله عنها ما تزال صغيرة تحتاج ما تحتاج إليه أمثالها من اللعب والصواحب ، فكانت رضوان الله عليها تلعب بألعابها مع صاحباتها في بيت النبوة ، فلم يكن الرسول الكريم صاحب الخلق العظيم ينفر من هذا أو يتضايق من بل كان عليه والصلاة السلام يُسَرُّ بصاحبات الصديقة لأنهن يلعبن معها. قالت رضي الله عنها وهو يتصف ذلك: "وكانت تأتيني صواحبي فكن ينقمعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسَرُّ بهن إليّ" (رواه مسلم في صحيحه ، ج: [1891/4]). وكان عليه والصلاة والسلام يلاطف زوجته الصغيرة ويلاعبها بما يلائم صغرها وسنها ، ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها: "قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر ، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب. فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قالت: بناتي ، ورأى بينهن فرسًا لها جناحان من رقاع. فقال: «ما هذا الذي أرى وسطهن؟» قالت: فرس. قال: «وما هذا الذي عليه؟» قالت: جناحان. قال: «فرس له جناحان!» ، قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة ، قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه". (رواه أبو داود في سننه ، ج: [4/ 283-284]. والنسائي في سننه ، ج: [75/1]). ومن حسن أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه كان يسترها بردائه حتى تنظر إلى لعب الأحباش لتسليتها ، بل كان عليه الصلاة السلام يقف دون كلل أو ملل ، حتى تمل رضي الله عنها وتنصرف. ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنه: "لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ، وإنه ليسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ، ثم يقف من أجلي حتى أكون أنا أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو". (رواه الشيخان ؛ البخاري في صحيحه ، ج: [159/6] ، ومسلم في صحيحه ، ج: [609/2]). وقد كانت أم المؤمنين رضي الله عنها من شدة حبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وورعها لله تعالى إذا كان هناك أي خصومة من الخصومات التي تحصل بين الأزواج لا تهجر إلا اسمه فقط. ويُبيِّن ذلك ما روته الصديقة رضي الله عنها عندما قال لها الرسول صلى الله عليه وسلم: "«إني لأعلم إذا كنتِ عني راضية ، وإذا كنتِ علي غضبى»". قالت: "ومن أين تعرف ذلك؟" ، قال: «أما إذا كنتِ عني راضية فإنكِ تقولين لا وربّ محمد. وإذا كنتِ غضبى ، قلت: لا وربّ إبراهيم»". قالت عائشة: "قلت: أجل والله! يا رسول ما أهجر إلا اسمك". وكانت رضي الله عنها فرحة مرحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وباقي زوجاته الكرام ، ويدل على ذلك ما (رواه الهيثمي وغيره في مجمع الزوائد): "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بحريرة - حساء من دقيق ودسم - وقد طبختها له ، فقلت لسودة ، والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها: كُلي – فأبت ، فقلت: لتأكلين أو لألطخنَّ وجهكِ ، فأبت ، فوضعتُ يدي في الحريرة فطليت وجهها ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع بيده لها ، قال لها: الطخي وجهها ، ففعلتْ ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم". (مجمع الزوائد للهيثمي ، ج: [315-316]. مسند أبي يعلى ، ج: [449/7]). وقد اشتهرت رضي الله عنها بالحياء والورع الشديدين ، حتى أنها كانت تستحي من عمر رضي الله عنه وهو في قبره ، ولعل خير مثال يبين ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها بقولها: "كنت أدخل بيتي الذي دُفِنَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي فأضع ثوبي ، فأقول: إنما هو زوجي وأبي! فلما دُفِنَ عمر معهما ، فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة عليَّ ثيابي حياءً من عمر". (مسند الإمام أحمد ، ج: [202/6]. المستدرك على الصحيحين ، ج: [63/3]). وصور صبر وورع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لا تنقضي! ومنها ما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة ، قالت: "دخلت امرأة ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندي شيئًا غير

تمرة ، فأعطيتها إياها ، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته ، فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترًا من النار». (صحيح البخاري ، ج: [2234/5]). روى البخاري أيضًا عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه ، قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها ، وعليها درع قطر ، ثمن خمسة دراهم ، فقالت: "ارفعْ بصرك إلى جاريتي انظر إليها ، فإنها تزهى أن تلبسه في البيت ، وقد كان لي منهن درع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ تُقَيَّنُ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا أَرْسَلَتْ إِلَيَّ تَسْتَعِيرُهُ". (صحيح البخاري ، ج: [926/2]). ففي هذا الحديث دليل على تواضع أم المؤمنين رضي الله عنها فهي تلبس ثيابًا تأبى الخدم أن يلبسوه ، وأمرها رضي الله عنها في التواضع والورع مشهور ، وفيه حلم عائشة عن خدمها ورفقتها في المعاتبة ، وإيثارها بما عندها مع الحاجة إليه. وعن عروة بن الزبير قال: "كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلِّم عليها ، فغدوت يومًا ، فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ: {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} ، وتدعو وتبكي وترددها ، فقمتُ حتى مللتُ القيام ، فذهبتُ إلى السوق لحاجتي ، ثم رجعت ، فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي". (صفة الصفوة ، ج: [31/2]). ولا شك أن لأم المؤمنين مكانة عظيمة في حياة الأمة ، لذلك كان لا بد من بيان مكانتها ، أثرها رضوان الله عليها في الحياة الإسلامية. رُب سائل يسأل كيف كان لأم المؤمنين حياة عامة وقد أمرهن الله تعالى مع باقي أمهات المؤمنين أن يقرن في بيوتهن ، ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وإذا أرادهن أحد المسلمين بفتوى أو حاجةٍ فيجب أن يسألوهن من وراء حجاب ، وذلك من قوله سبحانه وتعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}. وقوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا}. وللجواب على هذا التساؤل: أقول بأن الحياة العامة التي كانت أم المؤمنين تتفاعل معها يقصد منها المساهمة في بناء المجتمع الإسلامي والتفاعل مع أعضائه ضمن الحدود الشرعية. فالصديقة بنت الصديق ولدت في بيت إيماني متميز في حمل هموم الدعوة ، وشاهدت منذ نعومة أظفارها تفاصيل نشوء الدين الإسلامي وتفاعلت معه بكل ما فيه من آلام وآمال. قالت رضي الله عنها: "لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طرفي النهار: بكرة وعشية ، ثم بدا لأبي بكر ، فابتنى مسجدًا بفناء داره ، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلًا بكاء ، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين". (صحيح البخاري ، ج: [181/1]). وقد كانت أم المؤمنين تشارك في كثير من أحداث الأمة ، وقد بدأتها بالهجرة إلى المدينة المنورة للحاق برسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيها الصديق رضي الله عنه. فالصديقة بنت الصديق كانت منذ أن فتحت عينيها مساهمة ومشاركة في خدمة هذا الدين ورسوله وأهله ، لذلك كانت مشاركاتها في كل مناحي الحياة الإسلامية وِفق الضوابط الشرعية ، حتى الغزوات منها ففي غزوة أحد كانت رضي الله عنها تنقل الماء بالقرب ثم تفرغه في أفواه الصحابة المنهكين من القتال والعطش. روى البخاري رحمه الله ؛ عن أنس رضي الله عنه قال: "لمَّا كان يوم أحد ، انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر ، وأم سليم وإنهما لمشمرتان ، أرى

خدم سوقهما تنقزان القرب - تنقزان: تسرعان المشي كالهرولة - ، وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما ، ثم تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم". (صحيح البخاري ، ج: [1055/3]). وما كان لهذه الشخصية العظيمة التي تربت في بيت الصديق والنبوية أن تغيب عن مشهد الأحداث ، وخصوصًا إذا كانت تلك الأحداث ، مفصلة في تاريخ وحياة الأمة. كيف لا وهي أم للمؤمنين التي يدفعها إلى ذلك الشعور بالواجب الملقى على عاتقها ، ثم الإحساس بالقدرة على التأثير والتغيير والإصلاح بين أبنائها المؤمنين إذا دعت الحاجة لذلك. ففي فتنة عثمان رضي الله عنه رأت رضي الله عنها بوجوب القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه والإصلاح بين المسلمين. ونتيجة هول ما حصل من أمر معركة الجمل التزمت أم المؤمنين بيتها ولم تعد تشارك في أحداث الأمة بشكل مباشر ، بل عن طريق النصيحة والإرشاد كما فعلت مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، ذلك أن معاوية رضي الله عنه طلب منها النصيحة ، فكتبت إليه: "إلى معاوية سلام عليك ، أما بعد: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ، والسلام عليكم". (صحيح ابن حبان ، ج: [510/1]). وهكذا رأينا أن أم المؤمنين رضي الله عنها لم تدخر وسعًا في مناصرة الحق وبيانه ، والاهتمام بقضايا الأمة ، فكانت تأتيها الوفود من كل بقاع الدولة الإسلامية فتجيبهم عن فتاويهم وأسئلتهم بما علمت من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كانت تنصح الأمراء والولاة والخلفاء وتذكرهم بأيام الله تعالى ، فهي زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها. وكانت قد اكتسبت رضي الله عنها علمًا غزيرًا صافيًا من نبع النبوة الذي لا ينضب ، فكانت أفقه نساء المسلمين ، وأعلمهن بالدين وأصوله وفروعه والأدب ، ولا يحدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعرًا ، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفقه والفرائض ، فتجيبهم. قال عطاء رضي الله عنه: "كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأيًا". (المستدرك على الصحيحين ، ج: [15/4]). ولعل أهم الأسباب التي ساعدت أم المؤمنين على اكتساب هذا العلم ما يلي: 1- الذكاء وقوة الحفظ: امتازت أم المؤمنين رضي الله عنها بالذكاء الوقاد وقوة الحفظ والاستذكار مما ساعدتها بفضل الله على حفظ كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقههما. 2- علمها بالعربية وفنونها وأشعارها: وقد كانت رضي الله عنها عالِمة بالعربية وفروعها وأشعار العرب ونوادرهم ، فصيحة اللسان مما ساعدها على فهم القرآن وتفسيره ، وقد تعلمت من والدها الصديق البلاغة والفصاحة ، فقد كان الصديق علامة العرب في ذلك. 3- نشأتها في بيت النبوة: نشأت السيدة عائشة رضي الله عنها في بيت النبوة فشاهدت أحوال النبي صلى الله عليه وسلم واطلعت على أخباره فتعلمت حكمته وكل شؤونه وخاصة ما يتعلق بأحكام النساء. 4- حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تعليمها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصًا على تعليمها لما لمسه من ذكاء وفطنة ، فكان عليه الصلاة والسلام يحدثها ويفقهها بالدين. نزول الوحي في فراشها: فإنه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في فراش امرأة سواها رضي الله تعالى عنها" (تفسير ابن كثير، ج: [487/3]). وقد أخذ عنها كثير من الصحابة ، والتابعين وخلق كثير ، ورُوِي عنها [2210] حديثاً ، ولها آراء فقهية كثيرة ، واجتهادات عديدة ، وتخرج من مدرسة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عدد كبير من سادة العلماء ومشاهير التابعين. قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: "ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط ، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندنا منه عِلمًا". (رواه الترمذي في سننه ، ج: [705/5]). وكان لأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها تلاميذ كثر من التابعين الذي أخذوا العلم عنها ونشروه في الأمصار الإسلامية ،

فصاروا أئمة يُقتدى بهم في العلم والعمل ومن أشهر هؤلاء رضي الله عنهم عروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، ومسروق بن الأجدع ، وعمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية - عليهم رحمة الله تعالى أجمعين -. وكان هؤلاء التلاميذ النجباء يتلقون العلم في غرفة قصية البناء ، مبنية من جريد عليه طين من حجارة مرضونة وسقفها من جريد ، وكانت رضي الله عنها تضع حجابًا بينها وبين طلاب علمها النبوي الشريف. وكانت الصديقة رضي الله عنها ذات منهج علمي مميز ، ولعل أبرزه ما فيه ما يلي: 1- توثيق المسائل: كانت رضي الله عنها إذ تحرص على تتبع توثيق المسائل بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. عن يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمْرَةَ بنت عبد الرحمن ، أنها أخبرته أن زياد بن أبي سفيان كتب إلى عائشة رضي الله عنها أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: من أهدى هديًا حرم عليه ما يحرم على الحاج ، حتى ينحر الهدي وقد بعثت بهديي فاكتبي إليّ بأمرك ، قالت عمرة: فقالت عائشة رضي الله عنها: ليس كما قال ابن عباس: "أنا فتلت قلائد هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ، ثم قلدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه ، ثم بعث بها مع أبي ، فلم يحرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً أحله الله له حتى نحر الهدي". (رواه الشيخان ؛ البخاري في صحيحه ، ج: [564/2] ، ومسلم في صحيحه ، ج: [895/2]). 2- الورع عن الكلام بغير علم: كانت رضي الله عنها تتورع عن الكلام بغير علم ، ومن مثل هذا ما قال شريح بن هانئ قال: أتيت عائشة أسألها عن المسح على الخفين ، فقالت: "عليك بابن أبي طالب فسله ، فإنه كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم". فسألناه فقال: جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويومًا وليلة للمقيم". (أخرجه مسلم، ج: [232/1]). 3- الجمع بين الأدلة وفهم مقاصد الشريعة: كانت رضي الله عنها تعتمد على الجمع بين الأدلة وفهم الشريعة وعلوم العربية. ومن ذلك ما رواه عروة عن عائشة رضي الله عنها قال: "قلت أرأيت قول الله عز وجل: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا}. قال: "قلت فوالله ما على أحدٍ جناحٌ أن لا يطوف بهما ، فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أختي! إنها لو كانت على ما أوَّلتَها كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لِمَنَاةَ الطاغية التي كانوا يعبدون عند المُشَلَل ، وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية ، فأنزل الله عز وجل: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا} ، قالت عائشة: "ثم قد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما ، فليس ينبغي لأحد أن يدع الطواف بهما". (أخرجه مسلم في صحيحه: [929/2]). 4- معرفتها بأدب الحوار: كانت رضوان الله عليها على معرفة عميقة وتامة بآداب الحوار وكل ما يلزم ذلك. كيف لا وهي التي تربّت وتعلّمت في بيت النبوة. عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: "كنت أنا وابن عمر مستندين إلى حجرة عائشة وإنا لنسمع ضربها بالسواك تستن ، قال فقلت: يا أبا عبد الرحمن اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب؟ قال: نعم. فقلت: أي أمتاه ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟! قالت: وما يقول؟ قلت: يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب. فقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن لعمري ما اعتمر في رجب ، وما اعتمر من عمرة إلا وإنه لَمَعَهُ. قال وابن عمر يسمع فما قال: لا ولا نعم ، سكت". (أخرجه مسلم في صحيحه ، ج: [916/2]). 5- الدقة في نقل الموروث النبوي: وكانت أم المؤمنين رضي الله عنها دقيقة جدًا في نقل الموروث النبوي أمانة في النقل ، وورعًا وخوفًا من الله سبحانه وتعالى ، عن عمرة بنت عبد الرحمن أنها أخبرته أنها سمعت عائشة وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول إن الميت ليعذَّب ببكاء الحي. فقالت عائشة: يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم

يكذب ، ولكنه نسي أو أخطأ! إنما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكى عليها أهلها ، فقال: «إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذَّب في قبرها». (أخرجه البخاري في صحيحه ، ج: [433/1]، ومسلم في صحيحه ، ج: [643/2]). 6- اختبار المحدِّث: وكانت عائشة رضي الله عنها إذا لم تكن تعرف الحديث اختبرت قائله ، فإن ضبطه قبلته ، وهذا الأسلوب اتبعه نقاد الحديث فيما بعد في نقد نقل الرجال. عن عروة بن الزبير قال: "قالت لي عائشة يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو مارٌّ بنا إلى الحج فَالْقَهُ فَسَائِلْهُ ، فإنه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علمًا كثيرًا! قال فلقيته فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: «إن الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعًا ولكن يقبض العلماء ، فيرفع العلم معهم ، ويبقى في الناس رؤوسًا جهالًا يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون»". قال عروة: "فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته ، قالت أحدثك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟! قال عروة حتى إذا كان قابل قالت له: إن ابن عمرو قد قدم فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم قال فلقيته فساءلته فذكره لي نحو ما حدثني به في مرته الأولى. قال عروة: فلما أخبرتها بذلك ، قالت: ما أحسبه إلا قد صدق أراه لم يزد فيه شيئًا ولم ينقص". 7- عدم الإسراع في الكلام والتأني في سرد الأحاديث: اتبعت أم المؤمنين رضي الله عنها أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في التحدث والتعليم ، فكانت رضي الله عنها تتكلم بتأنٍ دون كلل ولا تكثر في الكلام والتحدُّث. عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت له: "ألا يعجبك أبو هريرة! جاء فجلس إلى جنب حجرتي يُحدِّث عن النبي صلى الله عليه وسلم يسمعني ذلك وكنت أُسبِّح ، فقام قبل أن أقضي سبحتي ولو أدركته لرددت عليه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم". (أخرجه مسلم في صحيحه. وقال الإمام النووي: قولها: "لم يكن يسرد الحديث كسردكم" ؛ أي يكثره ويستعجل فيه. شرح النووي ، ج: [54/16]). لقد كانت الصديقة بنت الصديق ملكة العفاف بحرًا زاخرًا في الدين ، وخزانة حكمة وتشريع ، ومدرسة قائمة بذاتها ، ونابغة في الذكاء والفصاحة والبلاغة فكانت رضوان الله عليها عاملًا كبيرًا ذا تأثير عميق في نشر العلم النبوي الشريف. وأخيراً وليس آخِرا توفيت رضي الله عنها في خلافة معاوية رضي الله عنه ليلة الثلاثاء ، السابع عشر من رمضان ، سنة ثمان وخمسين من الهجرة ، وهي ابنة ثلاثٍ وستين سنة ، بعد مرض ألم بها حتى أنها شعرت بأنه مرض الموت ، ولهذا أوصت: "أن لا تتبعوا سريري بنار ، ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء ، وأن لا يُصلِّي علي إلا أبو هريرة". (الطبقات ؛ لابن سعد ، ج: [76/8]). ودُفِنت عليها رحمة الله بالبقيع من ليلتها بعد صلاة الوتر. (البداية والنهاية ، ج: [94/8]) ، بحسب وصيتها لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، حيث قالت له: "ادفني مع صواحبي بالبقيع لا أزكي به أبدًا". (رواه البخاري ، في صحيحه ، ج: [255/3]).هـ. قال الدكتور الشاعر عائض القرني في مستهل قصيدته عن عائشة – رضي الله عنها -:

يـــا أمنـــا أنـــتِ أنـــتِ ذروة الكـــرمِ وأنـــتِ أوفـــى نســـاء العُـــرب والعجـــمِ

يـا زوجـة المصـطفى يـا خيـر مـن حملـتْ نـــورَ النبـــوة والتوحيـــد مـــن قِـــدم

إلى أن قال في ختام قصيدته مُودعاً أم المؤمنين ومسَلماً عليها:-

عليـــكِ منـــا ســـلامُ الله نرفعـــهُ بنفحـــة المســـك بـــين الســـدر والســـلم

لا بـــارك الله فـــي الـــدنيا إذا وهنـــتْ منـــا العـــزائمُ ، أو لـــم نـــوفِ للقِمـــم

فـــالموتُ أشـــرف مـــن عـــيش بـــلا شـــرف والقبـــر أكـــرم مـــن قصـــر بـــلا كـــرم

ولستُ أدّعي لنفسي أنني بلغتُ بقصيدتي مقامَ الشاعر الدكتور القرني! ففرقٌ كبير بين متمكن في الشعر متمرس فيه مثل الدكتور عائض ، وبين متطفل على الشعر متلعثم فيه مثلي! ولكنه شرف المحاولة يحدوني دائماً! فالمعروف والمشاهد والملموس أن الدكتور القرني قامة في الشعر والأدب والعلم منذ كنتُ أنا في الصف الأول الثانوي! فأين من أين؟! وعلى هذا فيُصبح هو من أساتذتي الأعلام! ولا أزكيه على الله تعالى! وأعتذر ابتداءً عن أي تقصير أو خلل في قصيدتي هذي! وليكن معلوماً أن زللاً وقع أو خطأ سقط فهما من الغفلة التي تنتاب كل كاتب وشاعر! هذا وأعذر إلى الله تعالى إن كنتُ قد قصرتُ في حق أمي وأم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر ، الصديقة بنت الصديق – رضي الله عنهما وأرضاهما -! كما وأعتذر اعتذاراً كبيراً جداً عن طول المقدمة التي وددتُ لو طالت أكثر لأقدم عائشة لمن يجهلها! وأعتقد أنني ربما كررتُ بعض المعلومات عنها: ففي مقام أختصر ، وفي مقام آخر أسهب! وفي مقام أذكر المصدر ، وفي مقام آخر لا أذكره! وكم كانت حيرة كبيرة ، وأنا أحاول أن أكتب عن أمي وأم المؤمنين الصديقة عائشة بنت الصديق أبي بكر – رضي الله عنهما -! حيث وجدتني أمام كم كبير هائل من المعلومات والأخبار والتراجم ، وأغلبها صادقٌ محققٌ مدققٌ صحيحٌ أو حسن! وأحسبني دخلتُ مغارة علي بابا فوقعتُ على العقيق والزمرد والزبرجد والماس والفضة والياقوت! فاحترتُ ما هل عساي أن أحمل من هذه المجوهرات! وبالطبع نتحفظ على هذا الكلام والتشبيه بمغارة علي بابا! فأخبار عائشة تختلف عن مجوهرات الناس المسروقة الموضوعة في مغارة علي بابا! بينما أخبار عائشة كما أسلفت محض صدق وليست مزورة أو مسروقة! بل أوردها علماء أجلاء نذروا حياتهم لبيان الحق ونشر العلم الصحيح ، وكانوا قد تناولوا فيما تناولوا أخبارها بشيء كبير من التحقق والتثبت! والآن لنطاله ماذا فتح الله علينا به في الحديث عن وإلى أمنا وأم المنين الصديقة عائشة بنت الصديق أبي بكر – رضي الله عنهما -. وكنتُ قد أسميتها: (بُردة عائشة) ليكون لها من الشأن في حياتي أو بعد موتي ما كان - للبردة الزهيرية (لكعب بن زهير) والبوصيرية (للبوصيري) والشوقية (لأمير الشعراء أحمد شوقي بك) والبارودية (لمحمود سامي البارودي) والباكثيرية (لعلي أحمد باكثير) والمطرية (لعلي محمود مطر) والقرنية (للدكتور الشاعر والشاعر الدكتور عائض بن عبد الله القرني! – من شأن! وكنتُ قد جعلتها مائة وأحد عشر بيتاً ، وودتُ الإطالة! ولكن والله العظيم هذا ما فتح الله تعالى عليّ به ليس إلا!)

الشـــعرُ يـــا أم فـــي حُبـــوره الـــتمِ يُرَجّـــعُ الســـيرة العصـــماءَ بـــالنغمِ

والـــوزنُ ينتخـــب التفعيـــلَ مؤتلقـــاً وللقـــوافي أهـــازيجٌ مـــن الـــرنم

وفـــي سَـــريّ المعـــاني رونـــقٌ عطِـــرٌ وفـــي التراكيـــب زخـــاتٌ مـــن الـــديم

وللتعـــابير ألفـــاظ تُجَملهـــا وللتصـــاوير ســـمتٌ جـــد مُعـــتلم

وللبـــديع مَقـــامٌ فـــي قصـــيدتنا فالســـجعُ أشـــهرُ مـــن نـــار علـــى علـــم

وللبيـــان أفـــانينٌ مُزركشـــة فالاســـتعارة والمَجـــاز كـــاليُتُم

وللبلاغـــة فحواهـــا وبَصْـــمتها حتـــى يكـــونَ قصـــيداً بـــالغ العِظـــم

وللفصـــــاحة دَورٌ ســـــوف نلمسُـــــه ... فـــي الـــنص تُدركُـــه بصـــيرة الفهـــم

لأننـــا ســـوف نُطـــري الأم (عائشـــة)! ... مَـــن يتبـــعْ هـــديها يَرشُـــدْ ويَســـتقم

بعـــد (الخديجـــة) هـــذي لا تُضـــارعُها ... بـــين النســـا حُرمـــة فـــي العُـــرب والعجـــم

مكيـــة مـــا رأتْ عـــينٌ مثيلتهـــا ... وهـــل فريـــدٌ لـــه فـــي العـــالمين ســـمي؟!

تيميـــة مـــن قـــريش طـــاب سُـــؤدَدُها ... وأصـــلها فـــي البرايـــا غيـــرُ منـــبهم

وأم مـــن آمنـــوا بـــالله واتبعـــوا ... هـــديَ البشـــير النـــذير المصـــطفى الهشِـــم

ولـــيس فـــي الفقـــه مـــن فضـــلى تُعادلهـــا ... فتلـــك فـــي الفقـــه حـــازتْ ذِرْوة القِمـــم

ولـــيس فـــي ديننـــا امـــرأة تُناظرهـــا ... ومَـــن تُنـــاظِرْ تبُـــوْ بـــالمَرتع الـــوَخِم

ولـــيس بـــين النســـا مَـــن حَـــاز مَحْتـــدَها ... أبـــاً وأمـــاً وقومـــاً ، أو ذوي رحـــم!

فمـــن يُبـــاري أبـــا بكـــر وعِتْرتـــه ... فـــي سِـــيرةٍ فـــي الـــورى جلـــتْ عـــن الـــتهم

كـــان الرفيـــقَ ، ولـــم يبخـــلْ بثروتـــه ... وثـــانيَ اثنـــين فـــي البلـــواء والقحَـــم

وأم رومـــــان والإســـــلامُ يرفعُهـــــا ... هـــل رِفعـــة فـــي الـــدنا كرفعـــة الســـلم؟!

وعـــائشُ الخيـــر تحيـــا فـــي بُلهنيـــة ... فـــالعيشُ سَـــعدٌ إذا لـــم يُبْـــلَ بالسَـــدَم

كـــان النبـــي رآهـــا فـــي الحَريـــر أتـــتْ ... كالشـــمس إن أشـــرقتْ بنورهـــا الـــتمم!

وقـــال جبريـــلُ هـــذي زوجـــة ، فـــإذا ... بالمصـــطفى فرحـــاً يقـــول فـــي نهـــم

إن كـــان ذلـــك فـــالرحمن مُنجـــزه ... والحمـــدُ والشـــكرُ للمُهـــيمن الحَكَـــم

وهْـــي ابنـــة التســـع إذ دخـــل النبـــي بهـــا ... أحلـــى بنـــاءٍ بشـــرع الله مُتســـم

بنـــى النبـــي بهـــا قبيـــلَ هجرتهـــا ... فـــي مكـــةٍ قضـــيا عـــامين فـــي إزم

وهـــاجرتْ فـــي ســـبيل الله عائشـــة ... مـــعْ والـــديها ، فقـــد غـــالى ذوو الغشـــم

إذ أصـــبحتْ مكـــة للكفـــر مُنتجعـــاً ... والكفـــرُ أس الـــبلا والمرتـــع الـــوخم

دعـــا النبـــي لهـــا دومـــاً بمغفـــرةٍ ... فعاشـــتِ الـــدهرَ فـــي عـــز وفـــي شـــمم

أحبهـــا الحـــبَ لا ألفـــاظ تنعتُـــه ... والحـــبُ مـــن أشـــرف العـــاداتِ والسِـــيَم

ولـــم يُحِـــبَ ســـواها مثلهـــا أبـــداً ... مِـــن بـــين أزواجـــه العقائـــل العُصُـــم

علـــى النســـا فضـــلها يزيـــدُ مرحلـــة ... مثـــل الثريـــد عـــلا عـــن ســـائر الطعُـــم

هـــل بعـــد ذلـــك تشـــبيهٌ لـــذي نظـــر؟ ... أو بعـــد ذلـــك توضـــيحٌ لـــذي فهُـــم؟

وكـــان جبريـــلُ بالســـلام يُتحفهـــا ... فـــي بيتهـــا ، أو علـــى درب لـــدى إضِـــم

كانـــت تصـــومُ مـــن الأيـــام أغلبهـــا ... بـــلا انقطـــاع ولا كَـــلٍ ولا مَلـــل

وقيـــلَ كانـــت تصـــومُ الـــدهرَ عـــن رغـــب ... أكـــرمْ بصـــوم مـــدى الأيـــام مُنـــتظم

لـــم تُغرهـــا مُتـــعُ الـــدنيا صـــباحَ مســـا ... كانـــت تـــرى حُســـنها سَـــيلاً مِـــن العَـــرِم

عُقودهـــا الســـت عاشـــت خيـــرَ زاهـــدةٍ ... والزهـــدُ مـــن أنبـــل الخِـــلال والقِـــيم

قيامُهـــا الليـــل أضـــناها وأضـــعفها ... لـــولا الإرادة والتصـــميمُ لـــم تقـــم

كـــذلك الصـــومُ صـــومُ الـــدهر أنهكهـــا ... لـــولا عبـــادة رب النـــاس لـــم تصـــم

ويـــوم أجـــزلَ فـــي العطـــا مُعاويـــة ... أبـــو يزيـــدٍ عظـــيمُ الجُـــود والكَـــرم

فـــي ألـــف مائـــةٍ لهـــا سِـــيقتْ لتنفقهـــا ... فأنفقتْهـــا علـــى الأمـــات والحَشَـــم

نِعـــمَ القـــلادة طالـــت كـــل ذي عَـــوَز ... وفرّجـــتْ كُرَبـــاً أودتْ بـــذي قحَـــم

وقســـمتْ ألـــف ســـبعين تريـــدُ بهـــا ... وجـــه المليـــك لمحـــو الـــذنب واللمـــم

وترقـــعُ الثـــوبَ والأمـــوالُ فـــي يـــدها ... تقـــولُ للـــنفس: ذوقـــي الفقـــرَ عـــن رغـــم!

وتخصِـــفُ النعـــلَ ، هـــذا مـــا بـــهِ عُرفـــتْ ... فـــالأمرُ لـــيس عـــن الـــدنيا بمُنكـــتم

ألفـــي حـــديثٍ روتْ ، مـــا كـــان أحفظهـــا ... لصـــادق الفعـــل والأعمـــال والكلـــم

وطببـــتْ مـــن وِجـــاع لا عـــلاجَ لهـــا ... بالشـــيح والزعتـــر البـــري والعَـــنَم

مـــن الوفـــود أتـــت بيـــت النبـــي وَعَـــت ... طبـــاً يُزيـــل أذى الأســـقام والـــورم

وفـــي القـــريض لهـــا بـــاعٌ ومدرســـة ... منهـــا تعلـــمَ مـــن يَخـــط بـــالقلم

والشـــعرُ يفخـــرُ إذ تُلقيـــه (عائشـــة) ... أبياتـــه مثـــل عقـــدٍ غيـــر منفصـــم

وفـــي الخطابـــة قـــل: ســـحبانُ يغبطهـــا ... علـــى الحـــديث بلفـــظٍ غيـــرِ مُـــنعجم

فصـــــيحة قولهـــــا لـــــه إبانتـــــه ... يُشِـــعُ نـــوراً كمثـــل البـــدر والـــنجُم

كانـــت تصـــوّبُ للشُـــعرا قصـــائدَهم ... بمَنطـــق طيّـــب الألفـــاظ مُحتـــرم

وجاءهـــا الابـــتلا ، فاستســـلمتْ وَبكـــتْ ... حتـــى أصـــيبتْ مـــن الـــبلاء بالســـقم

والعـــينُ مـــن كثـــرة الـــبلاء قـــد ذبلـــتْ ... وَيـــحَ الـــدموع غـــدتْ كالوَبْـــل والـــدِيَم!

واحلولـــك الجـــوُ فـــي سِـــلم وفـــي حَضَـــر ... والإفـــكُ خـــالجَ عِـــرضَ المصـــطفى الهشـــم

وللمدينـــــــة إرعـــــــادٌ بشـــــــائعةٍ ... تـــؤذي النبـــي ســـرتْ فـــي البيـــت والحـــرم

والنـــــاسُ حِزبـــــان: مـــــوزونٌ يُبرئهـــــا ... مـــــا غـــــره خـــــائنو العهـــــود والـــــذمم

وآخـــــرٌ دون برهـــــان يُجَرّمُهـــــا ... إذ غالـــــه قـــــولُ أفـــــاكٍ ومُجتـــــرم

أمـــــا النبـــــي فمـــــا أتـــــى لـــــه خبـــــرٌ ... يُنبيـــهِ بالفصـــل يُـــردي كـــل مُختصـــم

والكـــــل مُنتظـــــرٌ قـــــرآنَ خالقـــــه ... كـــي يُطفـــئ الـــوحيُ مـــا قـــد شَـــبّ مِـــن ضَـــرم

وعـــــائشُ الخيـــــر تـــــدعو الله ضـــــارعة ... فـــي حالـــةٍ صُـــبغتْ بـــالبؤس والوصـــم

لكـــــنْ لهـــــا أمـــــلٌ فـــــي الله مبتشـــــرٌ ... ولـــم يَـــزُرْ قلبَهـــا شـــيءٌ مِـــن الســـأم

علـــــى يقـــــين بـــــأن الله ناصـــــرُها ... مَـــن يُحســـنِ الظـــن بـــالرحمن يغتـــنم

تـــــدعو وتأمـــــل أن يُزيـــــل كُربتهـــــا ... مُفـــــرّجُ الكُـــــرَب القعســـــاءِ والـــــنقم

وللرجـــــاء نصـــــيبٌ فـــــي تبتلهـــــا ... مـــن قـــرب نصـــر مليـــك النـــاس ذي الـــنعم

فـــي كـــل يـــوم دعـــاءٌ دمعُـــه حَـــدِرٌ ... وبـــالفؤاد يقـــينٌ زيـــنَ بالعشـــم

قـــال النبـــي لهـــا: إمـــا برئـــتِ فـــإن الله مُظهرُهـــا ... بـــالنص يُتلـــى مَـــدى الإصـــباح والغســـم

أو جئـــتِ معصـــية دعـــوتُ مُبـــتهلاً ... مُســـتغفراً خـــالقَ الأكـــوان والنســـم

قالـــت: أجـــب يـــا أبـــي عنـــي بـــلا تِـــرةٍ ... فلـــم يُجبْهـــا لِمَـــا عـــانى مـــن الألـــم

وأم رومـــــان لـــــم تـــــدفعْ مُبررَهـــــا ... أضـــحى اللســـانُ يُقاســـي وطـــأة الـــبكم؟

أمـــا ســـمعتِ أيـــا أمـــي بمظلمتـــي ... هـــل ســـمعُكِ الآن يشـــكو شـــدة الصـــمم؟

وعـــائشُ الطهـــر قالتْهـــا مُدويـــة ... فـــي موقـــفٍ بـــالغ الإيـــلام مُحتـــدم

إن قلـــتُ أذنبـــتُ جـــاء الـــوحي كـــذبني ... بـــرغم صـــدق بـــأمر الله ملتـــزم

أو قلـــتُ جئـــتُ أيـــا أقـــوامُ معصـــية ... كـــذبتموني ، وجرحـــي غيـــرُ ملتـــئم

أقـــول مـــا قـــال (يعقـــوبٌ) بمحنتـــه ... بلفـــظ مصـــطبر ومنطـــق شـــبم

صـــبرٌ جميـــلٌ ، وربـــي أســـتعينُ بـــه ... علـــى الـــبلاء أصـــاب القلـــبَ بـــالغمم

حتـــى إذا بلـــغ الـــبلاءُ ذِروتـــه ... والفتنـــة اشـــتعلتْ بســـاعر الأيُـــم

جـــاء الأمـــينُ بقـــرآن يُبرئنـــي ... ومَـــن تـــلاهُ بـــدرك الحـــق يَعتصـــم

يُبـــين الحـــق بـــين النـــاس قاطبـــة ... ومَـــن يبـــينْ مُـــرادَ الله يُحتـــرم

والله بـــرّأ فـــي القـــرآن (عائشـــة) ... يـــا جوقـــة الإفـــك مـــن كهـــل ومُحـــتلم

ســـليلة الطهـــر مـــا جـــاءتْ بمعصـــية ... بـــل اســـتقامت علـــى منهاجهـــا اللقـــم

قيـــلَ اشـــكري لرســـول الله تبرئـــة ... جاءتـــكِ مـــن خـــالق الإنســـان مـــن عـــدم

قالـــت: ســـأحمد ربـــي دائمـــاً أبـــداً ... فالحمـــدُ لله ربـــي الواحـــد الحكـــم

والـــوحي ينـــزل فـــي لحـــاف (عائشـــة) ... ويغمـــرُ البيـــت بالآيـــات والـــرُحُم

وتســـألين نبـــيَ الله أســـئلة ... تـــنمُ عـــن فهمـــكِ العميـــق للسَـــلَم

والعلـــمُ بـــين ســـؤال والجـــواب لـــه ... فحُـــزتِ بـــالعلم آمـــاداً مـــن الفهُـــم

ونـــال منـــكِ أنـــاسٌ لا خـــلاق لهـــم ... أجـــدادهم عمـــدوا يومـــاً لســـفك دم

والله عـــاقبهم بخيبـــة جثمـــتْ ... إن الهزيمـــة عقبـــى الظـــالم الغلـــم

ويَشـــرقون بحقـــد فـــي القلـــوب بـــدا ... علـــى الوجـــوه بهـــالاتٍ مـــن الأضـــم

والله حـــارقُ أكبـــادَ الألـــى ظلمـــوا ... ومـــن يُشـــاققْ مليـــكَ النـــاس ينهـــزم

وعـــائشُ الخيـــر فـــي الخيـــار قـــد نجحـــتْ ... وأشْـــهرَ الأمـــرُ فـــي الخصـــوص والعَمَـــم

اختـــرتِ ربـــك والأخـــرى وأحمـــدَنا ... نعـــم الخيـــارُ عـــلا بـــالمَطمح الســـنم

لـــــذا وُعِـــــدتِ عظـــــيمَ الأجـــــر يســـــبقه ... رضـــا مليـــك الـــورى المهـــيمن الحكـــم

وكـــــم سُـــــئلتِ عـــــن الإســـــلام أســـــئلة ... يضـــيقُ صـــدراً بهـــا جـــداً ذوو العِمَـــم!

وكـــــم وَأدتِ بـــــدنيا النـــــاس مـــــن بـــــدع ... فـــي الشـــرع نـــافحَ عنهـــا عابـــدو الصـــنم!

وكـــــم تفـــــردتِ بالأحكـــــام يجهلهـــــا ... ذوو البصـــــائر والعلـــــوم والقـــــيم!

وكـــــم تعلـــــم منـــــكِ العلـــــمَ جاهلـــــه ... حتـــــى غـــــدا داعيـــــاً لله ذا حِكَـــــم!

ونلـــــتِ مَكرُمـــــة الجهـــــاد فـــــي (أحـــــدٍ) ... تســـقين مـــن عطشـــوا فـــي ســـاحة الجَحَـــم

وتحملـــين جـــرارَ المـــاء مـــا حملـــت ... أشـــباهَهن ظهـــورُ الأينُـــق الرُسُـــم!

وكـــــم نصـــــحتِ ولاة الأمـــــر فـــــي أدب ... فـــــي أضـــــنكِ الحـــــال والمشـــــاكل الـــــدُهُم

نِعـــــمَ النصـــــيحة إن كانـــــت مُهذبـــــة ... وأنـــــت مَدرســـــة فـــــي العلـــــم والقِـــــيم!

بوركـــــتِ يـــــا أم فـــــي دنيـــــا وآخـــــرةٍ ... وبُردتـــــي ذيلـــــتْ بخيـــــر مُختـــــتم

أبـــــي وأمـــــي فـــــدا العصـــــماء (عائشـــــةٍ) ... مـــا أومـــضَ الـــنجمُ فـــي محلولـــك الظلـــم!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

حُبوره: سُروره وفرحته. التمم: الكامل التام. يُرَجع: يُرَدد بالتنغيم. السيرة العصماء: التي عصمها الله من الكذب والتدليس والتلفيق والعش ، ورغمت أنوف الحاقدين والجاهلين. ينتخب: يختار. التفعيل: تفعيلة الشعر. مؤتلقاً: أي لامعاً وناصعاً. أهازيج: جمع أهزوجة وهي الكلمات المنغمة الممتعة السماع. الرنم: أي النغم والترنيم. رونق: جمالٌ وعذوبة. زخات من الدِيَم: دفعات من المطر. سمت: طبيعة. معتلم: معلوم ومحدد السمات والمعالم. البديع: علم البديع. البيان: علم البيان. السجع: تناغُمُ الكلمات عندما تتشابه نهاياتها. مُزركشة: مُزخرفة. اليُتُم: قطع الذهب الخالص. الفصاحة: القدرة على الحديث بلغةٍ ساميةٍ خاليةٍ من اللعثمة والركاكة. الفهِم: الإنسان المتبصر سريع الفهم والبديهة. نطري: نمدح المدح المعقول الذي ليس فيه

مغالاة. الخديجة: المقصود أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها -. وأثبتنا لها مكانها من أن عائشة تأتي بعدها في المكانة وصاحب هذا الرأي هو النبي – صلى الله عليه وسلم – نفسه! لا تضارعُها: لا تشبهها. حُرمة: امرأة. مكية: من مكة. سمي: نظير أو مثيل أو شبيه. تيمية: من قبيلة تيم. سؤدَدُها: شرفها وأصلها. البرايا: الخلائق. منبهم: مبهم غير معروف. المصطفى الهشِم: من بني هاشم. ذروة: قمة. محتد: أصل. عترته: أهل بيته. الورى: الخلق. جلتْ: نزهتْ. البلواء: المصيبة القاصمة. القحَم: المصائب العاتية. أم رومان: هي زوج أبي بكر الصديق وأم عائشة – رضي الله تعالى عن الجميع -. الدنا: الدنيا. السلَم: الإسلام. غالى: بالغ. ذوو الغشم: أهل البطش والظلم. منتجعاً: مأوى. أس: أي أساس. بنى: عرّس وتزوج. إزم: جمع أزمة وهي الداهية الفظيعة. في نهم: في شوق وحب شديدين. المهيمن الحكم: من أسماء الله تعالى الحسنى. بناء: زواج. متسم: متصف. شمم: علو منزلة. تنعته: تصفه. السيم: الصفات. العقائل: جمع عقيلة وهي المرأة العفيفة الأصيلة ذات الأصل والحسب والنسب. العُصم: الشريفات العفيفات. سائر الطعُم: أي باقي المطعومات. فهُم: جمع فهْم أي فهوم. إضم: وادي يجتمع يه الماء لأنه واقع بين جبلين. تصوم الدهر: أي تصوم يوماً وتفطر يوماً. سيل العرم: هو السيل الشديد الذي يعقبه الخراب والدمار. عقودها الست: أي ستين سنة وزادت ثلاثاً ، لأنها ماتت في ذات عمر النبي – صلى اله عليه وسلم - عن ثلاثٍ وستين سنة. الخِلال: الصفات الكريمة. أضناها: أتعبها. لم تقم: أي لم تقم الليل. أجزل في العطاء: ضاعفه. معاوية: هو الصحابي الجليل وكاتب وحي رسول الله معاوية بن أبي سفيان بن حرب – رضي الله عنهما. الأمّات: جمع أم مثل أمهات ، وهو جمع صحيح لغة ، لكن لم يستخدمه كثير من الشعراء والكتاب والأدباء في أعمالهم. الحشم: حشَم الرجل هم عياله وأهل بيته. قحَم: مصائب عاتية شديدة. اللمم: صغائر الذنوب. عن رغم: أي رغماً عنك. وجاع: جمع وجيعة وهي المرض. الشيح والزعفران والعَنم: كلها نباتات عشبية علاجية استخدمت أيام عائشة وإلى اليوم. الأسقام: الأمراض. القريض: الشعر. باع: نصيب. منفصم: مقطوع. سحبان: هو سحبان وائل من أفصح العرب في الخطابة. يغبطها: يحسدها بغير تمني زوال نعمتها وهذ الفرق بينه وبين الحسد. منعجم: لا يُرف. النجُم: النجوم. تصوب: تصحح الأخطاء. الابتلاء: الإفك واتهامها في عرضها – رضي الله عنها – وحاشاها. الوبْل: المطر. احلولك الجو: اسوَدّ واكفهر. خالج: خالط. إرعاد: ضجة وجلبة وضجيج. أفاك: كذاب متخرص. ينبيه: يخبره. ضرم: نار مضرمة. الوصم: الحزن. الكُرَب القعساء: المصائب الشديدة. الغسم: الليل حالك السواد. النسَم: الناس. محتدم: مشتعل. شبم: بارد هادئ. الأيُم: دخان النار. بدرْك الحق: بإدراكه. اللقم: المستقيم. الرُحُم: الرحمات. الظالم الغلم: الغشيم. السخم: السواد. الخِيار: آية الخِيار في سورة الأحزاب. السنم: الرفيع القدر. ذوو العِمم: كناية عن أهل العلم. أومض النجم: أضاء. محلولك الظلم: أي الظلمات الشديدة السواد.

بُردة علي بن أبي طالب

(إن الكتابة عن النبي – صلى الله عليه وسلم - ، وعن آل بيته وصَحابته – رضي الله عنهم – شرفٌ كبيرٌ للكاتب نثراً كانت كتابته أم شعراً! ومن هنا كانت كتابتي عنهم! وتوالت البُردات الشعرية ، والتي كان منها تخصيصي الإمام العظيم والصحابي الكريم علي بن أبي طالب ببردة شعرية تتناول حياته منذ ولادته مروراً بإسلامه وصحبته وجهاده وخلافته واستشهاده! وكنتُ قد سعدتُ أيما سعادة أن أتم الله علي بردتيّ عائشة وفاطمة – رضي الله عنهما-! والأمر كما وصفه الشاعر الدكتور عبد المعطي الدالاتي عندما قال ما نصه: (إنَّ سندَ العقيدة مُتصِل ، فليس مُصادفةً خلتْ من المعنى أن يكون أبو بكر أولَ من أسلم من الرجال ، وأن يكون عليٌّ أولَ من أسلم من الأطفال. وأن تبدأ الهجرة بتضحية علي ، وأن تستمرَّ وتنتهيَ بصحبة أبي بكر. وأن يُسلّم الرسولُ عليه الصلاة والسلام علياً رايةَ خيبر ، ويُسلّم أبا بكر رايةَ تبوك. وأن تبدأ الخلافةُ الراشدة بأبي بكر الصديق ، وتنتهيَ بعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما).هـ. ونحن نتقرب إلى الله تعالى بحبنا لنبيه – صلى الله عليه وسلم – وبحب صحابته الكرام – رضوان الله عليهم -. فقد حملوا لنا الكتاب والسنة والإسلام! ومن هنا لا نطعن فيهم ولا ننال منهم مطلقاً لأن طعننا في الناقل ونيلنا منه يعني طعن المنقول والنيل منه! ولا يمكن أبدً أن نترك الباب على مصراعيه لمن يكتبون عن علي وفاطمة! بل نزاحمهم بالروايات الصحيحة ، ويكفي علياً فخراً بعد الإسلام والإيمان أنه تزوج من فاطمة بنت محمد - رضي الله عنها - وأما عن تسمية فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها – بالزهراء ، وعن جواز التسمية بالزهراء فالذي قاله الشيخ المنجد وغيره نقلاً عن العلامة بكر بو زيد فهو: (وقفنا عليه في كتب السير والتراجم أن فاطمة رضي الله عنها تلقب بالزهراء ، قال الحافظ بن حجر في كتابه الإصابة: فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين رسول الله.....وتلقب بالزهراء. اهـ. ولم نقف على كلام لأهل العلم في سبب تلقيبها بهذا رضي الله عنها وصلى الله وسلم على أبيها ، ومن حيث اللغة فإن الزهراء مؤنث الأزهر وهما صفتان مشتقتان من الزهر أو الزهرة أي البياض النير وحسن اللون. ولقد أطلق هذا اللقب "الزهراء" على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرٌ من أهل العلم ، منهم ابن حبان البستي ، والخطيب البغدادي ، وابن عبد البر النمري ، وابن الأثير الجزري ، وأبو زكريا النووي ، وأبو الحجاج المزي ، وأبو عبد الله الذهبي ، وابن كثير الدمشقي ، وابن حجر العسقلاني ، وغيرهم ، وكل هؤلاء من حفاظ المسلمين وعلماؤهم وممن يقتدى بهم. ولم يتحرج كثير من علماء العصر الحديث من إطلاق هذا اللقب عليها رضي الله عنها. وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: "فاطمة الزهراء: الزهراء: المرأة المشرقة الوجه ، البيضاء المستنيرة ، ومنه جاء الحديث في سورة البقرة وآل عمران: (الزهراوان) أي: المنيرتان. ولم أقف على تاريخ لهذا اللقب لدى أهل السنة". انتهى من "معجم المناهي اللفظية" (ص 401). فالذي يظهر أنه لا حرج من إطلاق لقب الزهراء على فاطمة رضي الله عنها ، وإن كنا نرى أن طريقة أهل الحديث هي أولى وأجدر بالاتباع ، وهي أن يذكر الصحابي أو الصحابية مع الترضي عنهما دون إحداث ألقاب مدح لم يعرف به الصحابي في زمانه ، ولم ينتشر التلقيب به ، في القرون الثلاثة المفضلة. وعلى ذلك: فلا حرج في تسمية المولود بـ "فاطمة الزهراء" ، من حيث الأصل ، اللهم إلا أن يكون في بيئةٍ يشيع فيها الرافضة ، أو يشيع فيها معتقدهم الباطل في تسمية بنت النبي صلى الله عليه وسلم بـ "الزهراء" ، فيترك مخالفة لهم ، ولئلا يلتبس على الناس قولهم الباطل ، بمراد أهل السنة من ذلك).هـ. وإذن فالراجح من أقوال أهل العلم أنه لا

حرج من إطلاق لقب الزهراء على فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها – لأن هذا الوصف ثابت لها من الروايات التي وصفتها ، وإن لم تصح نسبة الاسم أو اللقب إلا من القليل من أهل العلم!
والأستاذ الأديب ناصر بن سعيد السيف يرى ذات الرؤية ويتجه ذات المتجه فيقول تحت عنوان: (الصحابة نجوم السماء) ما نصه بتصرف خفيف: (كل مسلم عاقل يعلم أن الصحابة الكرام – رضي الله تعالى عنهم أجمعين - هم أفضل الخلق بعد الرسل والأنبياء ، وأن قلوبهم أنقى وأتقى قلوباً بعد قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - وقلوب الرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام - ، وهم أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها عِلماً وأقلها تكلفاً ، وأتقاهم لله – تعالى - وأكثرهم خشية لله – تعالى - ، وأفضل منا عند الله - عز وجل -. ومن أصول أهل السنة والجماعة حب صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنهم صحابة خاتم الرسل والأنبياء وهم نقلة التشريع ، ومن الذين ذكروا تلك الأصول العلامة أبو جعفر الطحاوي - رحمه الله – بقوله : (ونحب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولا نفرط في حب أحدٍ منهم ، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم. ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان. ونثبت الخلافة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أولاً لأبي بكر الصديق – رضي الله تعالى عنه - تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة ، ثم لعمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه - ، ثم لعثمان – رضي الله تعالى عنه - ، ثم لعلي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه - ، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون ، وأن العشرة الذين سماهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبشرهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وقوله الحق ، وهم: أبو بكر الصديق ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة - رضي الله تعالى عنهم أجمعين - ، ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأزواجه الطاهرات من كل دنس ، وذرياته المقدسين من كل رجس ؛ فقد برئ من النفاق. وعلماء السلف من السابقين الغابرين ، ومن بعدهم من التابعين - أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر - لا يُذكرون إلا بالجميل ، ومن ذكرهم بسوءٍ فهو على غير السبيل). وقد ذكر فضلهم سبحانه وتعالى في كتابه العظيم في مواضع عديدة منها قوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) ، قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى -: (ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك - رحمه الله تعالى - ، في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة - رضي الله تعالى عنهم أجمعين - ، قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة ، ويكفيهم ثناء الله عليهم ، ورضاه عنهم. ثم قال: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ) وكلمة من هذه لبيان الجنس ، (مَغْفِرَةً) أي: لذنوبهم. (وَأَجْرًا عَظِيمًا) أي: ثواباً جزيلاً ورزقاً كريماً ، ووعد الله حق وصدق ، لا يخلف ولا يبدل ، وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو في حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة ، رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم ، وقد فعل. قال مسلم في صحيحه: حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو معاوية ،

عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحُدٍ ذهباً ما أدرك مُد أحدهم ولا نصيفه). وجاء في صحيح الإمام مسلم – رحمه الله تعالى - عن أبى بريدة عن أبيه – رضي الله تعالى عنهما - قال: صلينا المغرب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: (ما زلتم ههنا؟) قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ، ثم قلنا نجلس حتى نصلى معك العشاء ، قال: (أحسنتم أو أصبتم) قال: فرفع رأسه إلى السماء ، وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء ، فقال: (النجوم أمنة للسماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) ، قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى -: (معنى الحديث أن النجوم مادامت باقية فالسماء باقية ، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت ، وقوله - صلى الله عليه وسلم -: (وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون) أي: من الفتن والحروب ، وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً وقد وقع كل ذلك. قوله - صلى الله عليه وسلم -: (وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته - صلى الله عليه وسلم -).هـ. و(جاء في إسلام أون لاين) ما نصه بتصرف واختصار كبير: (علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين أحد العشرة المبشرين بالجنة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - هو ابن عم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصهره من آل بيته. رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وممن توفى ورسول الله صلى الله عليه وسلم راضٍ عنهم. فهو ثاني أو ثالث الناس دخولاً في الإسلام ، وأول من أسلم من الصبيان. اشتهر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالفصاحة والحكمة. فينسب له الكثير من الأشعار والأقوال المأثورة. كما يُعدّ رمزاً للشجاعة والقوّة ويتّصف بالعدل والزُهد. ويعتبر من أكبر علماء عصره علماً وفقهاً إن لم يكن أكبرهم على الإطلاق رضي الله عنه. من هو علي بن أبي طالب؟ هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. يرجع نسبه إلى النبي إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. وهو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم. أمه: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. التي قيل أنها أول هاشمية تلد لهاشمي. أسلمتْ وهاجرتْ إلى المدينة المنورة ، تُوفِّيت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلّى عليها ، ونزل في قبرها ، وأثنى عليها رحمها الله. إخوته: من الذكور طالب ، وعقيل ، وجعفر. ومن الإناث هند المعروفة بأم هاني ، وجمانة ، وريطة المكنات بأم طالب وأسماء. وهو (أي علي) أصغر ولد أبيه أبي طالب بن عبد المطلب أحد سادات قريش والمسؤول عن السقاية فيها. ويرجع نسبه إلى نبي الله إسماعيل بن إبراهيم. أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، التي قيل أنها أول هاشمية تلد لهاشمي. ووالده (أي والدا علي) قد كفلا رسول الله حين توفي والداه وجدّه عبد المطلب ، فتربى ونشأ في بيتهما. لا يُعرف يقيناً متى وُلد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لكن بحسب بعض المصادر فإنه ولد بمكة يوم الجمعة الثالث عشر من رجب بعد ثلاثين عامًا من عام الفيل.

هو أصغر أبناء أبيه أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم عم الرسول صلى الله عليه وسلم. أحد سادات قريش والمسؤول عن السقاية فيها. وكان قد كفل الرسول صلى الله عليه وسلم حين توفي والداه وجده وهو صغير فتربى ونشأ في بيته. تقول بعض الروايات أن موضعاً بأحد جدران الكعبة يسمى المستجار قبل الركن اليماني قد انشق لفاطمة بنت أسد حين ضربها الطلق فدخلت الكعبة وولدت علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ذُكر في المستدرك للحاكم النيسابوري: "تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - في جوف الكعبة". وحين كان علي رضي الله عنه ما بين الخامسة والسادسة من عمره مرت بمكة المكرمة سنين عسرة أثّرت على الأحوال الاقتصادية. كان لأبي طالب ثلاثة أبناء: علي وعقيل وجعفر ، فذهب إليه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وعمه العباس بن عبد المطلب ، وعرضا عليه أن يأخذ كل منهما ولداً من أبنائه يربيه ويكفله تخفيفاً للعبء الذي عليه. فأخذ العباس جعفر وأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنهم ، فتربى في بيته وكان ملازماً له أينما ذهب. أين تربى علي ولماذا – رضي الله عنه -؟ تكفّل النبي - عليه الصلاة والسلام - بعلي بعد أن أصابت قريش في إحدى السنوات أزمةٌ شديدةٌ تضرّر الناس بسببها ، وكان أبو طالب كثير الأولاد ، فأتاه النبي مع العباس ، ليكفل كلٌّ منهما أحد أبنائه ، فيُخفّفا عنه ضيقه ؛ فكَفِلَ العباس جعفر ، وكَفِلَ النبي علياً. وتربى في بيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان ملازماً له أينما ذهب ، فكان يذهب معه إلى غار حراء للتعبد والصلاة ، كما يُذكر أنه كان قبل الإسلام حنفياً لم يسجد لصنم قط طيلة حياته. ولقد أسلم علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - وهو صغير ، بعد أن عرض النبي محمد صلى الله عليه وسلم الإسلام على أقاربه من بني هاشم. تنفيذاً لما جاء في القرآن الكريم. وفي رواية عن أنس بن مالك: "بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وأسلم علي يوم الثلاثاء". وفي جميع الأحوال والمتفق عليه أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه أول من أسلم من الصبيان ومن السابقين إلى الإسلام. ذهب البعض مثل ابن اسحاق إلى أنه أول الذكور إسلاماً ، وإن اعتبر آخرون مثل الطبري أن أبا بكر هو أول الرجال إسلاماً مستندين إلى روايات تقول أن علياً لم يكن راشداً حين أسلم ، فالروايات تشير إلى أن عمره حين أسلم يتراوح بين تسعة أعوام وثمانية عشر عام ، وفي رواية أوردها الذهبي في تاريخه: "أول رجلين أسلما أبو بكر وعلي وإن أبا بكر أول من أظهر الإسلام وكان علي يكتم الإسلام فرقاً من أبيه". كما كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول من صلى مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم وزوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بعد الإسلام. ولقد اجتمع سادات قريش في دار الندوة واتفقوا على قتله (قتل النبي محمد). فجمعوا من كل قبيلةٍ شاباً قوياً وأمروهم بانتظاره أمام باب بيته ليضربوه ضربة رجل واحدٍ فيتفرق دمه بين القبائل. جاء المَلَك جبريل عليه السلام إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحذره من تآمر القرشيين لقتله. فطلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم من علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - أن يبيت في فراشه بدلاً منه ويتغطى ببرده الأخضر ليظن الناس أن النائم هو محمد صلى الله عليه وسلم! وبهذا غطي على هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحبط مؤامرة أهل قريش. ويعتبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول فدائي في الإسلام بموقفه في تلك الليلة. كان محمداً صلى الله عليه وسلم قد أمره أن يؤدي الأمانات إلى أهلها ففعل ، حيث كان أهل قريش يضعون أماناتهم عند النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأمانته وحُسن خُلقه. وبقي علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مكة المكرمة ثلاثة أيام حتى وصلته رسالة النبي

محمد صلى الله عليه وسلم عبر رسوله أبي واقد الليثي رضي الله عنه يأمره فيها بالهجرة للمدينة المنورة. خرج علي بن أبي طالب للهجرة إلى المدينة المنورة وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وحسب رواية ابن الأثير في أسد الغابة ، فقد خرج علي رضي الله عنه وحيداً يمشي الليل ويكمن النهار. علي بن أبي طالب في حياة النبي بعد أن وصل علي بن أبي طالب رضي الله عنه المدينة المنورة واستقر فيها ، تزوج من فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها بنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم في شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة ، ولم يتزوج بأخرى في حياتها. أنجب علي من فاطمة الزهراء رضي الله عنهما الحسن والحسين رضي الله عنهما في السنتين الثالثة والرابعة من الهجرة على التوالي. كما أنجب زينب وأم كلثوم رضي الله عنهما. كان عليٌ رضي الله عنه موضع ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان أحد كتاب الوحي الذين يدونون القرآن الكريم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. كما كان أحد سفرائه الذين يحملون الرسائل ويدعون القبائل للإسلام. واستشاره الرسول صلى الله عليه وسلم في الكثير من الأمور مثلما استشاره في ما يعرف بحادثة الإفك. شهد بيعة الرضوان وأمره النبي صلى الله عليه وسلم حينها بتدوين وثيقة صلح الحديبية وأشهده عليه. كما ساهم في فض النزاعات وتسوية الصراعات بين بعض القبائل. وشهد رضي الله عنه جميع المعارك مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلا غزوة تبوك ، التي خلفه فيها على المدينة وعلى عياله بعده ، وقال له صلى الله عليه وسلم: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي". صحيح رواه مسلم. وسلم له الراية في الكثير من المعارك. براعته وشجاعته وقوته في القتال عُرِفَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ببراعته وقوته في القتال ، وقد تجلى هذا في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم. ففي غزوة بدر ، هزم علي – رضي الله عنه - الوليد بن عتبة ، وقتل ما يزيد عن عشرين من المشركين. في غزوة أحدٍ قتل طلحة بن عبد العزى حامل لواء قريش في المعركة. أرسله محمد صلى الله عليه وسلم إلى فدك فأخذها في سنة ٦ هـ. اقتحم حصن خيبر متخذاً الباب درعاً له لشدة قوته في القتال. ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين. كان لعلي رضي الله عنه سيفٌ شهيرٌ أعطاه له الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في غزوة أحدٍ عرف باسم ذو الفقار. إدارته للدولة الإسلامية زمن الخلافة استلم علي الخلافة خلفاً لعثمان رضي الله عنهما في وقت كانت الدولة الإسلامية تمتد من المرتفعات الإيرانية شرقاً إلى مصر غرباً بالإضافة لشبه الجزيرة العربية بالكامل وبعض المناطق غير المستقرة على الأطراف. منذ اللحظة الأولى في خلافته أعلن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - أنه سيطبق مبادئ الإسلام وترسيخ العدل والمساواة بين الجميع بلا تفضيل أو تمييز. على الرغم من أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يقم بأي فتوحات طوال فترة حكمه إلا أنها اتصفت بالكثير من المنجزات المدنية والحضارية ، منها تنظيم الشرطة وإنشاء مراكز متخصصة لخدمة العامة كدار المظالم ومربد الضوال وبناء السجون. وكان يدير حكمه انطلاقاً من دار الإمارة. كما ازدهرت الكوفة في عهده وبنيت بها مدارس الفقه والنحو ، وقد أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا الأسود الدؤلي بتشكيل حروف القرآن لأول مرة. ويعتقد بعض الباحثين أنه أول من سك الدرهم الإسلامي الخالص ، مخالفين بهذا المصادر التاريخية الأخرى التي تقول أن عبد الملك بن مروان هو أول من ضرب الدراهم الإسلامية الخالصة. ولقد كان علي بن ابي طالب ذا مكانةٍ عاليةٍ من المعرفة والحِكمة ، قال فيه عبد الله بن عبّاس: "كنّا إذا أتانا الثَّبْت عن علي - رضي الله عنه - لم نَعْدل به" ، وقال ابن شُبرُمة: "إذا ثبت لنا الحديث عن علي - رضي الله

عنه ـ أخذناه وتركنا ما سواه". وهو من أكثر الصحابة معرفةً بأمور القضاء ، فقد ثبت عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنّ النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: "أرحمُ أمَّتي بأمَّتي أبو بَكرٍ ، وأشدُّهم في دينِ اللَّهُ عمرُ ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ ، وأقضاهم عليٌّ بنُ أبي طالبٍ". كما عُرِف عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه – بكرمه ، وسخائه ، فكان يرى أنّ قضاء حاجة الآخرين أحبّ إلى قلبه ممّا في الأرض من ذهب وفضة ، وقد بلغت الأوقاف التي أوقفها أربعين ألف ديناراً. صبر عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في حياته كثيراً ، وذلك منذ صِغره حين أسلم مع النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في المرحلة السرّية من الدعوة ، وفيما تعرّض له في الغزوات والسرايا ، والفِتن التي واجهها أثناء خلافته ، وكان يحثّ الصحابة على الصبر. ولقد امتثل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لعبادة الله – تعالى ـ الشاملة في كلّ جوانب حياته ، فكان من أصحاب التهجُّد في الليل يحثّ غيره على مخافة الله ، واستشعار مراقبته لهم ، والتوجّه إليه خوفا من عقابه ، ورجاء لرحمته ، مبيّنا لهم أنّ النفع والضرّ بيده وحده ، وأنّه المُنعِم الوحيد عليهم ، ومالك كلّ شيءٍ. ومن حكم وأقوال الإمام علي بن أبي طالب (العلم خير من المال ، لأن المال تحرسه والعلم يحرسك ، والمال تُفْنيه النَّفقة والعلم يزكو على الإنفاق ، والعلم حاكِم والمال محكوم عليه ، مات خازنو المال وهم أحياء ، والعلماء بَاقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة. أعداؤك ثلاثة: عدوك ، وصديق عدوك ، وعدو صديقك . من ينصّب نفسه للناس إماماً ، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره. وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، إذا أَقبلتِ الدنيا على أحد أَعارته محاسن غيره ، وإذا أَدبرت عنه سلبته محاسن نفسه. الإيثار شيمة الأبرار منْ صارع الحق صرعه. ليس بلد بأَحق بك من بلد ، خير البلاد ما حملك من كرُمت عليه نفسه هانت عليه شهوته لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. مثل الدنيا كمثل الحيَّة: ليّن مسّها ، والسمّ النّاقع في جوفها ، يهوِي إليها الغرّ الجاهل ، ويحذرها ذو اللّبّ العاقل! إن الحق لا يعرف بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله. استغنِ عمن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره ، وأحسن إلى من شئت تكن أميره. الصبر صبران: صبر على ما تَكره ، وصبر عما تحب! خير المال ما أغناك وخير منه ما كفاك. خير أصحابك من واساك وخير منه من كفاك شره. من أيقن أحسن ، من تعلم علم ، من اعتزل سلم من عقل فهم ، من عرف كفّ ، من عقِل عفّ ، من اختبر اعتزل ، من أحسن ظنه أهمل ، من ساء ظنه تأمل ، من عمل بالحق غنم ، من ركب الباطل ندم ، من ملكهُ هواه ضل ، من ملكهُ الطمع ذل ، من تفهم فهم ، من تحلّم حلم ، من عجل ذل ، من قل ذل. وأما عن استشهاده فبينما كان علي يؤم المسلمين في صلاة الفجر في مسجد الكوفة ، وفي أثناء الصلاة ضربه عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم على رأسه ، فقال علي رضي الله عنه جملته الشهيرة: "فزت ورب الكعبة". وتقول بعض الروايات أن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه ـ كان في الطريق إلى المسجد حين اغتاله ابن ملجم ، ثم حمل على الأكتاف إلى بيته وقال: "أبصروا ضاربي أطعموه من طعامي ، واسقوه من شرابي ، النفس بالنفس ، إن هلكت ، فاقتلوه كما قتلني وإن بقيت رأيت فيه رأيي". ونهى عن تكبيله بالأصفاد وتعذيبه. وجيء له بالأطباء الذين عجزوا عن معالجته ، فلما علم علي أنه ميت قام بكتابة وصيته كما ورد في مقاتل الطالبيين. ظل السم يسري بجسده إلى أن توفاه الله بعدها بثلاثة أيام تحديداً ليلة ٢١ رمضان سنة ٤٠ هـ عن عمر يناهز ٦٤ سنة حسب بعض الأقوال).هـ. وأستاذنا الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ما نصه بتصرف كبير: (وصفه أهل السير بأنه

كان أسمر اللون ، كثيف شعر اللحية ، ربعة من الرجال ، ضخم البطن ، حسن الوجه ، إلى القصر أقرب ، ويكنى أبا الحسن أو أبا تراب. وهو أول من بارز في سبيل الله مع حمزة - رضي الله عنه - وعبيدة بن الحارث ، وهو من النفر القلة الذين ثبتوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة أحد. وفي غزوة الخندق عدما اقتحم عمرو بن ود بفرسه ، وكان فارسًا من فرسان العرب المشهورين ، وطلب من المسلمين المبارزة وهو مقنع بالحديد ، فقال أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون إلي رجلًا ، فخرج إليه علي بن أبي طالب ، فقال: ارجع يا ابن أخي ومن أعمامك من هو أسن منك ، فإني أكره أن أهريق دمك ، فقال له علي بن أبي طالب: ولكني والله لا أكره أن أهريق دمك ، فغضب ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضبًا ، واستقبله علي بدرقته وضربه عمرو في الدرقة فقدها ، وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ، وضربه علي على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج ، وسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- التكبير فعرف أن عليًا قتله وهو يقول: (نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت رب محمد بصوابِ) (لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الأحزابِ). ومن مواقفه العظيمة أن خيبر لما استعصت على جيوش المسلمين قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ". فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا - قَالَ - فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: "أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب"؟ فَقَالُوا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ - قَالَ - فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ "انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ". ومع شجاعته العظيمة فقد كان من علماء الصحابة ، ومن دهاة العرب ، فقد جيء بامرأة إلى عمر وقد ولدت غلامًا لستة أشهر فأمر برجمها. فقال له علي: يا أمير المؤمنين ألم تسمع إلى قول الله تعالى: (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا)؟ فالحمل ستة أشهر والفصال وهو في عامين. فترك عمر رجم المرأة وكان يقول: قضية ولا أبا الحسن لها. وكان - رضي الله عنه - شديد الورع فقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق من حديث أبي عمرو بن العلاء عن أبيه قال: خطب علي فقال: أيها الناس والله الذي لا إله إلا هو ما رزأت من مالكم قليلًا ولا كثيرًا إلا هذه ، وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب ، فقال: أهداها إلي الدهقان. وروى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد ، فقلت يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيبًا في هذا المال ، وأت تفعل بنفسك هذا؟ فقال: إني والله لا أرزأ من مالكم شيئًا ، وهذه القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي ، أو قال: من المدينة. وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن زرير أنه قال: دخلت على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: حسن: يوم الأضحى - فقرب إلينا خزيرة ، فقلت: أصلحك الله ، لو قربت إلينا من هذا البط - يعني الوز - فإن الله قد أكثر الخير ، فقال: يا ابن زرير إني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان ، قصعة يأكلها هو وأهله ، وقصعة يضعها بين يدي الناس". قال ابن كثير: ولقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عليًا بقتله، فكان كما أخبر سواء بسواء. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمار بن ياسر - رضي الله عنه - أن

النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله ، قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا علي على هذه ، يعني قرنه ، حتى تبل منه هذه ، يعني لحيته". قال الذهبي - رحمه الله -: وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة ، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار ، ونجوز أن الله يتجاوز عنه ، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه ، وحكمه حكم قاتل عثمان ، وقاتل الزبير ، وقاتل طلحة ، وقاتل سعيد بن جبير ، وقاتل عمار ، وقاتل خارجة ، وقاتل الحسين ، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله ، ونكل أمورهم إلى الله - عز وجل-". وروى ابن الأثير في أسد الغابة بسنده من طريق عمرو ذي مر قال: لما أصيب علي بالضربة ، دخلت عليه وقد عصب رأسه ، قال: قلت: يا أمير المؤمنين ، أرني ضربتك. قال: فحلها ، فقلت: خدش وليس بشيء. قال: إني مفارقكم. فبكت أم كلثوم من وراء الحجاب ، فقال لها: اسكتي ، فلو ترين ما أرى لما بكيت. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين ، ما ذا ترى؟ قال: هذه الملائكة وفود ، والنبيون ، وهذا محمد صلى الله عليه وسلم يقول: "يا علي ، أبشر ، فما تصير إليه خير مما أنت فيه").هـ. وتحت عنوان: (سيرة علي بن أبي طالب) تقول الأستاذة الأديبة مريانا قمصية بتصرف زهيد ما نصه: (وكنية علي - رضي الله عنه - بأبي الحسن ، وبأبي ترابٍ ؛ وهي كُنيةٌ أطلقها عليه النبي - عليه الصلاة والسلام - حينما وجده راقداً في المسجد وقد أصاب جسده التراب ، بعد أن سقط الرداء عنه ، فأخذ النبي يمسح التراب عنه ، وهو يردّد: (قُمْ أبَا تُرَابٍ، قُمْ أبَا تُرَابٍ). ذكر ابن إسحاق أنّ عليّاً بن أبي طالب دخل على النبيّ - عليه الصلاة والسلام - ذات مرّةٍ وهو يُصلّي مع السيّدة خديجة - رضي الله عنها - ، فسأله عن ماهيّة تلك العبادة ، فبيّن له أنّها من شعائر الدين الذي اصطفاه الله لعباده ، وأرسل به رسوله ، وعرض عليه الإيمان برسالته ؛ بتوحيد الله ، والتبرُّؤ من الأصنام والأوثان ، فتردّد علي في القبول ، وأراد أن يستشير والده في ذلك ، فكَرِه النبيّ انتشار خبر الدعوة قبل أن يُعلنها بنفسه ، فخيّر علياً بين الإسلام ، أو كتم الأمر وعدم إعلام أحدٍ به. فبات عليّ ليلته تلك يُفكّر في أمر الدعوة حتى وقع الإيمان في قلبه ، فغدا إلى النبيّ - عليه الصلاة والسلام - طالباً منه أن يُعيد عليه ما دعاه إليه أوّل مرّةٍ ، فكرّر عليه النبيّ الشهادتَين ، والتبرُّؤ من اللات والعُزّى ، فأسلم عليّ، ونطق الشهادتَين ، وكتمَ إيمانه ؛ خشيةً من أبي طالب. شارك علي في غزوة بدر: والتي حَمَلَ عليّ - رضي الله عنه - لواء جيش المسلمين فيها ، ولم يتجاوز عُمره حينذاك العشرين سنةً. غزوة أحد: والتي حَمَلَ عليّ - رضي الله عنه - لواء المسلمين فيها بعد استشهاد مُصعب بن عُمير - رضي الله عنه - ، كما دافع عن الرسول وثبت معه في نهاية الغزوة ، فأُصِيب بستّ عشرة ضربةً ، وقد كلّفه النبيّ -عليه الصلاة والسلام- بعد انتهاء المعركة بتحسُّس خبر قريش، فخرج مُتتبِّعاً أثرهم، وعَلِم أنّهم مُتَّجهون صَوب مكّة. غزوة حمراء الأسد: كان عليّ - رضي الله عنه - من الذين استجابوا إلى دعوة النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - بعد غزوة أحد ، وكان حاملاً للواء المسلمين. غزوة بني النضير: والتي تمكّن عليّ - رضي الله عنه - فيها من قتل عَزْوَكَ ؛ أحد زعامات اليهود. غزوة الخندق: والتي بارز عليّ - رضي الله عنه - فيها عمرو بن عبد ودّ العامري ؛ وكان أحد أشهر الفرسان ، فتمكّن عليّ من قتله. غزوة بني قريظة: وقد حمل عليّ راية المسلمين فيها ، فكان في مُقدّمة الجيش. غزوة خيبر: حمل عليٌّ الراية يوم خيبر ، وفتح الله على يدَيه حصونها. غزوة حُنين: والتي ثبتَ عليّ - رضي الله عنه - مع رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فيها حتى نهايتها. صلح الحديبية: وقد سجّل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - موقفاً إيمانياً عظيماً حينما رفض

مَحو عبارة: "محمدٌ رسول الله" ، بعد أن اعترض على كتابتها المشركون. خلافة علي بن أبي طالب كانت خلافة علي ـ رضي الله عنه ـ خلافةً راشدةً كأسلافه ، وكان منهجه في الخلافة كما يأتي: لقد بُويِع لعليّ ـ رضي الله عنه ـ بالخلافة في أوائل السنة الخامسة والثلاثين للهجرة ؛ حيث أجمع المسلمون مهاجرون وأنصار على اختياره خليفةً للمسلمين ؛ لفضله ومكانته ، فزانَ الخلافة ، وشرَّفَها بقَدره وعدالته ، فكانت بيعته بيعة اجتماعٍ ورحمةٍ بالأمّة. وقد تغيّرت عاصمة الخلافة في عهده ـ رضي الله عنه ـ ؛ بسبب التطوُّرات التي فرضت نفسها في تلك الفترة ، فأصبحت الكوفة عاصمة الخلافة ، ومحور الأحداث ، بينما تحوّلت المدينة المُنوَّرة إلى ولايةٍ يرأسها سهل بن حنيف الأنصاري. لم تتوسّع الفتوحات الإسلامية في عهد علي ـ رضي الله عنه ـ ، بينما انتشر الإسلام بقوة في أذربيجان ؛ بفضل الأشعث ؛ والي الخليفة عليها. استمرّ تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، ومراعاتها كما كان سابقاً ، إلّا أنّ اهتمامات الناس في عهد علي ـ رضي الله عنه ـ تغيّرت ؛ فأصبحوا ينظرون إلى أوضاع الولايات الداخليّة ، بعد أن كان جُلّ اهتمامهم مُنصَبّاً على الفتوحات ، ومناطق الثغور. سار عليّ بالناس على نَهج عمر بن الخطّاب ؛ فتشدّد في مَنح الأُعطيات للولاة ؛ بسبب قلّة الفتوحات ، واشتدّ على قريش ؛ فمنع خروجهم من الجزيرة بعد أن تفرّق الناس في الأمصار. مكانة عليّ بن أبي طالب ومنزلته كانت لعليّ ـ رضي الله عنه ـ مكانةٌ عظيمةٌ عند النبيّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ ؛ فقد تربّى عليٌّ في حِجْره ، وصُنِع على عَينه ، فكان قريباً إلى قلبه ، حائزاً عنده مقاماً رفيعاً ، كما زوّجه النبيّ أحبّ بناته إليه ؛ السيّدة فاطمة الزهراء ، ونهى أمّته عن الإساءة إليه ، وحَثّ المسلمين على مَحبّته ، وأمرهم بمُوالاته).هـ. ولقد دأب الرافضة على التمسك بالأحاديث الواهية والموضوعة التي لا تغني من الحق شيئًا ، قال الحافظ أبو يعلى الخليلي: "قَالَ بَعْضُ الْحُفَّاظُ: تَأَمَّلْتُ مَا وَضَعَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي فَضَائِلِ عَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ فَزَادَ عَلَى ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ". وعلق على هذا الإمام ابن القيم: "وَلا تَسْتَبْعِدُ هَذَا فَإِنَّكَ لَوْ تَتَبَّعْتَ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ لَوَجَدْتَ الأَمْرَ كَمَا قال". وقال ابن الجوزي: "بَاب فِي فَضَائِل عَليٍّ عَلَيْهِ السَّلَام. ، فضائله الصَّحِيحَة كَثِيرَة غير أَن الرافضة لم تقنع فَوضعت لَهُ مَا يضع وَلَا يرفع". وهذه جملة من الأحاديث التي وُضِعَت في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والتي انتشرت في أوساط الناس اليوم ، نذكرها ونبين كلام أهل العلم عليها وعلى رواتها ليتنبه لها من يطَّلع عليها ، وليحذر منها أشد الحذر ؛ لأنها مكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يجوز حينها نسبتها إليه صلى الله عليه وسلم ؛ إلا مع بيان وضعها وضعفها تحذيرًا ونصحًا للجميع. ويحسُن بنا أن نشير هنا إلى أحاديث ضعيفة وموضوعة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه! وسوف نعول على الشيخ الألباني في سلسلته الضعيفة لبيان التخريج الدقيق لهذه الأحاديث المختلقة الكاذبة والموضوعة! 1- "إن الله أوحى إلى في علي ثلاثة أشياء ليلة أسري بي ، أنه سيد المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين". (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني ، رقم (353). 2- "السبق ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب ياسين والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب". (ضعيف جدا) السلسلة الضعيفة رقم 358 وضعيف الجامع ، رقم (3334). 3- "علي إمام البررة ، وقاتل الفجرة ، منصورٌ من نصره ومخذولٌ من خذله". (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني ، رقم (357) وضعيف الجامع (37799). 4- "المبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة". (كذب) السلسلة الضعيفة ، برقم (400). 5- "اللهم إن عبدك عليا احتبس نفسه على نبيك فرد

عليه شرقها" ، و(في رواية): "اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس" ، قالت أسماء: "فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت". (موضوع) السلسلة الضعيفة ، برقم (971) للألباني. 6- "إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم" ، قيل: يا رسول الله من هم؟ (وفي رواية سمهم لنا) قال: "علي منهم"، يقول ذلك ثلاثة ، "وأبو ذر وسلمان والمقداد ، أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم". (ضعيف) السلسلة الضعيفة للألباني برقمي (1549 ، 3128) ، وضعيف الجامع (1566) ، وضعيف سنن الترمذي (771) ، وضعيف سنن ابن ماجة (28) ، المشكاة (6249). 7- "أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت بابه". (موضوع) السلسلة الضعيفة ، برقم (2955). 8- "أنا عبد الله وأخو رسول الله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب، صليت قبل الناس لسبع سنين". (باطل) ضعيف سنن ابن ماجة، برقم (23). 9- "رحم الله علياً ، اللهم در الحق معه حيث دار". (ضعيف جداً) السلسلة الضعيفة (2094) وضعيف الجامع (3095) وضعيف سنن الترمذي (767) ، والمشكاة (6125). 10- "علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض". (ضعيف) ضعيف الجامع برقم (3802). 11- "على يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين". (ضعيف) ضعيف الجامع (3805). 12- "ليلة أسري بي انتهيت إلى ربي عز وجل ، فأوحى إلي في علي بثلاث: أنه سيد المسلمين وولي المتقين وقائد الغر المحجلين". (موضوع) السلسلة الضعيفة (4889). 13- "يا أنس: انطلق فادع لي سيد العرب - يعني عليا" ، فقالت عائشة: ألست سيد العرب قال: "أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب ، يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعده؟! قالوا: بلى يا رسول الله! قال: هذا علي فأحبوه بحبي وأكرموه لكرامتي ، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل". (موضوع) السلسلة الضعيفة ، برقم (4890). 14- "أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي". (موضوع) السلسلة الضعيفة ، برقم (4891). 15- "أنا المنذر وعلي الهادي ، بك يا علي يهتدي المهتدون بعدي". (موضوع) السلسلة الضعيفة ، برقم (4899). 16- "لما أسري بي رأيت في ساق العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، صفوتي من خلقي أيدته بعلي ونصرته". (موضوع) السلسلة الضعيف ، برقم (4902). 17- "من أراد أن ينظر إلى آدم في عمله ، وإلى نوح في فهمه ، وإلى إبراهيم في حلمه ، وإلى يحيى في زهده ، وإلى موسى في بطشه فلينظر إلى علي". (موضوع) السلسلة الضعيفة ، برقم (4903). 18- "تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهروانات والشعفات". (موضوع) السلسلة الضعيفة ، برقم (907). 19- "نزلت هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ} يوم غدير خم في علي". (موضوع) السلسلة الضعيفة ، برقم (4922). 20- "لما نصب رسول الله عليا بغدير ختم فنادى له بالولاية ، هبط جبريل بهذه الآية: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي}". (موضوع) السلسلة الضعيفة ، برقم (4923). 21- "هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا" ، يعني: علياً. (موضوع) السلسلة الضعيفة ، برقم (4932). 22- " أنشدكم الله: هل فيكم أحد آخى رسول الله بينه وبينه -إذ آخى بين المسلمين- غيري؟ قالوا اللهم لا". (موضوع) السلسلة الضعيفة ، برقم (4949). 23- "لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي". (مكذوب) على علي ، منهاج السنة (5/ 70). 24- "حب علي حسنة لا تضر معها سيئة وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة". (مكذوب) على علي منهاج السنة (5/ 73). 25- "الثقلان كتاب الله طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فتمسكوا به ولا تضلوا ، والآخر عترتي ، وإن

اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدمهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فهم أعلم منكم". (ضعيف) السلسلة الضعيفة ، برقم (4914). 26- "معرفة آل محمد براءة من النار ، وحب آل محمد جواز على الصراط ، والولاية لآل محمد أمان من العذاب". (موضوع) السلسلة الضعيفة ، برقم (4917). 27- "إن هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا". هذا الحديث باطل متناً وسنداً ، أما من ناحية السند فيه عبد الغفار بن القاسم: قال عنه الذهبي: أبو مريم الأنصاري رافضي ، ليس بثقة ، قال علي بن المديني: كان يضع الحديث ميزان الاعتدال (2/ 640). 28- "إن وصيي وموضع سري هو علي بن أبي طالب ، وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب". رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (9/ 141). وعزاه إلى الطبراني وقال: فيه ناصح بن عبد الله وهو متروك. 29- "أنا دار الحكمة وعلي بابها". رواه الترمذي وأبو نعيم سكت عن قول الترمذي: هذا حديث غريب منكر. ولا نعرف هذا الحديث عن واحد من الثقات عن شريك حديث ، رقم (3723)، وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع ، مشكاة المصابيح (3/ 1777) وحكم ابن الجوزي بأنه مكذوب (الموضوعات 1/ 349). 30- "أنت يا علي وشيعتك {أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ}". فيه أبو الجارود: زياد بن المنذر الكوفي ، قال عنه الحافظ بن حجر: رافضي كذبه يحيى بن معين (التقريب 2101). 31- "أوحى الله إليَّ في علي ثلاثاً: إنه سيد المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين". قال الحافظ: قال الحاكم في المناقب: صحيح الإسناد. قلت: بل هو ضعيف جداً ومنقطع أيضًا، إتحاف المهرة (1/ 344) قائلاً بأن عمر بن الحصين العقيلي وشيخه يحيى بن العلاء الرازي متروكان بل صرح بأن الحديث موضوع. 32- "بخ بخ لك يا علي ، أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة". فيه علي بن زيد بن جُدعان ، قال عنه الجوزجاني: واهي الحديث ضعيف ، الشجرة في أحوال الرجال ، ص (194) قال ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (1/ 226): هذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به. ومن فوقه إلى أبي هريرة ضعفاء. وقال البزار: تكلم فيه جماعة من أهل العلم (كشف الأستار 490) وقال الدارقطني: ليس بالقوي. سنن الدارقطني (1/ 103). 33- "رحم الله علياً ، اللهم أدر الحق معه حيث دار". رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين (المستدرك 3/ 125) فيه المختار بن نافع التميمي ، قال الذهبي تعقيباً على الحاكم: المختار ساقط. وقال الحافظ: المختار ضعيف (التقريب 6522). 34- "على أخي في الدنيا والآخرة". ضعيف (انظر ضعيف الجامع للألباني 3801). 35- "على باب حطة ، ومن دخله كان آمنًا". موضوع: فيه حسين الأشقر. قال البخاري: فيه نظر (التاريخ الكبير 2/ 2862) وقال: عنده مناكير (التاريخ الصغير 2/ 319) انظر السلسلة الضعيفة للألباني (3913). 36- "علي خير البشر فمن أبي فقد كفر". موضوع: قال الحافظ بن حجر: أخرجه ابن عدي من طرق كلها ضعيفة ، تسديد القوس (3/ 89). قال الذهبي: هذا حديث منكر. ووصف الذهبي هذا الحديث بأنه باطل جلي (ميزان الاعتدال 1/ 521) وابن الجوزي في الموضوعات (1/ 348). 37- "لقد علمت أن علياً أحب إليك من أبي مرتين أو ثلاثا". ضعفه الألباني (ضعيف أبي داود ، ص 491). 38- "مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ، من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق". رواه الطبراني في الكبير (3/ 37) والهيثمي (9/ 168) في إسناده عبد الله بن داهر والحسن بن أبي جعفر وهما متروكان ، قاله الهيثمي. 39- "من أحب أن يحيا حياتي ويموت موتتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي عز وجل وغرس قضبانها

بيديه فليتول علي بن أبي طالب". صححه الحاكم (3/ 128) وتعقبه الذهبي فيه القاسم متروك وشيخه ضعيف ، وهو: يحيى بن العلي الأسلمي. قال الحافظ في التقريب (7677): رافضي ضعيف. لكنه أخطأ في ذكر اسم الأسلمي فسماه المحاربي واستغل عبد الحسين في المراجعات ذلك أبشع استغلال. 40- "ما صب الله في صدري شيئا إلا صببته في صدر علي". حديث موضوع (الموضوعات 1/ 131) ، أسس الطالب (1262). 41- "محبك محبي ومحبي محب الله ، ومبغضك مبغضي ومبغضي مبغض الله". قال الحافظ: رواه ابن عدي وهو باطل. (لسان الميزان 2/ 109). وتحت عنوان: (أبناء علي - رضي الله عنه - يُحرجون الرافضة!) يقول أستاذنا الفاضل والداعية المجتهد الموحد سليمان بن صالح الخراشي ما نصه: (أبناء علي بن أبي طالب وهم (الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية) رضي الله عنهم يُحرجون الروافض. *أما الحسن - رضي الله عنه - ، فهو أحد الأئمة المعصومين عند الروافض ، أي أن أقواله وأفعاله معصومة عندهم! فلا يُمكن أن يخطئ فيها ، وقد أحرج الروافض مرتين: المرة الأولى: عندما تنازل عن الخلافة لصالح معاوية - رضي الله عنه - في عامٍ سماه المسلمون بعام الجماعة ، وفرحوا به ، وبايعه الصحابة أجمعون بالخلافة ، وفيهم أهل البيت كلهم ؛ فتحقق بذلك قول جده صلى الله عليه وسلم : (إن ابني هذا سيد وسيُصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) أخرجه البخاري. فيُقال للروافض: أنتم تعتقدون أن معاوية كان كافرًا - والعياذ بالله - ، فكيف يتنازل له الإمام المعصوم عندكم عن قيادة الأمة الإسلامية ، وهو المنصب الخطير الذي تتعلق به أمورٌ مهمة كثيرة؟! فإما أن يكون الحسن - رضي الله عنه - غير معصوم ، وهذا ما يُبطل عقيدتكم. وإما أن يكون معاوية - رضي الله عنه - مُسلمًا ، وهذا ما يُبطل عقيدتكم أيضًا. فأنتم بين أمرين: أحلاهما مُر! ولقد حاول بعض الروافض أن يتذاكى ويدعي أن الحسن إنما تنازل عن الحكم ولم يتنازل عن الإمامة! وأن هناك فرقًا بينهما! والتنازل عن الحكم يجوز عندهم في سبيل حماية الحسن وأتباعه القلائل من القتل والإبادة! وهذا تهرب منهم عن مواجهة الحقيقة ، لأنه لا فرق بين الإمامة والحكم عند علمائهم! وإلا لما أقاموا الدنيا على الخلفاء الراشدين قبل علي - رضي الله عنهم جميعًا -. وأيضًا: لم يكن أتباع الحسن - رضي الله عنه - قلة كما يزعمون! قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - تعليقًا على الحديث السابق: (وفي هذه القصة من الفوائد: علَم من أعلام النبوة ، ومنقبة للحسن بن علي ؛ فإنه ترك المُلك لا لِقِلّةٍ ولا لِذِلةٍ ولا لِعِلّةٍ ، بل لرغبته فيما عند الله). والمرة الثانية: أن الحسن - رضي الله عنه - باعتراف علمائهم (جعل أحد شروط الصلح مع معاوية ، أن يحكم في الناس بالكتاب والسنة ، وعلى سيرة الخلفاء الراشدين). انظر: "كشف الغمة للأربلي" (193/2) و"بحار الأنوار" للمجلسي (65/44). وفي هذا دلالة أكيدة على أن الحسن كان يرى صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، ويصفها بالراشدة ، وهذا خلاف معتقد الروافض فيهم! *وأما الحسين - رضي الله عنه - فإن من عقيدة الروافض أن أئمتهم يعلمون الغيب (المطلق) ، ويروون عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: (إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وما يكون)."الأصول من الكافي 1 / 261 ". وعنه أيضاً عليه السلام أنه قال: (والله لقد أُعطينا علم الأولين والآخرين. فقال له رجل من أصحابه: جُعلت فداك أعندكم علم الغيب؟ فقال له: ويحك إني لأعلم ما في أصلاب الرجال وأرحام النساء). "بحار الأنوار 26 / 27". ومن المتفق عليه أنه - رضي الله عنه - توجه إلى العراق بعدما كاتبه مَن يزعمون أنهم أنصاره ، ثم خانوه ، فتوجه مع أهل بيته وقاتل أعداءه ،

حتى قتلوه ومَن معه من آل البيت - رحمهم الله - ، وهم حسب رواية الروافض: (الحسين بن علي. والعباس بن علي. وعلي الأكبر. والقاسم بن الحسن. وعبد الله الرضيع بن الحسين. وجعفر بن علي بن أبي طالب. وعبد الله علي بن أبي طالب. وعثمان بن علي بن أبي طالب. ومحمد بن علي بن أبي طالب. وأبو بكر بن علي بن أبي طالب. وأبو بكر بن الحسن ابن علي بن أبي طالب. وعبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب. وعون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. ومحمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. وجعفر بن عقيل بن أبي طالب. وعبد الرحمن ابن عقيل بن أبي طالب. ومسلم بن عقيل بن أبي طالب. وعبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب. ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب.) فإذا كان - رضي الله عنه - يعلم الغيب كما يدعي الروافض: فلماذا ألقى بنفسه وبمن معه إلى التهلكة ، فيكون منتحرًا - والعياذ بالله - ، فإن كان ارتضى الموت لنفسه لمصلحة الدين كما يزعم بعضهم فرارًا من هذا الإحراج! ، فأي ذنبٍ لمن معه ، يُعرضهم للموت في الصحراء؟! ثم أي مصلحة للدين حصلت بقتله ، وقتل هؤلاء الأخيار معه؟! هذا مما يؤكد بطلان عقيدة الروافض ، وأنه أحرج غلوهم بفعله هذا؟!

***أما محمد بن الحنفية - رضي الله عنه - ؛ فإن الروافض يُشنع كثيرٌ منهم على أبي بكر - رضي الله عنه - في قتاله للمرتدين ومانعي الزكاة ، ويدعي بعضهم أن عليًا - رضي الله عنه - لم يُشارك في تلك الحرب. رغم أن كتابهم المقدس المكذوب على علي بن أبي طالب (نهج البلاغة) يُثبت هذه المشاركة! ويروي عنه قوله: (فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام ، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله ؛ فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلمًا أو هدمًا تكون المصيبة به عليَّ أعظم). وتنزلاً معهم في أنه - رضي الله عنه - لم يُشارك في حروب الردة ، فإنه من المتفق عليه بيننا وبينهم أن أبا بكر - رضي الله عنه - قد أهدى عليًا - رضي الله عنه - إحدى سبايا بني حنيفة ، وهي خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية ، التي ولدت له ابنه (محمد) الذي عُرف (بابن الحنفية) نسبةً لها ، وهذا ما يؤكد إقرار عليٍ - رضي الله عنه - لتلك الحرب ، وإلا لما استجاز لنفسه أن يقبل السبيّة من أبي بكر - رضي الله عنه -! ولهذا قال الإمام السمعاني عنها: (كانت من سبي بني حنفية أعطاها إيّاه أبو بكر الصديق ، ولو لم يكن إماماً لما صحّ قسمته ، وتصرّفه في خمس الغنيمة ، وعليٌ أخذ خولة ، وأعتقها ، وقد تزوج بها) " الأنساب 4 / 299 ". وإذن فلا صمود لهذه الأحاديث الباطلة والكاذبة والموضوعة أمام الحق! لقد غربلها العلماء قديماً وحديثاً وأثبتوا كذبها وافتراء أهلها! لقد انطلق الأفاكون الكاذبون لكل حكمة قيلت في الشرق والغرب ونسبوها لعلي بن أبي طالب! فهل كان علي ينتظر أن تسرقوا أقوال الفلاسفة وحكمهم لتنسبوها لعلي؟ ما حاجة علي لأن نقوله ما لم يقل فننسب إليه أقوال برناردشو وتوماس كارليل وطاغور الهندي والمهاتما غاندي وسقراط وأرسطو وأفلاطون وتولستوي وشكسبير؟! إن ديناً قام على الكذب والإفك والخرافة والشعوذة والتضليل والتزوير لدين باطل لا خير فيه! والله لو كان علي حياً ما قبل أبداً أن ننسب إليه حكم وأمثال الشعوب لأنه قال أفضل منها وأجمل وأكمل! لقد كان عليّ قويّ الإيمان، شديد الشجاعة ، وقد جاء في (فتح الباري) أن رسول الله قال له: "نَمْ فِي فِرَاشِي وَتَسَجَّ بِبُرْدِي هَذَا الحضرمي، فنم فيه ، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم" ، فرقد عليّ على فراش رسول الله يواري عنه ، وباتت قريش تختلف وتأتمر ، أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه ، حتى إذا أصبحوا فإذا هم بعليٍّ ، فسألوه ، فقال: لا علم لي ، فعلموا أنه قد فرّ. وعن ابن عباس قال: إن عليًا قد شرى نفسه تلك الليلة حين لبس ثوب النبي ، ونام مكانه. وفي**

عليٍّ وإخوانه من الصحابة الكرام الذين يبتغون رضوان الله والدار الآخرة ، نزل قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ}. وفي غزوة بدر كان عليّ من الثلاثة الذين بدأوا المعركة بالمبارزة ، فبارز الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وقتله. كان عليّ مقدامًا لا يهاب الموت ، صنديدًا لا يجزع لمرأى الأبطال ومنازلتهم ، بل يسعى إليهم ، ومن ذلك ما حدث في غزوة أُحد حيث بدأ القتال بمبارزة بين عليٍّ وطلحة بن عثمان ، وكان بيده لواء المشركين ، وطلب المبارزة مرارًا ، فخرج إليه علي بن أبي طالب ، فقال له: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يجعلك الله بسيفي إلى النار ، أو يجعلني بسيفك إلى الجنة ، فضربه عليّ ، فقطع رجله ، فوقع على الأرض ، فانكشفت عورته ، فقال: يا ابن عمي أنشدك الله والرحم. فرجع عنه ، لم يجهز عليه ، فكبر رسول الله ، وقال لعليٍّ بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشد في الرحم حين انكشفت عورته ، فاستحييت منه. ولم يكن ذلك هو الدور الوحيد لذلك الفارس المقدام في هذه الغزوة ، فقد كان في ميمنة الجيش بعد الالتحام ، فأخذ الراية بعد استشهاد مصعب ، وقتل من المشركين خلقًا كثيرًا ، رغم ما أصاب المسلمين في هذه الغزوة ، إضافة إلى بلائه في الدفاع عن رسول الله وهو الذي أخذ بيد رسول الله لما وقع في الحفرة ، وأخذ يطببه ويداوي جرحه مع فاطمة زوجته بنت رسول الله. وقد ظهرت شجاعة عليٍّ في تلك المعركة ، فعندما أشيع أن الرسول قد قتل ، وافتقده علي ، رأى أن الحياة لا خير فيها بعده ، فكسر جفن سيفه ، وحمل على القوم حتى أفرجوا له ، فإذا برسول الله فثبت معه ، ودافع عنه دفاع الأبطال ، وقد أصابته في ذلك ستة عشرة ضربة. وفي غزوة الأحزاب كان موقفه البطولي في الغزوة رائعًا يدل على مدى رسوخ العقيدة في قلوب أصحاب النبي. يذكر ابن إسحاق أن علي بن أبي طالب خرج في نفر المسلمين بعد أن اقتحمت خيل المشركين ثغرة في الخندق ، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منه خيلهم ، وأقبلت الفرسان تعدو نحوهم ، وكان عمرو بن عبد وُد قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراح ، فلم يشهد يوم أحد ، فقلت فلما كان يوم الخندق خرج معلمًا ليرى مكانه فلما وقف هو قال: من يبارز؟ فبرز عليُّ بن أبي طالب ، فقال: يا عمرو إنك كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه ، قال له: لم يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال له عليّ: لكني والله أحب أن أقتلك. فحمى عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقرها وضرب وجهها ، ثم أقبل على عليٍّ ، فتنازلا ، وتجاولا ، فقتله عليّ وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة. وقد كانت شجاعة عليٍّ مقرونةً بالفطنة وحسن التدبير والتخطيط ، وما يدل على ذلك ما كان في غزوة حنين في العام الثامن من الهجرة، فقد ثبت مع رسول الله ، مع من ثبت معه من المهاجرين والأنصار ، وكان في جيش هوازن رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه ، فأردك عليّ بعبقريته الحربية وتجربته الطويلة أن هذا الرجل عامل مؤثر في حماس هوزان وشدتها، فاتجه علي بن أبي طالب رجل من الأنصار نحوه ، واستطاع إسقاطه من على جمله ، فما كانت إلا ساعة حتى انهزموا وولوا الأدبار وانتصر المسلمون. وكان عليّ ذا مواهب عديدة ، وقدرات فذة ، ولكنّ ذلك لم يُطمعه في الدنيا ومتاعها ، بل هداه إيمانه وتربيته في بيت النبوة إلى التقلل من زاد الدنيا إلى حد التقشف ، والزهد فيها رغم قدرته عليها ، ولكنه ملكه في يده ، ولم يتركها تملك قلبه ، وقد كان ورعًا لا يتجرأ على مال أحد ، بل يضعه حيث ينبغي له ، وفي كل هذا له مواقف تشهد له. فعن رجل من ثقيف أن عليًا استعمله على عكبراً قال: ولم يكن السواد يسكنه المصلون ، وقال لي: إذا كان

عند الظهر فرح إليّ ، فرحت فلم أجد عنده حاجبًا يحبسني من دونه ، ووجدته جالسًا وعنده قدح ، وكوز من ماء ، فدعا بطينة ، فقلت في نفسي: لقد أمنني حتى يخرج إليَّ جوهرًا ولا أدري ما فيها ، وإذا عليها خاتم فكسر الخاتم ، فإذا فيها سويق ، فأخرج منها فصب في القدح ، فصب عليه ماء ، فشرب وسقاني ، فلم أصبر ، فقلت: يا أمير المؤمنين ، أتصنع هذا بالعراق ، وطعام العراق أكثر من ذلك؟! قال: أما والله ما أختم عليه بخلا به، ولكني أبتاع قدر ما يكفيني ، فأخاف أن يفنى فيصنع من غيره ، وإنما حفظي لذلك ، وأكره أن أدخل بطني إلا طيبًا. وعن الأعمش قال: كان عليّ دخل على فاطمة والحسن والحسين يبكيان ، فقال ما يبكيهما؟ قالت: الجوع. فخرج عليّ فوجد دينارًا في السوق ، فجاء إلى فاطمة فأخبرها ، فقالت: اذهب إلى فلان اليهودي فخذ لنا به دقيقًا ، فجاء إلى اليهودي فاشترى به دقيقًا فقال اليهودي: أنت ختن هذا الذي يزعم أنه رسول الله؟ قال: نعم. قال: فخذ دينارك والدقيق. فخرج عليّ حتى جاء فاطمة فأخبرها ، فقالت اذهب إلى فلان الجزار فخذ لنا بدرهم لحمًا ، فذهب فرهن الدينار بدرهم على لحم ، فجاء به فعجنت ، ونصبت ، وخبزت ، وأرسلت إلى أبيها فجاءهم ، فقالت: يا رسول الله أذكر لك ، فإن رأيته حلالاً أكلنا وأكلت ، من شأنه كذا وكذا ، فقال: "كُلُوا بِسْمِ اللَّهِ". فأكلوا فبينما هم مكانهم إذا غلام ينشد الله والإسلام الدينار ، فأمر رسول الله فدعي له ، فسأله فقال: سقط مني في السوق ، فقال النبي: يا علي اذهب إلى الجزار فقل له: إن رسول الله يقول لك: أرسل إليّ بالدينار ، ودرهمك عليّ ، فأرسل به فدفع إليه. لقد فرغ بيته من الطعام ، هو ختن النبي ، ويبكي ابناه سيدا شباب أهل الجنة من الجوع ، إن شخصية كهذه خليقة بأن تستمر على طهرها مهما تولت أعلى المناصب ، وقد كان. فقد صعد عليّ المنبر ذات يوم ، وقال: من يشتري مني سيفي هذا؟ فلو كان عندي ثمن إزار ما بعته. فقام إليه رجل وقال: أسلفك ثمن إزار. وذات يوم اشترى قميصًا بثلاثة دراهم ، وهو خليفة ، وقطع كمّه من موضع الرسفين وقال: الحمد لله الذي هذا من رياشه. وقد كان تقشف عليّ قائمًا على أساس من الزهد في زينة الدنيا ، وورع من الحرام ، ولو كان فتاتًا ، وقد عاهد عليّ رسول الله على ذلك ، فقد روي عنه قال: قال رسول الله: عَلِيُّ ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا زَهَدَ النَّاسُ فِي الآخِرَةِ ، وَرَغِبُوا فِي الدُّنْيَا ، وَأَكَلُوا التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا ، وَأَحَبُّوا الْمَالَ حُبًا جَمًّا ، وَاتَّخَذُوا دِينَ اللَّهِ دَخَلاً ، وَمَالَ اللَّهِ دِوَلا؟ قلت: أتركهم حتى ألحق بك إن شاء الله تعالى. قال: صَدَقْتَ ، اللَّهُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ بِهِ. وأوفى عليّ بالعهد بالزهد في المال ، وما هو أقل منه من الملبس والطعام ، فقد أخرج ابن المبارك عن زيد بن وهب قال: خرج علينا عليّ ، وعليه رداء وإزار قد وثقه بخرقة ، فقيل له ، فقال: إنما ألبس هذين الثوبين ليكون أبعد لي من الزهو ، وخيرًا لي في صلاتي ، وسنة للمؤمن. وأخرج البيهقي عن رجل قال: رأيت على عليّ إزارًا غليظًا ، قال: اشتريته بخمسة دراهم ، فمن أربحني فيه درهمًا بعته إياه. وعن عبد الله بن شريك عن جده عن عليّ بن أبي طالب أنه أتى بفالوذج ، فوضع قدامه بين يديه ، فقال: إنك طيب الريح حسن اللون ، طيب الطعم ، لكن أكره أن أُعَود نفسي ما لم تعتده. وخليق بمن كانت هذه حاله من الدنيا أن يتورع أن يصيب منها شيئًا لا يحل له ، أو أن يصيب أكثر من حقه ، فعن عليّ بن ربيعة عن عليّ بن أبي طالب قال: جاءه ابن النباح ، فقال: يا أمير المؤمنين ، امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء. فقال: الله أكبر. ثم قام متوكئًا على ابن النباح ، حتى قام إلى بيت المال فقال: هذا جناي خياره فيه كل جانٍ يده إلي فيه ، يا ابن النباح علَيَّ بأشياخ الكوفة. قال: فنادى في الناس ، فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين ، وهو يقول: يا صفراء ، ويا بيضاء غريّ غيري ، ها ، ها. حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ، ثم أمره

بنضحه ، وصلَّى فيه ركعتين. دخل مرة بيت المال فرأى فيه شيئًا ، فقال: لا أرى هذا هنا وبالناس حاجة إليه ، فأمر به فقسم ، وأمر بالبيت فكنس ، ونضح فصلَّى فيه ، أو قال فيه ، يعني: نام. كما أخرج أحمد عن عبد الله بن زُرَيْر ، قال: دخلت على عليّ بن أبي طالب يوم الأضحى فقرب إلينا خزيرة ، فقلنا أصلحك الله ، لو أطعمتنا هذا البط ـ يعني الأوز ـ فإن الله قد أكثر الخير قال: يا ابن زرير ، إني سمعت رسول الله يقول: "لاَ يَحِلُّ لِلْخَلِيفَةِ مِنْ مَالِ اللَّهِ إِلاَّ قَصْعَتَانِ: قَصْعَةٌ يَأْكُلُهَا هُوَ وَأَهْلُهُ ، وَقَصْعَةٌ يَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ". ولما كان الورع سمته في بيته مع أهله ، فعن عليّ بن ربيعة قال: كان لعليٍّ امرأتان ، فكان إذا كان يوم هذه اشترى لحمًا بنصف درهم ، وإذا كان يوم هذه اشترى لحمًا بنصف درهم. رجل هذه حاله هو من تحتاجه الأمة في كل عصر؛ لينهض بها من كبوتها ، ويقودها إلى المعالي. ورغم مكانة عليٍّ ، وقربه من رسول الله ، وبلائه في الإسلام ، فإنه لم يكن يرى لنفسه فضلاً على أحد ، ولم يتغير بعد خلافته ، فلم يتكبر ، ولم يَمِل لزخرف الدنيا ، وزينتها ، ولو كانت مباحة ، لأنه أخذ نفسه بالشدة ، وألفت نفسه التواضع ، ونبذت الكبر ، وصفات الطغاة ، فقد روى البخاري عن محمد ابن الحنفية (ابن علي بن أبي طالب) قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول: عثمان ، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. وروى البخاري في (الأدب المفرد) عن صالح بياع الأكسية ، عن جدته ، قالت: رأيت عليًا اشترى تمرًا بدرهم ، فحمله في ملحفته ، فقلت له ، أو قال له رجل: أحمل عنك يا أمير المؤمنين؟ قال: لا ، أبو العيال أحق أن يحمل. وكان متواضعًا في لباسه ، لم يعرف الفاخر منه يومًا ، بل كان يعتبره سببًا في خشوع القلب ، كما أنه قدوة للمؤمنين ، فقد روى عمرو بن قيس أن عليًا رُئي عليه إزار مرقع ، فعوتب في لبوسه ، فقال: يقتدي به المؤمن ، ويخشع له القلب. وعن أبي النوار قال: رأيت عليًا اشترى ثوبين غليظين ، خير قنبرًا أحدهما. وعن فضيل بن مسلم عن أبيه ، أن عليًا اشترى قميصًا ، ثمّ قال: اقطعه لي من ههنا من أطراف الأصابع. وفي رواية أخرى أنه لبسه فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه ، فأمر به فقطع ما فضل عن أطراف الأصابع ، وذلك لكي يتفادى الإسبال في الأكمام. وكان تواضعه يجعله يقبل النصح ، ولا تأخذه العزة بالإثم ، فقد روى محمد بن كعب القرظي قال: سأل رجل عليًا عن مسألة ، فقال فيها فقال الرجل: ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كذا وكذا ، فقال عليٌّ: أصَبْتَ وأخطأتُ ، وفوق كل ذي علمٍ عليم. ولقد قالوا في جملة ما قالوا من الكذب: إن علياً لم يبايع أبا بكر الصديق على الخلافة! حول ما يُقال إن خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ قضيّة مُجمع عليها ، فهل صحيح أنَّ علياً وأصحابه لم يكونوا ضمن هذا الإجماع؟ والإجابة على هذا السؤال أن نقول: إن علياً ـ رضي الله عنه ـ لم ينكر هو ولا غيره أولوية أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة ، وقد بايع أبا بكر مرتين ، فقد روى الحافظ البيهقي من طريق فيه ابن خزيمة عن أبي سعيد الخدري في قصة البيعة يوم السقيفة ، وفيه: فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار ، قال: فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير ، قال: فدعا بالزبير فجاء ، فقال: قلت ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين ، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام فبايعه ، ثم نظر وجوه القوم فلم ير علياً ، فدعا بعلي بن أبي طالب فجاء ، فقال: قلت: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين ، قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه وقال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة ، يقول: جاءني مسلم بن الحجاج

فسألني عن هذا الحديث ، فكتبته له في رقعة وقرأته عليه ، وهذا حديث يساوي بدنة ، بل يساوي بدرة! وأما البيعة الثانية: فقد تمت بعد وفاة فاطمة ـ رضي الله عنها ـ كما روى الشيخان في صحيحيهما: عن عائشة أن فاطمة – رضي الله عنها ـ بنت النبي صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر ، فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورث ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد صلى الله عليه وسلم في هذا المال ـ وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً ، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته ، فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها زوجها عليٌّ ليلاً ، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها ، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة ، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته. فذكرت الحديث ، وفيه: فلما صلى أبو بكر الظهر رقي على المنبر ، فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة ، وعذره بالذي اعتذر إليه ثم استغفر ، وتشهد علي فعظم حق أبي بكر ، وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ولا إنكاراً للذي فضله الله به ، ولكنا نرى لنا في هذا الأمر نصيباً فاستبد علينا فوجدنا في أنفسنا ، فسر بذلك المسلمون وقالوا: أصبت ، وكان المسلمون إلى علي قريباً حين راجع الأمر المعروف. وقد أورد ابن كثير ـ رحمه الله ـ البيعتين ، وقال بعد ذكر البيعة الثانية: فهذه البيعة التي وقعت من علي رضي الله عنه ، لأبي بكر رضي الله عنه ، بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها ، بيعة مؤكِّدة للصلح الذي وقع بينهما ، وهي ثانية للبيعة التي ذكرناها أولاً يوم السقيفة ، كما رواه ابن خزيمة وصححه مسلم بن الحجاج ، ولم يكن علي مجانباً لأبي بكر هذه الستة الأشهر ، بل كان يصلي وراءه ويحضر عنده للمشورة ، وركب معه إلى ذي القصة. وفي صحيح البخاري: أن أبا بكر رضي الله عنه صلى العصر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بليال ، ثم خرج من المسجد فوجد الحسن بن علي يلعب مع الغلمان ، فاحتمله على كاهله وجعل يقول: يا بأبي شبه النبي ، ليس شبيهاً بعلي ، وعلي يضحك ، ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن علياً لم يبايع قبلها فنفى ذلك ، والمثبت مقدمٌ على النافي كما تقدم وكما تقرر. والله أعلم. انتهى. وقال ابن القاسم في كتابه: أبو بكر الصديق أفضل الصحابة ، وأحقهم بالخلافة: أجمع الصحابة على أفضلية الصديق ، وأنه أحق بالخلافة ، وولوه باختيارهم ورضاهم من غير أن يضرب أحدًا منهم بسيف ولا عصى ، ولا أعطى أحدًا ممن ولاه مالاً وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ بمحضر المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ولم ينكر منهم منكر ، ولا قال أحد من الصحابة: إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه ، ولهذا قال عمر بن الخطاب في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: ليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر ـ رواه البخاري ومسلم. اهـ. وإن كنا أنكرنا على القوم سرقة أقوال الفلاسفة والحكماء وأمراء البيان ، في الشرق والغرب ، ومن العرب والعجم ، وفي القديم والحديث ، ونسبتها جزافاً إلى عليّ ، فها نحن أولاء نثبت بعض الحكم التي صحت نسبتها لعلي بن أبي طالب بثقةٍ وصدق ويقين! فمن ذلك قوله: (الناس أعداء ما جهلوا. أعداؤك ثلاثة: عدوك ، وصديق عدوك ، وعدو صديقك. إن النعمة موصولة بالشكر ، والشكر متعلق بالمزيد. ولن ينقطع المزيد من الله

حتى ينقطع الشكر من العبد. من ينصب نفسه للناس إمامًا ، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره. خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ. الإيثار شيمة الأبرار. لاَ تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ ، فَإِنَّ الْحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ. الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، فَخُذِ الْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ. مَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ: أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ ، وَلاَ يَرْزُقُ نَفْسَهُ ، وَلاَ يَدفَعُ حَتْفَهُ. لِكُلِّ امرئ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ: الْوَارِثُ ، وَالْحَوَادِثُ. خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ. استغنِ عمن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره ، وأحسن إلى من شئت تكن أميره. حكم في الأخلاق وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه . كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ ، لاَ ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ ، وَلاَ ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ. أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ ، وَرَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ ضُرَّهُ ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ. الْبُخْلُ عَارٌ ، وَالْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ ، وَالفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ ، وَالْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلْدَتِهِ. الْعَجْزُ آفَةٌ ، وَالصَّبْرُ شَجَاعَةٌ ، وَالزُّهْدُ ثَرْوَةٌ ، وَالْوَرَعُ جُنَّةٌ ، وَنِعْمَ الْقَرِينُ الرِّضَى. مَا الْمُجَاهِدُ الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَعْظَمَ أَجْراً مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ ، لَكَادَ الْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكاً مِنَ الْمَلاَئِكَةِ. الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى. الْبُخْلُ جَامِعٌ لمساوئ الْعُيُوبِ ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ. إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحَلَّمْ ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إلا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ. قيمة المرء ما يحسنه. حكم في الصدقة والعلم الْعِلْمُ وراثة كَرِيمَةٌ ، وَالْأَدَبُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ ، وَالْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ. صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ ، وَالْبَشَاشَةُ حِبَالَةُ الْمَوَدَّةِ ، والاحتمال قَبْرُ العُيُوبِ. الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ ، وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ ، نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجالِهِمْ. أعجبوا لِهذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ ، وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ ، وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ ، وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ! مَا أَخَذَ اللهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا. حكم في علاقة الإنسان مع ربه والدنيا إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى أحَد أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ. الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا ، ولَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا. لاَ خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ ، كَمَا أَنَّهُ لاَ خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَّ بِهِ صَاحِبُهُ. مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ. الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ ، وَالْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ ، فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ ، وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ. لاَ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ: الْعَافِيَةِ ، وَالْغِنَى: بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافًى إِذْ سَقِمَ ، وَغَنِيّاً إِذِ افْتَقَرَ. مَنْ شَكَا الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّهُ شَكَاهَا إِلَى اللهِ ، وَمَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَا اللهَ. طَالِبٌ ، وَمَطْلُوبٌ ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ الْمَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا. لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ ، خَيْرُ الْبِلاَدِ مَا حَمَلَكَ. مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَائِبِ ابْتَلاَهُ اللهُ بِكِبَارِهَا. مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ. إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلاَةِ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وصحبه ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ ، فَإِنَّ اللهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الْأُخْرَى. مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللهِ أَنَّهُ لاَ يُعْصَى إِلاَّ فِيهَا ، وَلاَ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلاَّ بِتَرْكِهَا! رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ! مَا الْمُبْتَلَى الَّذِي قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلاَءُ ، بِأَحْوَجَ إِلَى الدُّعَاءِ الَّذِي لاَ يَأْمَنُ البَلاَءَ! النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا ، وَلاَ يُلاَمُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ. مَا زَنَى غَيُورٌ قَطُّ. اتَّقُوا ظُنُونَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ. مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الْإِثْمُ بِهِ ، وَالْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ. الاستغناء عَنِ الْعُذْرِ أَعَزُّ مِنَ الصِّدْقِ بِهِ. يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَومِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ! مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهَمَةِ فَلاَ يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ وَمَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ ، وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا. لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ. إِنَّ هذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ. إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى أحَد أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ

وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلاَّ ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ. فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ. لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ ، وَقَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ. إِنَّ كَلاَمَ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صوابًا كَانَ دَوَاءً ، وَإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً. كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إلا وِعَاءَ الْعِلْمِ ، فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ بِهِ. مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ. أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ. شَتَّانَ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ: عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ ، وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مَؤُونَتُهُ وَيَبْقَى أَجْرُهُ. مثل الدنيا كمثل الحيَّة: ليّن مسّها ، والسمّ النّاقع في جوفها ، يهوِي إليها الغرّ الجاهل ، ويحذرها ذو اللّبّ العاقل! إن الحق لا يعرف بالرجال ، اعرف الحق ، تعرف أهله. كل شيء يستطاع إلا نقل الطباع. تخير لنفسك من كل خلق أحسنه فإن الخلق عادة ، وتجنب كل خلق أسوأه ، وجاهد نفسك على تجنبه فإن الشر لجاجة ما مزح امرؤ مزحة إلا مج من عقله مجة. ما من أحد ابتلى وإن عظمت بلواه بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء. ما ضاع امرؤ عرف قدره . ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد نفس دائم وقلب هائم وحزن لازم . ما هدم الدين مثل البدع ، ولا أفسد الرجال مثل الطمع ، إياك والأماني فإنها بضائع النوكى. وأخيراً لنعلم أن علياً كان شاعراً غيوراً على زوجته فاطمة جداً! حتى أنه كان يقول لفاطمة رضي الله عنها: "ما خير للمرأة؟ قالتْ: ألاَّ ترى الرجال ولا يروها" ، وكان سيدنا علي يقول للرجال الذين فقدوا غيرتهم على نسائهم: ألا تستحيون؟ ألا تغارون؟ يترك أحدُكم امرأته تخرج بين الرجال ، تنظر إليهم وينظرون إليها". وقال أيضًا: "بلغَني أنَّ نساءَكم يُزَاحِمْنَ العلوج في الأسواق ، أما تغارون؟! إنه لا خيرَ فيمَن لا يَغار". وإن من المواقف الجميلة لسيدنا علي بن أبي طالب مع زوجته فاطمة أنه في يوم من الأيام دخل على زوجته فاطمة فوجدها تستاك ، تستاك أي تستعمل السواك ، فقال لها وهو يمزح وكأن السواك هو رجل يخاطبه:

ظَفِـــرْتَ يَـــا عُـــودَ الأَرَاكِ بِثَغْرِهَـــا مَـــا خِفْـــتَ يَـــا عُـــودَ الأَرَاكِ أَرَاكَـــا

لَـــوْ كُنْـــتَ مِـــنْ أَهْـــلِ الْقِتَـــالِ قَتَلْتُـــكَ مَـــا فَـــازَ مِنِّـــي يَـــا سُـــوَاكُ سِـــوَاكَا

وأعتذر عن طول هذه المقدمة! وإن أردتُ إلا بيان الحق وتوثيقه ما أمكن! وذلك لأن الكلام عن علي بن أبي طالب له ألفُ مصدر ومصدر! فكانت حيرة لا يعلم إلا الله مداها! وحاولتُ جاهداً أن أتجنب المصادر الرافضية الخبيثة التي لا تحوي إلا الكذب والتدليس! واعتمدتُ المصادر الموثوقة التي تورد الأدلة على ما يقرر أصحابها من الكلام! ووجدتُ فيها غنية عن الأخبار المكذوبة التي تجعل من علي نبياً نبأه الله بما كان وما يكون وما لو كان كيف سيكون أو تجعل منه إلهاً يعبد ، فله خوارق العادات وله أمر الخلق والإماتة والإحياء وإنزال المطر من السماء والنفع والضر! وحاشا لعلي أن يصنع شيئاً من ذلك! وإذنْ فاحتاج الأمر إلى بُردةٍ شعرية ترد الأمر إلى نصابه والقوس إلى باريها: توقر علياً بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه – وتضعه في مكانه اللائق به كصحابي جليل من السابقين الأولين ومن المهاجرين المتقين وأحد خلائف المسلمين! فلا تخلع عليه صفات الله رب العالمين ، ولا تخرجه عن بشريته المعهودة! ولا تفتري على الله الكذب فتجعل السجود له بدلاً من آدم عليه السلام ، ولا تجعل له 300 اسم في القرآن الكريم ، ولا تجعل كل (يا أيها الذين آمنوا) خطاباً لعلياً فقط! والحمد لله أولاً وآخراً!)

يـــا شِـــعرُ رَحـــبْ معـــي بالســـيد العَلَـــمِ وجُـــدْ بمـــا يُشـــتهى مِـــن طيّـــب الكَلِـــمِ

وذرّ مـــا فيـــك مِـــن صَـــدىً لتُطربنـــا ... صـداك يُـذهبُ مـا فـي الـنفس مـن ألـم

ورَجّـــع الصـــوتَ كـــي تَسُـــر خاطرَنـــا ... ومَـــن يـــذقْ لـــذة القـــريض ينســـجم

وجَمِّـــل الـــنغمَ الشـــاديْ لتُبهجنـــا ... لا خيـــر فيـــك إذا لـــم تَـــرقَ بـــالنغم

وزيّـــنِ الـــنصَ بالبـــديع مجتهـــداً ... حتـــى نـــرى كلمـــاتِ الـــنص كـــاليُتُم

وحقـــق الخبـــرَ الـــذي تُســـجله ... فـــلا يكـــونُ افتـــرا مِـــن ظـــالم غشِـــم

ولا يكـــــونُ أغاليطـــــاً مُلفقـــــة ... كُتابهـــا جَوقـــة مِـــن أحمـــق الغـــنم

ولا يكـــــونُ أبـــــاطيلاً مُـــــزورَة ... خطـــتْ بكـــف فتـــىً بالإفـــكِ مُـــتهم

يـــا شِـــعرُ لا تنتـــقِ الألفـــاظ خادشـــة ... حيـــاءَ مُســـتمع للشِـــعر مُحتـــرم

بـــئسَ الكـــلامُ إذا علـــى عَواهنـــه ... أطلقتـــه مثلمـــا القضـــيض والأكَـــم!

يـــا شِـــعرُ حَبـــرْ لطيـــفَ القـــول مُفتخـــراً ... بـــابن أبـــي طالـــب المُبجـــل العَلَـــم

ربـــاه فاجعـــلْ لهـــذا الشـــعر أفئـــدة ... تـــأوي إليـــه وألبابـــاً ذوي فهُـــم

هبنـــي البلاغـــة فـــي تحبيـــر زبدتـــه ... فبالبلاغـــة تبـــدو خِيـــرةُ الســـيَم

وأعطنـــي مِـــن قـــوافي الشـــعر أعـــذبَها ... كـــي لا يُصـــابَ الـــذي يتلـــوه بالســـأم

ومُـــرْ عســـيرَ المعـــاني أن يُجـــاملني ... إن لانَ لمّـــا يكـــنْ عنـــي بمـــنعجم

وطـــوّع الـــوزنَ ، لا يكـــونُ مُنكســـراً ... فالكسْـــرُ يُبلـــي جميـــلَ الشـــعر بالســـقم

ربـــاه وانفـــعْ بمـــا أخـــط مَـــن ســـمعوا ... مِـــن أهلنـــا العُـــرْب ، أو مِـــن أمّـــة العجـــم

ربـــاه أســـألك الجنـــانَ عـــامرة ... لعِترتـــي ، ولأهـــل الحـــق كلهـــم!

اجعـــل قريضـــي (لأهـــل البيـــت) قنطرتـــي ... لنيـــل جُـــودك يـــا ذا الجُـــود والكـــرم

أطـــري الإمـــامَ (عليـــاً) بـــالقريض زكـــا ... عـــن الركاكـــة والتدشـــين والغشـــم

مـــا قيمـــة الشِـــعر إن فاحـــت رَكاكتـــه؟ ... واخيبـــة الحِبـــر والقرطـــاس والقلـــم!

إنـــي أقـــدمُ للإمـــام معـــذرتي ... إن لـــم أصـــغ بُردتـــي فـــي قالـــب سَـــنِم

(علـــيّ) قـــدْرك فـــي الرجـــال يُعجزنـــي ... عـــن أن أؤلـــف وصـــفاً بـــالغ العِظـــم

فمَـــن يُســـاميك فـــي أصـــل وفـــي نســـب؟ أمـــن يُســـاويك فـــي ديـــن وفـــي شـــمم؟

ومَـــن يُباريـــك فـــي المناقـــب اجتمعـــتْ فـــي واحـــدٍ ، وهْـــي فـــي جماعـــة النسَـــم؟

إذ كنـــــت أولَ فـــــي الإســـــلام تدخلـــــه فتـــــىً ، وآمنـــــت بـــــالمهيمن الحكـــــم

وكنـــت صـــليت فـــي بيـــت النبـــي ، وقـــد ســـألت عـــن دينـــك الجديـــد فـــي نهـــم

أمـــــا (أبـــــو طالـــــب) فوالـــــدٌ فخـــــرتْ بـــــه (بنـــــو هاشـــــم) بمُنتهـــــى الشـــــمم

حـــــاز الســـــقاية للحَجـــــيج مُنفـــــرداً بهـــا ليَســـقيَ مَـــن قـــد حـــلّ بـــالحرم

وعَـــز أكثـــرَ لـــو أطـــاعَ ممتـــثلاً أمـــرَ النبـــي فيلقـــى خيـــرَ مختـــتم

لكنـــــه آثـــــرَ القبيلـــــة اتبعـــــتْ عِبـــــادة العُـــــرف والتقليـــــد والصـــــنم

والأم (فاطمـــــة) خيـــــرُ النســـــا حســـــباً وخيـــــرُهن هُـــــدىً بطاعـــــة (الهشِـــــم)

إذ أســـلمتْ ، وعلـــى إســـلامها رحلـــتْ يـــا ســـعدَ مـــوتٍ علـــى الإيمـــان والســـلم!

(علِيّهـــا) وَضـــعتْ فـــي جـــوف كعبتهـــا خيـــرِ المَواضـــع بالتقـــديس مُتســـم

وجـــاء (أحمـــدُ) و(العبـــاسُ) عـــن رغـــب إذ (مكـــــة) ابتُليَـــــتْ بأحلـــــك الإزم

جـــاءا ليقتســـما الأبنـــاءَ قـــد كثَـــروا علـــى (أبـــي طالـــب) فـــي المَـــأزق الـــوخِم

أمـــا (علـــيّ) ففـــي دار (النبـــي) أتـــى حتـــى يعـــيش علـــى الأخـــلاق والشِـــيَم

وفـــي (حِـــراءٍ) لـــه عبـــادة عُلِمـــتْ ومَـــنْ يُوحـــدْ مليـــك النـــاس يَســـتقم

حتـــى إذا يفـــعَ الفتـــى غـــدا رجـــلاً وجـــاء يَخطِـــبُ بنـــت (المصـــطفى الهشـــم)

فلـــم يُعنفـــه فيمـــا جـــاء يطلبُـــهُ نبيُنـــا رحمـــة تســـعى علـــى قـــدم!

بـــل قـــال: أقبـــلُ ، فامنحْهـــا الصَـــداقَ إذنْ ولســـت تملـــكُ ، فابـــذلْ دِرعَـــك الحُطمـــي

هـــديتي لـــك يـــا (علـــيّ) (فاطمـــة)! فاقـــت جميـــعَ النســـا العقائـــلِ العُصُـــم

أيـــا ابـــنَ عمـــي ألا أحســـنْ لفاطمـــةٍ إذ إنهـــا بَضـــعة منـــي وبعـــضُ دمـــي!

(علـــيّ) عِشـــت لهـــذا الـــدين فارسَـــه تـــردُ بـــأس عـــدو ظـــالم غلـــم!

جاهـــدت منتصـــراً للـــدين صُـــبحَ مســـا ... مُحققـــاً نصـــرَهُ فـــي كـــل مُصـــطدم

ولـــم تُـــراهنْ علـــى شـــجاعةٍ ومَضـــا ... بـــل كنـــت تعمـــدُ للتخطـــيط عـــن رغـــم

إذ للأعـــــادي مَـــــراميهم وخطـــــتهم ... مَـــن لـــم يَضـــعْ خطـــة يفشـــلْ وينهـــزم

ونمـــت فـــي بُـــردة النبـــي تخـــدعُهم ... وتســـتهينُ بهـــم فـــي خيـــر معتـــزم

أبقـــاك (أحمـــدُ) تُعطـــيهم أمـــانتهم ... مَـــن خانهـــا يُحتقـــرْ ومِنـــهُ يُنـــتقم

حبـــاك هـــذا الفـــراشُ الأمـــنَ أجمعَـــه ... والخـــوفُ ولـــى ، ودارتْ سَـــورة الوَصَـــم

نِعـــمَ الفـــدائيُ ضـــحّى فـــي مغـــامرة ... كـــادت تُعـــرضُ مَـــن لاحـــى لســـفك دم!

والله أنجـــى بمـــا أتيـــت (أحمـــدَنا) ... ســـبحان ربـــك مـــن حـــام ومُنـــتقم!

وجـــاءك الأمـــرُ هـــاجرْ مِـــن ديـــار أذىً ... يُبلـــي المُقـــامُ بهـــا المُقـــيمَ بالسَـــدَم

وقـــد يُكلفـــه روحـــاً يُجنـــدلها ... خِـــبٌ لكـــل دمـــاء المســـلمين ظمـــي

وبعـــدَ لَأي بهـــا هـــاجرت مُـــتكلاً ... علـــى مليـــك الـــورى القـــدير ذي الـــنعم

وجئـــت (طيبـــة) إذ كـــان الأمـــانُ بهـــا ... هـــو المفـــازة مِـــن سَـــيل مـــن العَـــرم

(أبـــا تُـــراب) وقـــدّمت النبـــي بهـــا ... علـــى الأبـــاة جميـــع الأهـــل والحِشِـــم

حتـــى رآك بمنزلـــة الأخ انشـــرحتْ ... بـــه الأســـاريرُ ، خيـــر الصـــهر والـــرحم

فقـــال: أنـــت كمـــا (هـــارون) كـــان أخـــاً ... أوى (الكلـــيمَ) ، وكـــان العـــونَ فـــي القحَـــم

لكـــنْ بـــيَ الأنبيـــا والرسْـــلُ قـــد ختِمـــوا ... والأمـــرُ لـــيس علـــى فـــردٍ بمنـــبهم!

(أبـــو الحســـين) أتـــتْ (بـــدرٌ) تُغازلـــه ... وتســـتثيرُ إبـــا الضـــرغام فـــي شـــمم

مَـــن للبِـــراز؟ ومَـــن تُعليـــه نجدتـــه؟ ... ومَـــن إذا نـــادتِ الهيجـــاءُ لـــم يجـــم؟

مَـــن (للوليـــد) إذا مـــا اختـــال فـــي صـــلفٍ ... حتـــى يناولـــه دغـــاولَ الـــنقم؟

مـــن (للوليـــد) وقـــد هـــاج الغـــرورُ بـــه ... كـــفٌ بهـــا الســـيفُ والأخـــرى علـــى اللجُـــم!

مـــن (للوليـــد) تحـــدّى جـــيشَ (أحمـــدنا) ... بشَـــر لفـــظٍ علـــى الشـــفاه مُرتســـم

يقـــول: هـــل فـــيكمُ ليـــثٌ يُبـــارزني؟ ... قـــال (العلـــيّ): أنـــا! واختـــالَ بالشُـــكُم

قـــال (الوليـــدُ): أنـــا لســـتُ الحـــريصَ علـــى ... قتـــل الصـــديق كقتـــل الحـــوت للـــبلم

فـــــدعْ سِـــــواك يُلاقينـــــي لأقتلـــــه ... إذ لا أسَـــــر إذا ألقـــــاك كالخصِـــــم

فقـــاطعَ القـــولَ مُحْتـــداً (أبـــو حســـن) ... وقـــال: ســـيفي هفـــا لقتـــل مُجتـــرم

بـــارزْ إذا كنـــت فـــيهم فارســـاً حَربـــاً ... وخـــل عنـــك طيـــوفَ الـــود والعشـــم

حتـــى إذا قتـــلَ الوليـــدُ فـــزت بهـــا ... مكانـــة ومقامـــاً بـــالغ العِظـــم

ويْلُمّـــه رجـــلاً أضـــاعَ سُـــؤدَدَهُ ... بمِيتـــةٍ كنفـــوق الشـــاء والـــبُهُم!

كـــذاك فـــي (أحُـــدٍ) أبلـــى (أبـــو حسَـــن) ... بـــلاءَ مُحتســـب بـــالله مُعتصـــم

إذ جـــاء (طلحـــة) واللـــواءُ فـــي يـــده ... والشـــركُ إن تلقـــه بـــاللين يضـــطرم

أيـــا (ابـــنَ عثمـــانٍ) ارجـــعْ عـــن مواجهـــةٍ ... فســـاحة الحـــرب للضُـــلال كـــالجَحَم

واليـــومَ غـــرّك دِيـــنُ الشـــرك عُدتـــه ... فرســـانُه الألـــفُ فـــوق الأينـــق الرُسُـــم

وفـــي النـــزال التقـــى الســـيفان ، أحـــدُهما ... يُمثـــلُ الحـــق مَحبـــوراً بكـــف كمـــي

والآخـــرُ – الـــدهرَ – فـــي الأهـــواء مـــنغمسٌ ... أبـــئسْ بســـيفٍ مـــن الأهـــواء منـــثلم!

يـــا (طلـــحُ) ســـيفك يـــا دهقـــانُ مهتـــرئٌ ... فـــادرسْ قـــرارَك قبـــل الحـــزن والنـــدم

ونـــاولَ الضـــربة القعســـا (أبـــو حســـن) ... فشـــجّ ســـاقاً ، وســـالَ الـــدمّ كـــالعَنَم

حتـــى إذا ظهـــرتْ للنـــاس عـــورتُكم ... ناشـــدته بمليـــك الخلـــق ، والـــرَحِم

فكَـــف عنـــك قِتـــالاً كـــان يرغبُـــه ... أغضـــى حيـــاءً لأجـــل الخـــالق الحكـــم

وتلـــك أخـــلاقُ حـــرب لا نشـــاهدُها ... عنـــد الطغـــاة انبـــرَوا فـــي كـــل مُختصَـــم

(أبـــو تـــراب) بـــدا فـــي ســـاح خندمـــةٍ ... فاضـــطرَ أهـــلَ الشـــقا لضـــيق الأجُـــم

وأعمـــلَ الســـيف فـــي (بـــدر) بمـــن كفـــروا ... فاصـــطاد عشـــرين كـــالغِزلان والغـــنم

جَنـــدلت (عمْـــرَ بـــن ودٍ) فـــي مُنازلـــةٍ ... فـــي غـــزوة (الخنـــدق) المُحـــاطِ بـــالأكَم

ولـــم تُبـــال بـــه ولا بصَـــوْلته ... إن النـــزالَ ســـجالٌ بـــين كـــل كمـــي

كـــذا حملـــت لـــواءَ الحـــق فـــي (أحُـــدٍ) حمْـــلاً يُناســـبُ مـــا يـــأتي ذوو الفهُـــم

أعطاكـــه (المصـــطفى) حُبـــاً وتكرمـــة مـــن واحـــدٍ خلـــق الإنســـانَ مـــن عـــدم

وفـــي غـــزاة (بنـــي النضـــير) كنـــت بهـــا ليثـــاً هصـــوراً يقـــودُ الحـــربَ فـــي شـــمم

قتلـــت (عَـــزْوَكَ) والهلكـــى بـــه فجعـــوا وذاق بعـــد التعـــدي ضـــجعة الـــرجم

وفـــي (الحُديبيـــة) احتججـــتْ أنْ شـــرطوا محْـــوَ اســـم (أحمـــدَ) مَبعوثـــاً مِـــن الحَكـــم

قـــالوا: اكتـــبْ اســـمك واســـم أبيـــك وحـــدهما أو يُصـــبحُ الصـــلحُ منقوضـــاً مِـــن الـــدعم!

ويـــوم (خيبـــرَ) كـــان البـــاب جُنتـــه كأشـــرس الخيـــل إن عَضـــتْ علـــى الشـــكُم

ولـــو تـــراه لهـــذا الحِصـــن مُقتحمـــاً لـــيس الضـــعيفُ لـــه يومـــاً بمقـــتحم

حياتـــه بجهـــاد الشـــرك كـــم حفلـــتْ حتـــى ترفـــرفَ دومـــاً رايـــة الســـلم

ويـــوم بويـــعَ بالخلافـــة انطلقـــتْ روحُ النظـــام بعهـــدٍ جَـــد منـــتظم

هنـــاك فـــي (الكوفـــة) الخلافـــة ازدهـــرتْ وأصـــبحتْ نظـــمٌ تـــأوي إلـــى نظـــم

فنظمـــتْ شـــرطة تحمـــي رعيتهـــا مِـــن اللصـــوص ، وتحمـــي هيبـــة الحُكُـــم

(دارُ المظـــالم) كانـــت كهـــفَ مَـــن ظلِمـــوا فـــلا اعتـــداءَ علـــى الحقـــوق والحُـــرَم

فهـــل خلـــتْ دولـــة الإســـلام مِـــن فِـــتن ســـوداءَ قاتمـــةٍ كظلمـــة الغســـم؟

وتســـتطيلُ علـــى الخليفـــة انتقصـــتْ مِقـــدارَه فئـــة تحيـــا بـــلا فهُـــم

وعـــالجَ الجُـــرحَ بـــالتقوى خليفتنـــا مِـــن بعـــد أن عـــاش حِينـــاً غيـــر ملتـــئم

وصـــالحَ الكـــل لـــم يبخـــلْ بعارفـــةٍ تعيـــدُ بـــأسَ الهُـــدى لنـــوره الـــتمم

وكـــان يُـــدركُ أن الـــذكر منقـــذنا مِـــن المهالـــك والقواصـــم الـــدُهُم

لـــذلك اســـتخدم (الـــدوْليَ) مُقتنعـــاً حتـــى يُشـــكّل آيَ الـــذكر بـــالقلم

وواضِـــعاً نقـــط الحـــروف مُفصـــحة عـــن المعـــاني ، فتغـــدو الآيُ كـــالنجُم

وسَـــكّ درهمَـــه بالسِـــلم مُصـــطبغاً يســـمو بأمتـــه عـــن ســـائر الأمـــم

وكـــان أعلـــمَ بالقضـــا وحكمتـــه وبـــالقريض ومـــا حـــوى مـــن الحِكَـــم

وكـــــان يعمـــــدُ للهبـــــات يُنفقهـــــا ... علـــى المســـاكين مـــن كهـــل ومحـــتلم!

بُشـــــرت بالجنـــــة الخلـــــود دَيـــــدنها ... وأنـــت بـــين الـــورى تمشـــي علـــى قـــدم

وكنـــت ذا غيـــرةٍ علـــى النســـا عُرفـــتْ! ... مَـــن لا يغـــارُ بمـــوت القلـــب يُـــتهم

وغـــارَ قلبُـــك مـــن سِـــواك (فاطمـــةٍ) ... عنـــد التســـوك إذ تُغيبُـــه بفـــم

أردت تقتلـــــه لـــــو أنـــــه رجـــــلٌ ... ومـــا لـــه ديـــة فلـــيس مـــن حُـــرَم!

وذات يـــوم جَمعـــت النـــاس فـــي مـــلأ ... وجُـــدت بالمـــال تُنجـــيهم مِـــن الإزم

ولـــم يعـــدْ بيـــت مـــال المســـلمين بـــه ... شـــيءٌ مـــن المـــال ، إذ عـــانى مـــن العـــدم

وكنـــت نظفتـــه قبـــل الصـــلاة بـــه ... وقلبُـــك العـــفُ كـــم فيـــه مـــن الـــرُحُم!

هـــل مثـــلُ ذلـــك زهـــدٌ نســـتدلُ بـــه ... علـــى نجابـــة أصـــل الســـيد العلـــم؟

وكـــم أطـــال صـــلاة الليـــل يجعلهـــا ... حـــلاً يُزيـــلُ الـــذي فـــي القلـــب مـــن غَمَـــم

وعـــاش يزهـــدُ فـــي الـــدنيا ، ويمقتُهـــا ... فعنـــده زخـــرفُ الـــدنيا مـــن الـــرمم

وعنـــدما قـــدّمَ (الفـــالوذجُ) اغرورقـــتْ ... عـــين (العلـــيّ) بـــدمع جَـــد مُنســـجم

ولـــم يـــذقها ، رأى فـــي أكلهـــا ترفـــاً ... عُقبـــاه يـــوم الجـــزا الـــدخولُ فـــي الجحـــم

وعنـــدما طعـــن (الإمـــامُ) فاجـــأهم ... بقولـــه فـــزت عنـــد الله ذي الـــنعم

إن عشـــت ســـوف أرى كيـــف أعاقبـــه ... أو مـــت كـــان القصـــاصُ لأوليـــاء دمـــي

عقـــودَك الســـت قـــد قضـــيتها أســـداً ... ومَـــن يعـــشْ عُمـــره كالأسْـــد لـــم يُضَـــم

فِـــداك أمـــي أيـــا (إمامَنـــا) وأبـــي ... وبـــردة نقشـــتْ فـــي الطـــرس بـــالقلم

عليـــك رضـــوانُ ربـــي دائمـــاً أبـــداً ... ربـــاه واغفـــرْ لـــه مـــا جـــاء مـــن لمـــم

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

السيد العلم وأبو حسن وأبو حسين وأبو تراب والعليّ: أسماء وكُنى لعلي بن أبي طالب. سامر: مطرب. ذرّ: انشر. الرنم: الترنم بالصوت. يُشجي: يطرب. رونقه: جماله. سأم: ملل. صداك:

رجع صوتك. نهم: اشتياق شديد. شذى: رائحة. ينسجم: يفرح ويطرب. يفوح: ينتشر. طلاوته: حلاوته وعذوبته. لتبهجنا: لتفرحنا. تسبي: تستلب وتسرق. الفهِم: الفاهم المدرك. البديع: المقصود هنا علم البديع بما حوى من الفنون والجماليات التي تجمل الأسلوب. القرطاس: الورقة يُكتب عليها. جوقة: أي مجموعة من الناس. الورس: نبات أحمر يستخدم لتلوين الملابس الحريرية. العنم: الحناء. نجلّ: نعظم. شمم: عُلو. الغسم: شدة الظلام. الإفك: الكذب والبهتان. الخصوص: خاصة الناس. العَمَم: عوام الناس. في كل مصطدم: أي طريق! هاشم: جد النبي – صلى الله عليه وسلم -. على عواهنه: من غير قصد وتدقيق. العجم: غير العرب. هبني: أعطني. السَنِم: العالي المرتفع. الكُمل: الكوامل. العُصُم: جمع عصماء وهي المرأة ذات الشرف والعفة والأصل. أفئدة: قلوباً. غياهب: ظلمات. السيم: العلامات. تضارع: تشبه. ألباب: عقول. القضيض: صغار الحصا. يدنو: يقترب. دُرر: قطع اللؤلؤ أو الذهب. الحشِم: ذو الحشمة والاحترام والوقار. سؤدد: أصل وشرف. الصِدِيق والعتيق: هو أبو بكر الصديق – رضي الله عنه -. الرُحُم: الرحمات. الأكم: كبار الحجارة. جوار: مجاورة والمراد هنا مصاهرة النبي – صلى الله عليه وسلم -. الهشِم: أي من بني هاشم. منبهم: أي مبهم غير واضح. طِلبته: طلبه ومُبتغاه. الصداق: المهر. البناء: الزواج. اللقم: المستقيم. تحبير: كتابة وتأليف. نصب: تعب. السأم: الملل. الأيم: جمع إيام وهو دخان النار. منعجم: مبهم غير مفهوم. يبلي: يصيب. السقم: المرض. الهزال: الضعف. الوصَم: الحزن. الوزن: أي وزن الشعر. السلم: الإسلام. قريضي: شعري. السَدَم: شدة الحزن والكرب. قنطرتي: سبيلي. ذوي الحُلُم: أصحاب الأحلام أي العقول. أطري: أمدح. ذوي الفُهُم: أصحاب الفهوم. الورى: الخلق. النساء العُصُم: أي المحترمات ذوات الحسب والنسب والأصل الطيب. ابن أبي طالب: هو علي بن أبي طالب – رضي الله عنه -. ربقة: رابطة. الخِيَم: أي الخيام. الغادة: المرأة الجميلة. غمرتْ: ملأتْ. خصِم: أي ند وخِصم. خِيرتها: اختيارها. شبة الضرم: توهج النار. الركاكة: ضعف النص الشعري. الجُرُم: الجرائم. فطنة: ذكاء. حالك الإزم: المصائب الثقيلة العاتية. التدشين: المدح المبالغ فيه جداً. منفصم: مقطوع. الجحم: الجحيم أو النار. الإمام: المقصود علي بن أبي طالب. الشيم: الخلال الكريمة. السمت: الطبع. سمي: مثيل أو شبيه. المهيمن والواحد والحكم والديان والرحيم والرحمن والإله والرب: كلها من أسماء الله تعالى الحسنى. يساميك: يساويك ويضارعك. دغاول: مصائب عاتية. القحم: البلايا. جماعة النسَم: مجموعة من الناس. منسجم: يسيل بشدة. الأم فاطمة: هي فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب – رضي الله عنهما -. اللجم: جمع لجام وهو حبل الدابة. السقاية: سقي الحجيج. النقم: المصائب العاتية. حراء: هو غار حراء المعروف بمكة ويقع فوق جبل النور. الألى: الذين. الغمم: جمع غمة وهي الكرب الشديد. مصراعه: أي مجاله. الحُرُم: أي الحرمات. الحسين والحسن: هما ابنا فاطمة الزهراء من علي بن أبي طالب – رضي الله عن الجميع -. آل بيت رسول الله: هم أزواجه وأبناؤه وكل من آمن به ولقي الله على ذلك رآه أو لم يره منذ بعثته إلى يوم القيامة ، وهذا التعريف ليس لي بل أخذته من شيخي وأستاذي محمد بن صالح بن عثيمين – رحمه الله رحمة واسعة -. مأزق وخم: مصيبة عاتية. الغشِم: شديد الغشم والطيش والجهل. حز: قطع شدة. جيد: عنق. عن أمم: عن قرب. يعنفه: يصعب الأمور عليه. البُهُم: البهائم. درعك الحطمي: درع كان النبي – صلى الله عليه وسلم – قد أهداها من قبلُ لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه -. عترة الرجل: أهله. العقائل: الحشيمات المحترمات من النساء ذوات القدر والمنزلة. يجترم: يصبح مجرماً. الشكُم: جمع شكيمة وهي

الحديدة يلجم بها الحصان! من الدماء ظمي: متعطش للدماء. التنظير: المناظرة والمواجهة. كفوا: امتنعوا. تؤمل: ترجو. ثاو: حزين مكتئب. عاودت: رجعت. ذوو همم: أصحاب إرادة قوية. النسم: الناس. الغسم: الظلام الكثيف. بضعة: مُضغة. ظالم غلِم: شديد التهور في ظلمه. مصطدم: سبيل. مراميهم: أهدافهم. بردة النبي: عباءة النبي. حباك: أعطاك. الوصم: شدة الحزن مع الخوف والقلق. من لاحى: من غامر بنفسه. السدم: الحزن الشديد. خب: خصيم مخادع. ذو النعم: صاحب النعم أي الأفضال الجزيلة. طيبة: المدينة المنورة على منورها – أفضل الصلاة وأتم التسليم -. المفازة: النجاة. سيل من العرم: المقصود السيل الشديد الذي يكتسح كل شيء أمامه. الأسارير: الخواطر. الكليم: موسى – صلى الله عليه وسلم -. بدر وأحُد والخندق وبنو النضير وخيبر والحديبية: غزوات غزاها علي – رضي الله عنه - مع النبي – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم -. الضرغام: الأسد. البِراز: المبارزة. نجدته: مروءته. صلف: غرور. الوليد: هو الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان صديقاً لعلي. اللجم: جمع لجام وهو الحبل تُلجم به الخيل. مرتسم: أي مرسوم مطبوع. ليث: أسد. البلم: صغار السمك. الخصِم: أي الند الخِصْم. هفا: اشتاق. فارس ضرب: قوي قدام لا يخاف. العشم: المودة. ويلمه: كلمة تفجع أي الويل له أو لأمه. نفوق الشاء والغنم: موتها. طلحة: هو طلحة بن عثمان حامل راية المشركين في غزوة أحد. يضطرم: أي يشتعل حقداً وتشفياً. الضُلال: الضالون. الأينق الرسم: النوق العملاقة. النزال: المعركة. محبوراً: مسروراً. كمي: الكمي هو السلاح يعني المقاتل. سيف منثلم: مكسور لا يصلح للنزال. دهقان: صنديد حكيم يزن الأمور. الضربة القعساء: الشديدة القاتلة. شج الساق: قطعها. العنم: الحناء. انبروا: ظهروا. الأجُم: الأودية الجبلية. عمْرو بن ود: رجل مشرك نازل وبارز علياً قبل بدء القتال فصرعه علي – رضي اله عنه -. سجال: متساوي. ذوو الهمم: ذوو الإرادات والعزائم. هصوراً: قوياً. عزوك: زعيم يهود – لعنة الله عليه -. ضجعة الرجَم: رقدة القبر. مبعوثاً من الحكم: المقصود رسولاً من عند الله. الدعم: هي أساسات الشيء أي دعائمه. جُنته: أي دِرعه. الحصن: القصر العظيم. بمقتحم: أي بمجتاز ومنتصر. راية السلم: راية الإسلام. روح النظام: أي نظمت الدولة أكثر وأكثر ، وإلا فهي منظمة من عهد عمر الفاروق – رضي الله عنه -. ونحن في بردتنا لا ننسف السابق لنجامل اللاحق ، فهذا منهج الضالين الأفاكين المتخرصين الكاذبين! بل نعترف لكل أحد بفضله! الحُكُم: الحكام والأمراء. الحُرَم: الحُرُمات. وعالج الجرح: الجرح هنا هو الخلافات التي واكبت وزامنت تولية علي خليفة للمسلمين. نوره التمم: التام الكامل. الذكر: القرآن الحكيم. منقذنا: منجينا. الدؤلي: هو أبو الأسود الدؤلي الذي عهد إليه عمر بتشكيل تنقيط المصحف. النجُم: النجوم. تغِيبه: تستاك بالسواك فيتأخر مكثه لتنظيف الأسنان. الفالوذج: حلوى فارسية طيبة المذاق. الجحم: نار الجحيم. لم يضم: لم يحزن. لمم: صغار الذنوب. الطرس: ما يكتب عليه من ورق وما شابه.

بُردَة عمرَ بن الخطاب!

(لقد استفزتْني هذه الهجمة الشرسة التي بدأت منذ فجر التاريخ ولا تريد أن تصل إلى نهاية! حيث ازدادت حدتها هذه الأيام! إنها هجمة ملعونة استهدفتِ النيلَ من عرض أمير المؤمنين وقاهر الشرك والمشركين وقاهر الكفر والكافرين وقاهر الفرس والمجوس والملاحدة والروم وحبيب المسلمين المؤمنين وعدو الضالين المضلين الفاروق عمر بن الخطاب الصحابي الجليل وفاروق الأمة الذي فرق الله به بين الحق والباطل! فرأيت من واجبي أن أنسج بردة عمرية أهديها للفاروق عمر من باب الحب في الله تعالى! ولنتابع (سير أعلام النبلاء) (باب سيرة الخلفاء الراشدين) (فصل سيرة عمر الفاروق رضي الله عنه) (ترجمة عمر الفاروق ومناقبه) إنه عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي ، أمير المؤمنين ، أبو حفص القرشي العدوي ، الفاروق رضي الله عنه. استشهد في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وأمه حنتمة بنت هشام المخزومية أخت أبي جهل ، أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة. روى عنه: علي ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبو هريرة ، وعدة من الصحابة ، وعلقمة بن وقاص ، وقيس بن أبي حازم ، وطارق بن شهاب ، ومولاه أسلم ، وزر بن حبيش ، وخلق سواهم. وعن عبد الله بن عمر قال: كان أبي أبيض تعلوه حمرة ، طوالاً ، أصلع ، أشيب. وقال غيره: كان أمهق ، طوالاً ، أصلع ، آدم ، أعسر يسر. وقال أبو رجاء العطاردي: كان طويلاً جسيماً ، شديد الصلع ، شديد الحمرة ، في عارضيه خفة ، وسبلته كبيرة ، وفي أطرافها صهبة ، إذا حزبه أمر فتلها. وقال سماك بن حرب: كان عمر أروح ، كأنه راكب والناس يمشون ، كأنه من رجال بني سدوس . والأروح: الذي يتدانى قدماه إذا مشى. وقال أنس: كان يخضب بالحناء. وقال سماك: كان عمر يسرع في مشيته. ويروى عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: كان عمر يأخذ بيده اليمنى أذنه اليسرى ويثب على فرسه فكأنما خلق على ظهره. وعن ابن عمر وغيره من وجوه جيدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب" وقد ذكرنا إسلامه في "الترجمة النبوية". وقال عكرمة: لم يزل الإسلام في اختفاء حتى أسلم عمر. وقال سعيد بن جبير: وصالح المؤمنين [التحريم] نزلت في عمر خاصة. وقال ابن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر. وقال شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبو بكر وعمر: إن الناس يزيدهم حرصاً على الإسلام أن يروا عليك زياً حسناً من الدنيا. فقال: "أفعل ، وايم الله لو أنكما تتفقان لي على أمر واحدٍ ما عصيتكما في مشورة أبداً". وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إن لي وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض ، فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ، ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر. وروي نحوه من وجهين عن أبي سعيد الخدري. قال الترمذي في حديث أبي سعيد: حديث حسن. قلت: وكذلك حديث ابن عباس حسن. وعن محمد بن ثابت البناني ، عن أبيه ، عن أنس نحوه. وفي "مسند أبي يعلى من حديث أبي ذر يرفع: "إن لكل نبي وزيرين ، ووزيراي أبو بكر وعمر". وعن أبي سلمة ، عن أبي أروى الدوسي ، قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلع أبو بكر وعمر ، فقال: "الحمد لله الذي أيدني بكما ". تفرد به عاصم بن عمر ، وهو ضعيف. وقد مر في ترجمة الصديق أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى أبي بكر وعمر مقبلين ، فقال: "هذان سيدا كهول أهل الجنة" الحديث. وروى الترمذي من حديث ابن عمر ، أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فدخل المسجد ، وأبو بكر وعمر معه وهو آخذ بأيديهما ، فقال: "هكذا نبعث يوم القيامة". إسناده ضعيف. وقال زائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ربعي ، عن حذيفة ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر". ورواه سالم أبو العلاء - وهو ضعيف - عن عمرو بن هرم ، عن ربعي. وحديث زائدة حسن. وروى عبد العزيز بن المطلب بن حنطب ، عن أبيه ، عن جده قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ طلع أبو بكر وعمر ، فقال: "هذان السمع والبصر". ويروى نحوه من حديث ابن عمر وغيره. وقال يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "أقرئ عمر السلام ، وأخبره أن غضبه عز وجل ورضاه حكم". المرسل أصح ، وبعضهم يصله عن ابن عباس. وقال محمد بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إيها يا ابن الخطاب فوالذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجا غير فجك". وعن عائشة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الشيطان يفرق من عمر". رواه مبارك بن فضالة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن القاسم ، عن عائشة. وعنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في زفن الحبشة لما أتى عمر: " إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس فقد فروا من عمر". صححه الترمذي. وقال حسين بن واقد: حدثني عبد الله بن بريدة ، عن أبيه أن أمة سوداء أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رجع من غزاة ، فقالت: إني نذرت إن ردك الله صالحاً أن أضرب عندك بالدف ، قال: "إن كنت نذرت فافعلي فضربت" فدخل أبو بكر وهي تضرب ، ثم دخل عمر فجعلت دفها خلفها وهي مُقعية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان ليفرق منك يا عمر". وقال يحيى بن يمان ، عن الثوري ، عن عمر بن محمد ، عن سالم بن عبد الله قال: أبطأ خبر عمر على أبي موسى الأشعري ، فأتى امرأة في بطنها شيطان فسألها عنه ، فقالت : حتى يجيء شيطاني ، فجاء فسألته عنه ، فقال : تركته مؤتزراً ، وذاك رجل لا يراه شيطان إلا خر لمنخريه ، الملك بين عينيه ، وروح القدس ينطق بلسانه. وقال زر: كان ابن مسعود يخطب ويقول: إني لأحسب الشيطان يفرق من عمر أن يحدث حدثا فيرده ، وإني لأحسب عمر بين عينيه ملك يسدده ويقومه. وقالت عائشة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر بن الخطاب". رواه مسلم. وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله وضع الحق على لسان عمر وقلبه". رواه جماعة عن نافع ، عنه. وروي نحوه عن جماعة من الصحابة. وقال الشعبي: قال علي رضي الله عنه: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر. وقال أنس: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث : في مقام إبراهيم ، وفي الحجاب ، وفي قوله : عسى ربه إن طلقكن. وقال حيوة بن شريح ، عن بكر بن عمرو ، عن مشرح ، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو كان بعدي نبي لكان عمر". وجاء من وجهين مختلفين عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال: قال رسول الله ؛ صلى الله عليه وسلم: "إن الله باهى بأهل عرفة عامة ، وباهى بعمر خاصة". ويروى مثله عن ابن عمر ، وعقبة بن عامر. وقال معن القزاز: حدثنا الحارث بن عبد الملك الليثي ، عن القاسم بن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبيه ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن أخيه الفضل ، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الحق بعدي مع عمر حيث كان". وقال ابن عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " بينا أنا نائم أتيت بقدح من لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يجري في

أظفاري ، ثم أعطيت فضلي عمر". قالوا: فما أولت ذلك؟ قال: "العلم". وقال أبو سعيد: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص ، منها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، ومر علي عمر عليه قميص يجره". قالوا: ما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: "الدين". وقال أنس: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "أرحم أمتي أبو بكر ، وأشدها في دين الله عمر". وقال أنس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دخلت الجنة فرأيت قصراً من ذهب فقلت: لمن هذا؟ فقيل: لشاب من قريش ، فظننت أني أنا هو ، فقيل: لعمر بن الخطاب". وفي الصحيح أيضا من حديث جابر مثله . وقال أبو هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "بينما أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة توضأ إلى جانب قصر ، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر ، فذكرت غيرة عمر ، فوليت مدبراً". قال: فبكى عمر ، وقال: بأبي أنت يا رسول الله أعليك أغار؟ وقال الشعبي وغيره: قال علي رضي الله عنه: بينما أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع أبو بكر وعمر ، فقال: "هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين ، لا تخبرهما يا علي". هذا الحديث سمعه الشعبي من الحارث الأعور ، وله طرق حسنة عن علي منها : عاصم ، عن زر. وأبو إسحاق ، عن عاصم بن ضمرة. قال الحافظ بن عساكر: والحديث محفوظ عن علي رضي الله عنه. قلت: وروي نحوه من حديث أبي هريرة ، وابن عمر ، وأنس ، وجابر. وقال مجالد ، عن أبي الوداك ، وقاله جماعة عن عطية كلاهما عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أهل الدرجات العلا ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما". وعن إسماعيل بن أمية ، عن نافع ، عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وعن يمينه أبو بكر وعن يساره عمر ، فقال: "هكذا نبعث يوم القيامة". تفرد به سعيد بن مسلمة الأموي ، وهو ضعيف عن إسماعيل. وقال علي رضي الله عنه بالكوفة على منبرها في ملأ من الناس أيام خلافته: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، وخيرها بعد أبي بكر عمر ، ولو شئت أن أسمي الثالث لسميته . وهذا متواتر عن علي رضي الله عنه ، فقبح الله الرافضة. وقال الثوري ، عن أبي هاشم القاسم بن كثير ، عن قيس الخارفي ، قال: سمعت عليا يقول: سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكر ، وثلث عمر ، ثم خبطتنا فتنة فكان ما شاء الله. ورواه شريك ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن علي مثله).هـ. وقال عنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (ما على ظهر الأرض رجلٌ أحبُّ إليَّ مِن عمر). وقال عليٌّ رضي الله عنه فيه: (إذا ذُكر الصالحون ، فحيهلا بعمر ، ما كنا نُبْعِدْ أن السكينة تنطق على لسان عمر). وقال عنه الحسَن البصري: (كان رضي الله عنه في إزاره اثنتا عشرة رقعة بعضها مِن أُدم ، وهو أمير المؤمنين). وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: (رأيتُ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أخذ تبنة مِن الأرض ، فقال: ليتني كنتُ هذه التبنة ، ليتني لم أُخْلَق ، ليت أمي لم تلدني ، ليتني لم أكُ شيئًا ، ليتني كنت نسيًّا منسيًّا). وعن عبد الله بن عيسى قال: (كان في وجه عمر خطَّان أسودان من البكاء). وعن هشام بن الحسن قال: (كان عمر يمرُّ بالآية وهو يقرأ فتخنقه العَبْرة ، فيبكي حتى يسقط ، ثم يلزم بيته حتى يُعاد ؛ يَحْسَبونه مريضًا). وكان رضي الله عنه يتمنى الشهادة ويُكثِر مِن قول: (اللهم ارزقني شهادةً في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك رضي الله عنه) ؛ رواه البخاري، فاستجاب الله دعاءه ، ونال الشهادة وهو في المدينة! وكانت من أقواله العظيمة ، والتي ينبغي أن تسطَّر بماء الذهب: (قال عمر: حرفة يُعاش بها خير مِن مسألة الناس). وقال: (إذا رأيتُم العالِمَ يحب الدنيا، فاتهموه

على دينكم ، فإن كلَّ مُحبٍّ يخوض فيما أحبَّ). وقال: (لو نادى منادٍ من السماء: أيها الناس ، إنكم داخلون الجَنَّةَ كلكم أجمعون ، إلا رجلًا واحدًا ، لخشيتُ أن أكونه ، ولو نادى منادٍ: أيها الناس ، إنكم داخلون النار ، إلا رجلًا واحدًا ، لرجوتُ أن أكونه). وقال أيضًا: (لا تَنظُروا إلى صيام أحد ، ولا إلى صلاته ، ولكن انظروا مَن إذا حدَّث صدق ، وإذا ائتُمن أدَّي ، وإذا أشفى وَرِع). وقال: (حاسبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبوا ، فإنه أيسَر ، وزِنُوا أنفسَكم قبل أن توزنوا ، وتجهَّزوا للعرض الأكبر يوم تُعرضون لا تخفى منكم خافية). والله لقد عقمت أرحام الأمهات مثلك يا ذهبي! هذا الرجل آية في الإنصاف ومدرسة في الجرح والتعديل! لقد أنصف كثيرين ومنهم الفاروق عمر بن الخطاب حبيب المسلمين! ومن القصص الجميلة التي حدثت في حياة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي صاغتها بأسلوبها الأديبة ملاك حفظها الله تعالى فتقول ما نصه بتصرف زهيد: (مهما قلنا وكتبنا عن الفاروق عمر ، فلن يكفينا الوقت ولا الأوراق ولا الحبر ، كي نعطي لهذا الرجل حقه فيما نريد أن نصفه أو نتكلم عنه فيه ، إنه المبشر بالجنة وإنه حبيب الحبيب وصديق الصدوق ، إنه الفاروق الذي فرق بين الحق والباطل ، إنه أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ، القصص التي نقلت عن حياة سيدنا عمر بن الخطاب كثيراً ما نتعلم منها وتؤثر فينا كثيراً ولن نستطيع أن نجمع كل ما قيل عنه وما وصف به هذا الرجل الذي نود أن يكون من بيننا اليوم رجل يعمل جزء ولو بسيط من صفات سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه ، والآن سوف نسرد أفضل 10 قصص في حياة سيدنا عمر ابن الخطاب عليه رضوان الله لنتعلم منها ونتفهم كيف كانت حياته وحكمته! <u>قصة المرأة التي سمع الله كلامها</u>: كانت تتلمس الطريق بعصا في يدها ، قوست الأيام ظهرها ، وأثقلت كاهلها ، استوقفت عمر بن الخطاب رضي عنه الذى كان يتوسط القوم ، ومالت به إلى جانب الطريق. دنا عمر رضى الله عنه ووضع يده على منكبيها ، وأرهف إليها السمع ، وظل طويلاً يصغى إلى صوتها الضعيف الذي سرى متباطئاً إلى أذنه ، ولم ينصرف حتى قضى لها حاجتها. وعندما ذهب عمر رضى الله عنه إلى القوم الذين طال وقوفهم ، قال رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز؟! قال عمر رضى الله عنه: ويحك! أتدرى من هذه؟! قال الرجل: لا! قال عمر رضى الله عنه: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات! هذه خولة بنت ثعلبة ، والله لو لم تنصرف عنى إلى الليل ما انصرفت حتى تقضى حاجتها! إنها السيرة العطرة سيرة هذا الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: (والله ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك) أي: ما تسلك من طريقاً إلا ويسلك الشيطان من الطريق الآخر ؛ لأنه صادق مخلص ، وهو قوي الشخصية إلى درجة من الهيبة ما يستطاع أن يُتكلم معه ، ملوك العرب إذا أتوا إلى عمر وأراد الواحد منهم أن يتكلم خلط بين الكلام ، ولا يستطيع أن يتكلم. هذا عمر رضي الله عنه وقف على رأسه رسول كسرى وقال: (عدلت فأمنت فنمت يا عمر!) وكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة ، وصلينا معه. حيث إنه كان جبارً غليظاً. عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه ليلى قالت: كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا ، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة ، فأتى عمر بن الخطاب وأنا على بعيري وأنا أريد أن أتوجه ، فقال: أين يا أم عبد الله؟ فقلت: آذيتمونا في ديننا ، فنذهب في أرض الله حيث لا نؤذى ، فقال: صحبكم الله ثم ذهب فجاء زوجي عامر بن ربيعة ، فأخبرته بما رأيت من رقة عمر ، فقال: ترجين أن يسلم

والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب. رواه الطبراني. قصة عمر مع العجوز الشاعرة: في كوخ صغير يقع أقصى المدينة لاح ضوء مصباح يحاول اختراق الظلام في ضعف. اقترب عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الكوخ ، فإذا بعجوز تجلس في ثوب أسودٍ تائهة في العتمة التي لم يستطع المصباح هتكها ، (على محمد صلاة الأبرار...صلى عليك المصطفون الأخيار) (قد كنت قواماً بكى الأسحار...يا ليت شعري والمنايا أطوار) (هل تجمعني وحبيبي الدار). أهاجت هذه الكلمات الماضي الهاجع في فؤاد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وتذكر الأيام الخوالي ، فبكى وسحت دموعه هادرة ، وقرع الباب عليها. فقالت: من هذا؟ قال وهو يغالبه البكاء: عمر بن الخطاب. قالت: وما لي ولعمر؟ وما يأتي بعمر هذه الساعة؟ قال: افتحي – رحمك الله – فلا بأس عليك ، ففتحت له فدخل. فقال: رددي على الكلمات التي قلت آنفا ، فرددت عليه ، فلما فرغت منها ، قال: أسألك أن تدخليني معكما. قالت: وعمر فاغفر له يا غفار. فرضى ورجع. قصة عمر مع الصبى الجائع: اهتزت المدينة ، وعجت الطرقات بالوافدين من التجار الذين نزلوا المصلى ، وامتلأ المكان بالأصوات. فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما: هل لك أن نحرسهم الليلة من السرقة؟! فباتا يحرسان ويصليان ما كتبا الله لهما ، فسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه صوت صبى يبكى ، فتوجه ناحية الصوت ، فقال لأمه التي تحاول إسكاته: اتقى الله وأحسني إلى صبيك. ثم عاد إلى مكانه فارتفع صراخ الصبى مرة أخرى ، فعاد إلى أمه وقال لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه ، فلما كان في أخر الليل سمع بكائه ، فأتى أمه فقال عمر رضى الله عنه في ضيق: ويحك إني أراك أم سوء ، وما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة؟! قالت الأم في حزن وفاقة: يا عبد الله قد ضايقتني هذه الليلة إني أدربه على الفطام ، فيأبى. قال عمر رضى الله عنه في دهشه: ولم؟ قالت الأم في ضعف: لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم. ارتعدت فرائص عمر رضى الله عنه خوفا ، وقال في صوت متعثر: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهراً. قال عمر رضى الله عنه: ويحك لا تعجليه. ثم انصرف فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلم قال: يا بؤساً لعمر! كم قتل من أولاد المسلمين؟! ثم أمر لكل مولود في الإسلام ، وكتب بذلك في الآفاق. قصة عمر بن الخطاب مع العجوز العمياء: في بيت صغير بأطراف المدينة ، عاشت امرأة عجوز عمياء ليس لها من حطام الدنيا إلا شاة ، ودلو ، وحصير من الخوص أكل الزمان أطرافها ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتعاهد هذه المرأة من الليل ، فيستسقى لها ويصلح حالها ، وظل على ذلك فترة. وذات يوم جاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى البيت ، فوجد كل شيء مرتبا ومعدا ، فعلم أن غيره سبقه إليها فأصلح ما أرادت ، فجاءها غير مرة وكل مرة يجد أن غيره سبقه إلى البيت فنظفه ، وأصلحه. فاختبأ عمر رضى الله عنه في ناحية قريباً من البيت ليعرف من هذا الذى يسبقه ، ظل قابعا مده ، وفجأة رأى رجلا يقترب من البيت فطرق الباب ، ثم دخل...إنه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو يومئذ خليفة المسلمين. خرج عمر رضى الله عنه من مكمنه وقد استبان له الأمر يحدث نفسه إعجاباً بالصديق رضي الله عنه: أنت لعمرى ... أنت لعمرى. قصة الأعرابى الذي يطوف بأمه مع عمر بن الخطاب: ارتفعت أصوات الطائفين في الأجواء ، يعطرون البيت بالتكبير والتهليل ، اختلطت نبراتهم الضارعة بدموعهم الهادرة ، واندفع خلف هؤلاء الهائمين في حب الله أعرابي مديد القامة ، عريض المنكبين ، مفتول العضلات ، ريان الشباب ، يحمل فوق كاهله أمه العجوز التي تربعت في معول (مقطف) كبير وهو يردد قائلاً: أنا مطيتها لا أن...وإذا الركاب ذعرت لا أذعر) (وما حملتني وأرضعتني أكثر...لبيك اللهم لبيك...). فقال

علي بن أبي طالب الذي وقف في جانب البيت الحرام مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يراقبان الطائفين: يا أبا حفص ادخل بنا الطواف لعل الرحمة تنزل فتعمنا. فانطلقا يطوفان خلف الأعرابي ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يرد عليه قائلاً: (إن تبرها فالله أشكر..... يجزيك بالقليل الأكثر). قصة عمر بن الخطاب والشاب الذي يتحدث من قبره: كان بالمدينة شاب ، غض الإهاب ، أرهفه الزهد ، يلازم المسجد ليسمع الحديث غضاً طرياً من أفواه الصحابة رضوان الله عليهم ، أعجب به عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وكان له أب شيخ كبير ، فإذا صلى العشاء انصرف إليه ، وكان طريقه على باب امرأة ، افتتنت به ، فمر بها ذات يوم ، فمازالت تغويه حتى تبعها ، فلما هم أن يدخل البيت خلفها ، تذكر قول الحق سبحانه وتعالى: "إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون " فخر مغشياً عليه ، فحمل إلى أبيه. ظل الشاب مغشياً عليه حتى ذهب ثلث الليل ، ولما فاق سأله أبوه عما حدث فأخبره . فقال له أبوه: يا بني وأي آية قرأت؟ فقرأ الشاب الآية فخر مغشيا عليه ، وعندما اجتمع أهله وجيرانه يحركونه وجدوه ميتاً ، فغسلوه وكفنوه ودفنوه ليلاً . وفى الصباح رفع الأمر إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فجاء إلى أبيه فعزاه ثم أتى قبر الشاب ، وصاح قائلاً: يا فلان: "ولمن خاف مقام ربه جنتان". فأجابه صوت الفتى من القبر: يا عمر قد أعطانيهما ربي في الجنة مرتين. القصة السابعة اليوم أسبق أبا بكر: وقف النبي عليه الصلاة والسلام خطيباً يحث الصحابة (رضوان الله عليهم) على الإنفاق والصدقة ، وكان من بين هؤلاء الصحابة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى انشرح صدره وتهلل وجهه ، لأنه وافق مالاً عنده. فقال عمر رضى الله عنه: اليوم أسبق أبا بكر رضى الله عنه. فقام مسرعاً يسبق الريح ، ثم عاد وقد تعلقت بيده صرة كبيرة من المال وضعها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم. نظر النبي إلى هذه الصرة الكبيرة ثم استقبله بنظره قائلاً: ما أبقيت لأهلك؟ قال عمر رضى الله عنه: أبقيت لهم مثله. ثم انصرف عمر رضى الله عنه إلى جوار النبي صلى الله عليه وسلم ، وما هي إلا هنيهة إلا دخل أبو بكر رضى الله عنه المسجد حاملاً صرة أكبر وأعظم من التي جاء بها عمر رضى الله عنه ، فوضعها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم. تبسم النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: ما أبقيت لأهلك؟! أجابه بكلمات خاشعة: أبقيت لهم الله ورسوله. حرك عمر رضى الله عنه رأسه إعجاباً بالصديق قائلاً: لا أسبقك إلى شيء أبداً يا أبا بكر. القصة الثامنة لن أبرئ بعدك أحداً: دخل عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه على أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها ، وكان ذا مال كثير ، فقالت رضى الله عنها كأنها تحضه على الإنفاق: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أموت أبداً. ارتعدت فرائص عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، وانحشرت الكلمات بين أوتار حنجرته ، ونهض من عندها مذعوراً حتى دخل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه: اسمع ما تقول أمك.. وأخبره بما قالت... أوجس عمر خيفة ، وأحس الأرض تميد به ، فقام مسرعاً حتى أتى أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها. فقال وهو جاث: أنشدك بالله أمنهم أنا؟! قال أم سلمة رضى الله عنها: لا ولن أبرئ بعدك أحداً. القصة التاسعة المرأة المجذومة: مضت أسراب الناس يطوفون بالبيت الحرام ، تختلط دموعهم بصيحات التكبير والتهليل ، ووسط هذا الزحام ، أبصر عمر رضى الله عنه امرأة مجذومة تطوف. فقال عمر رضي الله عنه: يا أمة الله لا تؤذي الناس ، لو جلست ببيتك. استجابت المرأة لصوت أمير المؤمنين ، ومكثت في بيتها لا تبرحه حتى مات عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فمر بها رجل

بعد ذلك ، فقال لها: إن الذى كان قد نهاك قد مات فاخرجي. قالت: ما كنت لأطيعه حياً وأعصيه ميتاً. فظلت في بيتها حتى مات. القصة العاشرة غيرة عمر رضى الله عنه: في تواضع العظماء جلس النبي صلى الله عليه وسلم ، تنساب من شفتيه همهمات التسبيح ، وينبعث من صدره دوى الحديث رهواً ، وحوله هالة من أصحابه. فقال صلى الله عليه وسلم: بينما أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا بامرأة تتوضأ إلى جانب قصر. فقلت: لمن هذا القصر؟! فقيل: لعمر. فقال صلى الله عليه وسلم: فذكرت غيرته فوليت مدبراً. فبكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه وهو يقول: أعليك أغار يا رسول الله؟!).هـ. وإذن فالفاروق عم كان رجلاً عظيماً بكل ما تعنيه الكلمة من معان! وقصصه ومواقفه لا تعد كثرة ولا تحصى اً! كما أن الدروس المستفادة منها لا تعد ولا تحصى).هـ. وأشكر من أعماق قلبي الأستاذة الأديبة ملاك على سردها القصصي الممتع بسلوب رائع! وأشهد بالله أن أسلوبها الماتع في السرد وإيرادها للدروس المستفادة من كل قصة أعانني كثيراً في بردتي! يقول الدكتور أكرم ضياء العمري وتحت عنوان: (عمر بن الخطاب الإنسان) بتصرفٍ ضئيل ما نصه: (وكان عمر قد بلغ الثلاثين من عمره وقت المبعث النبوي. فكان شديدًا على المسلمين ، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالهداية ، فأسلم عمر في السنة السادسة من البعثة ، فاعتز به الإسلام. وجهر بإسلامه فتعرض له المشركون وقاتلهم وقاتلوه. وقد عرف في الجاهلية بالفصاحة والشجاعة ، وعرف في الإسلام بالقوة والهيبة ، والزهد والتقشف ، والعدل والرحمة ، والعلم والفقه وكان مسدد القول والفعل. وقد وافق القرآن في عدة آراء اقترحها على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وبشره بالشهادة ، وبما سيكون على يده من خير ، ووصفه بالعبقري" فقال: لم أر عبقريًا يفري فريه" رواه (البخاري). وبيَّن أنه إن كان في الأمة محدث - بمعنى ملهم - فهو عمر! رواه (البخاري). وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالاقتداء بأبي بكر وعمر. وكان عمر بن الخطاب مقربًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشيره في المهمات ، شهد معه المشاهد كلها ، وقد صاهره بالزواج من ابنته حفصة أم المؤمنين ، وكان أبو بكر يستشيره كثيرًا ، وهو الذي أشار عليه بجمع القرآن ، وقد عهد إليه بالخلافة بعد مشاورة كبار الصحابة ورضاهم. ولقب بأمير المؤمنين. وقد أظهر عمر بن الخطاب في خلافته حسن السياسة ، والحزم والتدبير ، والتنظيم للإدارة والمالية ، ورسم خطط الفتح وسياسة المناطق المفتوحة ، والسهر على مصالح الرعية ، وإقامة العدل في البلاد ، والتوسع في الشورى ، "وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أم شبانًا" ، ومحاسبة الولاة وفق مبدأ "من أين لك هذا" ، ومنعهم من أذى الرعية. وفتح بابه أمام شكاوي الناس ، وتدوين الدواوين ، وتعيين العُرفاء على العَشائر والقبائل. وابتدأ التأريخ الهجري ، وكان لا يستحل الأخذ من بيت مال المسلمين إلا حلة للشتاء وأخرى للصيف ، وناقة لركوبه ، وقوته كقوت أي رجل متوسط الحال من المهاجرين. وتدل خطب عمر بن الخطاب ورسائله إلى الولاة والقادة على بلاغته العالية وبيانه الواضح مع الإيجاز المفيد والبعد عن الإطناب والإغراب والمبالغة ، وتعبر بدقة عن شعوره العميق بالمسؤولية تجاه الدين والرعية ، مع حسن التوكل على الله والثقة بالنفس. وقد غلبت الدولة الإسلامية في عهده الفرس والروم وحررت الهلال الخصيب ومصر ، ومُصّرت الكوفة والبصرة والفسطاط ، ومازالت في صعود وامتداد ، حتى اغتاله أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة وهو يؤم المسلمين في صلاة الفجر ليلة الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة 23 للهجرة ، بعد خلافة دامت عشر سنين وستة

أشهر ، وكان عمره ثلاثًا وستين سنة).هـ. ولقد كثرتِ الأحاديث التي تذكر مناقب عمر – رضي الله عنه – فلقد قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: [اللَّهمَّ أعزَّ الإسلامَ بأحبِّ هذينِ الرَّجُلَيْنِ إليكَ بأبي جَهْلٍ أو بعُمرَ بنِ الخطَّابِ قالَ: وَكانَ أحبَّهما إليهِ عمرُ] ، وقد اشتهر عمر بن الخطاب بعدله وغَدا مضربًا للمثل من شدّة عدله ، وقد كان ساهرًا على مصلحة الرعية ، مطبقًا للشرع ، مساويًا بين جميع أفراد المجتمع ، فكان سببًا في دخول الكثير من الناس إلى الإسلام ، وفي أيام خلافته فُتحت الشام ، والعراق ، والقدس ، والمدائن ، ومصر ، والجزيرة ، وكان رضي الله عنه أول من استعمل التاريخ الهجري وأول مَن وضع الدواوين ، وكان الفاروق ذو نظرًا ثاقبًا ، ورؤية واسعة ، وحكمة وعلمًا كثيرًا ، وكان يُكثر من تمني الشهادة فاستجاب الله لدعائه ، وقد استشهد وهو يُصلّي الصبح في المدينة على يد أبو لؤلؤة المجوسي عليه من الله ما يستحق! ومن أهم الأحاديث الصحيحة التي وردت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم عن عمر بن الخطاب ما يلي: عن سعد بن أبي وقاص عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: [إيهٍ يا ابنَ الخطابِ! والذي نَفْسِي بيدِهِ ما لقِيَكَ الشيطانُ قطُّ سالكًا فجًّا ؛ إلَّا سلَكَ فجًّا غيْرَ فَجِّكَ]. وعن عبد الله بن العباس عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: [وُضِعَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ علَى سَرِيرِهِ ، فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُثْنُونَ وَيُصَلُّونَ عليه ، قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ ، وَأَنَا فيهم ، قالَ فَلَمْ يَرُعْنِي إلَّا برَجُلٍ قدْ أَخَذَ بمَنْكِبِي مِن وَرَائِي ، فَالْتَفَتُّ إلَيْهِ فَإِذَا هو عَلِيٌّ ، فَتَرَحَّمَ علَى عُمَرَ ، وَقالَ: ما خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ ، وَايْمُ اللهِ إنْ كُنْتُ لأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مع صَاحِبَيْكَ ، وَذَاكَ أَنِّي كُنْتُ أُكَثِّرُ أَسْمَعُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فإنْ كُنْتُ لأَرْجُو ، أَوْ لأَظُنُّ ، أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ معهُمَا]. عن أبي ذرّ الغفاري عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: [مرَرْتُ بعُمَرَ ، ومعه نَفَرٌ من أصحابِه ، فأدرَكَني رَجُلٌ منهم ، فقال: يا فَتى ، ادْعُ اللهَ لي بخَيرٍ ، بارَكَ اللهُ فيكَ ، قال: قُلْتُ: ومَن أنتَ رحِمَكَ اللهُ؟ قال: أنا أبو ذَرٍّ ، قال: قُلْتُ: يَغفِرُ اللهُ لكَ ، أنتَ أحقُّ ، قال: إنِّي سمِعْتُ عُمَرَ يقولُ: نِعمَ الغُلامُ ، وسمِعْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: إنَّ اللهَ وضَعَ الحقَّ على لسانِ عُمَرَ يقولُ به]. وكان عمر من جُباة الزكاة والصّدقة: فقد عَيَّن الرسول عمر بن الخطاب جابيًا للزكاة من أموال الناس إلى خزينة الدولة الإسلاميّة ، وفي نفس الوقت كان يُحصّل الصّدقات. وكان عمر بن الخطاب كاتبًا للوحي: فقد ذكرت كتب السِّيَر أن عمر بن الخطاب كان كاتبًا للوحي عندما كان ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم. بَعَثَ النبي عمر مبلّغًا عنه: فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا قَدِم إلى المدينة جمع نساء الأنصار ، وبعث إليهن عمر رضي الله عنه ، فدخل عمر على النساء وسلّم عليهن ، وقال لهن: أنا رسولُ رسولِ الله صلّى اللهُ عليهِ وسلّم ، إليكن. وشارك عمرُ الرسول في بناء مسجد قباء: فقد ورد أن عمر بن الخطاب كان مشاركًا في نقل حجارة مسجد قباء مع الرسول صلى الله عليه وسلم. وكان عمر بن الخطاب مُفتيًا وقاضيًا: فقد ورد أن عمر بن الخطاب كان مفتيًا في قضايا الدّين ، وكان قاضيًا على الناس في نفس الوقت لشدّة عدله وإيمانه وثباته على الحق. وشارك عمرُ في جميع غزوات الرسول. وأما عن الصفات الخَلْقِية والخُلُقيّة التي اتّصف بها عمر بن الخطاب ، فمن هذه الصفات: <u>الصفات الخَلْقِيّة</u>: فارع الطول. شديد البياض. ذو لحية كبيرة. ضخم الجسم: مباعد بين منكبيه. أعسر أيسر: أيّ يستعمل كلتا يديه. متّسع ما بين الفخذين. كثير الشيب. سريع المشي. رجل أهلب: أيّ غليظ الشعر وكثير شعر الرأس والجسد. <u>الصفات الخُلُقيّة</u>: شدّة الإيمان: فقد جمع عمر بن الخطاب من خصال الخير والإيمان ما لم يبلغه أحد من هذه الأمة

سواه. عظيم الإخلاص. شديد الصدق. تكامل خصال الخير فيه: لدرجة فرار الشيطان من المكان الذي يسير عند رؤيته لعمر بن الخطاب. شديد في الحق: فكان لا يغفل عن الحق ولا يُجامل فيه ولا يقبل بغيره. شديد العدل: لدرجة أنّه كان مضربًا للناس من شدّة عدله. وتحت عنوان: (فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه) يقول أستاذنا الدكتور عبد الله بن محمد الطيار ما نصه بتصرف معقول: (قال عنه النبي صلَّى الله عليه وسلَّم لأبي موسى الأشعري (افتحْ له وبشِّره بالجَنَّة) ، ففتحتُ له فإذا هو عمر ؛ متفق عليه. وعن ابن عمر رضي الله عنهما ؛ أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (اللهم أَعِزَّ الإسلامَ بأحبِّ هذين الرجلين إليك ؛ بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب) ، قال: (فكان أحبَّهما إليه عمر بن الخطاب) ؛ رواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع. وكان سبب إسلامه رضي الله عنه: أنَّ أخته فاطمة بنت الخطاب كانت تحت سعيد بن يزيد بن عمرو العدوي ، وكانا مسلمين يُخفِيانِ إسلامَهما من عمر ، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة يُقرئها القرآن ، فخرج عمر يومًا ومعه سيفُه يريد النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم والمسلمين ، وهم مجتمعون في دار الأرقم عند الصفا ، وعنده مَن لم يهاجر مِن المسلمين في نحو أربعين رجلًا ، فلقيَه نعيم بن عبد الله ، فقال: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدًا الذي فرَّق أمْر قريش ، وعاب دينها فأقتله ، فقال نعيم: والله لقد غرَّتك نفسُك ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا؟! أفلا ترجع إلى أهلك فتقيم أمْرَهم؟ قال: وأي أهلي؟! قال: ختنك ، وابن عمِّك سعيد بن زيد ، وأختك فاطمة ، فقد أسلما. فرجع عمر إليهما وعندهما خباب بن الأرت يُقرئهما القرآن ، فلما سمعوا صوتَ عمر تغيَّب خباب ، وأخذت فاطمة الصحيفة ، وألقتْها تحت فخذيها ، وقد سمع عمر قراءة خباب ، فلمَّا دخل قال: ما هذه الهينمة؟! قالا: سمعت شيئًا؟ قال: بلى ، قد أُخبرتُ أنكما تابعتما محمدًا ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته لتكفَّه ، فضربها فشجَّها ، فلمَّا فعل ذلك ، قالت له أخته: قد أسلمنا ، وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما شئت ، ولما رأى عمر ما بأخته من الدم ، نَدِمَ وقال لها: أعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون فيها الآن ؛ حتى أنظُر إلى ما جاء به محمد ، قالت: إنا نخشاك عليها ، فحلف أنه يُعيدها ، قالت له: وقد طمعَتْ في إسلامه ، إنك نجس على شركك ، ولا يمسُّها إلا المطهرون ، فقام واغتسل فأعطته الصحيفة وقرأ فيها: (طه.....) ، وكان كاتبًا فلمَّا قرأ بعضها ، قال: ما أحسَن هذا الكلام وأكرمَه ، فلمَّا سمع خبَّاب ، خرج إليه وقال يا عمر: فقال عمر عند ذلك: فدُلَّني يا خباب على محمد ؛ حتى آتيَه فأُسلِم ، فدلَّه خبَّاب ، فأخذ سيفه ، وجاء إلى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ، فقام رجل منهم ، فنظر من خلل الباب ، فرآه متوشِّحًا سيفه ، فأخبر النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بذلك ، فقال حمزة: ائذن له ، فإن كان يريد خيرًا بذلناه له ، وإن أراد شرًّا قتلناه بسيفه ، فأذِنَ له ، فنهض إليه النبي صلَّى الله عليه وسلَّم حتى لَقِيَه ، فأخذ بمجامع ردائه ، ثم جذبه جذبة شديدة ، وقال: ما جاء بك؟ ما أراك تنتهي حتى يُنزل الله عليك قارعة. فقال عمر: يا رسول الله ، جئتُ لأومن بالله ، وبرسوله ، فكبر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم تكبيرةً عَرَفَ مَن في البيت أن عمر أسلم ، قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن إسلام عمر كان فتحًا ، وإن هجرته كانت نصرًا ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنَّا وما نصلِّي عند الكعبة حتى أسلم عمر ؛ فلمَّا أسلم عمر قاتل قريشًا ؛ حتى صلَّى عند الكعبة، وصلَّينا معه" ؛ "صحيح السيرة النبوية" ؛ للألباني. ولقد هاجر رضي الله عنه إلى المدينة ، وشهد الكثير من المشاهد مع النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ، وبُويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثلاث عشرة سَنة من

الهجرة بعهد منه ، فكان يُضرب بعدله المثل. وقال عنه النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: (رأيتُ كأني أُتيت بقدح من لبن ، فشربتُ منه ، فأعطيتُ فضلي عمر بن الخطاب ، قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال العِلم) ؛ رواه الترمذي ، وصححه الألباني في جامع الترمذي. وقد اشتُهِر عمر رضي الله عنه بعدله الذي ساد به ديار الإسلام أثناء مدة إمارته ، وشمل الناس جميعًا ، وغدا مضرب المثل ، ويُعدُّ عمر رضي الله عنه المنظِّمَ الأوَّلَ للدولة الإسلامية ، فقد ضمَّت الدولة الإسلامية أيامه شعوبًا كثيرة ، فعَمِل على صهر ذلك كلِّه في بوتقة الإسلام ، واستطاع رضي الله عنه نتيجة لشعوره بالمسؤولية ، وخوفِه من السؤال يوم الحساب ، وواجبه بالعمل والدعوة ، وإيمانه العميق بتطبيق الشرع ، كل ذلك أدَّى إلى متابعته للوُلاة في جميع الأمصار ، والسهر على مصلحة الرعيَّة ، وتفقُّد أحوال الناس بنفسه ، فكانت له الهيبة على سائر نواحي الدولة الإسلامية ، وكانت هيبة الناس له هيبةٍ محبةٍ واحترامٍ وتقدير لِحُنُوِّهِ عليهم ، وعطفه على العامة ، وعدله ، وسهره في شؤون الأمَّة ، ومساواته بين أفراد المجتمع ، وكان صورةً حيَّةً عن الإنسان المسلم لسائر المِلَل الأخرى ، فكان ذلك سببًا في دخول الكثير منهم في دين الله تعالى. وكان رضي الله عنه جريئًا في الحق ، ومع هذه الجرأة كان ينصاع للحق مباشرة ، وإذا خُوِّف بالله سَكَن. ومن فضائله رضي الله عنه أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (سمعتُ عمر بن الخطاب يومًا ، وقد خرجتُ معه حتى دخل حائطًا ، فسمعتُه يقول وبيني وبينه جدار ، وهو في جوف الحائط: عمر بن الخطاب ، أمير المؤمنين ، بخٍ ، والله - بُنَيَّ الخطاب - لتتقينَّ الله أو ليعذبنَّك) ، وقال أيضًا رضي الله عنه: (أحبُّ الناس إليَّ مَن رَفَعَ إليَّ عيوبي). ولقد عاش الفاروق رضي الله عنه هموم الأمَّة ، وشَغَلَتْه شؤون الرعيَّة ، وأهمَّتْه حالة الناس ، فهو يريد أن يشاركَ الناس قضاياهم ، ويعيش بمستوى أدناهم ، يحب أن يُطعم الجائع بيده ، ويُعطي المحتاج من ماله ، ويداوي المريض بنفسه ، يتفقَّد أفراد المجتمع ويواسيهم. ولقد أحسَّ الناس بما يهمُّ الفاروق لما يرون ما يقوم به فأحبُّوه ، وكانوا على استعداد ليفدوه بما يملكون ، وعملوا على تقليده والسير على منواله ، ففشَتْ بينهم المحبَّة ، وعمَّ الأمن ، وانعدم الحسد ، وفُقدت الغيبة ، وزال التعدي ، وبدا المجتمع كتلة واحدة. وكان يطوف في الأسواق منفردًا ويعسُّ بالليل. ولقد أُعطَي الفَارُوقُ عِلْمًا ، ونَظَرًا ثَاقبًا وفَهمًا ، وشَفَافِية وذِهنًا ، ورُؤْيةً وَاسعةً وحِكْمةً).هـ. ولقد استفدت الكثير والكثير من الدكتور الطيار ، فلقد أعانني شرحه الظريف اللطيف في بُردتي عن أمير المؤمنين عمر! ولولا خشية الإطالة لذكرت المقالة كاملة ، ولكنني اكتفيت ببعض سطور منها مما اتسع له المقام! وتحت عنوان: (قطف الثمر بشيء من سيرة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه) يقول أستاذنا عبد الرحمن بن عبد الله السحيم ما نصه بتصرف: (إذا ذُكِرت الشدّة في الحق ذُكِر ، وإن ذُكِر العَدْل ذُكِر ، وإن ذُكِر التواضع ذُكِر ، وإن ذُكرت الرّحمة بالمساكين ، فهو مَثَل ، وإذا ذُكِرت الفتوحات ذُكِر .. وإذا ذُكِر الخير ذُكِر عُمر الخير رضي الله عنه وأرضاه. يَجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي بن غالب. وكان قد تعلّم القراءة والكتابة في الجاهلية. وتحمّل المسؤولية صغيراً. ونشأ نشأة غليظة شديدة ، لم يَعرف فيها ألوان التّرف ، ولا مظاهر الثروة ، حيث دَفَعه أبوه " الخطّاب " في غلظة وقسوة إلى المراعي يَرعى إبله. وكان عمر رضي الله عنه يَرعى إبلاً لخالات له من بني مخزوم. ثم اشتغل بالتجارة مما جَعَله من أغنياء مكة ، ورَحَل صيفا إلى الشام ، وشتاء إلى اليمن ، واحتلّ مكانة بارزة في المجتمع المكيّ الجاهليّ ، وأسهم بشكل فعّال في أحداثه ، وساعَدَه تاريخ أجداده المجيد. قال ابن الجوزي: كانت إليه السفارة في الجاهلية ، وذلك إذا

وقعت بين قريش وغيرهم حرب بعثوه سفيرا ، أو إن نَافَرَهم حيٌّ المفاخرة بعثوه مُفاخِراً ، ورَضُوا به. وكان عمر رضي الله عنه رجلا حَكيما ، بليغاً ، حصيفاً ، قوياً ، حَليماً ، شريفاً ، قويّ الحجّة ، واضح البيان. تزوّج في الجاهلية بـ زينب بنت مظعون ، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وحفصة. وتزوّج مليكة بنت جرول ، فَوَلَدَتْ له عبيد الله. وتزوّج قُرَيبَة بنت أبي أمية المخزومي ، ففارقها في الهدنة. وتزوّج أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فولدت له فاطمة. وتزوّج جميلة بنت عاصم بن أبي الأقلح. وتزوّج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل. وتزوّج بعد ذلك أم كلثوم بنت عليّ رضي الله وأمها فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها ، وولدت له زيدا ورُقيّة. وتزوّج لُهْيَة – امرأة من اليمن – فولدت له عبد الرحمن الأصغر ، وقيل الأوسط . وقيل : هي أم ولد. وقالوا: كانت عنده فُكيهة – أم ولد – فولدت له زينب. وكان عمر رضي الله عنه يَتزوّج من أجل الإنجاب ، وإكثار الذرية ، فقد قال رضي الله عنه: ما آتي النساء للشهوة ، ولولا الولد ما باليْتُ ألاّ أرى امرأة بِعيني. وقال: إني لأُكْرِه نفسي على الزواج رجاء أن يُخرِج الله مِنِّي نسمة تُسبّحه وتذكره. وأولاده كانوا ثلاثة عشر ولداً ، وهم: (زيد الأكبر ، وزيد الأصغر ، وعاصم ، وعبد الله ، وعبد الرحمن الأكبر ، وعبد الرحمن الأوسط ، وعبد الرحمن الأصغر ، وعبيد الله ، وعياض ، وحفصة ، ورقية ، وزينب ، وفاطمة رضي الله عنهم). وقال ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني عن عمر رضي الله عنه : مُهاجري أوليّ بدريّ. يعني أن عمر رضي الله عنه من أوائل المهاجِرين. وهو بَدري أي أنه شهِد بَدر. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل بدر: لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وَجَبَتْ لكم الجنة . رواه البخاري ومسلم. وفي رواية : لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غَفَرْتُ لكم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله جعل الحق على لسان عُمَرَ وقَلْبِه . رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم وصححه وابن حبان وغيرهم . وهو المؤمن الذي شهِد له النبي صلى الله عليه وسلم بالإيمان. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بينما رجل راكب على بقرة الْتَفَتَتْ إليه فقالت: لم أُخْلَق لهذا ، خُلِقْتُ للحِراثة. قال: آمنت به أنا وأبو بكر وعمر . وأخذ الذئب شاة فتبعها الراعي فقال : الذئب من لها يوم السبع ، يوم لا راعي لها غيري؟ قال: آمنت به أنا وأبو بكر وعمر. قال أبو سلمة: وما هما يومئذ في القوم. رواه البخاري ومسلم. وشِهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بِقوّة الدِّين. وقال عليه الصلاة والسلام: بينا أنا نائم رأيت الناس يُعْرَضُون عليّ وعليهم قُمُص ، منها ما يبلغ الثُّدِيّ ، ومنها ما دون ذلك ، وعُرِضَ عليّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يَجُرّه. قالوا: فما أوّلت ذلك يا رسول الله؟ قال: الدِّين. رواه البخاري ومسلم . ولقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر ، فقام رجل يُصلي فرآه عمر ، فقال له: اجلس فإنما هلك أهل الكتاب أنه لم يكن لصلاتهم فَصْل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحسن ابن الخطاب. رواه الإمام أحمد ، وفي رواية عند الطبراني أنه عليه الصلاة والسلام قال: أصاب الله بك يا ابن الخطاب. وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: صَعَدَ أُحُداً ، وأبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فقال : اثْبُت أُحُد ، فإنما عليك نبيّ وصِدّيق وشهيدان. رواه البخاري. فهذه شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبيه ، فشهادته لأبي بكر رضي الله عنه بأنه الصِّدِّيق ، ولِعمر رضي الله عنه بأنه يموت شهيدا ، وهكذا كان ، وكذلك بالنسبة لعثمان رضي الله عنه. وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط من حائط المدينة ، وهو متكئ يركز بعود معه بين الماء والطين إذ استفتح رجل ، فقال: افتح وبشّره بالجنة. قال: فإذا أبو بكر ، ففتحت له وبشرته بالجنة . قال: ثم استفتح رجل آخر ،

فقال: افتح وبشّره بالجنة. قال: فذهبت فإذا هو عمر ، ففتحت له وبشرته بالجنة ، ثم استفتح رجل آخر قال: فجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: افتح وبشّره بالجنة على بَلْوَى تكون. قال: فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان. قال: ففتحت وبشّرته بالجنة. قال: وقلت الذي قال ، فقال: اللهم صبراً ، أو: الله المستعان. رواه البخاري ومسلم. فهذا من صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته. وأما بعد مماته: فقد جاء رجل فسأل زين العابدين: كيف كانت مَنْزِلة أبي بكر وعمر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأشار بيده إلى القبر ، ثم قال: لمنْزِلتهما مِنه الساعة. ولما سأل سالم بن أبي حفصة جعفرَ الصادق عن أبي بكر وعمر ، فقال: يا سالم تولَّهُما ، وابرأ من عدوهما ، فإنهما كانا إمامي هدى ، ثم قال جعفر: يا سالم أيسُبُّ الرجل جـدّه؟ أبو بكر جدي ، لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما ، وأبْرَأ من عدوهما. فالشاهد هنا شهادة آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لِعمر رضي الله عنه ، واعتراف أهل الفضل بِفضل عُمر رضي الله عنه وعنهم. وكما أن مرتبة أبي بكر وعمر أعلى مراتب الصحابة فكذلك منازلهما في الجنة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين. وقال عليه الصلاة والسلام: إن أهل الدرجات العُلَى يَراهم من أسفل منهم كما يُرى الكوكب الطالع في الأفق من آفاق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم ، وأنْعَما. رواه الترمذي وابن ماجه ، وصححه الألباني. وكان عمر رضي الله عنه الإمام العادل ، شهِد بذلك القاصي والدّاني ، حتى كان يُحسِب عمّاله لئلا يُظلَم أحد من رعيته. فقد كان عمر رضي الله عنه يُحاسب عماله في الموسم. وفي الصحيحين خبر محاسبته رضي الله عنه لسعد بن أبي وقاص – وكان على الكوفة – وحاسَب سعيد بن زيد رضي الله عنه وغيره. وبَلَغ من عَدْلِه أن أقام الحدّ على أقاربه ، فقد أقام الحدّ على قدامة بن مظعون وقد شرب الخمر مُتأوِّلاً ، وقدامة هذا هو خال حفصة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم. وبَلغ عدله أن قضى بالحق لصاحب ذلك الحق وإن كان يهودياً. روى الإمام مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب اختصم إليه مسلم ويهودي ، فرأى عمر أن الحق لليهودي فقضى له ، فقال له اليهودي: والله لقد قضيت بالحق. وفي أخبار حصار بيت المقدس: أنه "حين أعياهم صاحب إيليا وتحصّن منهم بالبلد وكثر جيشه فكتب الأرطبون إلى عمرو بأنك صديقي ونظيري ، أنت في قومك مثلي في قومي ، والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين ، فارجع ولا تغرّ فتلقى مثل ما لقي الذي قبلك من الهزيمة ، فدعا عمرو رجلاً يتكلم بالرومية فبعثه إلى أرطبون ، وقال: اسمع ما يقول لك ، ثم ارجع فأخبرني ، وكتب إليه معه: جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي ، وقد علمت أني صاحب فتح هذه البلاد ، واقرأ كتابي هذا بمحضر من أصحابك ووزرائك ، فلما وصله الكتاب جمع وزراءه وقرأ عليهم الكتاب ، فقالوا للأرطبون: من أين علمت أنه ليس بصاحب فتح هذه البلاد؟ فقال: صاحبها رجل اسمه على ثلاثة أحرف ، فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال ، فكتب عمرو إلى عُمر يستمده ويقول له إني أُعالج حرباً كؤوداً صدوماً ، وبلاداً ادُّخِرت لك ، فرأيك. فلما وصل الكتاب إلى عمر عَلِمَ أن عمراً لم يقل ذلك إلا لأمر عَلِمَه ، فَعَزَم عُمر على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس" [البداية والنهاية]. ولما فرغ أبو عبيدة من دمشق كتب إلى أهل إيليا يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام أو يَبْذُلون الجزية أو يُؤذنون بِحَرْب ، فأبَوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه ، فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد ، ثم حاصر بيت المقدس وضيّق عليهم حتى

أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فكتب إليه أبو عبيدة بذلك ، فاستشار عمر الناس في ذلك فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم ، وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخفّ وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم ، فهوى ما قال علي ، ولم يَهوَ ما قال عثمان ، وسار بالجيوش نحوهم ، واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته ، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء كخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان ، فترجّل أبو عبيدة وترجّل عمر ، فأشار أبو عبيدة ليُقَبِّل يَدَ عُمر ، فهمّ عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة فكفّ أبو عبيدة فكفّ عمر ، ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس ، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث ، ثم دخلها. فأنت ترى أن عمر رضي الله عنه استشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخذ برأيه ، ثم استخلفه على المدينة حينما خَرَج إلى بيت المقدس. فلو كان عليّ رضي الله عنه يَرى أنه أحق بالخلافة أو أنه لم يُبايِع هل كان يُشير بمثل هذا ، أو يتولّى أمراً كهذا؟! وهذا يُشير إلى المودّة التي كانت بين عمر وبين عليّ رضي الله عنهما. أخرج ابن أبي شيبة من طريق أبي السفر قال: رُئي على عليّ بُرد كان يكثر لبسه. قال فقيل له: إنك لتكثر لبس هذا البرد. فقال: إنه كسانيه خليلي وصفيي وصديقي وخاصّي عمر. إن عمر ناصح الله فنصحه الله ، ثم بكى. وأقطَع عمرُ علياً ينبع. وروى جعفر بن محمد (الصادق) عن أبيه أن عُمر جَعَل للحسين مثل عطاء عليّ ، خمسة آلاف! وحينما دخل عمر رضي الله عنه بيت المقدس ، وسلّموا له مفاتيحه صلّى في بيت المقدس حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. روى الإمام أحمد من طريق أبي سلمة قال: حدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني صَلّيتَ خلف الصخرة ، فكانت القدس كلها بين يديك. فقال عمر رضي الله عنه: ضاهيتَ اليهودية ، لا ، ولكن أُصَلِّي حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة في ردائه ، وكنس الناس. وشَهِدَ رسولُ كِسرى بِعدل عمر حينما قال مقولته المشهورة: عدلت فأمنت فنِمت. وشهِدت فارس والروم بِفضل عمر رضي الله عنه. كيف؟ هذه شهادة رسول كسرى. وأما الروم النصارى فإنهم شهدوا بِفضل عُمر ، وأثبتوا خلافته بناء على صِفته في كُتبهم ، فإنهم يَجدون في كُتُبهم صفة الذي يفتح بيت المقدس. ولذلك رفضوا تسليم مفاتيح بيت المقدس إلا للذي يَجدون صفته في كُتُبهم. ولقد ذكر ابن جرير في التاريخ فتح بيت المقدس ، فقال: لما قدم عمر رحمه الله الجابية قال له رجل من يهود: يا أمير المؤمنين لا تَرجِع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك إيلياء. فبينا عمر بن الخطاب بها إذ نظر إلى كردوس من خيل مقبل فلما دنوا منه سلّموا السيوف ، فقال عمر: هؤلاء قوم يستأمنون فأمّنُوهم ، فأقبلوا فإذا هم أهل إيلياء فصالحوه على الجزية وفتحوها له ، فلما فتحت عليه دعا ذلك اليهودي فقيل له: إن عنده لَعِلْماً ، قال: فسأله عن الدجال ، وكان كثير المسألة عنه ، فقال له اليهودي: وما مسألتك عنه يا أمير المؤمنين؟ فأنتم والله معشر العرب تقتلونه دون باب لُدّ ببضع عشرة ذراعاً. وعن سالم قال: لما دخل عمر الشأم تلقاه رجل من يهود دمشق فقال: السلام عليك يا فاروق ، أنت صاحب إيلياء ، لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء ، وكانوا قد أشجَوا عمرا وأشجاهم ، ولم يقدر عليها ولا على الرملة ، فبينا عمر معسكرا بالجابية فزع الناس إلى السلاح فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: ألا ترى الخيل والسيوف؟ فنظر فإذا كردوس يلمعون بالسيوف ، فقال عمر: مستأمنة ، ولا تُراعوا وأمّنوهم ، فأمنوهم وإذا هم أهل إيلياء ، فأعطوه

واكتتبوا منه على إيلياء وحيزها والرملة وحيزها ، فصارت فلسطين نصفين نصف مع أهل إيلياء ونصف مع أهل الرملة ، وهم عشر كور ، وفلسطين تعدل الشأم كله. نادى عمر بن الخطاب بالصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس وكبروا صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام ثم قال: (أيها الناس لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم فيقبضن لي القبضة من التمر أو الزبيب فأظل يومي وأي يوم! ثم نَزَل ، فقال له عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين ما زدت على أن قميت نفسك - يعني عِبت - فقال: ويحك يا ابن عوف إني خلوت فحدثتني نفسي قالت: أنت أمير المؤمنين! فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرّفها حقيقتها! رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق. وروى ابن سعد في الطبقات عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يرحم الله ابن حنتمة! لقد رأيته عام الرمادة وإنه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت في يده ، وإنه ليعتقب هو وأسلم ، فلما رآني قال: من أين يا أبا هريرة؟ قلت: قريباً. قال: فأخذت أعقبه فحملناه حتى انتهينا إلى صرار ، فإذا صرم نحو من عشرين بيتا من محارب ، فقال عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الْجَهْد. قال: فأخرجوا لنا جلد الميتة مشويا كانوا يأكلونه ، ورمّة العظام مسحوقة كانوا يَسفّونها ، فرأيت عمر طرح رداءه ثم اتزر ، فما زال يطبخ لهم حتى شبعوا ، وأرسل أسلم إلى المدينة فجاء بأبعرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبانة ثم كساهم ، وكان يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك.وروى من طريق حزام بن هشام عن أبيه قال: رأيت عمر بن الخطاب عام الرمادة مرّ على امرأة وهي تعصد عصيدة لها ، فقال: ليس هكذا تعصدين! ثم أخذ المسوط فقال هكذا ، فأراها. وروى من طريق السائب بن يزيد قال: رأيت على عمر بن الخطاب إزارا في زمن الرمادة فيه ست عشرة رقعة ، ورداؤه خمس وشبر ، وهو يقول: اللهم لا تجعل هلكة أمة محمد على رجلي. وروى من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: رأيت عمر بن الخطاب وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رَقَع بين كتفيه برقاع ثلاث ، لَبّد بعضها فوق بعض. وروى من طريق عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال: رأيت عمر بن الخطاب خرج مخرجاً لأهل المدينة رجل آدم طويل أعسر أيسر أصلع مُلبب بُرداً له قطرياً ، يمشي حافياً ، مُشرفاً على الناس كأنه راكب على دابة. وروى من طريق عياض بن خليفة قال: رأيت عمر عام الرمادة وهو أسود اللون ، ولقد كان أبيض ، فيقال: مِمَّ ذا؟ فيقول: كان رجلاً عربياً ، وكان يأكل السمن واللبن ، فلما أمحل الناس حرمهما ، فأكل الزيت حتى غير لونه ، وجاع فأكثر. وروى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد من طريق قسامة بن زهير قال: وقف أعرابي على عمر بن الخطاب فقال: (يا عمر الخير جزيت الجنة *** جهّز بنياتي وأمهنّه *** أقسم بالله لتفعلنه!) قال: فإن لم أفعل يكون ماذا يا أعرابي؟ قال: أُقْسِم أني سوف أمضينه!) قال: فإن مضيت يكون ماذا يا أعرابي؟ قال: (والله عن حالي لتسئلنه *** ثم تكون المسألات ثمة *** والواقف المسؤول بينهنّه *** إما إلى نار وإما إلى جنة). قال: فبكى عمر حتى اخضلت لحيته بدموعه ، ثم قال: يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لِشِعْرِه ، والله ما أملك قميصاً غيره. وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر: متى توتر؟ قال: أول الليل بعد العتمة. قال: فأنت يا عمر؟ قال: آخر الليل. قال: أما أنت يا أبا بكر فأخذت بالثقة ، وأما أنت يا عمر فأخذت بالقوة. رواه الإمام أحمد وابن ماجه. وفي أسارى بدر أشار عمر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم أن يَقتلهم ، فقال: يا رسول الله أخرجوك وكذبوك ، قرّبهم فاضرب أعناقهم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن مثلك يا عمر كمثل نوح قال: (رَبِّ لا تَذَرْ

عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)! وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال: (وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ)! رواه الإمام أحمد. وتكرر كثيرا من عمر رضي الله عنه قوله في شأن المنافقين قوله: دعني أضرب عُنُقه! روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا في غزاة فَكَسَعَ رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال الأنصاري: يا للأنصار ، وقال المهاجري: يا للمهاجرين ، فسمع ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما بال دعوى جاهلية؟ قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال : دعوها فإنها منتنة. فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها! أما والله (لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ) فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعْـه! لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه. ومن وضوحه رضي الله عنه سرعة رجوعه للحق. ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر رضي الله عنه ، وكفر من كفر من العرب ، فقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله؟ فقال: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. قال عمر رضي الله عنه: فو الله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق. ومن ذلك: وقوفه عند حدود الله ، وعند كتاب الله. روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِم عيينة بن حصن بن حذيفة فَنَزَل على بن أخيه الحرّ بن قيس ، وكان من النفر الذين يُدنِيهم عمر ، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبانا ، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذِن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحرّ لعيينة فأذن له عمر ، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب! فو الله ما تُعطينا الجزل ، ولا تَحكُم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى همّ به ، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)! وإن هذا من الجاهلين! والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقّافاً عند كتاب الله).هـ. وأشكر من كل قلبي الأستاذ العلامة السحيم وأشهد أنني استفدت من كلماته العذبة والتي حاولت جاهداً تلخيصها! أورد الإمام السيوطي – رحمه الله – في مصنفه: (تاريخ الخلفاء) ، وهو يحكي عن هذا الأمر وهو يُفرد له باباً مستقلاً عند ترجمته لعمر الفاروق اسمه: (موافقات عمر) ، ورصد السيوطي حوالي 21 موافقة عمرية للقرآن الكريم. وبقطع النظر عن مدى صحة هذه الروايات ومُتونها وأسانيدها ، فتلك لأهل التخريج والرجال والمتون والحديث ، إلا أن هناك قاسماً مشتركاً ومبدأ ثابتاً وفكرة مقطوعاً بصحتها وهي أن عمر كان يوافق آيات القرآن ويتوقعها قبل نزولها على النبي – صلى الله عليه وسلم -. وإنها لتدل دلالة حقيقية على عقلية عمر وبصيرته التي كانت ترى بنور الله – تعالى – وتدرك أسرار التشريع الرباني على منهجية الكتاب والسنة وليس على تخرّص أهل التصوف ودجلهم وزيغهم وضلالهم. قال الإمام السيوطي في (تاريخ الخلفاء) – فصل موافقات عمر – رضي الله عنه – ما نصه: (قد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين ، فأخرج ابن مردويه عن مجاهد قال: كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن. وأخرج ابن عساكر عن علي قال: إن في القرآن لرأياً من رأى عمر. وأخرج عن ابن عمر مرفوعا قال: ما كان

الناس في شيء وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر. وأخرج الشيخان عن عمر قال: وافقتُ ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) ، وقلت: يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن! فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الغيرة ، فقلتُ: عسى ربه إن طلقكن أن يُبْدله أزواجاً خيراً منكن فنزلت كذلك! وأخرج مسلم عن عمر قال: وافقتُ ربي في ثلاث في الحجاب وفي أسارى بدر وفي مقام إبراهيم ففي هذا الحديث خصلة رابعة. وفي التهذيب للنووي نزل القرآن بموافقته في أسرى بدر وفي الحجاب وفي مقام إبراهيم وفي تحريم الخمر فزاد خصلة خامسة ، وحديثها في السنن ومستدرك الحاكم أنه قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً ، فأنزل الله تحريمها! وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في أربع نزلت: هذه الآية ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين الآية ، فلما نزلت قلت أنا: فتبارك الله حسن الخالقين ، فنزلت فتبارك الله أحسن الخالقين ، فزاد في هذا الحديث خصلة سادسة! وللحديث طريق آخر عن ابن عباس أوردته في التفسير المسند ثم رأيت في كتاب فضائل الإمامين لأبي عبد الله الشيباني قال: وافق عمر ربه في أحد وعشرين موضعاً فذكر هذه الستة وزاد سابعاً قصة عبد الله ابن أبي! قلت حديثها في الصحيح عنه قال لما توفي عبد الله بن أبي دعي رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه فقمت حتى وقفت في صدره ، فقلت: يا رسول الله أوَتصلي على عدو الله ابن أبَي القائل يوم كذا كذا؟ فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت: ولا تصل على أحد منهم مات أبداً الآية! وثامنا يسألونك عن الخمر الآية! وتاسعاً يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة الآية ، قلت: هما مع آية المائدة خصلة واحدة والثلاثة في الحديث السابق! وعاشراً لما أكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاستغفار لقوم قال عمر سواء عليهم ، فأنزل الله: سواء عليهم استغفرت لهم الآية! قلت أخرجه الطبراني عن ابن عباس! الحادي عشر لما استشار صلى الله عليه وسلم الصحابة في الخروج إلى بدر ، أشار عمر بالخروج ، فنزلتْ: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الآية! الثاني عشر لما استشار الصحابة في قصة الإفك قال عمر: من زوّجكها يا رسول الله؟ قال: الله. قال: أفتظن أن ربك دلس عليك فيها؟ سبحانك هذا بهتان عظيم! فنزلت كذلك! الثالث عشر قصته في الصيام لما جامع زوجته بعد الانتباه ، وكان ذلك محرّماً في أول الإسلام ، فنزل: أحِل لكم ليلة الصيام الآية ، قلت أخرجه أحمد في مسنده! الرابع عشر قوله تعالى: من كان عدواً لجبريل الآية ، قلت أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة وأقر بها للموافقة ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهودياً لقي عمر فقال: إن جبريل الذي يذكره صاحبكم عدوٌ لنا. فقال له عمر: من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ، فنزلت على لسان عمر! الخامس عشر قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الآية ، قلت: أخرج قصتها ابن أبي حاتم وابن مرديه عن أبي الأسود قال: اختصم رجلان إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقضى بينهما. فقال الذي قضى عليه: رُدّنا إلى عمر بن الخطاب ، فأتيا إليه فقال الرجل: قضى لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هذا ، فقال ردنا إلى عمر! فقال أكذاك؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكم فخرج إليهما مشتملاً على سيفه ، فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله وأدبر الآخر فقال: يا رسول الله قتل عمر والله صاحبي! فقال – صلى الله عليه وسلم - ما كنتُ أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن! فأنزل الله: فلا وربك لا يؤمنون الآية ، فأهدِر دم الرجل وبرئ عمر من قتله! وله شاهد

موصول أوردته في التفسير المسند. السادس عشر الاستئذان في الدخول وذلك أنه دخل عليه غلامُه وكان نائماً ، فقال اللهم حرم الدخول فنزلت آية الاستئذان. السابع عشر قوله في اليهود إنهم قوم بُهت. الثامن عشر قوله تعالى: ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ، قلت: أخرج قصتها ابن عساكر في تاريخه عن جابر بن عبد الله ، وهي في أسباب النزول. التاسع عشر رفع تلاوة والشيخ والشيخة إذا زنيا الآية. العشرون قوله يوم أحُد لما قال أبو سفيان أفي القوم فلان لا نجيبنه فوافقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قلت أخرج قصته أحمد في مسنده. قال ويضم إلى هذا ما أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الردّ على الجهمية من طريق ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال: ويلٌ لمَلِك الأرض من مَلِك السماء! فقال عمر: إلا من حاسب نفسه ، فقال كعب: والذي نفسي بيده إنها في التوراة لتابعتها ، فخر عمر ساجداً! ثم رأيت في الكامل لابن عدي من طريق عبد الله بن نافع وهو ضعيف عن أبيه عن عمر أن بلالاً كان يقول: إذا أذن أشهد أن لا إله إلا الله ، حي على الصلاة! فقال له عمر: قل في أثرها أشهد أن محمداً رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل كما قال عمر).هـ. رحم الله السيوطي. وتحت عنوان: (الرد على من يطعن في عمر بن الخطاب) يقول أستاذنا العبقري الجهبذ الشيخ صلاح نجيب الدق ما نصه بتصرف: (إن بعض الناس قد طعنوا في شخصية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، فأصبح من الواجب الردُّ على هذه الطعون ، فأقول وبالله تعالى التوفيق والسداد: سوف نذكر بعض الشبهات والطعون التي ذكرها بعضُ الناس في شخصية عمر بن الخطاب ، ونذكر ردَّ العلماء عليها. الشبهة الأولى: قال الطاعنون: "سمَّوا عمر الفاروق ، ولم يسموا عليًّا عليه السلام بذلك ، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه: (هذا فاروق أمتي ؛ يفرق بين أهل الحق والباطل) ، وقال عبدالله بن عمر: ما كنا نعرف المنافقين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ببغضهم عليًّا عليه السلام". الرد على هذه الشبهة: هذان الحديثان ، لا شكَّ عند أهل المعرفة بالحديث أنهما حديثان موضوعان مكذوبان على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يُروَ واحد منهما في شيء من كتب العلم المعتمدة ، ولا لواحد منهما إسنادٌ معروف ، ولا وجود لهذين الحديثين ، لا في كتب الأحاديث الصحيحة ، ولا كتب الأحاديث الموضوعة ؛ (منهاج السنة ؛ لابن تيمية ، جـ4 صـ286). الشبهة الثانية: قال الطاعنون: "إن عمر بن الخطاب قال: متعتان كانتا محلَّلتين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا أنهى عنهما ، وأعاقب عليهما". الرد على هذه الشبهة: أولاً: تعريف المتعة: المتعة: اسم جامع لمن اعتمر في أشهر الحج ، وجمع بينها وبين الحج في سفر واحد. الرد من عدة وجوه: أولًا: نفترض أن عمر قال قولًا خالفه فيه غيره من الصحابة والتابعين. روى مسلم عن مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير، عن عمران بن الحصين رضي الله عنه ، قال: اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين حج وعمرة ، ثم لم ينزل فيها كتاب ، ولم ينهنا عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فيها رجل برأيه ما شاء ؛ (مسلم حديث: 1226). وأهل السنة متفقون على أن كل واحد من الناس يؤخذ من قوله ويرد ، إلا النبي صلى الله عليه وسلم. ثانيًا: روى النسائي عن أبي وائل ، أن رجلًا من بني تغلب يقال له: الصبي بن معبد، وكان نصرانيًّا فأسلم ، فأقبل في أول ما حج ، فلبى بحج وعمرة جميعًا ، فهو كذلك يلبي بهما جميعًا ، فمر على سلمان بن ربيعة ، وزيد بن صوحان ، فقال أحدهما: لأنت أضل من جملك هذا ، فقال الصبي: فلم يزل في نفسي حتى لقيت عمر بن الخطاب ، فذكرت ذلك له ، فقال: هُديت لسُنة نبيك صلى الله عليه وسلم ؛ (حديث صحيح ؛ صحيح سنن النسائي ، للألباني ، جـ2 صـ264).

ثالثًا: كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يأمرهم بالمتعة ، فيقولون له: إن أباك نهى عنها ، فيقول: إن أبي لم يُرد ما تقولون ، فإذا ألحُّوا عليه قال: أفرسول الله صلى الله عليه وسلم أحقُّ أن تتَّبعوا أم عمر؟ رابعًا: كان مراد عمر رضي الله عنه أن يأمرهم بما هو الأفضل ، وكان الناس لسهولة المتعة تركوا الاعتمار في غير أشهر الحج ، فأراد ألا يجعل البيت خاليًا طول السَّنة ، فإذا أفردوا الحج اعتمروا في سائر السنة ، والاعتمارُ في غير أشهر الحج أفضلُ من المتعة مع الحج في أشهر الحج ، باتفاق الفقهاء الأربعة وغيرهم. خامسًا: قال عمر وعلي رضي الله عنهما في قوله تعالى: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) ، قالا: إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلِك ؛ (أضواء البيان ، للشنقيطي جـ4 صـ374). أراد عمر وعلي رضي الله عنهما أن تسافر للحج سفرًا ، وللعمرة سفرًا. وقد قال صلى الله عليه وسلم لعائشة في عمرتها: (أجرك على قدر نَصَبك) ، فإذا رجع الحاج إلى دويرة أهله ، فأنشأ العمرة منها ، واعتمر قبل أشهر الحج ، وأقام حتى يحج ، أو اعتمر في أشهره ورجع إلى أهله ، ثم حج ، فها هنا قد أتى بكل واحد من النُّسكينِ من دويرة أهله ، وهذا إتيان بهما على الكمال ، فهو أفضل من غيره ؛ (منهاج السنة لابن تيمية ، جـ4 صـ186: 180). الشبهة الثالثة: قال الطاعنون: "إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مرض موته: إنه يهجر". الرد على هذه الشبهة من عدة وجوه: الهجر: هو الهذيان والتخريف. روى البخاري عن سعيد بن جبير ، قال: قال ابن عباس: يوم الخميس ، وما يوم الخميس؟ اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، فقال: (ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا) ، فتنازعوا ، ولا ينبغي عند نبي تنازعٌ ، فقالوا: ما شأنه ، أهجر ، استفهموه؟ فذهبوا يردون عليه ، فقال: (دعوني ، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه) ، وأوصاهم بثلاث ، قال: ((أخرِجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم) ، وسكت عن الثالثة ، أو قال: فنسيتها ؛ (البخاري ، حديث: 4431).أولًا: أن هذه اللفظة: (أهجر) لا تثبت عن عمر رضي الله عنه أصلًا ، وإنما قالها بعض من حضر الحادثة من غير أن يعيَّن ؛ وإنما الثابت فيها: (فقالوا: ما شأنه ، أهجر؟) هكذا بصيغة الجمع دون الإفراد. ثانيًا: الثابت الصحيح من هذه اللفظة أنها وردت بصيغة الاستفهام هكذا (أهجر؟) ، وهذا بخلاف ما جاء في بعض الروايات بلفظ (هجر ، ويهجر) ، فقد نص شراح الحديث على أن الاستفهام هنا جاء على سبيل الإنكار على من قال: (لا تكتبوا). ثالثًا: على فرض صحة رواية (هجر) من غير استفهام ، فلا مطعن فيها على قائلها ؛ لأن الهجر في اللغة يأتي على قسمين: (1) قسم لا نزاع في عروضه للأنبياء ، وهو عدم تبيين الكلام لبحة الصوت ، وغلبة اليبس بالحرارة على اللسان ، كما في الحميات الحارة. (2) وقسم آخر: وهو جريان الكلام غير المنتظم ، أو المخالف للمقصود على اللسان لعارض بسبب الحميات المحرقة في الأكثر ، وهذا لا يجوز في حق الأنبياء ؛ لأنهم معصومون عن ذلك. فلعل القائل هنا أراد القسم الأول ، وهو أنا لم نفهم كلامه بسبب ضعف نطقه صلى الله عليه وسلم ، ويدل على هذا قوله بعد ذلك: (استفهموه). رابعًا: يحتمل أن تكون هذه اللفظة صدرت عن قائلها عن دهش وحيرة أصابته في ذلك المقام العظيم ، والمُصاب الجسيم ، كما قد أصاب عمر وغيرَه عند موت النبي صلى الله عليه وسلم. وعلى هذا ؛ فقائلها معذور أيًّا كان معناها ؛ فإن الرجل يعذر بإغلاق الفكر والعقل ؛ إما لشدة فرح أو حزن ، كما في قصة الرجل الذي فقد دابته ، ثم وجدها بعد يأس ، فقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك ؛ أخطَأَ من شدة الفرح. خامسًا: هذه اللفظة صدرت بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبار أصحابه ، فلم ينكِروا على قائلها

، ولم يؤثموه ، فدلَّ على أنه معذور على كل حال ، ولا ينكِر عليه بعد ذلك إلا مفتونٌ في الدين ، زائغ عن الحق والهدى ، كما هو حال هذا المسكين المعرِّض نفسَه لما لا يطيق ؛ (مختصر التحفة الاثني عشرية ؛ للدهلوي صـ250: 248). الشبهة الرابعة: قال الطاعنون: "قال عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتةً ؛ أي: فجأةً من غير تريث ولا مشورة ، وقى الله المسلمين شرَّها ، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ؛ وكونها فلتةً يدل على أنها لم تقع عن رأي صحيح ، ثم سأل وقاية شرِّها ، ثم أمر بقتل من يعود إلى مثلها ، وكان ذلك يوجب الطعن فيه ". الرد على هذه الشبهة: قول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتةً ؛ معناه: أنها وقعت فجأةً لم نكن قد استعددنا لها ولا تهيأنا ؛ لأن أبا بكر كان متعينًا لذلك ، فلم يكن يحتاج في ذلك إلى أن يجتمع لها الناس ؛ إذ كلهم يعلمون أنه أحق بها ، وليس بعد أبي بكر من يجتمع الناس على تفضيله واستحقاقه ، كما اجتمعوا على ذلك في أبي بكر ، فمن أراد أن ينفرد ببيعة رجل دون ملأ من المسلمين فاقتلوه ، وعمر لم يسأل الله وقاية شرها ، بل أخبر أن الله وقى شر الفتنة بالاجتماع ؛ (منهاج السنة لابن تيمية ، جـ8 صـ278). الشبهة الخامسة: قال الطاعنون: "روى أبو نعيم في كتابه "حلية الأولياء" أن عمر قال عند احتضاره: يا ليتني كنت كبشًا لقومي فسمنوني ما بدا لهم ، ثم جاءهم أحبُّ قومهم إليهم فذبحوني ، فجعلوا نصفي شواءً ، ونصفي قديدًا ، فأكلوني ، فأكون عذرةً ، ولا أكون بشرًا ، وهل هذا إلا مساوٍ لقول الكافر: (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا)؟". الرد على هذه الشبهة من وجهين: أولًا: هذه من مناقب عمر بن الخطاب ، وهذا القول يدل على شدة خوف عمر من الله تعالى ؛ (منهاج السنة لابن تيمية جـ6 صـ10: 5). روى البخاري عن المسور بن مخرمة ، قال: لما طُعن عمر جعل يألم ، فقال له ابن عباس وكأنه يُجزِّعه (أي: يزيل جزعَه): يا أمير المؤمنين ، ولئن كان ذاك ، لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راضٍ ، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راضٍ ، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم ، ولئن فارقتهم لتفارقنَّهم وهم عنك راضون ، قال: أمَّا ما ذكرتَ من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه ، فإنما ذاك مَنٌّ مِن الله تعالى مَنَّ به عليَّ ، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه ، فإنما ذاك مَنٌّ مِن الله جل ذكره منَّ به عليَّ ، وأما ما ترى من جزعي ، فهو من أجلك وأجل أصحابك ، والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه ؛ (البخاري حديث: 3692). ثانيًا: قولهم: "وهل هذا إلا مساوٍ لقول الكافر: (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) ؟" ، فهذا إخبار عن حالهم يوم القيامة حين لا ينفع توبة ولا خشية ، وأما في الدنيا ، فالعبد إذا خاف ربَّه كان خوفه مما يثيبه الله عليه ، فمن خاف الله في الدنيا أمنه يوم القيامة ، ومن جعل خوف المؤمن من ربه في الدنيا كخوف الكافر في الآخرة ، فهو كمن جعل الظلمات كالنور ، والظلَّ كالحَرُور ، والأحياء كالأموات ، ومن تولى أمر المسلمين فعدل فيهم عدلًا يشهد به عامتهم ، وهو في ذلك يخاف الله أن يكون ظلَم ، فهو أفضل ممن يقول كثير من رعيته: إنه ظلم ، وهو في نفسه آمنٌ من العذاب ، مع أن كليهما من أهل الجنة ؛ (منهاج السنة لابن تيمية جـ6 صـ16: 15). الشبهة السادسة: قال الطاعنون: لما وعَظت فاطمة أبا بكر في فَدَك ، كتب لها كتابًا بها ، وردَّها عليها ، فخرجت من عنده ، فلقيها عمر بن الخطاب ، فحرق الكتاب ، فدعت عليه بما فعله أبو لؤلؤة به. الرد على هذه الشبهة من وجهين: أولًا: هذا من الكذب الذي لا يشك فيه عالم ، ولم يذكر هذا أحدٌ من أهل العلم بالحديث ، ولا يُعرف له إسناد ، وأبو بكر لم يكتب فدكًا قط لأحد ؛ لا لفاطمة ، ولا غيرها ، ولا دعت فاطمةُ على عمر. ثانيًا: ما فعله أبو لؤلؤة المجوسي كرامة في حق عمر رضي الله عنه ، وهو أعظم

مما فعله ابن ملجم بعلي رضي الله عنه ، وما فعله قتلة الحسين رضي الله عنه به ؛ فإن أبا لؤلؤة كافرٌ قتل عمر ، كما يقتل الكافر المؤمن ، وهذه الشهادة أعظم من شهادة من يقتله مسلم ؛ (منهاج السنة لابن تيمية جـ6 صـ31: 30). الشبهة السابعة: قال الطاعنون: "إن عمر بن الخطاب عطل حدود الله ، فلم يُقم الحد على المغيرة بن شعبة". الرد على هذه الشبهة من وجهين: أولًا: جماهير العلماء مؤيدون ما فعله عمر في قصة المغيرة بن شعبة ؛ حيث اتهم بعض الناس المغيرة بارتكاب جريمة الزنا ، وأن البيِّنة إذا لم تكمل ، أقيمَ الحد على الشهود ، ومن قال بالقول الآخر لم ينازع في أن هذه مسألة اجتهاد. ثانيًا: الذي فعله في قصة المغيرة كان بحضرة الصحابة رضي الله عنهم ، وأقروه على ذلك ، وعليٌّ منهم ، والدليل على إقرار علي له أنه لما جلد الثلاثة الحد ، أعاد أبو بكرة القذف ، وقال: والله لقد زنى ، فهمَّ عمر بجلده ثانيًا ، فقال له علي: إن كنت جالده فارجم المغيرة ، يعني أن هذا القول إن كان هو الأول ، فقد حد عليه ، وإن جعلته بمنزلة قول ثانٍ فقد تم النصاب أربعة ، فيجب رجمه ، فلم يحده عمر ، وهذا دليل على رضا عليِّ بن أبي طالب بحدهم أولًا دون الحد الثاني ، وإلا كان أنكر حدهم أولًا ، كما أنكر الثاني ؛ (منهاج السنة لابن تيمية ، جـ6 صـ35: 34). الشبهة الثامنة: قال الطاعنون: "كان عمر بن الخطاب يعطي أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من بيت المال أكثر مما ينبغي ، وكان يعطي عائشة وحفصة من المال في كل سنةٍ عشرةَ آلاف درهم". الرد على هذه الشبهة من وجهين: أولًا: أما حفصة ، فكان ينقصها من العطاء لكونها ابنته ، كما نقص عبدَ الله بن عمر ، وهذا من كمال احتياطه في العدل ، وخوفه مقامَ ربه ، ونهيه نفسَه عن الهوى. ثانيًا: كان عمر يرى التفضيل في العطاء بالفضل ، فيُعطي أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أعظَمَ مما يعطي غيرَهن من النساء ، كما كان يعطي بني هاشم من آل أبي طالب وآل العباس أكثر مما يعطي أعدادهم من سائر القبائل ، فإذا فضل شخصًا كان لأجل اتصاله برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لسابقته واستحقاقه ، وكان يقول: ليس أحد أحق بهذا المال من أحد ، وإنما هو الرجل وغناؤه ، والرجل وبلاؤه ، والرجل وسابقته ، والرجل وحاجته ، فما كان يعطي من يُتهمُّ على إعطائه بمحاباة في صداقة أو قرابة ، بل كان ينقص ابنَه وابنته ونحوهما عن نظرائهم في العطاء ، وإنما كان يفضل بالأسباب الدينية المحضة ، ويفضل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم على جميع البيوتات ويقدِّمهم ؛ (منهاج السنة لابن تيمية ، جـ6 صـ35: 34). الشبهة التاسعة: قال الطاعنون: "كان عمر بن الخطاب قليل المعرفة بالأحكام ؛ أمر برجم حامل ، فقال له علي بن أبي طالب: إن كان لك عليها سبيل ، فلا سبيل لك على ما في بطنها ، فأمسك ، وقال: لولا عليٌّ لهلك عمر". الرد على هذه الشبهة من وجهين: أولًا: هذه القصة إن كانت صحيحةً ، فلا تخلو من أن يكون عمر لم يعلم أنها حامل ، فأخبره علي بن أبي طالب بحملها ، ولا ريب أن الأصل عدم العلم ، والإمام إذا لم يعلم أن المستحقة للقتل أو الرجم حامل ، فعرَّفه بعض الناس بحالها ، كان هذا من جملة إخباره بأحوال الناس المغيبات ، ومن جنس ما يشهد به عنده الشهود ، وهذا أمر لا بد منه مع كل أحد من الأنبياء والأئمة وغيرهم ، وليس هذا من الأحكام الكلية الشرعية. وإما أن يكون عمر قد غاب عنه كون الحامل لا ترجم ، فلما ذكَّره عليٌّ ذكَر ذلك ؛ ولهذا أمسك ، ولو كان رأيه أن الحامل تُرجم لرجمها ، ولم يرجع إلى رأي غيره ، وقد مضت سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الغامدية ، لما قالت: إني حُبلى من الزنا ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (اذهبي حتى تضعيه). ثانيًا: لو افترضنا أنه خفي على عمر علم هذه المسألة حتى عرفه ، لم يقدح ذلك فيه ؛ لأن عمر ساس المسلمين وأهل الذمة ،

يعطي الحقوق ، ويقيم الحدود ، ويحكم بين الناس كلِّهم ، وفي زمنه انتشر الإسلام ، وظهر ظهورًا لم يكن قبله مثله ، وهو دائمًا يقضي ويفتي ، ولولا كثرة علمه لم يطق ذلك ، فإذا خفيت عليه قضيةٌ من مائة ألف قضية ، ثم عرفها ، أو كان نسيها فذكَرَها ، فأيُّ عيب في ذلك؟! وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قد خفي عليه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أضعاف ذلك ، ومنها ما مات ولم يعرفه ؛ (منهاج السنة ؛ لابن تيمية ، جـ6 صـ43: 41). الشبهة العاشرة: قال الطاعنون: "أمر عمر بن الخطاب برجم مجنونة ؛ فقال له عليٌّ رضي الله عنه: إن القلم رفع عن المجنون حتى يُفيق ، فأمسك ، وقال عمر: لولا عليٌّ لهلك عمر". الرد على هذه الشبهة من عدة وجوه: أولًا: قولهم: "قال عمر: لولا عليٌّ لهلك عمر" ؛ هذه الزيادة ليست معروفةً في هذا الحديث. ثانيًا: رجم المجنونة لا يخلو: إما أن يكون لم يعلم بجنونها ، فلا يقدح ذلك في علمه بالأحكام ، أو كان ناسيًا ذلك فذكر بذلك. ثالثًا: العقوبات تكون لدفع الضرر في الدنيا ، والمجنون قد يعاقَب لدفع عدوانه على غيره من العقلاء والمجانين ، والزنا هو من العدوان. والشريعة قد جاءت بعقوبة الصبيان على ترك الصلاة ، كما قال صلى الله عليه وسلم: (مُرُوهم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع) ، والمجنون إذا اعتدى ، ولم يندفع اعتداؤه إلا بقتله ، قُتل ، بل البهيمة إذا اعتدت ولم يندفع اعتداؤها إلا بقتلها قُتلت ، وإن كانت مملوكةً لم يكن على قاتلها ضمان للمالك عند جمهور العلماء ؛ (منهاج السنة ؛ لابن تيمية ، جـ6 صـ46: 45). الشبهة الحادية عشرة: قال الطاعنون: "قال عمر بن الخطاب في خطبةٍ له: من غالى في مهر امرأة جعلته في بيت المال ، فقالت له امرأة: كيف تمنعنا ما أعطانا الله في كتابه حين قال: (وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا)؟ فقال عمر: كل أحدٍ أفقه من عمر". الرد على هذه الشبهة: هذه القصة دليل على كمال فضل عمر ودينه وتقواه ، ورجوعه إلى الحق إذا تبيَّن له ، وأنه يقبل الحق حتى من امرأة ، ويتواضع له ، وأنه معترف بفضل الواحد عليه ، ولو في أدنى مسألة ، وليس من شرط الأفضل ألا ينبهه المفضول لأمر من الأمور ، فقد قال الهدهد لسليمان صلى الله عليه وسلم: (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) ، وقد قال موسى صلى الله عليه وسلم للخضر: (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا) ، والفرق بين موسى والخضر أعظم من الفرق بين عمر وبين أشباهه من الصحابة ؛ (منهاج السنة ؛ لابن تيمية ، جـ6 صـ77: 76). الشبهة الثانية عشرة: قال الطاعنون: "ولم يُقم عمر بن الخطاب حد الخمر على قدامة بن مظعون ؛ لأنه تلا عليه: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا) ، فقال له علي بن أبي طالب: ليس قدامة من أهل هذه الآية ، فلم يدر كم يحده ، فقال له أمير المؤمنين: حده ثمانين ، إن شارب الخمر إذا شربها سكر ، وإذا سكر هذَى ، وإذا هذَى افترى". الرد على هذه الشبهة: هذا من الكذب البيِّن الظاهر على عمر رضي الله عنه ؛ فإن علم عمر بن الخطاب بالحكم في مثل هذه القضية أبينُ من أن يحتاج إلى دليل ، فإنه قد جلد في الخمر غير مرة هو وأبو بكر قبله ، وكانوا يضربون فيها تارةً أربعين وتارةً ثمانين ، وكان عمر أحيانًا يعزر فيها بحلق الرأس والنفي ، وكانوا يضربون فيها تارةً بالجريد ، وتارةً بالنعال والأيدي وأطراف الثياب ؛ (منهاج السنة لابن تيمية ، جـ6 صـ83: 82). الشبهة الثالثة عشرة: قال الطاعنون: "أرسل عمر بن الخطاب إلى حامل يستدعيها ، فأسقطت جنينها خوفًا من عمر ، فقال له الصحابة: نراك مؤدبًا ولا شيء عليك ، ثم سأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فأوجب الدية على عاقلة عمر". الرد على هذه الشبهة: هذه مسألة اجتهاد اختلف فيها العلماء ، وكان عمر بن الخطاب يشاور الصحابة رضي

الله عنهم في الحوادث ، يشاور عثمان ، وعليًّا ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت وغيرهم ؛ حتى كان يشاور ابن عباس ، وهذا كان من كمال فضله وعقله ودينه ؛ ولهذا كان من أسَدِّ الناس رأيًا ، وكان يرجع تارةً إلى رأي هذا ، وتارةً إلى رأي هذا ، وهذا لا عيب فيه ؛ (منهاج السنة لابن تيمية ، جـ6 صـ88: 87). الشبهة الرابعة عشرة: قال الطاعنون: "أمر عمر بن الخطاب برجم امرأة ولدت لستة أشهر ، فقال له علي بن أبي طالب: إن خاصمتك بكتاب الله تعالى خصمتك ، إن الله يقول: (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) ، وقال تعالى: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)". الرد على هذه الشبهة: كان عمر يستشير الصحابة ؛ فتارةً يشير عليه عثمان بما يراه صوابًا ، وتارةً يشير عليه علي ، وتارةً يشير عليه عبد الرحمن بن عوف ، وتارةً يشير عليه غيرهم ، وبهذا مدح الله المؤمنين بقوله تعالى: (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) ؛ (منهاج السنة لابن تيمية ، جـ6 صـ93). الشبهة الخامسة عشرة: قال الطاعنون: "كان عمر بن الخطاب يفضل في الغنيمة والعطاء ، وأوجب الله تعالى التسوية". الرد على هذه الشبهة من عدة وجوه: أولًا: أما الغنيمة ، فلم يكن يقسمها هو بنفسه ، وإنما يقسمها الجيش الغانمون بعد الخُمُس ، وكان الخمس يرسل إليه ، كما يرسل إلى غيره ، فيقسمه بين أهله. ثانيًا: لم يقل عمر ولا غيره: إن الغنيمة يجب فيها التفضيل ، ولكن تنازع العلماء: هل للإمام أن يفضل بعض الغانمين على بعض ، إذا تبين له زيادة نفع؟ فيه قولان للعلماء ، هما روايتان عن أحمد ، إحداهما: أن ذلك جائز ، وهو مذهب أبي حنيفة. روى مسلم عن سلمة بن الأكوع (في غزوة الغابة): قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كان خيرَ فُرساننا اليوم أبو قتادة ، وخيرَ رجَّالتنا سلمةُ) ، قال: ثم أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمينِ: سهمَ الفارسِ ، وسهم الراجل ، فجمعهما لي جميعًا ، ثم أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه على العضباء: (بعير النبي صلى الله عليه وسلم) راجعين إلى المدينة ؛ (مسلم حديث: 1807). وذلك لأن سلمة بن الأكوع أتى من القتل والغنيمة وإرهاب العدو بما لم يأت به غيرُه. والقول الثاني: لا يجوز ذلك ، وهو مذهب مالك والشافعي ، ومالك يقول: لا يكون النفل إلا من الخُمُس ، والشافعي يقول: لا يكون إلا من خمس الخمس ؛ فهذه مسألة اجتهاد ، فإذا كان عمر يرى التفضيل للمصلحة ، فهو الذي ضرب الله الحقَّ على لسانه وقلبه. ثالثًا: أما التفضيل في العطاء ، فلا ريب أن عمر كان يفضِّل فيه ، ويجعل الناس فيه على مراتب ، وهذا اجتهاد منه ، وروي عن عمر أنه قال: لئن عشت إلى قابل لأجعلن الناس بابًا واحدًا ؛ أي: نوعًا واحدًا (يسوِّي بين جميع الناس في العطاء) ، وكان أبو بكر يسوي في العطاء ، وكان عليٌّ يسوي أيضًا ، وكان عثمان يفضل ، وهي مسألة اجتهاد ، فهل للإمام التفضيل فيه للمصلحة؟ على قولين ، هما روايتان عن أحمد ، والتسوية في العطاء اختيار أبي حنيفة والشافعي ، والتفضيل قول مالك ؛ (منهاج السنة لابن تيمية ، جـ6 صـ102: 100). الشبهة السادسة عشرة: قال الروافض: "كان عمر بن الخطاب يقول بالرأي والظن". الرد على هذه الشبهة: القول بالرأي لم يختص به عمر رضي الله عنه وحده ، بل عليٌّ كان من أقولهم بالرأي ، وكذلك أبو بكر وعثمان وزيد وابن مسعود وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقولون بالرأي ؛ أي: بالاجتهاد في الأمور التي ليس فيها نص من القرآن أو السُّنة. روى أبو داود ، عن قيس بن عباد ، قال: قلت لعلي رضي الله عنه: أخبرنا عن مسيرك هذا ، أعهْدٌ عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم رأي رأيته؟ فقال: "ما عهد إليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بشيء ، ولكنه رأيٌ رأيته" ؛ (حديث صحيح ؛ صحيح أبي داود ، للألباني

، حديث: 3900). ومعلوم أن الرأي إن لم يكن مذمومًا ، فلا لوم على من قال به ؛ (منهاج السنة لابن تيمية ، جـ6 صـ113: 111). الشبهة السابعة عشرة: قال الطاعنون: "قول عمر بن الخطاب: إن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يمت ، هذا يدل على قلة علمه". الرد على هذه الشبهة من وجهين: أولًا: كون عمر ظن أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت ، فهذا كان ساعةً ، ثم تبين له موته ، ومثل هذا يقع كثيرًا ؛ قد يشك الإنسان في موت ميت ساعةً وأكثر ، ثم يتبين له موته ، وهذا ليس عيبًا ، وعلي بن أبي طالب قد تبين له أمور بخلاف ما كان يعتقده فيها أضعاف ذلك ؛ بل ظن كثيرًا من الأحكام على خلاف ما هي عليه ، ومات على ذلك ، ولم يقدح ذلك في إمامته ؛ (منهاج السنة لابن تيمية جـ8 صـ301: 300). ثانيًا: إن ذلك القول قد يكون صدر من عمر رضي الله عنه من شدة دهشته بموت الرسول ، وكمال محبته له صلى الله عليه وسلم ؛ حتى لم يبق له في ذلك الحين شعورٌ بشيء ، وكثيرًا ما يحصل الذهول بسبب تفاقم المصائب وتراكم الشدائد ؛ لأن النسيان والذهول من اللوازم البشرية ؛ ألا ترى أن يوشع بن نون ـ مع كونه نبيًّا معصومًا ـ نسي أن يخبر موسى بفقد الحوت مع المكتل ، بل إن موسى صلى الله عليه وسلم ـ مع كونه من أولي العزم ـ قد نسي معاهدته مع الخضر على عدم السؤال ثلاث مرات ، وقال تعالى في حق آدم صلى الله عليه وسلم: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) ؛ (مختصر التحفة الاثني عشرية للدهلوي صـ252). الشبهة الثامنة عشرة: قال الطاعنون: "ابتدع عمر بن الخطاب صلاة التراويح مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أيها الناس ، إن الصلاة بالليل في شهر رمضان من النافلة جماعةً بدعةٌ ، وصلاة الضحى بدعة ، فإن قليلًا في سنة خيرٌ من كثير في بدعة ، ألا وإن كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة سبيلها إلى النار) ، وخرج عمر في شهر رمضان ليلًا فرأى المصابيح في المساجد ، فقال: ما هذا؟ فقيل له: إن الناس قد اجتمعوا لصلاة التطوع ، فقال: بدعة ونعمت البدعة ، فاعترف بأنها بدعة". الرد على هذه الشبهة من عدة وجوه: أولًا: ما الدليل على صحة هذا الحديث؟ وأين إسناده؟ وفي أي كتاب من كتب الحديث روي هذا؟ ومن قال من أهل العلم بالحديث: إن هذا صحيح؟ الثاني: جميع أهل المعرفة بالحديث يعلمون أن هذا من الكذب الموضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأدنى مَن له معرفة بالحديث يعلم أنه كذب لم يروه أحد من المسلمين في شيء من كتبه ؛ لا كتب الصحيح ولا السنن ولا المسانيد ، ولا يعرف له إسناد ؛ لا صحيح ولا ضعيف ، بل هو كذب بيِّن. الثالث: أنه قد ثبت أن الناس كانوا يصلُّون بالليل في رمضان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وثبت أنه صلى بالمسلمين جماعةً ليلتين أو ثلاثًا ، وقول عمر: (نعمت البدعة هذه) ؛ يقصد بالبدعة هنا: معناها اللغوي ؛ أي: العمل البديع. الرابع: لو كانت صلاة التراويح بدعة لأبطلها عليُّ بن أبي طالب لمَّا صار أمير المؤمنين وهو بالكوفة ، فلما كان جاريًا في ذلك مجرى عمر دلَّ على استحباب ذلك ؛ (منهاج السنة لابن تيمية ، جـ8 صـ308: 304). روى البيهقي عن أبي عبدالرحمن السلمي ، عن علي رضي الله عنه قال: "دعا القرَّاء في رمضان ، فأمر منهم رجلًا يصلي بالناس عشرين ركعةً" ، قال: وكان علي رضي الله عنه يوتر بهم ؛ (السنن الكبرى للبيهقي جـ2 صـ699). روى البيهقي عن عرفجة الثقفي قال: "كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يأمر الناس بقيام شهر رمضان ، ويجعل للرجال إمامًا ، وللنساء إمامًا" قال عرفجة: "فكنت أنا إمام النساء" ؛ (السنن الكبرى للبيهقي جـ2 صـ695). الشبهة التاسعة عشرة: يقول الطاعنون: "ابتدع عمر بن الخطاب وقوع طلاق الثلاث في مجلس واحد ثلاثًا". الرد على هذه الشبهة من عدة وجوه: أولًا: لم يبتدع عمر ذلك ،

وما كان عمر ليبتدع ، بل لا يُعرَف في الصحابة مبتدع. ثانيًا: ما فعله عمر يعتبر من السياسة الشرعية ، لا من التشريع ، وبينهما فرق: التشريع: هو سَنُّ أمر لم يكن في شريعة الإسلام ، كأن يأتي أحد فيسن ويشرِّع للناس الحج لغير مكة ؛ كالحج إلى كربلاء ، أو إلى النجف! أو فرض خمس في أموال الناس ، ونحو ذلك! والسياسة الشرعية: أن يأخذ الناس بالحزم في أمر مشروع. فللحاكم أن يأخذ الناس بالسياسة الشرعية ، ويلزمهم بأمر رآهم توسعوا فيه ، ولهذا أصلٌ في السنة النبوية. روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال» ، فقال له رجال من المسلمين: فإنك يا رسول الله تُواصل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيكم مثلي؟ إني أبِيتُ يطعمني ربي ويسقينِ) ، فلما أبَوا أن ينتهوا عن الوصال ، واصَل بهم يومًا ، ثم يومًا ، ثم رأوا الهلال ، فقال: (لو تأخر لزدتكم) ؛ كالمنكِّل بهم حين أبَوا ؛ (البخاري حديث: 6851 مسلم حديث: 1103). ثالثًا: من باب السياسة الشرعية إلزام الناس بالطلاق الثلاث ؛ أي: إيقاعها ، وهذا ليس تشريعًا ؛ فإن التشريع لو أن أحدًا قال: يزاد طلقة رابعة ـ مثلًا ـ فإن هذا هو التشريع ، أما إلزام الناس بأمر مشروع ، فهذا ليس من باب التشريع ، إنما هو من باب السياسة الشرعية ، والناس إذا رأوا أنه ضيق عليهم في أمر كان لهم فيه سَعة ، كان أدعى للزجر ، وهذا الذي ذهب إليه عمر. روى مسلم عن ابن عباس ، قال: "كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر ، وسنتين من خلافة عمر ، طلاق الثلاث واحدةً ، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم" ؛ (مسلم حديث: 1472). رابعًا: هذا الأمر قد وافق الصحابةُ عليه عمرَ بن الخطاب ، وهم متوافرون. خامسًا: لم يزعم عمر بن الخطاب نسخ العمل بالثلاث أن تكون واحدة ، وإنما أخذ بذلك ، وهذا كالذي يأخذ بأمر واحد من كفارة اليمين ، أو يصرف الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية ؛ فالذي يكفِّر عن يمينه بالإطعام ، ويلتزم هذا ، لا يعتبر مشرعًا ، وإنما أخذ ببعض ما شرع مما له فيه اختيار ، وكذلك الذي يصرف الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية من أهل الزكاة ، لا يعتبر معطلًا لما شرعه الله ، وإنما أخذ ببعض ما له فيه خيار ، وكذلك القول بالنسبة للطلاق الثلاث ، وما اختاره عمر فيها ؛ (شبهات طال حولها الجدل صـ703: 699). الشبهة العشرون: قال الطاعنون: "أدخل عمر قول: الصلاة خير من النوم ، في الأذان". الرد على هذه الشبهة: هذا كذب وافتراء على عمر بن الخطاب ؛ لأن قول: الصلاة خير من النوم ، من السُّنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. روى أبو داود عن أبي محذورة ، قال: قلت: يا رسول الله ، علِّمني سنة الأذان؟ قال: فمسح مقدم رأسي ، وقال: (تقول: الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، ترفع بها صوتك ، ثم تقول: أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدًا رسول الله ، أشهد أن محمدًا رسول الله ، تخفض بها صوتك ، ثم ترفع صوتك بالشهادة ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدًا رسول الله ، أشهد أن محمدًا رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، فإن كان صلاة الصبح قلت: الصلاة خير من النوم ، الصلاة خير من النوم ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله) ؛ (حديث صحيح ؛ صحيح أبي داود ، للألباني حديث: 472). الشبهة الحادية والعشرون: يقول الطاعنون: "أراد عمر بن الخطاب أن يحرق بيت فاطمة الزهراء". الرد على هذه الشبهة: سبحانك هذا بهتان عظيم! الرد من عدة وجوه: أولًا: نريد سندًا صحيحًا لهذه الرواية؟ ثانيًا: هل يظن أحد من المسلمين أن يفعل عمر بن الخطاب ذلك بأهل بيت نبيِّنا محمد

صلى الله عليه وسلم؟ (مختصر التحفة الاثني عشرية ؛ للدهلوي صـ252). ثالثًا: محبة عمر بن الخطاب لأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ثابتةٌ ومعلومة لكل مسلم. روى أحمد عن زيد بن أسلم قال: لمَّا بويع لأبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، كان عليٌّ والزبير بن العوام يدخلان على فاطمة فيشاورانها ، فبلغ عمر فدخل على فاطمة ، فقال: يا بنت رسول الله ، ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك ، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك ، وكلمها ، فدخل عليٌّ والزبير على فاطمة ، فقالت: انصرفا راشدين ، فما رجعا إليها حتى بايعا ؛ (فضائل الصحاب لأحمد بن حنبل صـ364). رابعًا: محبة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب ثابتة: (1) روى البخاري عن ابن أبي مُليكة ، أنه سمع ابن عباس ، يقول (وهو يتحدث عن موت عمر): وضع عمر على سريره فتكنفه الناس (أحاطوا به) يدْعون ويصلُّون قبل أن يُرفع وأنا فيهم ، فلم يرعني (يفاجئني) إلا رجل آخذ منكبي ، فإذا علي بن أبي طالب ، فترحم على عمر ، وقال: ما خلفت أحدًا أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وحسبت أني كنت كثيرًا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر) ؛ (البخاري حديث: 3685). (2) إن من دلالة محبة أهل البيت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه تسمية أبنائهم باسمه ؛ حبًّا وإعجابًا بشخصيته ، وتقديرًا لما أتى به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة ، ولما قدَّم إلى الإسلام من الخدمات الجليلة ، وإقرارًا بالصِّلات الودية الوطيدة التي تربطه بأهل بيت النبوة ، والرحم والصهر القائم بينه وبينهم ، فأول من سمَّى ابنه باسمه أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب ، سمى ابنه من أم حبيب بنت ربيعة البكرية عمرَ ، وتبعه الحسنُ بن علي في ذلك الحبِّ لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم؛ فسمى أحد أبنائه عمرَ أيضًا ، وكذلك الحسين بن على سمَّى عمرَ ، ومن بعد الحسين ابنه علي الملقَّب بزين العابدين سمَّى أحد أبنائه باسم عمر ، وكذلك موسى بن جعفر الملقب بالكاظم سمى أحد أبنائه باسم عمر. فهؤلاء الأئمة من أهل البيت الذين ساروا على هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعالم منهج أهل السنة والجماعة بسيرتهم العطرة ـ يُظهِرون لعمر الفاروق ما يكنُّونه في صدورهم من حبِّهم وولائهم له بعد وفاته بمدة ، وقد جرى هذا الاسم ـ وكذلك أبو بكر وعثمان ـ في ذرية أهل البيت ممن ساروا على مذهب الحق ، وهو منهج أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا ؛ (علي بن أبي طالب لعلي محمد الصلابي صـ146). (3) قال حفص بن قيس: سألت عبد الله بن الحسن عن المسح على الخفين ، فقال: امسح ؛ فقد مسح عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال: قلت: إنما أسألك أنت تمسح؟ قال: ذاك أعجز لك ، أُخبرك عن عمر ، وتسألني عن رأيي؟! فعمر كان خيرًا مني ، ومن ملء الأرض ، فقلت: يا أبا محمد ، فإن ناسًا يزعمون أن هذا منكم تقية؟ قال: فقال لي ـ ونحن بين القبر والمنبر ـ: اللهم إن هذا قولي في السر والعلانية ، فلا تسمعن عليَّ قول أحد بعدي ؛ (النهي عن سب الأصحاب لمحمد بن عبد الواحد المقدسي صـ70 رقم: 24). الشبهة الثانية والعشرون: قال الطاعنون: "ضرب عمر بن الخطاب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أسقطت ولدها محسنًا ، وهو في بطنها". الرد على هذه الشبهة: الرد من عدة وجوه: أولًا: نريد من الطاعنين أن يأتوا بإسناد صحيح لهذه الرواية ، إن كانوا صادقين! ثانيًا: الدليل على كذب هذه الرواية أن محسنًا قد ولدته فاطمة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. ثالثًا: هذه الرواية فيها اتهام مباشر لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالجبن ، وأنه كان يخاف من عمر بن الخطاب ؛ (علي بن أبي طالب لعلي محمد الصلابي صـ142). الشبهة

الثالثة والعشرون: قال الطاعنون: "إن عمر بن الخطاب لم يعط أهل البيت سهمهم من الخُمس الثابت بقوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) ، فقد خالف حكم الله تعالى". الرد على هذه الشبهة من عدة وجوه: أولًا: سبحانك هذا بهتان عظيم! إذا لم يكن عمر بن الخطاب هو الذي يحكم بشرع الله تعالى ، فمَن يحكم؟! ثانيًا: فعلُ عمر موافق لفعل النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان أبو بكر وعمر يخرجان سهم ذوي القربى من الخمس، ويعطيانه لفقراء أهل البيت ومساكينهم، كما كان ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم؛ (مختصر التحفة الاثني عشرية؛ للدهلوي صـ255). ثالثًا: روى الطحاوي عن ابن إسحاق ، قال: سلك عليٌّ بن أبي طالب في سهم ذوي القربى لما ولي الخلافة ـ مسلكَ أبي بكر وعمر ؛ (إتحاف المهرة ؛ لابن حجر العسقلاني جـ11 صـ616 رقم: 14739). الشبهة الرابعة والعشرون: قال الطاعنون: "لما أقبل الناس لمبايعة أبي بكر الصديق ، كادوا يطؤون سعد بن عبادة بأقدامهم ، فقال أصحاب سعد: انتبهوا ، لا تطؤوا سعدًا بأقدامكم ، فقال عمر: اقتلوه ، قتله الله ، ثم قام عمر على رأس سعد فقال: لقد هممت أن أطأك حتى تسقط أعضاؤك ، فأخذ قيس بن سعد بن عبادة بلحية عمر ، وقال له: لو مسست من أبي شعرةً ، ما رجعت إلى دارك سالمًا ؛ فقال أبو بكر الصديق: مهلًا يا عمر ، الرفق هنا أبلغ ، فأعرض عمر عن سعد ، وانصرف". الرد على هذه الشبهة: سبحانك هذا بهتان عظيم على عمر بن الخطاب! والرد من عدة وجوه: أولًا: نقول لهؤلاء الطاعنين: نريد منكم أن تأتوا بسند صحيح لهذه الرواية ، إن كنتم صادقين. ثانيًا: لم يطلب عمر بن الخطاب قتل سعد بن عبادة ، وذلك بدليل ما رواه البخاري عن ابن عباس ، أن عمر بن الخطاب قال (وهو يتحدث عما حدث في سقيفة بني ساعدة): قال أبو بكر الصديق: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايِعوا أيهما شئتم ، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح ، وهو جالس بيننا ، فلم أكره مما قال غيرها ، كان والله أن أقدَّم فتُضرب عنقي ، لا يقربني ذلك من إثم ، أحبَّ إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، اللهم إلا أن تسول إليَّ نفسي عند الموت شيئًا لا أجده الآن ؛ فقال قائل من الأنصار: منا أمير ، ومنكم أمير ، يا معشر قريش ، فكثر اللغط (الصوت والضجيج) ، وارتفعت الأصوات ، حتى فَرِقْتُ (خشيت) من الاختلاف ، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته ، وبايعه المهاجرون ، ثم بايعتْه الأنصار ، ونزونا (وثبنا عليه) على سعد بن عبادة ، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة (خذلتموه وأعرضتم عنه) ، فقلت: قتل الله سعد بن عبادة ؛ (البخاري حديث: 6830). ثالثًا: قول عمر: (قتل الله سعد بن عبادة) مقصود به أن الله تعالى هو الذي قدر خذلان سعد بن عبادة، وعدم صيرورته خليفة ، أو أن يكون المقصد بقول عمر الدعاء على سعد بن عبادة ؛ لأن موقفه كان ربما أحدث فُرقة في المسلمين ؛ (فتح الباري ؛ لابن حجر العسقلاني جـ7 صـ39). وشيخنا ابن باز رد على إساءة كاتب في حق أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أوردها من خلال قصة مكذوبة عن عمر ، فقال ما نصه: (قد اطلعت على القصة التي نقلها الكاتب من تاريخ ابن جرير الطبري رحمه الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حيث قال ما نصه: (فاتبعته فدخل دارًا ثم دخل حجرة فاستأذنت وسلمت فأذن لي فدخلت عليه، فإذا هو جالس على مسح (بساط) متكئ على وسادتين من أدم محشوتين ليفًا فنبذ إليّ بإحداهما فجلست عليها، وإذا بهو في صفة فيها بيت عليه ستير، فقال: يا أم كلثوم ألا تخرجين إلينا تأكلين معنا من هذا، قالت: إني أسمع عندك حس رجل، قال: نعم، ولا أراه من أهل البلد، قالت: لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتني كما كسى ابن جعفر امرأته ، وكما كسى الزبير

امرأته ، وكما كسى طلحة امرأته ، قال: أو ما يكفيك أن يقال أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وامرأة أمير المؤمنين عمر ، فقال: كل فلو كانت راضيةً لأطعمتك أطيب من هذا) أ.هـ. وهذه القصة باطلة لا تثبت رواية ولا دراية. أما الرواية ، فلأن مدارها على جماعة من الضعفاء وبعضهم متهم بالكذب ، وتنتهي القصة إلى مبهم لا يعرف من هو ولا تعرف حاله وهو الذي رواها عن عمر ؛ وبذلك يعلم بطلانها من حيث الرواية. وأما من حيث الدراية فمن وجوه: شذوذها ومخالفتها كما هو معلوم من سيرة عمر وشدته في الحجاب وغيرته العظيمة وحرصه على أن يحجب النبي ﷺ نساءه حتى أنزل الله آية الحجاب. مخالفتها لأحكام الإسلام التي لا تخفى على عمر ولا غيره من أهل العلم ، وقد دل القرآن والسنة النبوية على وجوب الاحتجاب ، وتحريم الاختلاط بين الرجال والنساء على وجه يسبب الفتنة ودواعيها. ما في متنها من النكارة الشديدة التي تتضح لكل من تأملها ، وبكل حال فالقصة موضوعة على عمر بلا شك ؛ للتشويه من سُمعته أو للدعوة إلى الفساد بسفور النساء للرجال الأجانب ، واختلاطهن بهم أو لمقاصد أخرى سيئة ، نسأل الله العافية. ولقد أحسن الشيخ أبو تراب الظاهري ، والشيخ محمد أحمد حساني ، والدكتور هاشم بكر حبشي فيما كتبوه في رد هذه القصة ، وبيان بطلانها ، وأنه لا يصح مثلها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، جزاهم الله خيرًا ، وضاعف مثوبتهم وزادنا وإياهم علمًا وتوفيقًا ، وجعلنا وإياهم وسائر إخواننا من أنصار الحق).هـ. وأخرج الطبراني عن سُديسة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه. وأخرجه الدارقطنى في الأفراد من طريق سُديسة عن حفصة وأخرج الطبراني عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال لي جبريل: ليبكِ الإسلامُ على موت عمر! وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أبغض عمر فقد أبغضني ، ومن أحب عمر فقد أحبني ، وإن الله باهي بالناس عشية عرفة عامة وباهى بعمر خاصة وإنه لم يبعث الله نبياً إلا كان في أمته محدّث ، وإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر! قالوا يا رسول الله: كيف محدث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه! إسنادُه حسن. ورحمك الله يا سيوطي فلقد كانت لك اهتمامات جمة بسرد ممتع لموافقات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للقرآن الكريم!

مـــا للعيـــون علـــى (الفـــاروق) تنكســـرُ؟ مـــا للـــدموع عليـــه اليـــومَ تنهمـــرُ؟

مـــا للضـــمائر تشـــكو مـــا يُســـربلها؟ مـــا للقلـــوب علـــى المصـــاب تنفطـــر؟

مـــا للنفـــوس تُعـــاني هجمـــة جثمـــتْ مـــا للـــبلاءات فـــي الأصـــقاع تســـتعر؟

مـــا للمصـــائب تتـــرى فـــوق أرؤســـنا؟ مـــا للوجـــوه طـــوى سِـــيماءَها القتـــر؟

مـــا للعـــذابات تكوينـــا وتجرحُنـــا؟ مـــا للـــدغاول يُلقيهـــا الألـــى مكـــروا؟

مـــا للتحـــدي لـــه أعتـــى دهاقنـــةٍ ونحـــن مِـــن خوفنـــا نكـــادُ نُحتضـــر!

عـــوى الكـــلابُ علـــى (الفـــاروق) يـــدفعُهم بُغـــضُ الحنيفـــة ، هـــم علـــى الأذى ائتمـــروا

قـــالوا: بـــه الـــداءُ لا يشـــفيه منـــه ســـوى ... مـــاءُ الرجـــال! ألا خـــابَ الألـــى خســـروا!

قـــالوا: اعتـــدى وبغـــى ، وشـــدّ (فاطمـــة)! ... وضـــلعُها كُســـرتْ ، والمُعتـــدي (عمـــر)!

وأســـقط الحَمـــلَ لمّـــا الكســـرُ زاحمـــه ... والكســـرُ ماتـــت بـــه إذ لـــيس ينجبـــر!

وأحـــرقَ الـــدار فيهـــا (فـــاطمٌ) ســـكنتْ! ... وفـــي الحريـــق طغـــى الإيـــامُ والشـــرر

وعاقـــبَ الله مَـــن خطـــوا ، ومَـــن طبعـــوا ... ومَـــن لـــذا صـــدّقوا ، ومَـــن بـــه بُهـــروا!

حتـــى متـــى كـــذبٌ يَـــروجُ يـــا همجـــاً! ... دواء هـــذا الهُـــرا الهنديـــة البُتُـــر!

قـــالوا: (أبـــو حفصـــةٍ) مُنـــافقٌ كفـــرُهُ ... مُحقـــقٌ ، ولـــه مصـــيرُ مَـــن كفـــروا!

وأنـــه حـــرّفَ القـــرآنَ أنقصـــهُ ... أواهُ أواهُ مِـــن بُهتـــان مَـــن فجـــروا!

ونحـــن نـــدري لمـــاذا الطعـــنُ فـــي (عمـــر) ... علـــى يديـــه انتهـــى المجـــوسُ وانـــدحروا!

ومجـــــدُهم زال ، وانـــــدكتْ ممـــــالكهم ... والجـــيشُ زال ، وبعـــضُ الجنـــد قـــد أسِـــروا

كُتابُنـــا أيـــن والأعـــداءُ قـــد ولغـــوا ... فـــي عِـــرض (فاروقِنـــا) ، والأمـــرُ مشـــتهر؟

وأيـــن ولـــى أولـــو القـــريض مـــا انطلقـــوا ... بشـــعرهم ، ثـــم للفـــاروق مـــا انتصـــروا؟

نقادنـــا أيـــن ، والســـاحاتُ متخمـــة ... بجوقـــةٍ بعُـــرَى التـــاريخ تتجـــر؟

شُـــيوخنا أيـــن والعلـــمُ الـــذي علمـــوا؟ ... أمـــا أتـــاهم عـــن الأصـــاغر الخبـــر؟

للهـــم ســـخرْ لـــيَ الأشـــعارَ طيعـــة ... حتـــى يُسَـــرّ بمـــا فـــي نصـــها (عمـــر)!

للهـــم زدنـــي مـــن الإيحـــاء أعذبـــه ... ومِـــن ســـري المعـــاني مـــا بـــه ســـمر

للهـــم مُـــرْ طيـــبَ الألفـــاظ يُســـعفني ... حتـــى يطيـــبَ بنصـــي الـــوِردُ والصَـــدَر!

للهـــم واجعـــلْ لـــيَ الأوزانَ ســـامرة ... هـــل يُطـــربُ الـــوزنُ والتقســـيمُ منكســـر؟!

للهـــم هبنـــي مـــن البـــديع أجملـــه ... فـــي بُـــردةٍ زينتاهـــا الوشْـــيُ والحِبَـــر!

للهـــم شـــنفْ لهـــا الأســـماعَ عـــن رغـــبٍ ... حتـــى تُوَصـــلَ مـــا فـــي القلـــب يســـتتر

للهـــم واشـــحذ لهـــا العقـــولَ واعيـــة ... حتـــى تفـــيء إلـــى مـــا فيـــه مُزدجَـــر

للهـــم وافـــتح لهـــا قلـــوب مـــن قـــرأوا ... فـــلا يكـــونُ بهـــا لـــؤمٌ ولا دَبَـــر

للهـــم وانفـــغْ بهـــا نفعـــاً أفـــوز بـــه ... بـــالأجر إنـــي إلـــى الثـــواب مفتقـــر

أهـــدي إليـــك (أبـــا حفـــص) تحيتنـــا ... بالشـــعر ذر شـــذاها الـــوَردُ والزهَـــر

إمـــا التمســـت بهـــا شـــيئاً تُسَـــرُ بـــه ... فـــبعضُ علمِـــك بـــالقريض يـــا (عمـــر)

أو قـــد وجـــدت بهـــا شـــيئاً تضـــيقُ بـــه ... ذرعـــاً فـــإني عـــن الأخطـــاء أعتـــذر

نســـجتها بُـــردة قربـــى لخالقنـــا ... وعنـــده وحـــده الثـــوابُ والأجُـــر

أهـــديكها بـــأريج الشـــعر عـــاطرة ... وعطرُهـــا فـــي ذرى الآفـــاق ينتشـــر

الآنَ عُـــدتُ إلـــى التـــاريخ يُخبرنـــي ... عـــن قصـــةٍ نصـــها فـــي السِـــفر مســـتَطر

أريـــدها منـــه إمـــا شـــاء صـــافية ... بـــلا رُتـــوش بهـــا اليقـــينُ ينتحـــر

عـــن فـــارس ضـــربٍ فـــي جاهليتـــه ... فلـــم يـــزرْ قلبَـــه ضـــعفٌ ولا خَـــوَر

فمـــن (قـــريش) ، وذا أصـــلٌ يـــدل بـــه ... ونســـبة فـــي ديـــار العُـــرب تزدهـــر

ومـــن بنـــي (يعـــرُب) وطـــابَ سُـــؤدَدُهم ... ومـــن (عَـــدِي) ، وهـــذا مَحْتِـــدٌ نضـــر

قبيلتـــان همـــا عـــز لمنتســـب ... (عـــدي) شـــمسٌ ، وذي (قريشـــنا) قمـــر!

أمـــا أبـــوه هـــو (الخطـــابُ) شِـــدته ... قـــد خلفـــتْ (عمـــراً) للحـــق ينتصـــر

والأم (حنتمـــــة) طابـــــت أصـــــالتُها ... وفـــــي قبيلتهـــــا دهـــــاقنٌ غـــــرر!

حـــاز الســـفارة قبـــل البعثـــة انتعشـــتْ! ... ســـفيرُ حـــرب وسِـــلم مِثلـــه نـــدروا!

وكـــان يـــؤذي عِبـــاد الله صـــبحَ مســـا ... أصـــحابَ (أحمـــدَ) مـــن غـــابوا ومـــن حضـــروا

كَفّـــاه: كـــفٌ بهـــا الحســـامُ مرتصـــداً ... قومـــاً بإيمـــانهم والسِـــلم مـــا جهـــروا

وثـــم كـــفٌ بهـــا كـــأسٌ معتقـــة ... مـــن الشَـــمول بهـــا يُغـــردُ السَـــكَر

وقـــد يبـــدل بالحســـام ســـوط أذىً ... إن كـــلّ أو مـــلّ أو أصـــابه الضـــجر!

وأم (خـــلادَ) لا تُنســـى حكايتُهـــا ... إذ انتـــوتْ هجـــرة لمّـــا طغـــى الضـــرر

فـــرتْ بـــزوج وإبـــن عـــن ديـــار أذىً ... كمـــا يفـــر مـــن الأوابـــد البشـــر

ومـــن يُطِـــقْ محنـــاً صُـــبتْ علـــى عُـــزُل ... ورغـــم ذلـــك بالقتـــال مـــا أمِـــروا؟

وأم (خـــلادَ) فـــي الصـــحراء خائفـــة ... والرُكْـــبُ ممـــا يُعـــاني خـــائفٌ حـــذِر

وفجـــأة أبصـــرتْ بعينهـــا عمـــراً ... هـــل أخطـــأت يـــا تُـــرى؟ أم أخطـــأ النظـــر؟

حتـــى إذا جاءهـــا تماســـكتْ وأبـــتْ ... إلا مواجهـــة ، وهنـــا هنـــا وزر؟

فقـــال: راحلـــة عـــن دار عِترتهـــا ... عفـــواً إلـــى أيـــن؟ مـــا الـــدعي؟ ومـــا الخبـــر؟

قالـــت: نفـــر بـــدين الله نهجـــرُكم ... إذ مسّـــنا الضـــر والإيـــلامُ والكـــدر

الأهـــلُ هـــل فعلـــوا مـــا تفعلـــون بنـــا؟ ... جئنـــي بواقعـــةٍ ، ودونـــك الســـير

القهـــرُ والنهـــرُ والتعـــذيبُ أمثلـــة ... وحاســـب الله أقوامـــاً بنـــا غـــدروا

فقـــال: فـــي صـــحبة المهـــيمن انطلقـــي! ... علـــى إعانتـــكِ المليـــكُ مقتـــدر

فـــرق قلـــبُ التـــي كانـــت تحـــاذره ... وعقلهـــا مـــن صـــدى التفكيـــر منبهـــر

فقـــاطعَ ابـــنٌ لهـــا شـــرودَ خاطرهـــا ... مســـتبعداً رؤيـــة إليـــه تبتـــدر

وقـــال: هـــل لـــك فـــي إســـلامه طمـــعٌ ... قالـــت: أظـــن وربـــي يهتـــدي (عمـــر)!

فقـــال: لا يُســـلمُ الـــذي ذكـــرتِ لنـــا ... إلا إذا أســـلمتِ مـــن قبلـــه الحُمُـــر

لقـــد عجبـــتُ مـــن الأقـــوام نظـــرتُهم ... إلـــى الأمـــور خبـــتْ ، فمـــا بهـــا بُشُـــر!

وذات يـــوم رأى رأيـــاً وقـــرره ... مـــا ردهُ وجـــلٌ عنـــهُ ولا حـــذر

أراد قتـــلَ رســـول الله فـــي مـــلأ ... مـــن التقـــاة الألـــى بـــأمره ائتمَـــروا

تقلـــد الســـيف ســـعياً فـــي مهمتـــه ... حتـــى يـــزول بمـــا يســـعى لـــه الخطـــر

فـــي عقـــده الثالـــث الهمـــامُ أســـلمَ إذ ... أمســـى الفـــؤادُ بـــآي الـــذكر يـــدكر

مـــا انفـــك يســـمعها بحيـــدةٍ جلبـــتْ ... لـــه التفكـــرَ حتـــى بـــات يفتكـــر

مـــا أجمـــلَ الـــذكرَ إن تـــلاه (أحمـــدُنا) ... وفـــي الصـــلاة يكـــون الـــوعظ والعِبَـــر

يحَبّـــرُ الآيَ تحبيـــراً يبينهـــا ... لمنصـــتٍ طيـــبٍ تفيـــدُه النـــذر

وأســـندَ الظهـــر للجـــدار فـــي شـــغفٍ ... والعقـــلُ يُـــدرك مـــا يهـــوى ومـــا يَـــذر

وأرهـــفَ الســـمع حتـــى يســـتعينُ بـــه ... والأذن لا عُجـــرٌ فيهـــا ولا بُجَـــر

فقـــال: هـــذا الـــذي يتلـــو فشـــاعرُهم ... يقـــول شـــعراً وفـــي إلقائـــه صـــور!

فـــإذ بأحمـــدَ ينفـــي الشـــعرَ ، يقرأهـــا ... نصـــوص وحـــي بهـــا الإيمـــانُ مـــدّخر

فقـــال: هـــذا الـــذي يتلـــو فكـــاهنهم ... ويـــدعي علـــمَ مـــا فـــي الغيـــب يُســـتطر

فـــإذ بأحمـــدَ ينفـــي لـــيس كـــاهنَهم ... وواحـــدٌ عـــالمٌ بالغيـــب مقتـــدر!

فأســـلمَ الفـــارسُ المغـــوار مقتنعـــاً ... بمـــا حوتـــه مـــن الآيـــات ذي الســـور

وكـــان إســـلامُه عِـــزاً وتكرمـــة ... إذ أطفئـــتْ فتنـــة تغلـــي وتســـتعر

والمســـلمون بـــه قويـــتْ شـــكيمتُهم ... والـــدينُ عـــز وجـــاء النصـــرُ والظفـــر

وبالجنـــان نبـــي الله بشـــره ... نعـــمَ البشـــارة فيهـــا الـــنص مبتشـــر

ونصـــفَ ألـــف حـــديثٍ قـــد روى (عمـــرٌ)! ... وبعـــدُ خمســـون فـــي أســـفارنا أخـــر

وأول النـــاس بالهُـــدى مجـــاهرة ... ولـــم يخـــفْ بـــأسَ مـــن بـــربهم كفـــروا

وعنـــدما علمـــوا مـــدوا أيـــاديَهم ... ضـــرباً ، ولـــم يرحمـــوا كـــأنهم غجـــر!

فصـــدهم (عمـــرٌ) بـــلا مهادنـــةٍ ... لكـــنهم غلبـــوا ، لأنهـــم كُثَـــر

وخالـــه جـــاء بـــالجوار ينقـــذه ... مـــن العُتـــاة الألـــى فـــي ضـــربهم فجـــروا

وبعـــد مرحلـــةٍ حـــل الجـــوارَ (أبـــو ... حفـــص) ، ودافـــع مَـــن لـــدينهم ثـــأروا

وعنـــدما قـــرر (الفـــاروقُ) هجرتـــه ... فـــرداً تعمـــد لـــم تضـــمه زمَـــر!

وســـاق للنـــاس تهديـــداتِ مرتحـــل ... يعـــي مراميَهـــا الأكيـــاسُ والبُـــدُر

مـــن رامَ أمـــاً لـــه بـــأن تُثاكلـــهُ ... ودمعُهـــا مـــن لظـــى المأســـاة ينهمـــر

أو رامَ للوُلـــد يتمـــاً بعـــد عـــائلهم ... حتـــى يُســـربل بالمصـــيبة الصِـــغر

أو رامَ زوجتـــه بالكـــاد أرملـــة ... يهـــدها بالمصـــاب العجـــز والكِبَـــر

فليلقنـــي خلـــف وادي المـــوت مـــدرعاً ... والســـيفُ فـــي يـــده ، أنـــا ســـأنتظر

فمـــا أتـــى أحـــد لكـــي يُبـــارزه ... فعـــاد منتصـــراً مـــن فـــوره (عمـــر)

خـــاض المشـــاهدَ و(المختـــارُ) قائـــدُها ... ولـــم يكـــن مـــن سُـــعار الحـــرب ينزجـــر

رأى النبـــي لـــه الرؤيـــا محققـــة ... فـــي جنـــة الله قـــد جـــاءت بهـــا السِـــيَر

فـــي جنـــة الخلـــد جنـــب القصـــر ســـيدة ... كانـــت توضـــأ ، وصـــحيحٌ الأثـــر!

فقـــال: مـــن صـــاحبُ القصـــر الـــذي نظـــرتْ ... عينـــي فقـــالوا بـــلا تـــردٍ: (عمـــر)!

وزاد: وليـــتُ إذ ذكـــرتُ غيرتـــه ... والمـــرءُ إن لـــم يغـــرْ فالقلـــبُ محتضـــر

وللشـــياطين خـــوفٌ مـــن لقـــا (عمـــرٍ) ... كرامـــة أن يـــرى جمـــوعَهم ذعـــرا

إمـــا ســـلكت فِجاجـــاً غـــادروا فرقـــاً ... ومـــن مخافتـــك الـــرحمنَ هـــم نفـــروا

لقبـــت بـــالملهم المحـــدث انطلقـــتْ ... مُوافقاتُـــك إذ أقـــر مُقتـــدر

وجـــاء نـــصٌ بمـــا نطقـــت مقترحـــاً ... والآي قـــد ضـــمنتْ نصوصَـــها الســـور

سُـــميت مـــن بعـــدها (الفـــاروقَ) تســـمية ... علـــى عـــذوبتها الفرقـــانُ يُقتصـــر

وبالســـلام أتـــى (الـــروح الأمـــينُ) علـــى ... (محَـــدّثٍ مُلهـــم) ســـلامُه عطِـــر

(بـــالعبقري) كـــذا ســـمّاك (أحمـــدُنا) ... عنـــد (البخـــاري) صـــح المـــتن والخبـــر

فـــي عهـــدك انتشـــر الإســـلامُ دولتـــه ... البحـــرُ حـــدٌ لهـــا ، والآخـــرُ النهَـــر

وللفتوحـــات نهـــضٌ فـــي خِلافـــتكم ... ومثلـــه الأرضُ لـــم تشـــهدْ ولا العُصُـــر

وجُعـــت فـــي ســـنة (الرمـــادة) ابتُليـــتْ ... بهـــا الرعيـــة ، مـــات الـــزرعُ والشـــجر

وقرقـــرتْ بطنُـــك التـــي جُبـــرتْ ... علـــى الزيـــوت طعامـــاً ، حيـــث لا ثمـــر

ولـــيس لحـــمٌ ، ولا دهـــنٌ ، ولا حلـــبٌ ... حتـــى النخيـــلُ اشـــتكتْ فمـــا بهـــا تُمُـــر

فقلـــت: يـــا بطـــنُ لا تُقرقـــري أبـــداً ... لـــن تطعمـــي اللحـــمَ حتـــى يشـــبعَ البَشَـــر!

وقيـــلَ فـــي وجهـــك الخطـــان قـــد رُســـما ... مـــن البكـــاء بعـــين دمعُهـــا حَـــدِر

زهـــدت دنيـــاك لـــم تغـــررْك زينتُهـــا ... وبـــاء بـــالخير مـــن دنيـــاهُ يحتقـــر!

فرضـــت فـــي عهـــدك الفـــروضَ قائمـــة ... وعـــامِلوك لمـــا فرضـــته نُـــذِروا

دونـــت بعـــدُ الـــدواوين التـــي بُنيـــتْ ... ونِعمـــتِ البنيـــة الشـــمّاءُ والفِكَـــر!

وفـــي (المـــدائن) صـــلى (ســـعدُ) جمعتـــه ... (إيـــوانُ كســـرى) لهـــذا الفـــتح منتظـــر

وفـــي (جلـــولاءَ) كـــم (يزدجـــردُ) رأى ... مـــن البطـــولات يُزجيهـــا مـــن انتصـــروا

وكنـــت أجليـــت هـــوداً عـــن معـــاقلهم ... فـــي (خيبـــر) ثـــم فـــي (نجـــران) إذ غـــدروا

ثـــم اتخـــذت لبيـــت المـــال ضـــاحية ... مـــن الـــديار بـــه الأمـــوال تُـــدخر

وبعـــدُ هجّـــرت تاريخـــاً لأمتنـــا ... كنـــا إلـــى ذلـــك التـــاريخ نفتقـــر

وإن معركـــة (اليرمـــوك) شـــاهدة ... علـــى مواجهـــةٍ ســـعى لهـــا الظفـــر

و(القادســـية) يا(فـــاروق) ماثلـــة ... نصـــبَ العيـــون يـــرى فرســـانَها البصـــر

عسســـتْ بالليـــل والأنـــامُ قـــد هجعـــوا ... حتـــى تُعـــاين مـــا فيـــه الـــورى عثـــروا

رعيـــة فـــي هزيـــع الليـــل قـــد رقـــدتْ ... أمـــا الرعـــاة علـــى أحوالهـــا ســـهروا

ثـــم اتجهـــت إلـــى القـــريض تضـــبطه ... علـــى هُـــدى الشـــرع لا فوضـــى ولا ختـــر

قصصـــت ألســـنة الهجـــاء يطلقـــه ... قـــومٌ مـــن النـــاس فـــي أشـــعارهم ســـخروا

وقلـــت: مـــن يهـــجُ فاللســـانُ أقطعـــه ... ولا عقـــاب لمـــن هجـــاءهم هجـــروا

وكنـــت أولَ مـــن حمـــل الطعـــامَ إلـــى ... (مصـــرٍ) ، وقـــد فتحـــتْ ، فباركـــتْ أسَـــر!

وكنـــت أولَ مـــن بـــدِرة أخـــذ الـــ ... ـــحقوقَ غاصـــبُها مســـتكبرٌ أشِـــر

وكنـــت أول مـــن أمصـــاره مُصّـــرتْ ... وكـــل مصـــرٍ بكـــل الـــدار منصـــهر

وأنـــت أولُ مَـــن (دار الـــدقيق) بنـــى ... وللسَـــويق بهـــا ركـــنٌ لـــه سُـــتُر

وللزبيـــب وتمـــر النخـــل منتجـــعٌ ... ولـــيس فـــي هـــذه الطعـــوم ينحصـــر

بـــل للغِـــلال كـــذا صـــوامعٌ بُنِيـــتْ ... حتـــى يُـــؤمَنَ خبـــزُ القـــوم والثمـــر

وإذ فعلـــت فقـــد أســـديت واجـــبَهم ... وهكـــذا الحكـــمُ تكليـــفٌ لـــه أطـــر

والمســـؤولية فحـــواهُ وجـــوهرهُ ... يَزيـــدُه قـــوة خميسُـــه الـــدثِر

وقـــال صـــاحبُ كســـرى قولـــة بقيـــتْ ... تُلخـــصُ الســـيرة العصـــما وتختصـــر

حكمـــت بالعـــدل حتـــى نلـــت أمـــنهمُ ... فنمـــت فـــي دَعَـــةٍ يُظلـــك الشـــجر

مَـــن يظلـــم النـــاس لـــم يـــأمن مكائـــدَهم ... ولـــيس مِـــن ثـــأرهم يومـــاً لـــه وَزر

وبالـــدعاء لكـــم ختـــامُ بُردتنـــا ... تقبـــل الله منـــك الســـعي يـــا (عمـــر)

لـــك اعتـــذاري إذا مـــا كـــان مـــن غلـــطٍ ... وإن أصـــبتُ فســـاق الـــنُجْحَ مقتـــدر

ولـــي ســـؤالٌ أنـــا إيـــاك ســـائله ... علـــى سِـــوى (عمـــرٍ) جوابُـــه وَعِـــر

هـــل بُردتـــي وُفقـــتْ فيمـــا لـــه نُظِمـــت؟ ... هـــل أدبـــتْ غجـــراً قبـــورَهم حفـــروا؟

علـــى الصـــحابة هـــم أســـود غـــابتهم ... وهـــم علـــى مـــن طغـــى بكفـــره هِـــرَر!

فـــداك أمـــي أيـــا (فاروقنـــا) وأبـــي ... مـــا عـــم أرضَ الـــدنا بخيـــره المطـــر

رضـــوانُ ربـــي علـــى (الفـــاروق) مـــا غربـــتْ ... شـــمسٌ علـــى كوننـــا وأومَـــض القمـــر!

بعض معاني الكلمات الغامضة

الفاروق والملهم والمحدّث وأبو حفص والعبقري وأبو حفصة: كلها أسماء وكنى وألقاب لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه. تنهمر: تسيل بغزارة. يسربلها: يضع عليها سربالاً فيعوق حركتها. الأصقاع: البقاع والديار. تترى: يتبع بعضها بعضاً. أرؤس: رؤوس. سيماءها: جمالها. القتر: قتام الوجوه. الدغاول: المصائب العاتية. الألى مكروا: المقصود أعداء عمر بن الخطاب الذين هم بالتبعية أعداء الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم - وأعداء الإسلام والمسلمين. دهاقنة: أعتى الرجال. الحنيفة والحنيفية والسلم: الإسلام. ائتمروا: تآمروا. ماء الرجال: كناية عن إتيان الذكور وحاشا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - ، وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً فلعنة الله والملائكة والناس أجمعين عليهم وعلى من يقول بقولهم أو يقبله عن الفاروق عمر. الهندية البتر: السيوف البتارة الماضية. متخمة: مليئة. الوِرد والصَدَر: الإشراف على الماء والورود عليه ، والمعنى المراد هنا حتى تطيب البردة من أولها إلى آخرها. يستتر: يختفي. مزدجر: واعظ ورادع. لؤم ولا دَبَر: الخبث والكراهية والعداوة. شذاها: عطرها. الأجُر: الأجور. أم خلاد: صحابية جليلة هاجرت مع زوجها وابنها من مكة إلى المدينة. انتوت: قصدت. ديار أذى: مكة قبل الهجرة. عُزُل: ليس معهم سلاح ولا عتاد. الأوابد: الوحوش. الركب: الراحلون معاً. وَزَر: مهرب وفرار. النهر: الضرب. مقتدر: اسم من أسماء الله تعالى. تبتدر: تسرع وترد على الخاطر. الحُمُر: أي الحمير. خبت: لم تصح. بُشُر: بشارات. مستطر: مكتوب. رتوش: المقصود إضافات. خور: شدة الضعف. الشمول: اسم من أسماء الخمر. يعرُب: أحد أجداد العرب. عدي: قبيلة عمر بن

الخطاب – رضي الله عنه -. غرر: سادات الناس. يحبر الآيات: يقرأ آيات القرآن قراءة جميلة. يذر: يترك. لا عجر فيه ولا بُجر: أي خالية من العيوب تماماً. كاهنهم: مدعي علم الغيب فيهم. ذي السور: أي هذه السور القرآنية. خاله: أبو جهل عمرو بن هشام. الجوار: هو الإجارة والحماية من الكفار. زمر: جماعات. الأكياس والبُدُر: هم أذكياء الناس. تثاكله: تفقده أي يموت عنها. مدّرعاً: أي عليه درعه يتقي بها ضربات السيف. المشاهد: المقصود الغزوات والسرايا. المختار وأحمدنا: النبي – صلى الله عليه وسلم -. فجاجاً: طرقاً. ذعروا: خافوا. النهَر: أي النهْر. العُصُر: العصور. الرمادة: هو عام المجاعة. قرقرت البطن: أحدثت صوتاً لخواء معدتها من الطعام. دمعها حدِر: يسيل بشدة. المدائن: عاصمة كسرى. جلولاء: معركة هزم فيها المسلمون الفرس. خيبر ونجران: حيان كان اليهود يعمرونهما. اليرموك والقادسية: معركتان عظيمتان انتصر فيهما المسلمون على أعدائهم الفرس عُباد النار (القادسية) والصليبيين الروم (اليرموك). عسست بالليل: تفقدت أحوال الرعية ليلاً. القريض: الشعر. الهجاء: فن النيل من الخصم بالشعر. دِرة: عصا. أشِر: شديد العداوة والخصومة. دار الدقيق: دار نشأها عمر لادخار الدقيق وغيره من الغلال والحبوب. خميسه الدثر: جيشه القوي. صاحب كسرى: جندي الأرطبون الذي جاء برسالة من كسرى – لعنة الله عليه – إلى عمر – رضوان الله عليه -. تُمُر: أي تمور. أطر: إطارات وأنظمة. النجْح: النجاح والتوفيق والسداد.

بردة فاطمة الزهراء

(لقد كتب بُردات ثلاث أهديتها للنبي – صلى الله عليه وسلم - ، وكان طابعها العام عدم الغلو في النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا أدعوه من دون الله ، ولا أتوسل به ، ولا أغلو في المدح والإطراء! ذلك لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – ق- نهانا عن هذا كله في غير ما حديث! وكتبت بردة انتصارية لأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق – رضي الله عنها -! وكتبت بردة خامسة عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه -! وتأتي هذه البردة السادسة لريحانة النبي – صلى الله عليه وسلم – السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله – رضي الله عنها ، وصلى الله وسلم وبارك على أبيها -! ويشهد الله تعالى أن أكتب هذه البردات حباً وكرامة لمن نقشت برداتي عنهم! وأجد أنه من واجبي كشاعر مسلم ينتهج منهج السلف ويعتقد عقيدة أهل السنة والجماعة الوسطية المعتدلة الجميلة القائمة على الدليل الصحيح والعقل السليم ، رأيت أنه من واجبي أن أسخر قلمي في كل شعر يرضى الله ورسوله عنه! واستحيت من الله أن أموت ولا يكون في ديواني ما أعذر به عند الله أنني دافعت فيه عن نبيه وصحابته! فكانت هذه البردات من هذا المنطلق! وعودٌ إلى الحبيبة إلى قلوبنا وأرواحنا الزهراء فاطمة سيدة نساء العالمين في زمانها وكل زمان! رَوَى البخاريُّ في صحيحه: أنَّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: (فَاطِمةُ بِضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أغْضَبَها فَقَدْ أغْضَبَني). إنها ريحانة النبي – صلى الله عليه وسلم - السيدة فاطمة الزهراء رابع وأصغر بنات سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى وآله وصحبه وسلم من السيدة خديجة رضي الله عنها، و لدت يوم الجمعة الموافق للعشرين من جمادى الآخرة ، و قريش تبني الكعبة ، وذلك قبل البعثة بخمس سنوات. كانت السيدة فاطمة رضي الله عنها شديدة الشبه بأبيها سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، إذ كانت بيضاء البشرة مشربة بحمرة ولها شعر أسود. وعن أم المؤمنين أم سلمى رضي الله عنها أنها قالت: (كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم أشبه الناس وجهاً برسول الله صلى الله عليه وسلم). وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: (ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً و كلاماً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة). وقال صلى الله عليه وسلم: (أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسيا بنت مزاحم). وقد ورد أيضا أنه قال: (إن ملكا استأذن الله تعالى في زيارتي وبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أمتي. وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة). لقد ولدت السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عليها في دار والدتها السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها ، وتقع هذه الدار بزقاق الحجر بمكة المكرمة ، ويقال له زقاق العطارين على ما ذكره الأزرقي ، وتعرف بمولد فاطمة رضي الله عنها لكونها ولدت فيها هي و سائر أولاد خديجة من النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. ولقد كانت الصفة الغالبة على هذه الدار الطاهرة البساطة ، فقد كانت تحتوي على أربع غرف: ثلاث داخليه منها: واحدة لبناته ، والثانية لزوجه والثالثة لعبادة ربه والرابعة بمعزل عنها له ولعموم الناس. وهذه الدار لم تعد معروفة اليوم ، فقد اختفت في باطن الأرض وانهالت عليها الأنقاض. ولقد كان تسميتها فاطمة بإلهام من الله تعالى لأن الله فطمها عن النار! واشتقاقها من (الفطم) وهو القطع والمنع والحب! كما قال ابن دريد ومنه: فطم الصبي: إذ قطع عنه اللبن. ويقال: لأفطمنك عن كذا أي لأمنعنك عنه. ولعل هذا هو أشهر الأسماء التي سميت بها هي فاطمة الزهراء ، ولكن كان لها تسعة أسماء. و لم يكن اسم فاطمة غريباً عند العرب ، فقد كانت زوج أبي طالب وأم علي رضي الله عنه تسمى فاطمة ، وفاطمة بنت عتبة!

وقد أهدى الى رسول الله صلى الله عليه و سلم حلة استبرق قال اجعلوها خُمُراً بين الفواطم ، فشقت أربعة خمر ، خماراً لفاطمة الزهراء رضي الله عنها ، وخماراً لفاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنه ، وخماراً لفاطمة بنت حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أمامة ، وخماراً لفاطمة بنت عتبة. وسميت السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها: الصديقة ، والمباركة ، والطاهرة ، والزكية ، والراضية والمرضية والمحدثة ، والزهراء ، وكان يطلق عليها أم النبي صلى الله عليه وسلم أو أم أبيها ، وقد أضاف عليها بعض كتّاب السيرة أنها لُقبت بالبتول. فعن جعفر بن محمد بن علي رضي الله عنه ـ عن أبيه ـ قال: (سألت أبا عبد الله عن فاطمة: لم سميت الزهراء؟ فقال: لأنها كانت إذا قامت في محرابها يزهر نورها لأهل السماء ، كما يزهر نور الكوكب لأهل الأرض). ولقبت بالصديقة ، والمباركة ، والطاهرة ، والعفيفة ، والزكية ، والراضية ، والمرضية: وهي آيات على ما اتسمت به رضي الله عنها من الصدق والبركة والطهارة والرضا والطمأنينة. والبتول: لأن الله تعالى قطعها عن النساء حسناً وفضلاً وشرفاً ، أو لانقطاعها إلى عبادة الله وتبتلها له سبحانه وتعالى. ولقبت بالبتول تشبيهاً بمريم ابنة عمران – رضي الله عنها ـ في المنزلة عند الله. وسميت كذلك بأم أبيها لأن النبي صلى الله عليه وسلم ولد يتيماً ، ولم يجد أباه ، ثم ماتت أمه وهو طفل صغير، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعامل فاطمة رضي الله عنها معاملة الأم ، ويخصها بالزيارة عند كل عودةٍ منه إلى المدينة وقد توفيت آمنة بنت وهب وعاش في بيت أبي طالب تحنو عليه فاطمة بنت أسد وتعلق قلبه بها آنذاك بها ، ولقد كان يناديها يا أماه ، وعندما توفيتْ حزن عليها حزناً شديداً ورزقه الله فاطمة ، وكلما رآها ذكر فاطمة بنت أسد ، وتسلى بابنته عنها ، ولهذا كناها أم أبيها. ولأنها كانت أصغر بنات الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت في البيت وحدها بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها فتولت رعاية الرسول صلى الله عليه وسلم والسهر عليه. والألقاب من الأعلام عند النحويين ، فيقولون الأعلام ثلاثة أنواع: إسم ، ولقب وكُنية ، وكلما كان الإنسان من ذوي المنزلة والمكانة تعددت أسماؤه. وإذن فاسم فاطمة كان معروفاً في العرب ، وتسمتْ به غير واحدة كما أسلفنا! وتعدد أسماء فاطمة يجعلنا نقول بخيريتها ومكانتها ومنزلتها الرفيعة! وتحت عنوان: (سيرة السيدة فاطمة الزهراء) بقلم الأستاذ أحمد النبراوي وتدقيق: محمد الخفاجي جاء ما نصه: (هي فاطمةُ بنت رسول الله محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم ، وبنت خديجة بنت خويلد ، وُلِدَت في مكّة المكرّمة ، وهي أصغر بنات النّبيّ سنًّا ، تزوّجها عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وكان ذلكَ بعد غزوة أحد في المدينة ، وكان عمرها إذ ذاكَ ثماني عشرة سنة ، ولَدَت الحَسَن والحُسين وأمّ كلثومٍ وزينب رضي الله عنهم جميعًا ، وكانت فاطمةُ من أبرّ النّاس بأبيها ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ حتّى قال فيها: "سيّدة نساء العالمين" ، وهي أوّل من صُنع له نعشٌ في الإسلام. ونسأل: لماذا سمّيَت فاطمة بهذا الاسم؟ لقد وُلدت فاطمة الزّهراء ـ رضي الله عنها ـ في مكّة المكرّمة قبلَ أن ينزل الملكُ على رسول الله بخمسِ سنوات ، وهو الوقتُ الذي كانت فيه قريش تُجدد بناء الكعبة المشرّفة ، وسمّاها رسول الله بهذا الاسم بإلهام من الله تعالى ؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فطمها عن النّار. لقد كانت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ سيّدةً كريمة صابرةً حسنة الأخلاق قانعة بما آتاها الله صابرةً على كلّ ما أصابها ، وقد لقيَت ـ رضي الله عنها ـ في حياتها أذى كثيرًا ، فكانت ترى عذاب كفّار قريش يُصب على أبيها ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في مكّة قبل الهجرة ، وقد شهدَت طلاقَ أختيها من ابني أبي لهب. ولمّا حان وقتُ هجرتها إلى المدينة ، أرسل رسول الله ـصلّى الله عليه وسلّم ـ

زيدَ بن حارثة وأحَدَ الأنصار وواحدًا من بني عبد المطّلب من المدينة المنوّرة ليأتيا بها وبأختها أمّ كلثوم - رض الله عنهما - فجاء زيدُ إليهما وأخذهما يريدُ الذّهابَ إلى المدينة المنوّرة ، فتبعَهم رجلٌ مشركٌ يقال له الحويرِث بن عبد قصيّ ، وهو واحد من صناديد قريش ، فأمسَكَ ببعيرِ فاطمة - رضي الله عنها - وطعنه فوقَعَت على الأرض وأصابتها بعضٌ من الجروح والكدمات ثمّ عادَ إلى قومِه ، وقتَلَه عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - يوم فتح مكّة ، وقد كانت فاطمة وقت الهجرة ما تزال صغيرة في السّنّ. ونسأل: لماذا رفض رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - طلبَ أبا بكرٍ وطلبَ عمر؟ يروى أنّ أبو بكرٍ الصّديق - رضي الله عنه - جاء يومًا إلى رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - فسأله أن يزوّجه من فاطمة - رضي الله عنها - فرفض رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم – ذلك ، ثمّ جاءَه عمر بن الخطّاب - رضي الله عنها - فطلبها من النّبيّ لنفسِه فرفض رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم – كذلك ، ثمّ جاءه عليّ بن أبي طالبٍ - رضي الله عنه - فسأله أن يزوّجه من فاطمة. فسأله النّبيّ عن ما يملك أن يدفَعَه مهرًا ، فأجابَه أنّه يملكُ فرسًا ودرعًا ، فقال له رسول الله أن يبقي الفرَسَ وأن يبيعَ الدّرعَ ويهبَ ثمنَه لفاطمة - رضي الله عنها - فذهَبَ - رضي الله عنه - فباعَ الدّرع بأربعِمئةٍ وثمانين درهمًا ، وجاء بها إلى رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - فاشترى ببعضها رسول الله متاعًا لفاطمة ، ثمّ جمعهما بعليّ وأخذ شيئًا من ماءٍ فسكبه بين يدي فاطمة وعلى رأسها ثمّ جيء بماءٍ آخرَ فسكبه بين يدي عليّ وعلى رأسه ودعا لهما بخير. وقد زوّجَ النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - فاطمة - رضي الله عنها - من عليّ - رضي الله عنه - خصوصًا بأمرٍ من عند الله سبحانه وتعالى ، وكانَ الموعدُ الذي أقيمَ به عرسُها بعد أن أقيمَ عرس أمّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بأربعة أشهرٍ ونصف ، وقد كان عمرها إذ ذاكَ خمس عشرةَ سنة وخمسة أشهر ونصف شهر ، وبنى بها عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - بعدَ العقدِ بستّةِ أشهر. وأنجبت فاطمة الزّهراء - رضي الله عنها - من عليّ بن أبي طالبٍ - رضي الله عنه - عدّة أبناء وبنات ، أحفادَ الرسول ، وهم: الحسن والحسين ومُحسِن وأمّ كلثوم وزينَب. والحقيقة أنّ للسيّدة فاطمة - رضي الله عنها - مكانة كبيرة في التّاريخ الإسلاميّ ، فهيَ أوّلًا بنتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثمّ إنّها زوجة لسيّدٍ من أسياد العرب والمسلمين وهو عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ، ثمّ إنّه لم يبقَ نسلٌ لرسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - إلّا منها ، فحازت بذلك مكرمةً عظيمة لم تحُزها أيّ امرأة غيرها. لقد أحبّ رسول الله - صلّى لله عليه وسلّم - فاطمةً حبًّا شديدًا ، وقد جاء ذلك في كثيرٍ من الأحاديث ، منها: عن أبي هريرةَ - رضي الله عنه - أنّه قال: نظرَ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - إلى عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: "أنا حَربٌ لمَن حارَبَكم ، سِلمٌ لمَن سالَمَكم". وعن أبي سعيدٍ الخدريّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "والذي نفسي بيده ، لا يُبغِضُنا أهلَ البيتِ أحدٌ إلا أدخلَه اللهُ النارَ". وعنه - رضي الله عنه - أنّ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - قال: "فاطمةُ سيّدةُ نساءِ أهلِ الجنَّةِ ، إلا مريمَ بنتَ عمرانَ". جاء عليّ بن أبي طالب مرّةً إلى رسول الله ، وكان يريد أن يخطِبَ ابنة أبي جهل ، فاستشار النّبيَّ في ذلك ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "لا ، فاطمةُ مضغةٌ منّي ولا أحسبُ إلَّا أنَّها تحزنُ أو تجزعُ" ، فرجع عليّ عن مراده. وعن أسامة بن زيدٍ - رضي الله عنه - أنّ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - قال: "أَحَبُّ أهلي إلَيَّ فاطمةُ". وعن عبد الله بن عبّاسٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لفاطمةَ رضِيَ اللهُ عنها: "إنَّ اللهَ غيرُ معذِّبُكِ ولا ولَدِكِ". ونسأل: لماذا بكت فاطمة ثمّ ضحكت حينما كلّمها رسول الله صلّى الله

عليه وسلّم؟ لمّا حضرَ النّبيَّ - صلّى الله عليه وسلّم - مرَضَه الأخير وموته ، أخبر فاطمة - رضي الله عنها - في أذنِها أنّه سيُقبَض في مرضه هذا فبَكَت وحَزِنَت ، ثمّ أخبرها بأنّها أوّل من سيلحقه من أهله وأنّها سيّدة نساء المسلمين فضَحِكَت ، ثمّ جاءتها عائشة - رضي الله عنها - فسألتها عن الذي أضحكها وأبكاها ، فأبت أن تُخبرها بذلك ، فلمّا توفّي - صلّى الله علي وسلّم - أعادَت عليها السّؤال فأخبرتها بالأمر. ولقد ورد العديد من القصص والمواقف من حياة فاطمة رضي الله عنها ، وفيما يلي بعضٌ منها: موقف تقديم النّبيّ لرؤيتها على من سواها وقد كان رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - إذا جاء من سفرٍ ذهَبَ أول ما يذهبُ إلى بيتِ الله - جلّ وعلا - فيصلّي فيه ركعتَين ، ثمّ يجيء إلى ابنتِه فاطمةَ - رضي الله عنها - فيسلّم عليها ويجلس إليها ، وقد جاءَ مرّةً فجلسَ بعد المسجد إليها وسلّم عليها فلمّا رأت حاله شعِثًا بكت ، فأخبرها -صلّى الله عليه وسلّم - أن لا تبكِ ، فإنّ هذا الأمر سوف يتمّ. ولما حصلَ بين عليّ - رضي الله عنه - وفاطمة - رضي الله عنها - ما يحصل بين الأزواج من شجارٍ أو غضبةٍ عابرةٍ أو ما شابه ، فخرَجَ عليّ - رضي الله عنه - من البيت غاضبًا وذهب إلى بيت الله - جلّ وعلا - فنامَ فيه ، ثمّ أتى النّبيُّ - صلّى الله عليه وسلّم - إلى بيتِ عليّ وفاطمة ، فسأل فاطمةَ عن عليٍّ فلم يجده ، فتوقّع النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - أنّه قد حصل بينهما كلامٌ ، فسألها عمّا إن كان ذلكَ صحيحًا ؛ فأقرّت بذلكَ فاطمة رضي الله عنها وأخبرته أنّ عليًّا ذهب إلى المسجد. فذهبَ النّبيّ خلفه إلى المسجد فإذا هو نائمٌ على التّراب ، فأخبره عليه الصلاة والسلام أن حجرة بنت رسول الله خير له من النوم على هذا التراب ، فقامَ عليّ - رضي الله عنه - وعاد إلى بيتِه. وهذا موقف شَهادَة النّبيّ بأنّها من أهل الجنّة ، إذ دخل رسول الله - صلّى الله عليه سلّم - مرّةً إلى فاطمة - رضي الله عنها - فوجدها تلبس في عنقها سلسلةً من ذهب ، فكره النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم – ذلك ، وأخبرَها أنّها سلسلة من نّار ، ثمّ خرجَ عنها ولم يقعد ، فلمّا ذهبَ أمسكت فاطمة السّلسلة فباعتها بعبدٍ ثمّ أعتقته ، فلمّا وصلَ الخبر إلى رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - قال: "الحمدُ لله الذي نجَّى فاطمةَ من النارِ". وأيضاً موقف قصّة الكِساء التقى النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم – فلقد مرّ بفاطمة وعليّ والحَسَنَ والحُسَين فأمسّكَ كساءً وألقاه عليهم جميعًا ثمّ قال: "اللَّهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلُ بَيْتِي اللَّهُمَّ فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُم تَطْهِيْراً". ولمّا مرضَت فاطمة - رضي الله عنها - مرضها الأخير الذي توفّيَت فيه ، جاءها أبو بكرٍ الصّدّيق - رضي الله عنه - فاستأذن بالدّخول عليها ثمّ جاءها وقال: "والله ما تركت الدّار والمال والأَهلَ والعشيرةَ إلَّا ابتغاءَ مرضاة اللهِ وَرسولهِ ومرضاتكم أهل البيتِ" فذت له بالدخول! وماتت بعد موتِ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - بحوالي خمسة أشهرٍ وكان قد مضى من عمرها – رضي الله عنها - قرابة خمسٍ وعشرينَ سنة ، وقيلَ أنّها عاشت تسعًا وعشرين سنة والأوّل هو الأصحّ. وقد كانت - رضي الله عنها - أصغرَ سنًّا من ابنتي النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم - زينب زوجِ أبي العاص ورقيّة زوجِ عثمان بن عفّان - رضي الله عنهم جميعًا - ، وقد انقطَعَ نسلُ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - إلّا منها ، وذاكَ أنّ كلّ من ولدَ من غيرها من بنات رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - توفّي. وقد ماتت فاطمة - رضي الله عنها - في ليلةِ الثّلاثاء ، فغسّلها زوجها وأسماء بنت عميس - رضي الله عنهما - وصلّى عليها عمّ أبيها العبّاس بن عبد المطّلب - رضي الله عنه - ونزلَ في قبرها مع عليّ بن أبي طالب والفضل - رضي الله عنهم جميعًا - ودُفِنَت ليلًا. وقد ورَدَ أنّ فاطمة - رضي الله عنها - بثّت شكواها إلى أسماء بنت عميس يومًا ، وهي أنّ النّساءَ عندما تؤخذ إلى الدّفنِ يكون الكفن مجسّمًا لها فيَصِفُها وكانت تكره أن يوصف

جسمها عندما تموت ، فنقلَت لها أسماء بنت عميس ـ رضي الله عنها ـ ما رأته بالحبَشة ، وهو أنّ الميّتَ حينما يكفّن توضع عليه جرائد رطبةً محنّاةً فلا تبدو تعاريج جسدِه ، فسُرّت لذلكَ فاطمة وأوصت أسماء أن إن مِتُّ فغسّليني مع عليٍّ ولا تسمحي لأحد أن يدخل. فلمّا توفّاها الله ـ جلّ وعلا ـ جاءَت عائشة أمّ المؤمنين ـرضي الله عنها ـ لتساعد في تغسيلها فلم تسمح لها أسماء بالدّخول إليها ، فتعجّبت لذلكَ عائشة وشكتِ الأمرَ إلى أبيها أبي بكرٍ ، فأتى إلى أسماء فقالت أنّ فاطمة أوصت بذلك ، فعاد أبو بكر ، فكانت ـ رضي الله عنها ـ بذلكَ أوّلَ من يُغطّى نعشها في الإسلام).هـ. وعموماً لفاطمة مناقب ومواقف رائعة لا تعد ولا تحصى! ولقد وقف رواة المغازي والسير وكُتاب التراجم والمؤرخون ومدونو التاريخ عند هذه الشخصية العظيمة طويلاً ، وخرجوا لنا بأخبار موثقة وصحيحة وحسنة تدل على أن فاطمة كانت شخصية ذات شأن عظيم وصيت حسن! وأما الدكتور راغب السرجاني فقد أورد أخباراً أخرى عن فاطمة في (قصة الإسلام) نورد منها: (فاطمة الزهراء بنت رسول الله كانت تُكنى أم الحسن وأم الحسين ، وكانت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ أصغر بنات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ إذ كانت زينب الأولى ، ثم الثانية رقية ، ثم الثالثة أم كلثوم ، ثم الرابعة فاطمة الزهراء. وفي قصة زواجها يقول علي بن أبي طالب ـ رضي الله سبحانه وتعالى عنه ـ: خطبت فاطمة إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقالت لي مولاة لي: هل علمت أن فاطمة خطبت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟ قلتُ: لا. قالت: فقد خطبت ، فما يمنعك أن تأتي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيزوِّجك. فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟! فقالت: إنك إن جئت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زوَّجك. فوالله ما زالت ترجِّيني حتى دخلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكانت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جلالة وهيبة ، فلما قعدت بين يديه أفحمت فوالله ما أستطيع أن أتكلم ، فقال: "ما جاء بك ، ألك حاجة؟" فسكتُ ، فقال: "لعلك جئت تخطب فاطمة؟" قلت: نعم. قال: "وهل عندك من شيء تستحلها به؟" فقلت: لا – والله ـ يا رسول الله. فقال: "ما فعلت بالدرع التي سلحتكها". فقلت: عندي والذي نفس عليٍّ بيده ، إنها لحطمية ما ثمنها أربعمائة درهم. قال: "قد زوجتك ، فابعث بها ، فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله". وكانت أشبه الناس بأمها خديجة ، فلما ماتت كانت تقوم مقام أمها في تخفيف الآلام والأحزان عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وتساعده في شئون حياته ومعيشته ، حتى بعد زواجه وزواجها رضي الله عنها. وكانت ـ رضي الله عنها ـ تستعين به وتستشيره ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قضاء حوائجها ، لعلمها بأنه سيخفف عنها ويدلها على الخير ؛ وفي ذلك يروي زوجها علي ـ رضي الله سبحانه وتعالى عنه ـ فيقول: شكت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ ما تلقى في يدها من الرَّحَى ، فأتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تسأله خادمًا فلم تجده ، فذكرت ذلك لعائشة ، فلما جاء أخبرته. قال علي ـ رضي الله تعالى عنه ـ: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا ، فذهبت أقوم فقال: "مكانك". فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري ، ثم قال: "ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما فكبرا ثلاثًا وثلاثين ، وسبحا ثلاثًا وثلاثين ، واحمدا ثلاثًا وثلاثين ، فهذا خيرٌ لكما من خادم". وفي مشهده الأخير ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو على فراش الموت ، كان لها هذا الموقف المؤثر ، يقول أنس ـ رضي الله سبحانه وتعالى عنه ـ: لما تغشى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكرب ، كان رأسه في حِجْر فاطمة ، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرباه يا أبتاه! فرفع رأسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال: "لا كرب على أبيك بعد اليوم يا فاطمة". ومن مواقف فاطمة الزهراء مع

الصديق أبي بكر وذلك حين توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجاءته تطلب إرثها ؛ فعن أبي الطفيل قال: جاءت فاطمة - رضي الله عنها - إلى أبي بكر - رضي الله سبحانه وتعالى عنه - ، فقالت: يا خليفة رسول الله ، أنت ورثت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أم أهله؟! قال: بل أهله. قالت: فما بال سهم رسول الله؟ قال: إني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إذا أطعم الله نبيًّا طعمة ثم قبضه جعله للذي يقوم بعده" ، فرأيتُ أن أردَّه على المسلمين. فقالت: أنت ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعلم. لقد كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - المعلم والمربي تأثيرٌ كبيرٌ في شخص ابنته فاطمة رضي الله عنها ، فمن يوم أن جاء جبريل بقوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} ، قام - صلى الله عليه وسلم - وقال: "يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئًا ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا ، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئًا". ويُروى عن عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت إذا ذُكرت فاطمة بنت النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قالت: "ما رأيت أحدًا كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها". وإذا كان مربيها - صلى الله عليه وسلم - أشد حياءً من العذراء في خدرها ، فكيف نتوقع أن تكون هي رضي الله عنها؟! فلقد بلغ من شدة حيائها - رضي الله عنها - أنها كانت تخشى أن يصفها الثوب بعد وفاتها ، وأنها استقبحت ذلك كثيرًا حتى جعلت لها أسماء بنت عُمَيْس - رضي الله عنها – نعشًا ، وهو أول ما كان النعش آنذاك. ثم الأكثر من ذلك أنها - رضي الله عنها - أمرت أسماء أن تغسّلها هي وزوجها علي فقط ، وأن لا تُدخِل عليها أحدًا ، فكانت - رضي الله عنها - أول من غُطِّي نعشها من النساء في الإسلام. وهي - رضي الله عنها - وإن كانت تعلم أنها بنت سيد المرسلين وخاتم النبيين وسيد ولد آدم - لم تطمع في الحياة ، ولم تطمح نفسها إلى الخيال بالعيش الراغد والحياة الهنيئة ، بل إنها قد ضُرب بها المثل في زواجها اليسير المهر ، القليل المؤنة ، فقد كان مهرها درعًا ، وأساس متاعها ما هو إلا سرير مشروط ، ووسادة من أَدَمٍ حَشْوُها ليفٌ ، وقِرْبة. وبعد زواجها - رضي الله عنها - عاشت حياة بسيطة متواضعة ، فهي تطحن وتعجن خبزها بيديها مع إدارة كافة شئون بيتها الأخرى ، إضافةً إلى واجبات زوجها عليها كما تعلمتها في بيت أبيها - صلى الله عليه وسلم -. ولا يستغرب إذن على مثل هذه الشخصية العظيمة أن يورد في فضلها الكثير من الأحاديث والروايات التي تبرز مكانتها - رضي الله عنها - في هذه الأمة ، وكان من هذا ما يلي: أولاً: أحب أهل رسول الله إليه! فعن أسامة بن زيد - رضي الله سبحانه وتعالى عنه - قال: كنت في المسجد فأتاني العباس وعليّ فقالا لي: يا أسامة ، استأذن لنا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. فدخلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - فاستأذنته فقلت له: إن العباس وعليًّا يستأذنان. قال: "هل تدري ما حاجتهما؟" قلت: لا والله ما أدري. قال: "لكني أدري ، ائذن لهما". فدخلا عليه فقالا: يا رسول الله ، جئناك نسألك ، أي أهلك أحب إليك؟ قال: "أحب أهلي إليَّ فاطمة بنت محمد". فقالا: يا رسول الله ، ليس نسألك عن فاطمة ، قال: "فأسامة بن زيد الذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه". ثانياً: أنها شجنة من رسول الله! فعن المسور بن مخرمة - رضي الله سبحانه وتعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إنما فاطمة شجنة مني ، يبسطني ما يبسطها ، ويقبضني ما يقبضها". ثالثاً: أنها من خير نساء العالمين! فعن أنس بن مالك - رضي الله سبحانه وتعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - : "خير نساء العالمين: مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون". ومن الأحاديث التي روتها فاطمة الزهراء عن أبيها - صلى الله عليه وسلم - أنها قالت: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا دخل المسجد قال: باسم الله ، والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرج قال: باسم الله ، والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك").هـ. ومن هنا استحقت فاطمة الزهراء بنت رسول الله – رضي الله عنها وصلى وسلم وبارك على أبيها – هذه البردة الشعرية! والتي تعتبر سادس بُرداتي الشعرية المباركة الميمونة! وإن مائة وأربعة وخمسين بيتاً من الشعر العربي الموزون المقفى على البحر البسيط ليست كثيرة على حبيبتنا وابنة حبيبنا سيدة نساء أهل الجنة وأم سيدي شباب أهل الجنة وأم أبيها فاصمة الزهراء بنت محمد – رضي الله تعالى عنها وصلى وسلم وبارك على أبيها -!)

غنى القريضُ بصوتٍ سامر النغمِ ... مُرَجّعاً أعذبَ الألحان بالرَنِمِ

وللبيان صَدىً يُشْجي مَسامعَنا ... يكادُ يُسْمعُ مَن عانى مِن الصَمَم

ناهيكَ عن طرب البديع ، رونقُه ... يُزيلُ ما في سُوَيدا القلب مِن سأم

وللإبانة ترجيعاتُ مُبتهل ... قد حبّرَ النصَ في شوق وفي نهم

وللفصيح بساح الشعر عَذبُ شدىً ... يفوحُ بالمسك مِن أزهاره الفغم

وللأغاريد في الألفاظ بعضُ غِنا ... تُغّني طلاوتُه عن وافر النغم

والهمسُ يُرسلُ للإيقاع هينمة ... وقد يُردِدُها شاكٍ من البَكَم

وللقصيدة قطفٌ من بلاغتها ... تَسبي حِجا الذائق المستبصر الفَهِم

وللبسيط ترانيمٌ تليقُ بهِ ... إيقاعُه ضاق بالقرطاس والقلم

حتى نقدّمَ للزهراء بُردتَها ... في حُلةٍ صُبغت بالورس والعَنم

نُجلُ قدْرَكِ يا زهراء عن رغب ... فإن قدرك سام بالغ العِظم

ولا نخصك بالألقاب بالغة ... جو السما عَفة السيماء في شَمَم

ولا نسوقُ لكِ الألقابَ لامعة ... يكفيك أنكِ بنتُ (المصطفى الهشم)

كَمُلتِ خَلقاً وخُلقاً يا أميرَتنا ... أبوكِ أشرفُ من سعى على قدم

زهراءُ أنتِ بكِ الأوصافُ ساطعة ... كالشمس تَذهبُ بالظلام والغسم

مكية أصلها سام ومَحْتِدُها ... بين الخصوص زكتْ في الأصل والعَمَم

ومـــن قـــريش فـــذي أرجـــى النســـا نســـباً ... بـــالخير قـــد عُرفـــتْ فـــي كـــل مصـــطدم

مـــن آل هاشـــمَ مَـــن فـــي النـــاس يُشْـــبههم ... تســـنموا المجـــدَ فـــي الأعـــراب والعجـــم

أســـمى الفخـــار لإســـماعيل نســـبتها ... هـــذا انتســـابٌ ســـما فـــي قـــدْره الســـنم

والأم فـــي طهرهـــا والمجـــد واحـــدة ... تفـــرّدتْ وحـــدها فـــي الكُمّـــل العُصُـــم

(خديجـــة) الخيـــر نـــورٌ فـــي غياهبنـــا ... عظيمـــة العـــز والأوصـــاف والسِـــيَم

فمـــن تُضـــارعُ فـــي الأمجـــاد (فاطمـــة) ... وإن سِـــيرتها جلـــتْ عـــن الـــتُهُم

قصـــيدتي عنـــكِ تُشـــجيني وتمنحُنـــي ... وســـامَ فخـــر رفيـــعَ القـــدر والسِـــيم

(ابـــنُ الســـليمان) يـــدنو منـــكِ ســـيدتي ... مســـتلهماً دُررَ العلـــوم والقـــيم

فناوليـــه مـــن الأخبـــار أصـــدقها ... ومـــن حـــديث أبيـــك الخاشـــع الحَشِـــم

وعلمينـــا الـــذي عُلمـــتِ مـــن رشـــدٍ ... فمـــن تفقـــهَ فـــي الإســـلام يســـتقم

أحبـــكِ (المصـــطفى) محبـــة عظمـــتْ ... فلـــيس ينعتُهـــا ســـيلٌ مـــن الكلـــم

وعشـــتِ ســـيدة يعـــز ســـؤدَدُها ... وإن تكـــنْ ظهـــرتْ فـــي ســـالف الأمـــم

وجـــاء (صِـــدّيقُنا) للمصـــطفى عَجِـــلاً ... يريـــدُ خِطبـــة ذاتِ الحُســـن والـــرَحِم

هـــو ابـــنُ عـــم إذا عُـــدنا لنســـبتهِ ... أكـــرمْ بشـــهمٍ مـــن الأصـــحاب محتـــرم!

وجـــاء (فاروقنـــا) لِمَـــا (العتيـــقُ) أتـــى ... كـــلٌ يريـــدُ جـــوارَ المصـــطفى الهشِـــم

فـــردَ كـــلاً ، ولـــم يـــذكرْ مُبـــررَهُ ... وإن كـــلاً لـــذو رأي وذو فَهُـــم

كـــذا (علـــيٌ) أتـــى يومـــاً ليخطِبهـــا ... بـــنص قـــول مِـــن الغمـــوض مُـــنعجم

ورغـــم بُلغتـــهِ أوْمـــا بطِلبتـــه ... فوافـــقَ المصـــطفى بالســـيد العَلَـــم

وقـــال: أيـــن الصـــداقُ الشـــرعُ يفرضـــهُ ... فكـــان أصـــدقها بدرعـــه الحُطمـــي!

كـــان البنـــاءُ بهـــا بعـــد انتهـــا (أحُـــدٍ) ... طـــابَ البنـــاءُ علـــى مِنهاجـــه اللقِـــم

لا رقـــصَ لا عُـــريَ ، لا اســـتهتارَ ، لا فِرَقـــاً ... ولا اختلاطـــاً ، ولا شـــيئاً مـــن الـــنغم!

لكنـــهُ العُـــرسُ قـــد جلـــتْ مباهجُـــهُ ... عـــن أن تُخـــالفَ شـــرعَ الواحـــد الحكـــم

وعشـــتِ زوجـــاً تحـــبُ الـــزوج طيعـــة ... ومـــن تُطـــعْ زوجَهـــا تفـــز وتغتـــنم

فكـــم عجنـــتِ عجينـــاً دونمـــا نصـــب! ... وكـــم خـــدمتِ عيالـــكِ أعظـــمَ الخِـــدَم!

وكـــم غســـلتِ ثيابـــاً غســـلَ مُتقنـــةٍ! ... وكـــم طبخـــتِ ، فطـــارت ألســـنُ الأيُـــم!

وكـــم كنســـتِ فنـــاءَ الـــدار دون عنـــا ... حســـنُ التبعـــل يُبلـــي السِـــتَ بالســـقم

ولـــيس فـــي الـــدار يـــا زهـــراءُ خادمـــة ... وكـــم بيـــوتٍ شـــكتْ جـــرائمَ الخَـــدم!

لكـــنْ مُحـــالٌ دوام الحـــال ، نحـــن هنـــا ... للابـــتلاء ، ومَـــن يأبـــاه ينقصـــم

لـــذاك جئـــتِ رســـولَ الله شـــاكية ... مِـــن التكـــاليف تُبلِـــي الجســـمَ بـــالألم

تـــرجين مَـــن يخـــدمُ العيـــالَ ، خـــدمتُهم ... أمســـت تُصـــيبُكِ بـــالهُزال والوَصَـــم

فقـــال: ذكـــرُكِ رب النـــاس منقبـــة ... تُغنيـــكِ عـــن خدمـــة الأنـــاس كلهـــم

فكبّـــري ربـــك الـــرحيم فـــي وجـــل ... وســـبّحي تحصـــدي جلائـــلَ الـــنعم

ثـــم احمـــدي الله أن أصـــبحتِ مســـلمة ... هـــل نعمـــة فـــي الـــدنا كنعمـــة الســـلم؟

وهللـــي واتقـــي وحـــوقلي أبـــداً ... وحـــولقي ، واشـــكري لله فـــي نهـــم

يكفيـــكِ ربـــكِ مـــا تشـــكين مـــن تعـــب ... ومَـــن تُـــردْ فرجـــاً بـــالله تعتصـــم

فعُـــدتِ للـــدار ، والأذكـــارُ تُتْحفهـــا ... ومَـــن تُـــردْ ســـعة بالـــذكر تلتـــزم

وبعـــد حـــين رأى (علـــيُ) رؤيتـــه ... أراد أخـــرى علـــى الإيمـــان والســـلم

يريـــد (عَمْـــراً) لـــه صِـــهراً بـــلا وجـــل ... مـــن أن يَصـــيبَكِ يـــا زهـــراءُ بالســـدم

هـــل بنـــتُ (عَمْـــر) لهـــا صِـــيتٌ ومَكرُمـــة ... تفـــوقُ (فاطمـــة) أيـــا ذوي الحُلَـــم؟

هـــل بنـــتُ (عَمْـــر) لهـــا حُســـنٌ تـــدِل بـــه ... كحُسْـــن (فاطمـــةٍ) أيـــا ذوي الفَهُـــم؟

هـــل بنـــتُ (عَمْـــر) لهـــا بـــين الـــورى نســـبٌ ... يومـــاً عـــلا نســـبَ (الزهـــراء) فـــي النســـم؟

هـــل بنـــتُ (عَمْـــر) لهـــا فـــي العِلـــم منزلـــة ... تفـــوقُ منزلـــة (الزهـــراء) فـــي العُصُـــم؟

وهـــل مصـــاهرة النبـــي مُشـــبهة ... يومـــاً مصـــاهرة الأشـــقى (أبـــي الحكـــم)؟

أيــن العقــولُ تعــي؟ أيــن العيــونُ تــرى؟ مَــن قــال: إي فسـفيةٌ فـي الـورى وعمـي

فقـــاومَ (المصـــطفى) غيظـــاً يُزلزلـــهُ إذ حبُـــه ابنتَـــه فـــي حالـــه الـــتمم

وراحَ يخطـــبُ فـــي الجميـــع خطبتـــهُ بخيـــر لفـــظٍ مِـــن البيـــان مُنحســـم

يقـــول: كـــلا ورب النـــاس مـــا قبلـــتْ نفســـي! ففاطمـــة منـــي وبعـــضُ دمـــي!

يـــا (ابـــنَ أبـــي طالـــبٍ) فطلـــقْ ابنتنـــا والصِـــهرُ يُلغـــى ، وتبقـــى ربقـــة الـــرَحِم

وبنـــتُ أعتـــى عبـــاد الله مـــا جُمعـــتْ ببنـــت (أحمـــدَ) فـــي مَرابـــع الخِـــيَم

مَـــن أســـعدَ الغـــادة (الزهـــراء) أســـعدني ســـعادة غمِـــرتْ بالحـــب والعَشَـــم

ومَـــن يكـــن فعـــل الأشـــياءَ تُغضِـــبُها أراهُ أغضـــبني ، وخـــاب مـــن خَصِـــم!

فـــاخترْ لنفســـك يـــا علـــيُ خِيرتهـــا وأنـــت شـــهمٌ ، وذو رأي ، وذو حِكَـــم

فوفـــقَ الله للحُســـنى (أبـــا حســـن) لأن فـــي قلبـــه بئـــراً مـــن الـــرُحُم

ولـــم يُعـــددْ علـــى العصـــماء (فاطمـــةٍ) ببنـــتِ (عَمْـــر) يُطفـــي شَـــبّة الضـــرم

لمّـــا يُطِـــقْ غضـــب (الغيْـــرى) ، فـــرق لهـــا إغضـــابُها عنـــده لـــونٌ مـــن الجُـــرُم

(صـــديقة) أنـــتِ يـــا فضـــلى وســـيدة وطِيـــبُ أصـــلكِ بـــادٍ غيـــرُ مُنـــبهم

وعشـــتِ مـــا عشـــتِ فـــي الـــدنيا (مباركـــة) وخيـــر (طـــاهرةٍ) بـــين النســـا العُصُـــم

أنـــتِ (الزكيـــة) فالزكـــاءُ صـــنعتُها كـــم أنقـــذتْ فِطنـــة مـــن حالـــكِ الإزم!

وأنـــتِ (أم أبيهـــا) يـــا لـــه لقبـــاً! يَـــزينُ (فاطمـــة) بـــالمظهر الســـنم

أنـــتِ (البتـــولُ) ، فللعبـــادة انقطعـــتْ ومـــن تعـــشْ للهُـــدى فـــي النـــاس تُحتـــرم

أســـماؤكِ انتظمـــتْ ، طـــوبى لمُطلقِهـــا دقـــتْ كحبـــات عِقـــدٍ غيـــر منفصـــم

إن اســـم (فاطمـــةٍ) معنـــاه: قـــد مُنعـــتْ ســـليلة العِـــز مـــن دخولهـــا الجَحَـــم

كـــان النبـــي – علـــى التحقيـــق - ألهِمَـــهُ مـــن المليـــك الإلـــه الواحـــد الحكـــم

رعيـــتِ شـــأن أب مـــن بعـــد زوجتـــه أعنـــي (خديجـــة) سِـــتَ العـــز والكـــرم

فكنـــتِ أمـــاً وبنتـــاً والرفيـــقَ لـــه ... مـن بعـد مـا قيـلَ عطـف الـزوج لـم يـدم!

عَوّضْـــتِهِ كـــل حرمـــان يغـــصُ بـــهِ ... فـــي عـــالم الثكـــل ، فـــي دغـــاول القحـــم

فكنـــتِ خيـــرَ نســـاء الجنـــة ، ابتشـــري ... يـــا ربـــة الجـــود والإخـــلاص والشـــيم

وكنـــتِ أشـــبهَ بالهـــادي محمـــدنا ... فـــي الشـــكل والســـمت والأخـــلاق والقِـــيم

وكنـــتِ أشـــبه بالفضـــلى (خـــديجتنا) ... ومـــا لفاطمـــةٍ - فـــي العـــالمين - ســـمي!

ومنـــك أبقِـــيَ نســـلُ (المصـــطفى) كرمـــاً ... مِـــن المهـــيمن نســـلاً غيـــرَ مصـــطلم

وكنـــتِ دافعـــتِ عـــن أبيـــكِ تكرمـــة ... لمـــا رفعـــتِ سَـــلا الجَـــزور فـــي شَـــمم

طـــلاقَ أختيـــكِ قـــد شـــهدتِ باكيـــة ... علـــى مصـــير يُصـــيب القلـــبَ بـــالنقم

ومـــوتُ أمـــكِ بلـــوى لا يُعوّضُـــها ... جميـــعُ مـــن خلفهـــا مـــن أطيـــب الـــرَحم

ومـــوتُ إخوتـــكِ الـــذكور كارثـــة ... عانيـــتِ – والله – مـــن مصـــائبٍ دُهُـــم

ويـــومَ هـــاجرتِ كانـــت محنـــة دمِعـــتْ ... لهـــا العيـــونُ بـــدمع جـــد منســـجم

كـــف (الحُـــويرث) بـــالبعير قـــد مســـكتْ ... حتـــى وقعـــتِ علـــى الحصـــباء والأكـــم

لـــو خيّـــرتْ كفـــه الشـــلاءُ مـــا قبضـــتْ ... بكـــل قوتهـــا يومـــاً علـــى اللجُـــم

لكنـــه الحقـــدُ يغلـــي فـــي قلـــوب غثـــا ... والـــبغضُ يَختـــرمُ الأفـــواهَ كـــالأيُم

ســـقطتِ يـــا زهـــرة القلـــوب مُكرهـــة ... حتـــى جُرحـــتِ أســـىً يـــا غـــادة الفطـــم

وســـال دمعـــكِ فـــوق الجـــرح مبتئســـاً ... فعـــالج الـــدمعُ جرحـــاً ثاعبـــاً بـــدم!

نقـــولُ ذاك لمـــن ظنـــوكِ خارقـــة ... مـــن كـــل غِـــر ســـفيهٍ جاهـــلٍ قـــزَم

يـــدعوكِ مـــن دون رب النـــاس فـــي كُـــرَب ... لتكشـــفي عنـــه مـــا يَلقـــى مـــن الـــنقم

وآخـــرون لهـــا بـــذلوا توســـلهم ... مـــن كـــل كهـــل - بـــدا خِبـــاً - ومحـــتلم

وآخـــرون لهـــا نحـــروا ذبـــائحهم ... شـــأنَ الألـــى ذبحـــوا للصـــخر والصـــنم

والـــبعضُ قـــالوا بـــأن الغيـــبَ تعلمُـــه ... بهـــا يـــزولُ الـــذي استعصـــى مـــن الغمـــم

والـــبعضُ قـــالوا: لهـــا التشـــريعُ منفـــتحٌ ... مصـــراعُه فلتحـــلّ مـــا شـــاءتْ مـــن الحُـــرُم

وللحسين الذي قالوا بفاطمةٍ ... كذاك أسلافهم هبوا لسفك دم

وآل بيت رسول الله قد برئوا ... من الضلال بدا مستبشعَ العِظم

نعود للغادة الشهباء (فاطمةٍ) ... إذ إنها جُرحتْ في مأزق وخم

هذا (عليٌّ) أتى لثأره بطلاً ... من (الحُويرث) ذاك الظالم الغشم

أبدى الفروسية الرعنا على امرأةٍ ... تاللهِ ما عُهدتْ في العُرْب والعجم

لذا (عليٌّ) بسيف الحق بارزهُ ... فحز جيدَ العتي الفاجر الغلم

ويومَ أغضبتِ في أمر (أبا حسن) ... فنام في مسجد (المختار) عن أمم

وجاءه (المصطفى) يذم نومته ... بكِلمةٍ أشرقتْ بهيبة الحَكَم

لبيتُ (فاطمة) خيرٌ لسيدها ... مِن نومه غاضباً في الحل والحرم

وكان يبدأ (مولانا) بمنزلها ... إن حل من سفر ، أو جاء من (إضَم)

كأنها سُنة باتت مؤكدة ... من النبي العظيم الواصل الرحم

تاللهِ ما ظلمَ (الصِديقُ) فاطمة ... كما يصورُ أهلُ الزور والغشم

ولم يضم إلى أملاكه (فدَكاً) ... ولا البيوتَ ، ولا بقية الأجُم

لأنه نفذ الوصية اشتُرعتْ ... وما تجاوزَ في الحقوق والقِسَم

لكنه الافترا تُلقيهِ شرذمة ... كما تلوكُ الشطا قواطعُ البُهُم

قالت: ورثت النبي أم لعترته ... تكون تِرْكته؟ فردّ كالحَكَم

قال النبي لنا: تصدقوا بالذي ... تركتُه إذ غدا مِلكاً لذي السلم

فذيلتْ قولها بالفصل (فاطمة) ... بحكمةٍ لمعتْ كساطع النُجُم

أراكَ والمصطفى أدرى بمسألةٍ ... بانت لمستبصر يدري وكلِ عمي

أين التجاوز كي يُقال جرّدَها ... من الحقوق أيا شراذم الغنم؟

هل ذاقتِ الفقرَ يوماً في خِلافته؟ ... وهل دهى عيشَها سيلٌ من العرم؟

قولـــوا الحقيقـــة يـــا غوغـــا (مســـيلمة) مَـــن يظلـــم النـــاس منـــه الله ينـــتقم

ملأتـــمُ الكـــونَ تزييفـــاً وسفســـطة ومَـــن يـــزورْ يمـــتْ غيظـــاً وينهـــزم

مظلومـــة قلـــتمُ (الزهـــراءُ) مـــا نصـــرتْ ومَـــن يُزيـــفْ رشـــادَ النـــاس يَجتـــرم

وزدتـــمُ الشـــعر بيتـــاً لا أســـاس لـــه إذ قلـــتمُ: ضـــربَ (الصـــديقُ) بالشـــكُم!

هـــل مـــدّ (صـــديقنا) شـــكيمة بيـــدٍ؟ وهـــل (أبـــو بكرنـــا) مـــن الـــدماء ظمـــي؟

أيـــن الـــدليلُ؟ وكيـــف العقـــلُ يقبلهـــا؟ مَـــن غـــابَ برهانُـــه للعقـــل يحـــتكم

واللهِ لا عقـــل فـــي التنظيـــر يُســـعفكم ولا دليـــل أتـــى مِـــن نـــاطق بفـــم

كُفـــوا عـــن الكِـــذب ، إن الله مطلـــعٌ وجُـــرحُ كِـــذب الخزايـــا غيـــرُ ملتـــئم

ويـــومَ جئـــتِ بجيـــدٍ فيـــه سلســـلة فـــذمّها (المصـــطفى) بـــالنص فـــي عشـــم

فـــإذ بفاطمـــةٍ تبيعُهـــا طلبـــاً لمـــا تؤمـــلُ عنـــد الواحـــد الحكـــم

وأعتقـــتْ عبـــدَها بالمـــال فـــي يـــدها فسُـــر (أحمـــدُ) مـــن أميـــرة (الفطـــم)

وقـــال: أنقـــذها المليـــك مـــن ســـقر والوجـــه ممـــا أتتـــه جـــد مبتســـم

وخصـــكِ (المصـــطفى) بالســـر يودعُـــه لمـــا أحـــس بلقيـــا الله ذي الـــنعم

نعـــى إليـــكِ رحـــيلاً جـــاء موعـــدُه حتـــى بكيـــتِ بُكـــا ثـــاوٍ ومـــنفحم

وقـــال: أنـــتِ بـــه بـــالقرب لاحقـــة فعـــاودتْ بســـمة خُصـــتْ بخيـــر فـــم

وكنـــتِ أوصـــيتِ (أســـماءَ) وصـــيتها وللوصـــية أقـــوامٌ ذوو همـــم

مُغســـلوكِ همـــا الاثنـــان وحـــدهما (أســـماءُ) ثـــم (علـــيٌ) خِيـــرة الـــرَحِم

ومِـــتِ يـــا غـــادة النســـاء إذ أجـــلٌ أتـــى ، وذي سُـــنة الـــديان فـــي النسَـــم

وأقبلـــتْ تنشـــدُ التغســـيلَ (عائشـــة) لكـــنّ (أســـماءَ) ردتْهـــا بـــلا نـــدم

قالـــت: ورب الـــورى هـــذي وصـــيتها لا تحزنـــي أمنـــا ، كـــلا ، ولا تهمـــي

جـــاؤوكِ بـــالنعش يـــا زهـــراءُ مؤتلقـــاً بـــرغم دفـــن جـــرى فـــي حُلكـــة الظلـــم

(علـــيُ) و(الفضـــلُ) قـــد دفنـــاكِ وحـــدهما بـــدمع عـــين علـــى الخـــدود منســـجم

فـــداكِ أمـــي أيـــا (زهراءنـــا) وأبـــي ... مـــا جـــادتِ السُـــحْبُ فـــوق الأرض بالـــديَم

أرضـــاكِ ربـــكِ يـــا (زهـــراءُ) مـــا بقيـــتْ ... ســـما وأرض بـــذا الإصـــباح والغســـم

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

القريض: الشعر. سامر: مطرب. مرجّعاً: مردداً. الرنم: الترنم بالصوت. يُشجي: يطرب. رونقه: جماله. سأم: ملل. حبر النص: أجاد إنشاده. نهم: اشتياق شديد. شذى: رائحة. أزهار فغم: شديدة الرائحة الجميلة. يفوح: ينتشر. طلاوته: حلاوته وعذوبته. هينمة: الهمس الخفي. تسبي: تستلب وتسرق. الفهِم: الفاهم المدرك. البسيط: هو البحر العروضي البسيط. القرطاس: الورقة يُكتب عليها. الزهراء والطيبة والمباركة والزكية وأم أبيها والصديقة والطاهرة والبتول والمرضية: كلها أسماء وألقاب لفاطمة بنت محمد – رضي الله عنها وصلى وسلم وبارك على أبيها -. الورس: نبات أحمر يستخدم لتلوين الملابس الحريرية. العنم: الحناء. نجلّ: نعظم. شمم: عُلو. الغسم: شدة الظلام. مكية: من مكة. مَحتدها: أصلها. الخصوص: خاصة الناس. العَمَم: عوام الناس. في كل مصطدم: أي طريق! هاشم: جد النبي – صلى الله عليه وسلم -. تسنموا: عَلوْا وارتفعوا. العجم: غير العرب. إسماعيل: هو إسماعيل بن الخليل إبراهيم - عليهما السلام -. السَنِم: العالي المرتفع. الكُمل: الكوامل. العُصُم: جمع عصماء وهي المرأة ذات الشرف والعفة والأصل. خديجة: هي خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها - زوج النبي – صلى الله عليه وسلم -. غياهب: ظلمات. السيم: العلامات. تضارع: تشبه. ابن السليمان: هو الشاعر الذي كتب هذه البردة الفقير إلى عفو ربه تعالى أحمد علي سليمان عبد الرحيم. يدنو: يقترب. دُرر: قطع اللؤلؤ أو الذهب. الحشِم: ذو الحشمة والاحترام والوقار. سؤدد: أصل وشرف. الصِدِيق والعتيق: هو أبو بكر الصديق – رضي الله عنه -. الرُحُم: الرحمات. الفاروق: هو عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -. جوار: مجاورة والمراد هنا مصاهرة النبي – صلى الله عليه وسلم -. الهشِم: أي من بني هاشم. منبهم: أي مبهم غير واضح. طِلبته: طلبه ومُبتغاه. الصداق: المهر. البناء: الزواج. اللقم: المستقيم. لا فرقاً: أقصد الفِرق الجاهلية المصحوبة في الأفراح الجاهلية ومعها راقصاتها وآلاتها الموسيقية وأغانيها الماجنة نعوذ بالله من شياطين

الإنس والجن. تغتنم: تفوز بالغنائم والمكاسب. نصب: تعب. الخِدم: جمع خدمة. الأيم: جمع إيام وهو دخان النار. التبعل: خدمة الزوج وعياله. يبلي: يصيب. السقم: المرض. الهزال: الضعف. الوصَم: الحزن. هللي: قولي لا إله إلا الله. احمدي: قولي الحمد لله. حوقلي وحولقي: أي قولي لا حول ولا قوة إلا بالله. تعتصم: تتمسك. تتحفها: تجملها. السلم: الإسلام. عَمْر وأبو الحكم: هو أبو جهل – لعنة الله عليه وعلى آباء الجهل من أمثاله قديماً وحديثاً -! السَدَم: شدة الحزن والكرب. بنت عَمْر: أي ابنة أبي الحكم بن هشام (أبي جهل). ذوي الحُلُم: أصحاب الأحلام أي العقول. تدل به: تتدلل وتتبختر. ذوي الفُهُم: أصحاب الفهوم. الورى: الخلق. النساء العُصُم: أي المحترمات ذوات الحسب والنسب والأصل الطيب. ابن أبي طالب: هو علي بن أبي طالب – رضي الله عنه -. ربقة: رابطة. الخِيَم: أي الخيام. الغادة: المرأة الجميلة. غمرتْ: ملأتْ. خصِم: أي ند وخِصم. خِيرتها: اختيارها. شبة الضرم: توهج النار. الغيرى: التي تغار والمقصود فاطمة الزهراء. الجُرُم: الجرائم. فطنة: زكاء. حالك الإزم: المصائب الثقيلة العاتية. البتول: المنقطعة لعبادة ربها. منفصم: مقطوع. الجحم: الجحيم أو النار. ست: امرأة ، وهي كلمة مظلومة يظنها الناس عامية وهي من الفصيح ، والعرب لا تطلق كلمة ست إلا على المرأة الأصيلة ذات الحسب والنسب ولأصل! يغص: يضيق. ربة: صاحبة. الشيم: الخلال الكريمة. السمت: الطبع. سمي: مثيل أو شبيه. المهيمن والواحد والحكم والديان والرحيم والرحمن والإله والرب: كلها من أسماء الله تعالى الحسنى. الثكل: الفقد. دغاول: مصائب. القحم: البلايا. مصطلم: منبت مقطوع. سلا الجزور: أمعاء البعير. طلاق أختيك: أعني طلاق أم كلثوم ورقية من ابني أبي لهب. موت إخوتك الذكور: أعني موت أبناء النبي – صلى الله عليه وسلم – عبد الله والقاسم وإبراهيم. منسجم: يسيل بشدة. الحويرث: هو الحويرث بن عبد العزى. الحصباء: الحجارة الصغيرة. الأكم: الصخور. اللجم: جمع لجام وهو حبل الدابة. الفطم: أي الفواطم وهو جمع فاطمة. ثاعباً بدم: يسيل الدم منه بشدة. خارقة: امرأة تأتي الخوارق التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى. النقم: المصائب العاتية. نحروا: ذبحوا. الألى: الذين. الغمم: جمع غمة وهي الكرب الشديد. مصراعه: أي مجاله. الحُرُم: أي الحرمات. الحسين والحن: هما ابنا فاطمة الزهراء من علي بن أبي طالب – رضي الله عن الجميع -. آل بيت رسول الله: هم أزواجه وأبناؤه وكل من آمن به ولقي الله على ذلك رآه أو لم يره منذ بعثته إلى يوم القيامة ، وهذا التعريف ليس لي بل أخذته من شيخي وأستاذي محمد بن صالح بن عثيمين – رحمه الله رحمة واسعة -. مأزق وخم: مصيبة عاتية. الغشِم: شديد الغشم والطيش والجهل. حز: قطع شدة. جيد: عنق. عن أمم: عن قرب. يذم: يعيب. سيدها: أعني زوجها ، (وألفيا سيدها لدى ب) سيدها هنا زوجها ، وفي الحديث: (فإنهن عوان أي أسيرات عندكم) ، وإذن فليست المسألة إذن عبودية وحرية بل قوامة وزوجية. إضَم: هو وادي بالمدينة بين جبلين. فدَك: أرض بخيبر كانت لرسول الله – صلى الله عليه وسلم -. تجاوز: تعدى. القِسَم: جمع قسمة وهي النصيب. البُهُم: البهائم. الشطا: هو الشطأ وخففت الهمزة وهو في القرآن (أخرج شطأه). قواطع: أسنان. عترة الرجل: أهله. تِرْكة: إرث. ذيلت قولها: أنهته. بانت: ظهرت. دهى: أصاب بالداهية. غوغا: أي الغوغاء الحثالة من الناس. سفسطة: الأقوال المتضاربة التي لا طائل من ورائها. يجترم: يصبح مجرماً. الشكُم: جمع شكيمة وهي الحديدة يلجم بها الحصان ، والمراد هنا ادعاء الأفاكين الخراصين الكذابين الضالين أن أبا بكر ضرب فاطمة بشكيمة الفرس! أبو بكر الصديق الذي هو أرحم الأمة بأفرادها من أمهاتهم ومن أنفسهم ، يضرب فاطمة الزهراء بشكيمة الفرس! سبحانك هذا بهتان

عظيم! أبو بكر الذي كان لا يُسمع صوته بالقرآن في الصلاة لأن العبرة تخنقه من شدة خشوعه يضرب فاطمة بشكيمة الفرس! إن هؤلاء المعتوهين الكذبة وجدوا أناساً ألفوا لهم ديناً قائماً على الطعن والتشكيك في القرآن وسب الصحابة فصدقوهم ، ويوماً سيقولونها لله صريحة: (أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا)! من الدماء ظمي: متعطش للدماء. التنظير: المناظرة والمواجهة. كفوا: امتنعوا. تؤمل: ترجو. ثاو: حزين مكتئب. عاودت: رجعت. ذوو همم: أصحاب إرادة قوية. أسماء: هي أسماء بنت عميس – رضي الله عنها -. النسم: الناس. مؤتلقاً: مشرقاً مستنيراً. حُلكة: ظلمة. الفضل: هو الفضل بن العاس – رضي الله عنه -. الديم: الأمطار. الغسم: الظلام الكثيف.

بلقيس (ملكة سبأ)

(إن (بلقيس) قصيدتنا هي الملكة العظيمة المحترمة ملكة (سبأ) ، بلقيس بنت شراحيل ، تلك المرأة التي لمّا علمت الحق اتبعت سليمان وأسلمت معه لله رب العالمين. أما بلقيس التي نعاها زوجها بقصيدة نال فيها من العروبة والإسلام نيلاً عظيماً ، وأهان الإنسانية والمرأة معاً فليستْ من هذا كله ولا من أصحابه في شيء. يقول الدكتور السرجاني عنها: (بلقيس ملكة سبأ من أشهر النساء في التاريخ ؛ فما نسبها؟ وكيف ملكت على بلاد اليمن؟ وما قصتها مع سليمان النبي – عليه الصلاة والسلام؟ بين صفحات تاريخ العرب قبل الإسلام ، صفحةٌ زاهيةٌ تُحدِّثنا عن ملكةٍ جليلةٍ راجحة العقل ، ملكت في اليمن ملكًا واسعاً ، ونهضت بأعباء مملكتها خير نهوض ، فشيَّدت قصورًا عوالي ، وخلفت بعدها مجدًا لا تُطمس معالمه على مدى الدهر ، لا تزال آثاره تنطق بعظمته وسناء منـزلته. فالملكة التي تحمل هذه الصفات هي بلقيس ابنة ذي شرح ، ملكة سبأ ، وقد اختلف أهل الأنساب بأنَّها ابنة اليشرح ، ويقول بعضهم: إنَّها ابنة إيلي شرح. ويقول بعضهم: ابن ذي شرح بن ذي جدن بن إيلي شرح بن الحارث بن قيس بن صفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب. وفي روايةٍ إنَّها بلقيس ابنة الهدهاد ابن شرحبيل بن عمرو بن غالب بن السياب...بن سبأ. فلمَّا وليت بلقيس الملك ازدرى قومها بمكانها ؛ لمـَّا كانت امرأةً وأنفوا من أن يلي أمرهم امرأة ، وبلغ ذلك عمرًا ذا الأذعار فجمع الجيوش ونهض إلى بلقيس فلم تكن لها طاقة ، فهربت مكتتمة بأخيها عمرو ابن الهدهاد وهما في زيِّ أعرابيَّين حتى أتت جعفر بن قرط الأسدي. ثم عملت على حيلةٍ دبَّرتها ، فدخلت على خصمها عمرو ذي الأذعار ، وقد بهره جمالها ، فأمر بالخمر يُنادمها كما كان يُنادم بنات الملوك ويفعل بهنَّ ، فلمَّا أخذت الخمر منه همَّ بها ، فقالت: أيُّها الملك سترى منِّي من المال أكثر ممَّا رأيت من الحرص ، حاجتي فيك أعظم من حاجتك فيَّ ، وسامرته أحسن مسامرة ، فألهاه ما سمع منها وما أعطته من نفسها من القرب وهي تعمل فيه بالخمر دأبًا ، حتى علمت أنَّ الخمر عملت فيه ، فقَدِمَتْ إليه وسلَّت مُديَتَهَا من قرونها ، ثم نحرته ، فلمَّا مات جرَّته فألقته في ركن مجلسه وألقت عليه بعض فرش المجلس ، ثم خرجت إلى الحرس في جوف الليل ، وقالت لهم يأمركم الملك بفلان أن تأتوا به. فلمَّا أتوا به وكان يتبعه ألوفٌ من حِمْيَر ، فلم تزل تُرسل إلى ملوك حمير وأبناء الملوك المسموع منهم المتبوعين ، فلمَّا اجتمعوا إليها في قصر غمدان ، خرجت عليهم فقالت لهم: إنَّ الملك قد تزوَّجني على أنِّي برئت إليه من ملكي في حياته وأنتم تعلمون أنَّه لا يُولَد له ، فلمَّا علم منِّي الخضوع بحقِّه والاستسلام لإرادته والطاعة لأمره ، فوَّض إليَّ بعدَه ورآني أهلًا له ، وأمرني أن آخذ عليكم بذلك عهدًا. قالوا: سمعًا وطاعةً للملك فيما أراد ، فأخذت عليهم العهد أنَّ لها الملك بعد عمرو ، فلمَّا توثَّقت منهم قالت لهم: هل تسمعون من الملك فأدخلتهم المجلس. وقالت لهم: ها هو ذا. وكشفت عنه فرأوه قتيلاً ، قالوا لها: من فعل هذا به؟ قالت لهم: أنا وليُّ العهد عليكم بالملك بعد موته ، وهذا هو قد مات وعهده لكم لازم. قالوا لها: أنتِ أولى بالملك إذ أرحتنا من هذا الرجس الجائر. فوليت بلقيس ملكهم. ولمـَّا وليت بلقيس ملك حمير ، قالت حمير: رجع الملك إلى نجلته الأولى. ثم جمعت الجيوش العظيمة وسارت إلى مكَّة ، فاعتمرت وتوجَّهت إلى أرض بابل ، فغلبت على من كان بها من الناس ، وبلغت أرض نهاوند وأذربيجان ، ثم قفلت إلى اليمن. ومن الأعمال العمرانيَّة التي قامت بها بلقيس فرفعت مجدها إلى أبعد صيت ، ترميمُها سدَّ مأرب ، الذي كان الزمان قد أضرَّه وخلخل أوصاله ، وبلقيس هذه

هي صاحبة الصرح الذي ذكره الله في القرآن العظيم في قصَّة سليمان عليه السلام ، ويُنسب إليها – أيضًا - قصر بلقيس الذي بمأرب ، وكان سليمان ينـزل عليها حين تزوَّجها فيه إذا جاءها. وكان لبلقيس حرَّاس من الرجال الذين يُؤازرونها وبطانة من النساء ، وكان عندها ثلاثمائة وستُّون امرأةً من بنات أشراف حمير ، فكانت تحبس الجارية حتى تبلغ ، ثم تُحدِّثها حديث الرجال ، فإذا رأتها قد تغيَّر لونها ونكَّست رأسها ؛ عرفت أنَّها أرادت الرجال فسرَّحتها إلى أهلها ، ووصلتها وزوَّجتها وأحسنت إليها ، ولا تزوِّجها إلَّا من أشراف قومها ، وإذا رأتها مستمعة لحديثها معظِّمة لها أطالت النظر غير متغيِّرة اللون ولا مستحية من الحديث ؛ علمت أنَّها تريد فراقها وأنَّ الرجال ليسوا من بالها. وكانت بلقيس صائنةً لنفسها ، غير واقعةٍ في المساوي ، ولا غافلة عن المكارم ، وكانت لا أرب لها في الرجال ، فظلَّت عذراء حتى تزوَّجها سليمان عليه السلام. وأمَّا خبر بلقيس مع سليمان الحكيم عليه السلام: فلمَّا أُلقي إليها كتاب سليمان عليه السلام وسقط في حِجْرها ، قالت: إنَّه كتابٌ كريم ، وأشفقت منه فأخذته وألقت عليه ثيابها ، وأمرت بسريرها فأُخرِج ، فخرجت فقعدت عليه ونادت في قومها: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}. فلمَّا أُعطِي سليمانُ الهديَّةَ ، {قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ}. وذكر ابن عبَّاس أنَّه كان معها ألف قيل ، وأهل اليمن يُسمُّون القائد قيلا ، مع كلِّ قيلٍ عشرة آلاف. وكان سليمان عليه السلام رجلًا مَهيباً لا يبتدئ بشيءٍ حتى يكون هو الذي يسأل عنه ، فخرج يومئذٍ فجلس على سريره ، فرأى رهجًا قريبًا منه ، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس يا رسول الله ، قال وقد نـزلت منَّا بهذا المكان (وهو بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ) ، فأقبل سليمان على جنوده فقال: {أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}؟ فأُتِيَ له بعرشها. ثم بعثت بلقيس لسليمان بهديَّةٍ ؛ اختارت أربعين رجلًا لم تَدَعْ في أبناء الملوك أجمل منهم ولا أعقل ولا أرشد ثقةً ولا أبعد غايةً ولا أعلى صوتاً ، وكانت الهديَّة التي أرسلتها لسليمان مائة وصيف ومائة وصيفة وُلدوا في شهرٍ واحدٍ وليلةٍ واحدة ، وأرسلت إليه بحُقٍّ مملوءٍ ذهبًا وفضَّةً ودرًّا وياقوتًا وزبرجدًا وزمرُّداً ، وختمت على الحُقِّ ، وألبست الوصائف والوصفاء زيًّا واحدًا ليُظنَّ من رآهم أنَّهم كلُّهم غلمان ، وأرسلت إليه بخيلٍ عتاقٍ ذكورٍ وإناث ، وقالت لرسلها: مُروه يُخبرْكم بفرقٍ بين الذكور والإناث من الخيل بعضها من بعض من غير أن يُخبره أحد ، ومُروه أن يُخبركم بما في الحُقِّ الذي لا اختلاف فيه ، وإيَّاكم أن يُجيب كلُّ واحدٍ عن نفسه فيقع الاختلاف فيرتاب منكم ، فمَضَوْا. وجمعت بلقيس أشراف حِمْير فقالت: خذوا في أهبَّة الحرب ، فجمعت الجيوش واستعدَّت للحرب ، وقالت لقومها: إنْ هو قَبِل الهدية ولم يُرِدِ الحرب ودعا إلى الله ، فهو نبيٌّ فاتبعوه ، وإن هو لم يقبل الهديَّة ولم يُعلِمْنَا بما سألناه ، فهو ملكٌ من ملوك الدنيا حاربناه ، فما لأحدٍ بنا طاقة ، وإن كان نبيًّا فما لنا بالله طاقة. ولمَّا رجعت الرسل إلى بلقيس بما قال سليمان ، قالت: قد والله عرفت ما هذا بملكٍ ، وما لنا به من طاقة ، وما نصنع بمكاثرته شيئًا. وبعثت إليه: إنِّي قادمةٌ عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك. ثم سارت في مائة رجلٍ وعشرين رجلًا من أشراف قومها ورؤسائها

وأخيارها، مع كلِّ رجلٍ من وجوه جنده وأفاضل أصحابه وقادة خيله مائة رجل ، ثم جمعت أبناء الملوك ثم قالت: معاشر حمير أنتم تلاد الله اصطفاكم من أول الدهور ، وفضَّلكم بأفضل الأمور ، وقد ابتلاكم بهذا النبيِّ سليمان بن داود ، فإن آمنتم وشكرتم زادكم الله نعمة ، وإن كفرتم سلبكم النعم ، وسلَّط عليكم النِّقَم. فقالوا لها: الأمر إليك. وعلموا أنَّها شفيقةٌ عليهم ناصحةٌ لهم ، فخرجت إلى سليمان في مائة ألفٍ واثني عشر ألفًا وتركت جميع أجنادها بغمدان وبمأرب. وفي روايةٍ أنَّ بلقيس شخصت إلى سليمان عليه السلام في اثني عشر ألف قيلٍ معها من ملوك اليمن ، تحت يدي كلِّ قيلٍ منهم ألوفٌ كثيرة. وتُوفِّيت بلقيس بعد قتل ولدها رحبعم بن سليمان بأنطاكية بسنةٍ واحدة ، وقد رثاها النعمان بن الأسود ابن المعترف بن عمرو بن يعفر الحميري بقصيدة عذبة طويلة ذكرها المؤرخون وكتاب السير والتراجم).هـ. إن كتابتي عن ملكة سبأ بلقيس بنت شراحيل إثراء لي ولصيتي وشرف كبير لي وإثراء للشعر وشرف ، ومَن مِن نساء الأرض اليوم يتمثل هذا الخضوع لله ولرسوله ، كما تمثلته بلقيس – عليها رضوان الله تعالى؟)

مَـن ذا يُضـاهي ـ فـي التقـى ـ بلقيسـا؟ أمّـنْ يُضـارعُ وَعيَهـا المَلموسـا؟

أمّـن يُحـاكي حزمهـا ورشـادها؟ أمّـن يُبـاري مجـدَها المأنوسـا؟

لمّـا رأتْ نـورَ العقيـدة أسـلمتْ واسـتلهمتْ ممـا تـراه دروسـا

شـرفٌ لهـا ولقومهـا أنْ أسـلموا فالسِـلم يَهـدي – للرشـاد ـ نُفوسـا

والسـلمُ خيـرٌ منهجـاً وطريقـةً وكتابُـه خيـرٌ هُـدىً وأنيسـا

وسـجودُهم للشـمس برهـانُ الشـقا فجمـيعُهم أزجـى لهـا التقديسـا

واللهُ خـالقُهم وخـالقُ شمسِـهم عـدلوا بـه إذ عظمـوا إبليسـا

فأضـلهم إبلـيسُ عـن سُـبُل الهـدى فاسـتعذبوا التضـليلَ والتدنيسـا

عبـدوا الكواكـب فـي السـماء فأشـركوا وتصـوّروا ـ خلـف النجـوم ـ شموسـا

حتـى أتـاهم مِـن (سُـليمان) الهُـدى وهـدى المليـكُ ـ لدينـه ـ (بلقيسـا)

فاستسـلموا لقرارهـا فـي ذلـةٍ والـدينُ أصـبحَ ـ فـي الـدنا ـ محروسـا

ومَليكـة الأقـوام جمّلهـا التقـى وغـدتْ بموكبهـا المَهيـب عروسـا

بين شوقي وحافظ!

(قبل 90 عاماً فقدت مصر أكبر شعرائها ، حافظ إبراهيم وأحمد شوقي ، سبق حافظ شوقي إلى الموت بأيام. وثمة رواية شهيرة تقول إنه حين توفي حافظ إبراهيم كان شوقي بالإسكندرية ، ودخل عليه سكرتيره ليبلغه نبأ وفاة "الصديق اللدود" ، وكان كتم الخبر عنه ثلاثة أيام ـ عامداً ـ لرغبة السكرتير في إبعاد الأخبار السيئة عنه ". كان شوقي شديد التشاؤم بأخبار الموت في أيامه الأخيرة" ، كما أن السكرتير كان يعلم بأنه على الرغم من التنافس الطاحن بين شوقي وحافظ على عرش الشعر العربي آنذاك ، فإن حافظ كان قريباً إلى قلب شوقي. وحين ألقى السكرتير بالخبر في وجه "أمير الشعراء" ، شرد شوقي لحظات ثم رفع رأسه وقال: "قد كنت أوثر أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياء". هكذا كانت العلاقة بين القطبين ، ندية ، تنافس ، تنازع على امتلاك ناصية الشعر ، ومودة ، وتعلّق ، لا يستطيع أحدهما فراق الآخر ، وليس من قبيل المصادفة أن يُغيّب الموت شوقي بعد رفيقه بأيام! كانت العلاقة بين أحمد شوقي ـ حامل لقب أمير الشعراء الذي لم ينله شاعر عربي سواه من العصور الجاهلية إلى اليوم ـ و"شاعر النيل" ، حافظ إبراهيم ، علاقة تنافس إذن ، وهذه العلاقة ألهبت خيال الكتاب فألفوا عنها الكتب وأوردوها في أعمال أدبية وسينمائية وتلفزيونية شتّى ، غير أن أحداً لم يسجّل "القيمة" الكامنة وراء هذه العلاقة بعناية! لم يعرف أن بين شوقي وحافظ تنافساً إلاّ من هجائياتهما الشعرية المتبادلة ، ولم تقع تلك الهجائيات سوى قبيل ثورة الشعب ضد الاحتلال (1919م) ، ليس ثمة علاقة بين الحدث وبين الهجاء. مصادفة محضة ، لكن المعنى واضح وهو أن الأعوام العشرين الأخيرة في حياتهما ـ وحدها ـ هي التي شهدت ذلك الصراع الشعري ، لأن الساحة لم تكن تتحمل سوى أمير واحد للشعر. لكن الصراع لم يفقد للود بين حافظ وشوقي قضية ، والمتأمل لهذا التهاجي المتبادل بين القطبين تصيبه حيرة شديدة ، فكيف يصل الهجاء إلى هذه الحدة القاطعة ، فيما تتصل المجالس الودودة الحميمية بين الشاعرين نفسيهما اللذين يتبادلان هذا الهجاء؟ ومثال واحد... يكفي! قال حافظ عن شوقي يهجوه: (يقولون إن الشوق نار ولوعة فما بال شوقي اليوم أصبح بارداً؟!). ومن يتأمل البيت للوهلة الأولى يشعر أن حافظ يتكلم عن شوقه ، وأن الباء الخاصة في شوقي عادية ، لكن المقصود بها شوقي الشاعر ! لكن شوقي رد عليه فقال: (حملنا الإنسان وال كـ لـ ب أمانة فخانها الإنسان... وال كـ لـ ب حافظ"). والمعنى في رد شوقي مفهوم واضح ، ولا يحتاج إلى الشرح. وإن كان فيه تجاوز غير أن حافظ لم يغضب فمئات الأبيات الهجائية من هذا النوع والتي تبادلها أمير الشعراء وشاعر النيل ، كانت تعدّ في هذا الزمان مداعبات ولطائف على سبيل "التنكيت" ، فثمة لبس كبير وقع فيه الكُتاب والمؤلفون ، حين صوروا شوقي وحافظ عدوين ، غير أن العلاقة بينهما كانت على النقيض من ذلك. فهما كانا متنافسين حقاً ، ولكل منهما مدرسة شعرية مختلفة تماماً عن مدرسة رفيقه ، لكن تشيّع الأدباء وتحزّبهم أدّى إلى انقسامهم بين شوقي وحافظ ، وأشاع وهم العداء. والواقع التاريخي يقول إن أكثر مجالس حافظ لم تكن تخلو من شوقي ، وإن مؤتمر الشعراء الذي أسفر عن مبايعة شعراء العرب الكبار من مختلف البلدان الناطقة بالضاد لشوقي بك بإمارة الشعر ـ قبل رحيله بخمسة أعوام ـ كان على رأسه حافظ ، وكان حافظ أول المبايعين لشوقي بإمارة الشعر ، كما يقول هذا الواقع إن رثائية شوقي لحافظ ـ التي ذكرنا البيت الأول منها ـ هي أرقّ رثائيات شوقي وأصدقها وأقربها إلى المدامع ، على كثرة ما قاله شوقي في باب الرثاء! لقد جاء كل من شوقي وحافظ من منبع مختلف ، وإن كان كلاهما انتمى بوجدانه للشعر القديم. وصب كل منهما كذلك في مصب مغاير ، وإن كانا التقيا في الشعر التقليدي الذي ناصبه بعض شعراء عصرهم العداء. وشوقي من أب كردي وأم تركية ، وحافظ من أبوين

مصريين ، كانت جدة شوقي لأبيه شركسية وجدته لأمه يونانية ، وكان حافظ مصرياً إلى سابع أجداده. وعاشرهم. كان شوقي أحمر الوجه أخضر العينين ذا طلعة توحي بأنه تركي أو يوناني ، وكان حافظ أسمر الوجه أسود العينين عربي الوجه واليد واللسان ، "على حد قول المتنبي". ولد شوقي بك في القصور الخديوية ، في العام 1868 م لوجود علاقة نسب بعيدة يبن أسرته وأسرة محمد علي ، حتى إنه حين سافر إلى فرنسا ليدرس الحقوق (1887م) جاء ذلك على نفقة الخديوي توفيق "حاكم مصر من 1879 م إلى 1892م". أما حافظ إبراهيم فولد على متن سفينة كانت راسية على النيل أمام ديروط (مدينة بمحافظة أسيوط ، وسط صعيد مصر) ، توفي والده وهو صغير ، وتوفيت والدته بعده بسنوات قليلة ، وأتت به قبل وفاتها إلى القاهرة ليعيش في كنف خاله الذي كان رجلاً ضيق الرزق من صغار موظفي الحكومة المصرية. وهكذا جاء اختلاف المنبع شاسعاً! شوقي يحصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة "المبتديان" ـ مدرسة أولاد الأعيان ـ وحافظ يسافر مع خاله إلى طنطا فيلتحق بـ "الكتّاب". شوقي يتنعم بالقصور وحافظ يلمس فقر خاله فيترك البيت ليخفّف عنه صعوبة إيوائه ونفقته ، شوقي يسافر إلى فرنسا ليدرس الحقوق في "السوربون" ، وحافظ يهيم على وجهه حتى ينتهي به الأمر إلى مكتب محام يدعى محمد أبو شادي ـ صار من زعماء ثورة 1919 م فيما بعد ـ ليعمل بالمحاماة زمناً وينفق على تعليمه من جهده الخاص ، ثم يلتحق حافظ بالمدرسة الحربية (الكلية الحربية الآن) في العام 1888م ، ويتخرج فيها بعد 3 سنوات. يعود شوقي من باريس حاصلاً على ليسانس الحقوق ، ليسافر حافظ إلى السودان في حملة للجيش المصري. تنعقد الصلة بين شوقي وحاكم مصر الجديد الشاب ، عباس حلمي الثاني (1892 م ـ 1914م) ، في الوقت الذي يقود فيه حافظ تمرداً للضباط المصريين في السودان على الإنجليز والخديوي. يطيب العيش لشوقي ويصبح كواحد من الأمراء ، فيما يُحاكم حافظ عسكرياً ويُحال إلى الاستيداع بمعاش ضئيل! هكذا حكمت الأقدار باختلاف كامل في منابع شوقي وحافظ وفي مجرى نهر حياتهما أيضاً ، وهو اختلاف لا يد لأحدهما فيه ، فقط كان "الحظ" ومشيئته! لكن الاختلاف لم يقتصر على ذلك! نهل شوقي من منابع الشعر العربي القديم ، إنه ـ كما كتب د. طه حسين ـ تلميذ مباشر لشعراء الجاهلية الفحول ، وامتداد لشعر البحتري والمتنبي ؛ ونهل حافظ من محمود سامى البارودي ، كان حافظ تلميذاً له ، يجالسه ويؤانسه ، يحفظ له ويروى عنه ، عرفه حافظ بعد أن نفض البارودي غبار المعارك التي قادها ـ وكان البارودي وزيراً للحربية وأكبر الثوار الموالين لعرابي قبل مجيء الاحتلال البريطاني لمصر 1882 م ـ وعاد من منفاه كفيف البصر وانصرف للشعر وتخلّى عن الدنيا واحتل مكانه بين الخالدين. وهنا فقط التقى شوقي وحافظ ، لأن البارودي أخذ شعره من نفس المنابع التي أخذ عنها أحمد شوقي بعد ذلك ، وهكذا التقى التجديد في شعر شوقي وحافظ على أرضية واحدة: الأخذ من القديم والتأسيس عليه في هيئة جديدة! لذلك ، لا عجب في أن يوصف البارودي بأنه رائد مدرسة "الإحياء" التي أنقذت الشعر العربي من الضياع على يد اللغة التركية التي أوشك اللسان المصري آنذاك أن يلتوى بها ، ولا عجب في أن يوصف شوقي وحافظ بأنهما مجدداً الشعر العربي بعد البارودي ، تأسيساً على نظرية د. جابر عصفور ، التي تقول إن كل حركات التجديد في الآداب العالمية ، بدأت بالالتفات إلى القديم والتأسيس عليه! بالتالي. صب شوقي وحافظ في نفس المصب حتى تعرضا لانتقادات جيل العقاد والمازني الذي كان أول جيل يتمرد على الشعر التقليدي! ولاختلاف الثقافة الأصلية لكل منهما ، اختلف المنتج الأدبي لحافظ وشوقي ، فشوقي له ست مسرحيات شعرية: مصرع كيلوباترا ، مجنون ليلى ، قمبيز ، علي بك الكبير ، عنترة ، الست هدى ؛ ورواية واحدة: "عذراء الهند". وحافظ لم يكتب المسرح ، وهو الأمر الذي رده د. محمد مندور قبل 60 عاماً إلى اطلاع شوقي الواسع على الثقافة الفرنسية وهو الأمر الذي لم يتح لحافظ. وحتى على المستوى الشخصي ، كان

شوقي يميل إلى سهرات القصور وصحبة الأمراء ـ بحكم نشأته ـ ، وكان حافظ يميل إلى مجالس الأدباء في مقاهي "وسط البلد" وكانت لديه نزعة "أولاد البلد" المصريين المعروفة ، فوصفوه دائماً بأنه "ابن نكتة" سريع البديهة يملأ المجالس بالفكاهة شديد الكرم مع صحبته حتى وصف بالتبذير ؛ قال العقاد: "راتب سنة في يد حافظ إبراهيم يساوي راتب شهر في يد سواه"! وهكذا التقى الضدان حافظ وشوقي على حبّ الشعر ، واعترف كل منهما لصاحبه بمكانته ، واستطاعا في مصر ـ زمن التسامح ـ أن يحافظا على مودة حميمة ربطتهما ، وحولا التنافس بينهما إلى مبارزات شعرية هجائية ، ظنها الكثيرون صراعاً ، ولم تكن سوى مداعبات متعارف عليها جداً فيما بينهما! لقد عاشا صديقين حميمين متنافسين في مجال الشعر!)

همـــا صـــديقان لا حقـــدٌ ولا حســـدُ ... وعـــالمُ الحـــال ربـــي الواحـــدُ الأحَـــدُ

رســـالة حمـــل القـــريض عنـــدهما ... والمجـــد مـــن شـــدة الإعجـــاب يطـــرد

هـــذا الثنـــائي فـــي التـــاريخ لـــيس لـــه ... نـــد ، ومنهجـــه فـــي الشـــعر منفـــرد

همـــا همـــا حمـــلا لـــوا مواجهـــةٍ ... وفـــي مغانيـــه كـــلٌ كـــان ينتقـــد

واستبســـلا فـــي الـــدفاع الشـــهم فـــي ألـــق ... ولـــم يصـــدهما حقـــد الألـــى حقـــدوا

وقـــدما أعـــذب الأشـــعار ينشـــدها ... جيـــل يحـــب الهـــدى مستبصـــر غـــرد

وشـــرّفا مصـــر بالقصـــائد احتلفـــت ... بهـــا الـــدواوينُ فيهـــا الفـــن والرشـــد

وأمتعانـــا بشـــعر فيـــه عزتنـــا ... ومـــن ينـــلْ منهمـــا فقولـــه الزبـــد

ديـــوان كـــل لـــه فحـــوى ومدرســـة ... والقـــارئون لـــه أشـــاوسٌ مُجُـــد

اقـــرأ تجـــد عجبـــاً فيمـــا تُطالعُـــه ... مـــن الجمـــال الـــذي فـــي الغيـــر يفتقـــد

فـــلا رَكاكـــة أو تكـــرار أو مَلقـــاً ... لكـــنْ قـــريضٌ لـــه فـــي بُعـــده أمـــد

كـــم نـــاولا النقـــد مَـــن يريـــده غـــرداً! ... كـــم يُعمـــل الفكـــر نقـــدٌ منصـــفٌ غـــرد!

وقـــدّما حَيـــدة مـــا كـــان أعـــذبها ... والمـــرء يُفلـــحُ إمـــا عـــاش يجتهـــد

وســـاق كـــلٌ لنـــا الآراء ســـاطعة ... فيهـــا الرشـــاد بـــدا والصـــدق والســـدد

وأحـــرزا الســـبقَ فـــي الأعمـــال خالـــدة ... فـــي العـــالمين لهـــا مـــن واقـــع ســـند

والأمـــر متضـــحٌ لكـــل ذي نظـــر ... فـــيم التخـــرصُ والنكـــرانُ والجحـــد؟

تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول!

(جاءنا مختاراً أو مكرهاً من محافظة السويس الباسلة أرض البطولات والتضحيات ، إحدى مدن القناة الثلاث: بورسعيد – الإسماعيلية – السويس! وفد علينا الأستاذ الفاضل المحترم / مهدي سعد زغلول ليُدَرسّنا اللغة العربية وآدابها في مدرسة تفتيش كفر سعد الإعدادية الثانوية في الفترة ما بين 1978م وحتى 1980م! فألفيتُه معلماً جليلاً وأستاذاً نبيلاً ، عف السريرة ونافذ البصيرة! يُذكرنا بمعلمي الخمسينات في أناقته ولباقته! وكنتُ أخاف منه للوهلة الأولى لجديته وصرامته – كغيري من الطالب - في صفنا الثالث من المرحلة الإعدادية! ثم ما لبثتُ أن تأقلمتُ معه وأحببته ، واستفدتُ من علمه الجم وأخلاقياته العظيمة! أما لماذا اهتمامي باللغة العربية ومعلميها أكثر من غيرهم؟! فيرجع هذا إلى أهمية اللغة العربية ، فهناك نقاط جلية تبرز مدى أهمية اللغة العربية في حياتنا على مختلف العصور والأزمنة: فمن هذه الاعتبارات اعتبار اللغة العربية لغة القرآن الكريم والأحاديث والدين الإسلامي ككل ، وبمقدار قصور المرء في اللغة العربية بمقدار قصوره في فهم القرآن والسنة ، والعكس بالعكس!. وأيضا التنوع الهائل الرهيب والكم الكبير من المفردات والمعاني التي احتوتها معاجمها القديمة والحديثة. وكذلك التأثير الكبير للغة العربية على غيرها من اللغات نظراً لتاريخها الممتد منذ حقب زمنية طويلة ، فلقد أدركتُ بحكم تخصصي في اللغة الإنجليزية كيف تأثرت اللغة اللاتينية بالعربية! وكذلك اعتبار اللغة العربية واجهة للثقافة والعالم العربي وهي أول ما يتوجه لتعلمه الشخص الأجنبي. وكذلك إعلاء قيمة كل من يتعلم اللغة العربية لما فيها مصاعب كثيرة في تعلمها. والسر في ذلك كله أصل اللغة العربية حيث تعتبر اللغة العربية أم اللغات السامية التي شغلت مناطق شبه الجزيرة! وسبب هذه التسمية يعود لحفاظها على مقوماتها الأساسية من عوامل الاختلاط باللغات الثانية ، لكون اقتصر استخدامها على العرب فقط ، فكانت اللغات السامية المنبثقة منها منتشرة على مستوى قارتي آسيا وأفريقيا لتكون لغات رسمية لعدة حضارات سامية أبرزها كان اللغة الأكادية والكنعانية والأرامية والسيهدية والأمهرية وغيرها من اللغات السامية الأخرى ، وعلى صعيد آخر فقد حازت اللغة العربية على ألقاب عديدة أهمها ما كان مرتبطاً بالقرآن فسميت بـ "لغة القرآن" وذلك لنزول القرآن الكريم باللغة العربية بالإضافة إلى لقب "لغة الضاد" لتفردها بحرف الضاد عن دون باقي لغات العالم. وأكبر دليل على أن اللغة العربية تملك في ذاتها مقومات بقائها أن اللغة اللاتينية قد اندثرت اليوم لأنها لم تملك يوماً مقومات بقائها! وتحت عنوان: (الأعباء الجسام الملقاة على عاتق معلم اللغة العربية!) يقول أستاذنا الدكتور محمود أبو فنه الباحث والكاتب وعضو مجمع اللغة العربيّة في الناصرة – فلسطين ما نصه: (كثيرًا ما كُتِب عن مهنة التعليم ، وكم هي مضنية للمعلّمين في جميع التخصّصات والمواضيع الدراسيّة ، تتطلّب منهم تيقّظ الحواس ، وقوّة الأعصاب ، والصبر والأناة ، والتجدّد الدائم في المواد الدراسيّة وفي أساليب التدريس والتقويم! لكن ، من تجربتي في حقل التربية والتعليم توصّلتُ إلى قناعة مفادها: أنّ معلّم اللغة العربيّة المخلص ، بالذات ، مثقلٌ بالأعباء ، مُنهكٌ بالمهامّ الجمّة الملقاة على عاتقه! فتدريس اللغة العربيّة لا يقتصر على إكساب الطالب مهارات: القراءة الواعية المعبّرة ، وعلى فهم المقروء والمسموع بمستويات الفهم المختلفة ، وعلى التعبير الجيّد بنوعيه: الشفهيّ والكتابيّ ، بل يشمل كذلك صقل شخصيّة الطالب وبلورتها ، وتعزيز الانتماء للهويّة ، وتقدير التراث ، واكتساب القيم بأبعادها ومجالاتها المختلفة: الشخصيّة والاجتماعيّة والوطنيّة والقوميّة والإنسانيّة. ولنتذكّر:

أنّ التمكّن من مهارات اللغة وسيلة لتحقيق التقدّم والنجاح في جميع مواضيع التعليم في المدرسة. ولذلك ، فإن معلّم اللغة العربيّة مُطالب بالتجدّد على الدوام لأنّه يتعامل مع موضوع اللغة العربيّة بنحوها وصرفها وآدابها ، الأمر الذي يستدعي سعة الأفق والمعرفة ، وذائقة أدبيّة راقية ، واطّلاعا دائمًا على ما يصدر من روائع الأعمال الأدبيّة ، ومن الدراسات النقديّة والبحوث في اللغة. والأصعب: أنّه مُطالب بتصحيح/تقويم المئات من كتابات طلابه كلّ شهر/أسبوع ضمن حصّة التعبير الكتابيّ! وكذلك ، يعتبر معلّم اللغة العربيّة المسؤول المباشر والرئيسيّ عن غرس عادة المطالعة الذاتيّة وتذويتها لدى طلابه – رغم اعتقادي بضرورة تعاون جميع معلّمي المدرسة على ذلك – وهذا يتطلّب منه اتّباع أساليب وطرائق متنوّعة في تحبيب المطالعة للطّلاب وتشويقها بعيدًا عن الإكراه والإلزام! ثمَّ ، المفروض أن يكون معلّم اللغة العربيّة واعيًا لدوره في اكتشاف مواهب طلابه الإبداعيّة ، وأن يعمل جاهدًا على تشجيع الإبداع لديهم في شتّى الفنون الكتابيّة! وأضيف: إنّ اعتماد معلّم اللغة العربيّة في تدريسه على الكتب وليس على المنهاج الذي يُفترَض أن يكون المرجعَ ونقطة الانطلاق في تدريس الموضوع – اعتماده على الكتب - وخاصّة في المرحلة الابتدائيّة - التي قد تفتقد المعايير التربويّة في إعدادها، يضاعف معاناة معلّم اللغة العربيّة. ثمّ هناك مسألة إعداد معلّم اللغة العربيّة وتأهيله قبل الالتحاق بالمهنة ، فبحسب اعتقادي ، وعلى ضوء تجربتي ، يمكنني القول إنّ ذلك الإعداد – خاصّة في الجامعات – غير كافٍ لإكساب المعلّم المهارات والمعارف في الأساليب وطرائق التدريس والتقويم التي من شأنها تنجيع عمله ونجاحه! وممّا يُضاعف من معاناة معلّم اللغة العربيّة في إكساب مهارات اللغة العربيّة والنهوض بها عدم مساهمة معلّمي المواضيع الأخرى في ذلك ، فغالبيتهم يدرّسون باللغة المَحكيّة ، وأحيانًا كثيرة – خاصّة في المدارس الثانويّة والخاصّة – قد يكون التدريس بلغة أجنبيّة! وهناك معضلة أخرى يواجهها معلّم اللغة العربيّة وهي: ضعف الحافز والدافعيّة لدى الطلاب لتعلّم الموضوع ، فهم ، وبتأثير الأهل والثقافة السائدة ، يعتبرون دراسة الموضوع غير مُجدية ، ولا تفتح أمامهم مجالات التقدّم في المستقبل ، وجني الدخل العالي الوفير ، ناهيك عن استهتارهم بالموضوع! وأخيرًا ، إنّ غلبة اللغة المَحكيّة الدارجة ، وتغلغلها في جميع مجالات الحياة اليوميّة ، وفي وسائل الإعلام المقروءة والمرئيّة والمسموعة ، وفي المسرح والسينما ، يُعيق مهمّة معلّم اللغة العربيّة الشاقة في إكساب اللغة العربيّة المعياريّة الفصيحة ، وفي تحبيب الطلاب بها وبالأعمال الأدبيّة التي يتعلّمونها. لكلّ ذلك ، أسمح لنفسي أن أقول بدون تحفّظ: (كان الله في عون معلّم اللغة العربيّة المخلص!).هـ. وأنا مع الدكتور محمود أبو فنه: (كان الله في عون معلّم اللغة العربيّة المخلص!) ومرة ثالثة (المخلص) المعلم المخلص الذي يبكي على مجد العرب والعربية! وليس المعلم المأجور المرتزق الذي ليس من العربية في شيء! ولقد كنتُ أحس ذلك في الأستاذ مهدي أنه يختلف كثيراً عن المعلم المرتزق! فلقد تمتع بصفات ومواهب وقدرات في تدريس اللغة العربية ، لم نكن نحسها في سواه! ربما ساعده على ذلك – بعد فضل الله عليه – كونه تخرج في كلية دار العلوم! فلندرس صفات معلم اللغة العربية الناصح الناجح الرابح لنقيس عليه الأستاذ مهدي العبقري الجهبذ! ولا نزكي على الله ربنا أحداً بل هذا ظننا به لأماراتٍ وجدناها فيه! وتحت عنوان: (صفات معلم اللغة العربية) تقول إسلام غنيمات ما نصه بتصرفٍ زهيد: (هناك جملة من الصفات والمهارات التي يفضل أن تتوافر في معلم اللغة العربية حتّى يكون فعالاً في مسيرته التدريسية ، ومن أبرز تلك المهارات والصفات نذكر ما

يلي: أولاً: امتلاك مهارات عالية في قواعد النحو والصرف. وثانياً: أن يكون نموذجاً للطلاب من ناحية التمكن اللغوي. وثالثاً: التحدث باللغة العربية الفصحى المُبسطة. ورابعاً: حفظ ما يكفي من الشعر العربي. وخامساً: أن يكون مثقفاً في الأمور العامة. وسادساً: إثراء مواضيع الدروس بمعلومات إضافية. وسابعاً: إدارة الصف بفعالية واقتدار. وثامناً: إيصال المعلومات بطريقة مبسطة. وتاسعاً: الإعداد المُسبق للدروس بشكل جيد. وعاشراً: توظيف استراتيجيات التعلم الحديثة مثل: (العصف الذهني ، والتعلم التعاوني ، ولعب الأدوار ، والتعلم التبادلي). وحاديَ عشرَ: تطوير أسلوب التدريس لمواكبة الاتجاهات الحديثة في تعلم اللغة وتعليمها. وثانيَ عشرَ: إتاحة الفرصة للطلبة بممارسة اللغة العربية في مواقف حياتية هادفة. وثالثَ عشرَ: تكليف الطلبة بأعمال وواجبات بيتية بشكل مستمر. ورابعَ عشرَ: بث حب اللغة العربية في نفوس الطلبة. وخامسَ عشرَ: الجدية والحماسية في العمل. وسادس عشر: عدم التشدد مع الطلبة والمرونة في التعامل معهم. وسابع عشر: الاهتمام بالأناقة والمظهر العام. وثامن عشر: أن يكون عادلاً في تعامله مع الطلبة. وتاسع عشر: القدرة على ضبط الانفعالات وهدوء النفس).هـ. وأشهد أن الأستاذ مهدي كان يملك جُل هذه المقومات مجتمعة ويزيد عليها! فكن له السمت التدريسي والتربوي والتعليمي والمنظر اللائق والنّظافة. وكانت له الشخصيّة القوية. واتصف بالأمانة والصدق في الأداء. وكانت لديه الدقة والانضباط في الوقت ، فلم يكن ليتأخر عن حصةٍ من حصصه إلا لظهر قاهر. وتمتع الأستاذ مهدي بالذكاء والفطنة والحيدة والموضوعيّة. ودرج على استخدام الوسائل التعليميّة المتنوعة المتاحة في ذلك الزمان بالطبع. وكان عنده التنوع في استخدام طرق التدريس المختلفة ، وكان يجمع في ذلك بين الأصالة والتجديد. وتمتع بالإلمام بالمادة التعليميّة وأهدافها وطرق تدريسها المتنوعة. وكان لديه امتلاك روح الدعابة والمرح داخل الصف بالإضافة إلى الهيبة والشموخ. فلقد عُرف الأستاذ مهدي الطرفة والنكتة في غير إسفافٍ أو ركاكة أو سخف! وكان لديه الالتزام بالحياد بعيداً عن العنصريّة. وكانت لديه مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب وقدراتهم. وتمتع بالمقدرة على ربط المادة الدراسيّة بالحياة الواقعيّة لتسهيل فهم الطالب وحفظه للمعلومة. وفوق ذلك كله كان الأستاذ مهدي مثقفاً ولديه معرفةً واسعةً بالمجالات المختلفة. وتمتع بالقراءة والاطلاع دائماً. وتمت بالتعاون مع الطلبة خاصة فيما يكلفهم به ، ثم يكتشف أنهم غير قادرين على إنجازه. وتمتع بالقدرة على مواجهة المواقف الطارئة والسريعة. وتمتع بالتمكن من مادته الدراسيّة على أحسن وجه. وتمتع بالأخلاق الحسنة. وتمتع بالخبرة في التدريس. وتمتع بضبط النفس خاصة في المواقف الاستفزازية. وتمتع بالتواضع. وتمتع بالقدرة على جذب انتباه الطلاب وتشويقهم لغة العربية. وكانت لديه روح التعاون والمحبة للطلاب. باختصار كان الأستاذ مهدي مدرسة متكاملة في تدريس اللغة العربية! وفي عام 1979م أمسكتُ بقلمي ، وكتبتُ له تحية شعرية لها شكل القالب الشعري ، والله أعلم بركاكتها وضحالتها ، ويشفع لها فقط أنها تحية طالب في سن مبكرة لمعلمه! ثم أرجعتُ فيها البصر لأدرك ما بها من فطور ، ثم أرجعتُ البصر كرتين فانقلب إليّ البصر خاسئاً وهو حسير! فدققت فيها النظر ، وارتأيت أن أعيد صياغتها ، معالجاً ركاكتها ، وجابراً كسورها ، ومصححاً أخطاءها النحوية والبلاغية والإعرابية والصرفية والاشتقاقية! وقمتُ بذلك كله محافظاً على الخواطر والمشاعر والأحاسيس التي حوتْها! وخشيتُ أن أنشرها في ديواني الشعري على ما هي عليه ، ولكنني خشيتُ أن يقول الناس: وأين علم الأستاذ مهدي وطالبه يكتب له تحية شعرية ركيكة ضحلة فيها من الأخطاء

اللغوية والشعرية ما الله به عليم؟! وجعلتُها جزءاً من ديوان (السليمانيات) ، عرفاناً بجميل الأستاذ مهدي سعد زغلول عليّ! وأعتقد اعتقاداً جازماً أن بها من الأخطاء – بعد تصحيحي لها – ما يدركه ويعلمه الأستاذ مهدي بحكم تخصصه في اللغة العربية! ولكنه شرف المحاولة يحدوني ويشفع لي عنده! فتقبلها مني يا أستاذ مهدي في نص جاوز الخمسين بيتاً!)

تحيـــة مِـــن صَـــميم القلـــب يـــا (مَهـــدي) فاحـــت شـــذىً كشـــذى الأزهـــار والـــوَردِ

مـــا الياســـمينُ ومـــا الرَيحـــانُ إن نفحـــا بجانـــب الشـــعر؟! ذا أزكـــى مِـــن الرُنـــد!

تحيـــة سَـــطعتْ كالشـــمس مُشـــرقة تُهـــدي الضـــياءَ بـــلا وَهْـــج ، ولا صَـــهد

تحيـــة نفـــحَ التلميـــذ زبـــدتها حتـــى يراهـــا الـــورى فـــي ذِروة المَجـــد

تحيـــة تـــألفُ العُيـــونُ طلعتهـــا ومـــا لهـــا – فـــي تحايـــا النـــاس – مِـــن نِـــد

تحيـــة تشـــتهي الألبـــابُ أحرُفهـــا فكـــم تُزيـــل الـــذي تحـــوي مِـــن السُـــهد!

تحيـــة عذبـــة الألفـــاظ يانعـــة فلـــيس تجمـــعُ بـــين الضـــد والضـــد

فيهـــا التناســـقُ لا يُـــزري بفكرتهـــا بـــذلتُ فـــي نظمهـــا شـــيئاً مِـــن الجهـــد

كعِقـــد مـــاس زهـــا فـــي صـــدر غانيـــة وقـــد تكـــون بـــذا أحلـــى مـــن العِقـــد

تحيـــة حـــوتِ الفخـــارَ أجمعَـــهُ وسَـــجّلتْ باقـــة مِـــن خـــالص الـــوُد

حييـــتُ فيهـــا الـــذي البيـــانَ علمنـــي فـــي قالـــب مَـــزجَ المِـــزاحَ بالجـــد!

وعلّـــمَ النحـــوَ كـــي يُقـــيمَ مَنطقنـــا وفـــي دراســـته مَعاقـــدُ الفيـــد

وعلّـــمَ الصـــرفَ للطـــلاب مُحتســـباً مُعطِـــراً درسَـــه بـــالفرح والســـعد

وبعـــدُ علّمنـــا النصـــوصَ زاخـــرة بطيّـــب القـــيم العصـــماء والرُشْـــد

ولـــم يكـــنْ - بلســـان الضـــاد - مرتزقـــاً لا يســـتوي الحُـــر - فـــي القيـــاس - بالعبـــد

لـــم يـــألُ جهـــداً ، ولـــم يبخـــلْ بخبرتـــه علـــى يديـــه بصُـــرتُ الضـــادَ كالشـــهد

يـــا ابـــنَ (الســـويس) حبـــاك الله مِكرُمـــة والضـــادُ بعـــد الهُـــدى مـــن أعظـــم الرفـــد

عاهـــدت ربـــك أن ترقـــى بمـــن درســـوا ثـــم انبريـــت تفـــي يـــا (مهـــدُ) بالعهـــد

وكنـــت واعـــدتنا ألا تُعنتنـــا ولـــم تُخـــالفْ عـــن الوفـــاء بالوعـــد

عِشْـــت الغريـــبَ الـــذي تكفيـــه عزتـــه ... عـــن طِلبـــةٍ مـــن كِـــرام النـــاس باليـــد

عشـــت العفيـــف الـــذي اســـتغنى بعِفتـــه ... عـــن أن يُقِـــر – لغيـــر الله - بالحمـــد

وعشـــت تـــزرعُ فينـــا كـــل عارفـــةٍ ... وعشـــت تغـــرسُ فينـــا قيمـــة الزهـــد

خِفنـــاك لمّـــا اتخـــذت الحـــزمَ توطئـــة ... إذ لـــم يكـــنْ عنـــدنا فـــي الهـــزل مـــن جـــد

لكـــنْ وجـــدناك تُطرينـــا وتمـــدحُنا ... وكنـــتُ أســـألُ: دُلـــوني علـــى القصـــد

وبعـــدَ لأي عرفـــتُ القصـــدَ متضـــحاً ... ومـــا انتظـــرتُ - مـــن الرفـــاق - مِـــن رَد

أســـتاذنا عنـــده التـــدريس موهبـــة ... وعنـــد رب الـــورى الثـــوابُ والحَصـــد

وكـــان يُدركـــه رســـالة عظمـــتْ ... لهـــا مكانتُهـــا فـــي النـــاس والبُلـــد

و(كَفـــرُ ســـعدٍ) بـــه تختـــالُ مائســـة ... بـــين الـــبلاد كمثـــل الغـــادة الخَـــود

يـــا فخـــر (دِميـــاط) بالضـــيف الـــذي نـــدبتْ ... ولـــيس تحملـــه يومـــاً علـــى عَـــود

تـــراه فـــارسَ أحـــلام بـــه شـــرُفتْ ... فـــدَرسُ أبنائهـــا حصـــيلة الغـــد

أســـتاذنا كنـــت نبراســـاً يُضـــيء لنـــا ... حنـــادسَ الـــدرب تُـــردي عزمـــة الوُلـــد

ولا نزكّـــي علـــى رب الســـما أحـــداً ... وهـــل يُقـــارَنُ رب النـــاس بالعبـــد؟!

أســـتاذنا لـــم يكـــنْ فـــي درســـه شـــبحاً ... وقلبُـــهُ مـــا بـــه شـــيءٌ مِـــن الحقـــد

وكـــان شـــهماً كريمـــاً فـــي تعاملـــه ... شـــتان شـــتان بـــين الشـــهم والوغـــد!

هـــذي التحيـــة مثـــلُ الـــدَين فـــي عُنقـــي ... اليـــوم أسْـــطرُها سَـــمْحا بـــلا قيـــد

لـــه جميـــلٌ علـــى شِـــعري وتجربتـــي ... وذاك رَدّي ، وبـــي شـــيءٌ مِـــن الوجـــد

ألا أكـــون بهـــا وفيـــتُ حـــق أب ... فعنـــدهُ الـــنصُ مَعـــروضٌ علـــى النقـــد

فصـــحح الـــنصَ يـــا أســـتاذ دون هـــوى ... وجُـــدْ بتدقيقـــهِ بـــالجزم والحيـــد

آتـــاك ربـــك - فـــي التصـــريح - مدرســـة ... فـــأخرج الســـيفَ إنْ صـــرّحت مـــن غِمـــد

إن كنـــتُ أخطـــأتُ فيمـــا قلـــتُ مجتهـــداً ... أو كنـــتُ جـــاوزتُ فيمـــا صـــغتُه حَـــدي

فأنـــت أولـــى بعُـــذري أو مؤاخـــذتي ... وأنـــت أجـــدرُ بالتيســـير والتيـــد

والشـــعر يبقـــى دهـــوراً بعـــد شـــاعره ... ليحمـــل المِدحـــة الوضـــاءَ (للمَهـــدي)

وإن يكـــنْ - فـــي زمـــاني - غيـــرَ مشـــتهر ... يومـــاً ســـيَهزمُ مثـــلَ البَـــرق والرعـــد

كـــالبحر يَزخـــرُ بـــالخيرات مُطمَـــرة ... بـــرغم إنكـــار أهـــل المَكـــر والجَحـــد

وإن يكـــنْ هـــدّهُ جَـــزرٌ ، وجَندَلـــهُ ... طبيعـــة البحـــر بـــين الجَـــزْر والمَـــد

مهمـــا تنقصـــهُ الأغـــرارُ عـــن رَغـــم ... فـــالبحرُ قـــاهرُ أهـــل الجهـــل والعِنـــد

والبحـــر مُغـــرقُ مـــن عـــابوا سَـــجيته ... مِـــن الأصـــاغر أهـــل العَيـــب والكَيـــد

(مَهـــدي) مَـــدحتُك عِرفانـــاً بمـــا بـــذلتْ ... كـــفُ الكـــريم بـــلا حَصـــر ولا عَـــد

أبقـــاك ربـــي لنشـــر الضـــاد تكرمـــة ... وكنـــت يـــوم الجـــزا فـــي جنـــة الخلـــد!

حبيبتي أقبلتْ!

(معارضة لقصيدة لسان الدين بن الخطيب – جاءتْ مُعذبتي)

(قال لسانُ الدين بن الخطيب واصفاً لقاءً بين عاشقين: عاشق جريءٍ يُرحبُ بها ويتبسط معها ، ويُقبلها وتُقبله في جرأةٍ عجيبة! وأما العاشقة فقد أقسمتْ بحق عيونها نصياً! والأصل أن لا نقسم إلا بالله تعالى! ناهيك عن جُرأتها عندما حدثها عاشقها عن الحرام والحلال فقالت: اجعلْ ذلك العناقَ وتلك القُبلة في عُنقي! أما قصيدتي: (حبيبتي أقبلتْ!) فهي حوارٌ دار بين عشيقيْن مؤمنيْن يخافان الله تعالى والدار الآخرة! وكان العاشقُ قد أرسل أمه وخالته لمُدارسة أمر خِطبتها قبل لقاء الرجال! فنظرتا إلى العروس ، وشمتا مَعاطفها ، ونظرتا عُرقوبها كما تقول السُنة ، وناقشتا الأمرَ معها ومع أمها ، ولقيتا القبول! فعادتا إلى ابنهما العاشق الولهان وأخبرتاه الخبر! وأما العروس فتعلمُ أن أباها كان قد رفض خطاباً كثيرين تقدموا لها لأنهم فقراء! فخافت العروسُ أن يُصيب ذلك الخطيبَ الجديدَ ما أصاب سابقيه من الرفض! ولما علمتْ أنه ذو خلق ودين ، قررتْ أن تُعينه على الزواج منها! فجمعتْ حُليّها التي لا يعرفُ أبوها عنها شيئاً ، وذهبتْ لدار الخطيب المنتظر بعد صلاتها للفجر في المسجد! وقدمتْ إليه المجوهرات لكي يُقدمها فلا يرفضه أبوها كعادته! فشكرَ لها ، وعاهد الله أن يرد لها هذه الهدية واعتبرها دَيْناً عليه! فقمتُ بصياغة الموقف شعراً ، وذلك بمعارضة لسان الدين بن الخطيب! وإن لم أبلغ شأو وشأن ابن الخطيب في الإجادة والكتابة ، وهذا أعترف به للرجل لأنصفه! فيبقى لي شرف المحاولة الذي أدندنُ حوله كثيراً عندما أعارضُ أحداً من الشعراء! ولكنني أعتقدُ اعتقاداً جازماً قاطعاً أن المناسبة والجو النفسي أفضل بكثير من الموضوع والفحوى عند ابن الخطيب! والمقارنة للتاريخ وللجمهور في المستقبل! وأشكرُ من كل قلبي الأستاذ الشاعر النبطي السعودي الكبير سلطان الهاجري! فقد كان سبباً مباشراً في صياغتي لهذه القصيدة! حيث تحدّاني بها على حد تعبيره!)

حبيبتـــي أقبلـــتْ فـــي غِلســـة الفلـــقِ ... والثـــوبُ يَســـترُها مـــن خـــائن الحِـــدَقِ

تســـعى ويَســـبقها اســـتحياءُ مِشـــيتها ... ولـــيس فـــي ســـعيها شـــيءٌ مـــن الخـــرق

فقلـــتُ: مرحـــى بمـــن صـــلتْ بمســـجدها ... صـــلاتها ، كـــالتي صـــلتْ مـــن الغســـق

فهـــل ضـــللتِ طريـــقَ الـــدار يـــا أملـــي ... فجئـــتِ كـــي تســـألي عـــن غـــامض الطـــرق؟

أم جئـــتِ كـــي تختلـــي بالحِـــب عـــن رغـــب؟ ... فقـــاطعتْني بصـــوتٍ خافـــتٍ أرِق

لا ، والـــذي رفـــعَ الســـما بـــلا عَمَـــدٍ ... بـــل جئـــتُ أشـــكو الـــذي ألقـــى مـــن القلـــق!

أبـــي ســـيرفضُ مـــا قـــد جئـــت تطلبُـــه ... يـــا صـــاحبَ الـــدين والإيمـــان والخلـــق!

أنـــت الفقيـــرُ ، وإن حُـــزت التقـــى خلقـــاً ... لكـــنْ يتـــوقُ أبـــي للـــدُر والـــوَرِق!

فقلـــتُ: علّـــي بمـــا لـــديّ أقنعُـــه! ... قالـــت: ســـيغلبه مـــا حـــاز مـــن نـــزق!

فقلـــتُ: جئـــتِ بحـــل والخـــلاص إذن! قالـــت ويلجمُهـــا ســـيلٌ مـــن العـــرق:

هـــذي الجـــواهر خـــذها كـــي تقـــدمها فـــي مجلـس العقـد فـي عـز وفـي شـمق!

فقلـــت: هـــذا جميـــلٌ منـــك محتـــرمٌ يومـــاً يُـــرد ، فـــذا كالـــدَيْن فـــي عُنقـــي

أراكِ بعـــد الـــذي قـــدمت جـــوهرة أفـديكِ بـالروح فـي هـذي الوعـود ثقـي!

قالـــت: أعـــودُ إلـــى الأهلـــين ، وابـــق هنـــا! لتـــركبن طبقـــاً فـــي الغـــدّ عـــن طبـــق!

وبـــارك الله مـــن جـــاءت تعـــين فتـــىً علـى الـزواج ومَـن فـي الـدار تلـك بقِـي!

واســـترْ علـــيّ الـــذي أعطيـــتُ أرجـــو بـــه رب الســـماوات والأرضـــين والفلـــق

فقلـــت: بـــارك ربـــي فـــي خطوبتنـــا وأذهـــب الله مـــا نلقـــى مـــن الفَـــرَق!

وأخلـــفَ اللهُ مـــا أنفقـــتِ راضـــية يـــا ربّـــة الحُسْـــن والجَمـــال والخُلـــق!

وشـــدّ أزرَكِ فـــي الـــدنيا وضُـــرتها مَليكُنـــا خـــالقُ الإنســـان مـــن علـــق!

وتمـــمَ الفضـــلَ مولانـــا وخالقنـــا وخفـــفَ الله مـــا نلقـــى مـــن المِشَـــق!

معاني الكلمات غير المطروقة

غِلسة: وقت الغلس والغبش الذي يكون بُعيد الفجر! الفلق: انبلاج وقت الفجر. الثوب: العباءة السابغة الساترة لكل البدن ، بما في ذلك الوجه والكفان طبعاً! الحِدق: العيون. استحياء: سترُ وجهها بالحجاب وكلتا كفيها لئلا يراها خطيبُها الذي هو أجنبي إلى أن يعقد عليه فتصبح زوجة له! الخرَق: الطيش والحُمْق والغباء. الغسق: أول الليل. ضللتِ: تهتِ عن بيتك. الحِب: الحبيب الولهان الذي تعلقتْ به. عن رغب: راغبة في لقاء الحبيب. خافت: هادئ. أرِق: فيه قلقٌ وخوف ورُعب. حُزت: أعطيت ومُنحت. يتوق: يتطلع جداً. الدُر: اللؤلؤ أو الذهب. الورِق: الفضة. النزق: الطيش والغباء. يلجمها العرق: يسيل على وجهها. الشمق: الحيوية والنشاط والرجولة. لتركبن طبقاً عن طبق: أي تتغير بك الأحوال من لقاء أبي وكلامه وتصرفاته. الفرَق: الخوف. شد أزركِ: قوّاكِ. الحياة الدنيا وضرتها: أي الآخرة. من علق: من دم. المِشق: جمع مشقة ، وهي المشكلة العويصة الصعبة!

حقيقة الشاعر

(سألني كثيرون لماذا لم تكتب الشعر في كذا وكذا ، وعدّدوا من المناسبات والظروف؟ فأجبت: لم تتحرك عندي عاطفة لما تسألون عنه! إن كثيرين يتصورون أن الشاعر كالنجار الذي يُمسك بقطع الخشب ليصنع منها كرسياً! أو كالحداد الذي يمسك بقطع الحديد ليصنع منها باباً! ولست أنكر أن في الساحة شعراء هكذا ، لكنهم ليسوا شعراء بل هم صناعون! وإنما الشعر شعور!)

فيم التساؤل عن شعري وعن أدبي؟ وكيف أقنعكم يا جوقة الرّيَبِ؟

ومذ متى وقريضي العذبُ يشغلكم؟ سؤالكم عنه أمرٌ بالغ العجب!

أهديتُ شعري دواوينا مزركشة والشعر - في أمّها - مُطهّم الطرب

وقد سطرْتُ كُليماتي أبجّلكم فيها البريقُ شدا كالماس والذهب

وقبلُ سطرتُ شعري ، والمِدادُ دمي يَنِمّ عن قِيَم صُبتْ على الكتب

ناصحتُ فيه ، وقد دونتُ تجربتي والشعرُ أرجى من الأموال والحَسب

وما نقشتُ سوى ما هز عاطفتي ومِن عل قد هوى كالتين والعنب

ولم أكنْ بشعوري العفّ مرتزقاً شأن الألى رغبوا في المال والقُرَب

ولم أطوّعْ قريضي للألى انحرفوا عن الحنيفة ، وانصاعوا إلى اللعب

وكم صدقتُ بما قصّدتُ محتسباً! وقصْدُ ربي به من أفضل الحِسَب

لو لم أعانِ لمَا فاض القريض جوىً على قراطيس مُلتاع ومُغترب

أعطيتُ للشعر مِن مالي ومن عُمُري حتى يراه الورى يختال في أرب

شتان بين قريض صِدقه علمٌ وآخرٍ من كثير الكِذب مضطرب!

حَقيقة الشعر ما جاد اليقينُ به شتان شتان بين الصدق والكذب!

وكم قصيدٍ أهاجتهُ مناسبة حتى انقضت ، فثوى كالظل والسحُب!

حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط)

(إن سؤالاً يطرح نفسه في مستهل هذه القصيدة ، هذا السؤال هو: من منا لا يعرف الشيخ عبد الباسط عبد الصمد سليم داود؟ من منا لا يعرف صوته ولا يعرف قدره ، ولا يعرف تميزه بين القراء؟! قارئ ملأ ربوع الأرض قرآنا بصوته الصافي النقي العذب. صوت مميز بلا تحيز قوي صافٍ بلا انفعال ، مؤثر بلا افتعال ، مدرسة فريدة في القراءة تتلمذ عليها من جاؤوا بعده من القراء بلا استثناء. الشيخ عبد الباسط مفخرة قراء صعيد مصر! فهو من مواليد مدينة أرمنت محافظة قنا في أول يناير عام 1927م ، وهي ذات السنة التي ولد فيها أبي: (علي سليمان) ، فهي سنة مباركة عندي بهذا الاعتبار! وكان ترتيبه (أي الشيخ عبد الباسط) الثالث بين إخوته ، فأخوه الأكبر محمود عبد الصمد مفتش ثانوي سابق ، ويعتبر أول من تعلم بالأزهر في محافظة قنا ، يليه عبد الحميد عبد الصمد ناظر ثانوي أزهري بالمعاش ، ثم الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، ثم أخيه الأصغر عبد الله عبد الصمد. ألحقه أبوه بكُتاب البلدة مع إخوته عام 1943م ، إلا أن الطفل عبد الباسط تميز عن إخوته في حفظه للقرآن ، وحسّن تلاوته له رغم التحاقه بالكتاب في السابعة من عمره ، إلا أنه أتم حفظه قبل بلوغ العاشرة ، ولأن والده كان من علماء الدين بمحافظة قنا ، فقد عزم على الاهتمام به لما رأى فيه من حسن الأداء وجمال الصوت ليكون من أهل القرآن ، وذلك بخلاف إخوته الذين لم يكونوا مثله ، ولم يتمتعوا بموهبته ، فاكتفى بإتمامهم حفظ القرآن ، ثم وجههم إلى التعليم الأزهري! والشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد ولد بقرية المراعزة التابعة لمدينة أرمنت بمحافظة قنا بجنوب مصر ، حيث نشأ في بقعة طاهرة تهتم بالقرآن الكريم حفظاً وتجويداً ، فقد كان جده الشيخ عبد الصمد من الأتقياء والحفظة المشهود لهم بالتمكن من حفظ القرآن وتجويده بالأحكام ، وأيضاً والده الشيخ محمد عبد الصمد كان أحد المجودين المجيدين للقرآن حفظاً وتجويداً. أما الشقيقان هما محمود وعبد الحميد وكانا يحفظان القرآن بالكتاب ، فلحق بهما أخوهما الأصغر سناً عبد الباسط ، وهو في السادسة من عمره. وكان ميلاد الشيخ عبد الباسط عبد الصمد بداية تاريخ حقيقي لقريته ولمدينة أرمنت التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابه ، التحق الطفل الموهوب عبد الباسط بكتّاب الشيخ الأمير بأرمنت ، فاستقبله شيخه أحسن ما يكون الاستقبال ، لأنه توسم فيه كل المؤهلات القرآنية التي صُقلت من خلال سماعه القرآن يتلى بالبيت ليل نهار ، بكرة وأصيلاً ، لاحظ الشيخ (الأمير) على تلميذه الموهوب أنه يتميز بجملة من المواهب والنبوغ تتمثل في سرعة استيعابه لما أخذه من القرآن وشدة انتباهه وحرصه على متابعة شيخه بشغف وحب ، ودقة التحكم في مخارج الألفاظ والوقف والابتداء وعذوبة في الصوت تشنف الآذان بالسماع والاستماع ، وأثناء عودته إلى البيت كان يرتل ما سمعه من الشيخ رفعت بصوته القوي الجميل متمتعاً بأداء طيب يستوقف كل ذي سمع. يقول الشيخ عبدالباسط في مذكراته: عندما كان سني عشر سنوات أتممت خلالها حفظ القرآن الذي كان يتدفق على لساني كالنهر الجاري وكان والدي موظفاً بوزارة المواصلات ، وكان جدي من العلماء ، فطلبت منهما أن أتعلم القراءات فأشارا عليّ أن أذهب إلى مدينة طنطا بالوجه البحري لأتلقى علوم القرآن والقراءات على يد الشيخ (محمد سليم) ، ولكن المسافة بين أرمنت (إحدى مدن جنوب مصر) وبين طنطا (إحدى مدن الوجه البحري) كانت بعيدة جداً ، والأمر كان متعلقاً بصياغة مستقبلي ورسم معالمه ، مما جعلني أستعد للسفر ، وقبل التوجه إلى طنطا بيوم واحد علمنا

بوصول الشيخ محمد سليم إلى أرمنت ليستقر بها مدرساً للقراءات بالمعهد الديني بأرمنت ، واستقبله أهل أرمنت أحسن استقبال واحتفلوا به لأنهم يعلمون قدراته وإمكاناته لأنه من أهل العلم والقرآن ، وكأن القدر ساق إلينا هذا الرجل في الوقت المناسب ، وأقام له أهل البلاد جمعية للمحافظة على القرآن الكريم بقرية أصفون المطاعنة ، فكان يُحَفِظ القرآن ويُعَلِم علومه والقراءات ، فذهبتُ إليه وراجعتُ عليه القرآن كله ثم حفظتُ الشاطبية التي هي المتن الخاص بعلم القراءات السبع. وبعد أن وصل الشيخ عبد الباسط الثانية عشرة من العمر انهالت عليه الدعوات من كل مدن وقرى محافظة قنا ، وخاصة أصفون المطاعنة بمساعدة الشيخ محمد سليم الذي زكّى الشيخ عبد الباسط في كل مكان يذهب إليه ، وشهادة الشيخ سليم كانت محل ثقة الناس جميعاً. في عام 1950م ذهب إلى القاهرة وكان هناك احتفال سنوي يحييه عمالقة القراء المشاهير ، كالشيخ عبد الفتاح الشعشاعي والشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبد العظيم زاهر والشيخ أبو العينين شعيشع وغيرهم ، من كوكبة قراء الرعيل الأول بالإذاعة. وبعد منتصف الليل والمسجد يموج بأفواج من الناس القادمين من كل مكان من أرجاء مصر كلها. استأذن أحد أقارب الشيخ عبد الباسط القائمين على الحفل أن يقدم لهم هذا الفتى الموهوب ليقرأ عشر دقائق ، فأذن له وبدأ في التلاوة وسط جموع غفيرة ، وكانت التلاوة من سورة الأحزاب ، فعم الصمت أرجاء المسجد ، واتجهت الأنظار إلى القارئ الصغير الذي تجرأ وجلس مكان كبار القراء ، ولكن ما هي إلا لحظات حتى انتقل السكون إلى ضجيج وصيحات رجت المسجد (الله أكبر) (ربنا يفتح عليك) (بارك الله فيك) ، إلى آخره من العبارات التي تصدر من القلوب مباشرة من غير مونتاج. وبدلاً من القراءة عشر دقائق امتدت إلى أكثر من ساعة ونصف ، فخيل للحاضرين أن أعمدة المسجد وجدرانه وثرياته انفعلت مع الحاضرين وكأنهم يسمعون أصوات الصخور تهتز وتسبح بحمد ربها مع كل آية تتلى بصوت شجي ملائكي يحمل النور ويهز الوجدان بهيبة ورهبة وجلال. ومع نهاية عام 1951م ، طلب الشيخ الضباع من الشيخ عبد الباسط أن يتقدم إلى الإذاعة كقارئ بها ، ولكن الشيخ عبدالباسط أراد أن يؤجل هذا الموضوع ، نظراً لارتباطه بالصعيد وأهله ولأن الإذاعة تحتاج إلى ترتيب خاص ، ولكن قدر الله وإرادته فوق كل ترتيب وإرادة ، فقد كان الشيخ الضباع قد حصل على تسجيل لتلاوة الشيخ عبد الباسط بالاحتفال إياه! والذي به خطف الأضواء من المشاهير وتملك الألباب ، وقدم هذا التسجيل للجنة الإذاعة فانبهر الجميع بالأداء القوي العالي الرفيع المحكم المتمكن ، وتم اعتماد الشيخ عبد الباسط بالإذاعة عام 1951م ، ليكون أحد النجوم اللامعة. وبعد الشهرة التي حققها الشيخ عبد الباسط في بضعة أشهر ، كان لا بد من إقامة دائمة بالقاهرة مع أسرته التي نقلها من الصعيد إلى حي السيدة زينب ، ليسعد بجوار المسجد! وتم التحاقه بالإذاعة وتقديمه كهدية للعالم والمسلمين والإسلام ، على حد قول ملايين الناس ، فبسبب التحاقه بالإذاعة زاد الإقبال على شراء أجهزة الراديو ، وتضاعف إنتاجها وانتشرت بمعظم البيوت للاستماع إلى صوت الشيخ عبد الباسط ، وكان الذي يمتلك راديو في منطقة أو قرية من القرى ، يقوم برفع صوت الراديو لأعلى درجة ، حتى يتمكن الجيران من سماع الشيخ عبد الباسط ، وهم بمنازلهم وخاصة كل يوم سبت ، على موجات البرنامج العام من الثامنة وحتى الثامنة والنصف مساءً ، بالإضافة إلى الحفلات الخارجية التي كانت تذاع على الهواء مباشرة من المساجد الكبرى. هذا ، ولقد بدأ الشيخ عبد الباسط رحلته الإذاعية في رحاب القرآن الكريم منذ عام 1952م ، فانهالت عليه الدعوات من شتى بقاع الدنيا في شهر رمضان وغير شهر رمضان. كانت بعض

الدعوات توجه إليه ليس للاحتفال بمناسبة معينة ، وإنما كانت الدعوة للحضور إلى الدولة التي أرسلت إليه لإقامة حفل بغير مناسبة ، وإذا سألتهم عن المناسبة التي من أجلها حضر الشيخ عبد الباسط فكان ردهم (بأن المناسبة هي وجود الشيخ عبد الباسط) ، فكان الاحتفال به ومن أجله لأنه كان يُضفي جواً من البهجة والفرحة على المكان الذي يحل به. هذا يظهر من خلال استقبال شعوب دول العالم له استقبالاً رسمياً على المستوى القيادي والحكومي والشعبي. حيث استقبله الرئيس الباكستاني في أرض المطار ، وصافحه وهو ينزل من الطائرة. وفي جاكرتا بدولة إندونيسيا قرأ القرآن الكريم بأكبر مساجدها ، فامتلأت جنبات المسجد بالحاضرين ، وامتد المجلس خارج المسجد لمسافة كيلو متر مربع ، فامتلأ الميدان المقابل للمسجد بأكثر من ربع مليون مسلم يستمعون إليه وقوفاً على الأقدام حتى مطلع الفجر. وفي جنوب أفريقيا عندما علم المسئولون بوصوله ، أرسلوا إليه فريق عمل إعلامي من رجال الصحافة والإذاعة والتليفزيون ، لإجراء لقاءات معه ومعرفة رأيه عما إذا كانت هناك تفرقة عنصرية أم لا من وجهة نظره ، فكان أذكى منهم وأسند كل شيء إلى زميله وابن بلده ورفيق رحلته القارئ الشيخ أحمد الرزيقي الذي رد عليهم بكل لباقة ، وأنهى اللقاء بوعي ودبلوماسية أضافت إلى أهل القرآن مكاسب لا حد لها ، فرضت احترامهم على الجميع. كانت أول زيارة للشيخ عبد الباسط خارج مصر بعد التحاقه بالإذاعة عام 1952م ، زار خلالها السعودية لأداء فريضة الحج ومعه والده. واعتبر السعوديون هذه الزيارة مهيأة من قبل الله ، فهي فرصة يجب أن تجنى منها الثمار ، فطلبوا منه أن يسجل عدة تسجيلات للمملكة لتذاع عبر موجات الإذاعة. لم يتردد الشيخ عبد الباسط ، وقام بتسجيل عدة تلاوات للمملكة العربية السعودية ، أشهرها التي سجلت بالحرم المكي والمسجد النبوي الشريف ، (لقب بعدها بصوت مكة). لم تكن هذه المرة الأخيرة التي زار فيها السعودية وإنما تعددت الزيارات ما بين دعوات رسمية وبعثات وزيارات لحج بيت الله الحرام. من بين الدول التي زارها الهند لإحياء احتفال ديني كبير أقامه أحد الأغنياء المسلمين هناك. فوجئ الشيخ عبد الباسط بجميع الحاضرين يخلعون الأحذية ويقفون على الأرض ، وقد حنّوا رؤوسهم إلى أسفل ينظرون محل السجود وأعينهم تفيض من الدمع ، يبكون إلى أن انتهى من التلاوة ، وعيناه تذرفان الدمع تأثراً بهذا الموقف الخاشع. لم يقتصر الشيخ عبد الباسط في سفره على الدول العربية والإسلامية فقط ، وإنما جاب العالم شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً وصولاً إلى المسلمين في أي مكان من أرض الله الواسعة. تمكن مرض السكر من الشيخ عبد الباسط ، وكان يحاول مقاومته بالحرص الشديد والالتزام بتناول الطعام والمشروبات ، ولكن تضامن الكسل الكبدي مع السكر ، فلم يستطع أن يقاوم هذين المرضين الخطيرين فأصيب بالتهاب كبدي قبل رحيله بأقل من شهر ، فدخل مستشفى الدكتور بدران بالجيزة ، إلا أن صحته تدهورت مما دفع أبناءه والأطباء إلى نصحه بالسفر إلى الخارج ليعالج في لندن ، حيث مكث بها أسبوعاً وكان بصحبته ابنه طارق ، فطلب منه أن يعود به إلى مصر وكأنه أحسّ أن نهار العمر قد ذهب ، وكأن اللقاء قد اقترب ، فما الحياة إلا ساعة ثم تنقضي ، فالقرآن أعظم كرامة أكرم الله بها عبده وأجلّ عطية أعطاها إياه فهو الذي استمال القلوب وقد شغفها طرباً وطار بها فسافرت إلى النعيم المقيم في جنات النعيم ، وقد غمر القلوب حباً وسحبهم إلى الشجن ، فحنت إلى الخير والإيمان وكان سبباً في هداية كثير من القلوب القاسية وكم اهتدى بتلاوته كثير من الحائرين ، فبلغ الرسالة القرآنية بصوته العذب الجميل كما أمره ربه فاستجاب وأطاع. كان رحيله ويوم وداعه بمثابة صاعقة وقعت بقلوب ملايين المسلمين في

كل مكان من أرجاء الدنيا وشيّعه عشرات الألاف من المحبين لصوته وأدائه وشخصه على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ، وكانت جنازته وطنية ورسمية على المستويين المحلي والعالمي فحضر تشييع الجنازة جميع سفراء دول العالم نيابة عن شعوبهم وملوك ورؤساء دولهم تقديراً لدوره في مجال الدعوة بكافة أشكالها حيث كان سبباً في توطيد العلاقات بين كثير من شعوب دول العالم ليصبح يوم 30 من نوفمبر من كل عام يوم تكريم لهذا القارئ العظيم ليذكّر المسلمين بيوم الأربعاء الموافق 1988/11/30م ، الذي توقف عنه وجود الشيخ عبد الباسط عبد الصمد بين أحياء الدنيا ، ليفتح حياة خالدة مع أحياء الآخرة ، يرتل لهم القرآن الكريم كما يرتل في الدنيا. ومن الذكريات أنه كان رحمة الله عليه يقول أنه تقاضى ثلاثة جنيهات في أول حفله قرأ فيها وكان عمره أربعة عشر عاماً ، ويعد هذا المبلغ كبيراً في ذلك الوقت الذي نال فيه شهرة واسعة رغم صغر سنه ، فكان يجوب محافظة أسوان والأقصر بدعوات خاصة من كبار العائلات حتى أواخر عام 1950م. ولقد تزوج الشيخ عبد الباسط في سن مبكرة ، وقبل اعتماده قارئاً بالإذاعة فهل استقر بالقاهرة وترك زوجته وأهله بمدينة أرمنت أم ماذا؟ كان متردداً بإقامته بالقاهرة والاستقرار بها وإقامته بالوجه القبلي فاستخار الله تعالى ، فكان له ما أراد حيث الاستقرار بالقاهرة فعاد إلى مدينة أرمنت واصطحب زوجته وبنتيه إلى القاهرة ، ونزل بهما جميعاً على لوكاندة الشرق بحي السيدة زينب أيضاً وكان ذلك عام 1952م. وبعد اعتماده بالإذاعة المصرية تم تعيينه بمسجد الإمام الشافعي حتى عام 1981م ، ثم نقل إلى مسجد الحسين ، وأحيا العديد من الحفلات القرآنية بمساجد القاهرة والسيدة زينب والسلطان أبو العلا ومسجد الإمام الشافعي رضي الله عنهم جميعاً. وعندما سافر الشيخ عبد الباسط عبد الصمد إلى باريس ، خلع عمامته وجبته وارتدى بدلة قام بشرائها من أشهر محلات باريس. نعم لقد روى هذه القصة بنفسه فقد سافر إلى فرنسا عام 1952م لإحياء ليالى رمضان بالمركز الإسلامي هناك ، وذات يوم وبعد تناوله طعام إفطاره أراد أن يخرج إلى الشارع ليتنزه بعض الوقت ، فخرج مرتدياً زيه التقليدي ، وأثناء سيره في الشارع لاحظ أن الناس ينظرون إليه ويشيرون إلى ملابسه وإلى عمامته ، فأحس أن هذا الأمر يلفت الأنظار إليه ، فذهب إلى صديق كان يقيم معه بالفندق وعرض عليه الأمر ، وطلب منه أن يصطحبه لشراء بدلة يرتديها بدلاً من العمامة والجبة ، وبالفعل قاما بشراء تلك البدلة التي كان الشيخ عبد الباسط يلبسها ، كما أراد أن ينزل إلى الشارع متخلياً عن جبته وعمامته في تلك الظروف فقط. ولماذا لم يرتد البدلة في مصر؟ لقد سئل هذا السؤال فقال: أشعر أنها تقيد جسمي وحركتي! وقد تعودت على ارتداء الجلباب. وذات يوم أراد الشيخ عبد الباسط أن يتعلم اللغة الإنجليزية ، فتعاقد مع أحد معاهد اللغات ولكنه لم يحضر سوى أربعة حصص فقط. فما السبب وراء رغبته في تعلم اللغة الإنجليزية؟ ولماذا لم يستمر في تعلمها؟ بعد أن عاد من أحد أسفاره إلى أوروبا قال: أريد أن أتعلم اللغة وأذكر أنني سافرتُ كثيراً إلى الدول الأوروبية وتعرضتُ لمواقف كثيرة أشعر معها بضرورة تجاوبي مع شعوب تلك الدول ، وبالفعل التحق بأحد معاهد تعليم اللغات ودفع مبالغ يعادل قيمة أجر ثلاثين حصة مقدماً واتفق مع المسؤولين بالمعهد على أن يتم التدريس له بمفرده ، فوافقوا ولكنه لم يحضر سوى ثلاثة أو أربعة حصص فقط ، لكثرة ارتباطه وأسفاره المتعددة داخل مصر ولفترات طويلة قد تصل إلى شهور في بعض الأحيان يغيب فيها ، فأثر ذلك على انتظامه بالدراسة ومتابعة الدارسين فانقطع استكمال هذا المشوار. ويوماً عرض عليه الملك محمد الخامس ملك المغرب أن يترك القاهرة ومصر كلها ويقيم معه بالمغرب إقامة كامله

ولكنه رفض. فقد كانت تربطه بالملك محمد الخامس علاقة وصداقة قوية ، وكان يتصل به عن طريق التليفون ويحدد له موعد حضوره للقاهرة ليستمع إلى تلاوة القرآن بصوته وكانا يلتقيان بمسجد السيدة نفيسة فيصليان الفجر سوياً ، ثم يمكثان بعد الصلاة بالمسجد ، ويقرأ الشيخ عبد الباسط ما تيسر من القرآن حتى تطلع الشمس. وفي آخر زيارة للملك محمد الخامس بالقاهرة عرض على الشيخ عبد الباسط أن يترك القاهرة ، ويذهب معه إلى دولة المغرب ليستقر هناك ، وسوف يغدق عليه بالمال الكثير ، فاعتذر له الشيخ قائلاً: أعدك أن آتي إليك بالمغرب على سبيل الزيارة ، كلما سمحت لي الظروف بذلك ، لأن إقامتي بالمغرب ليست بالأمر الهين علي ، فهذه مصر بلدي وأهلها أهلي الذين نشأت بينهم ، ولا أستطيع أن أفارقهم ، وعلى الرغم من كثرة أسفاري وتغيبي عن مصر إلا أن احساسي بالعودة إليها آت لا محالة يهون عليّ مشقة السفر ووحشة الأهل وبعد المسافات! فاستقبل الملك محمد الخامس هذا الرفض المهذب ببشاشة وجه وحب عظيم وتقدير للشيخ عبد الباسط لأصالة انتمائه وعرفاناً بجميلها عليه. ولكن ما هي الشخصيات التي تأثر بها الشيخ عبد الباسط عبد الصمد؟ شخصيتان ، الأولى هي شخصية الشيخ محمد رفعت ، والذي كان يقول عنه أنه كان يمشي مسافات طويلة جداً قد تصل إلى خمس كيلو مترات ، ليستمع إلى القرآن بصوت الشيخ محمد رفعت ، من خلال جهاز الراديو الوحيد الموجود عند أحد أثرياء البلدة ، فتأثر بصوته جداً وخاصة تلك الفترة التي كان يتأهب فيها ليكون قارئاً ، ويحلم بأن ينال شهرة الشيخ محمد رفعت. أما الشخصية الثانية شخصية الشيخ مصطفى إسماعيل قارئ القصر الملكي وكان الشيخ عبد الباسط يثني على أخلاقة كثيراً ، وأنه قارئ له مدرسته وصوته المميز ولونه الخاص وكان يحب الاستماع إليه كثيراُ ، وقد ربطتهما صداقة متينة! وقد كان تأثر بهما تأثر المحب لصوتيهما وأسلوبهما وليس مقلداً لهما ، فلكل منهما أسلوبه ومنهجه وأدائه الذي يختلف عن الآخر. ماذا عن الطعام الذي كان يفضله الشيخ عبد الباسط عبد الصمد؟ وكان الشيخ عبد الباسط لم ينقد أو ينتقد قط وعندما يسأل عن رأيه في صوت أي قارئ جديد يقول: صوته جيد ولا بأس به ولا يزيد على ذلك. لقد سافر إلى السعودية عام 1951م ، لأداء فريضة الحج وقام ببعض التسجيلات لإذاعة المملكة ، ثم تتابعت بعد ذلك الزيارات للمملكة ، فسجل لها المصحف المرتل برواية حفص عن عاصم ، وذلك بدعوة من وزارة الإعلام السعودية ، وقد دعته حكومة سوريا لإحياء شهر رمضان بالمسجد الأموي بدمشق والجامع الكبير بحلب وكذلك إحياء بعض الليالي الدينية بلبنان والجزائر والكويت وكل الدول العربية وكانت تلك الزيارات بعضها من قبل وزارة الأوقاف لإحياء ليالي شهر رمضان والبعض الأخر عن طريق الدعوات الشخصية. وسافر على جنوب أفريقيا مرتين ومكث فيها أكثر من شهرين قضاها مع مسلمي جنوب أفريقيا بدعوة من المركز الإسلامي في مدينة جوهانسبرج ، وقرأ القرآن في بريتوريا ودرين وليدي سميث وكيب تاون. كذلك قلم بزيارة باكستان أكثر من مرة وكذلك الهند وإندونيسيا وبورما وماليزيا وجزر المالديف وأوغندا والسنغال ونيجيريا. وكانت أول زيارة له للولايات المتحدة الأمريكية عام 1967م بدعوة من المركز الإسلامي بواشنطن زار خلالها أربعة عشر ولاية أمريكية قرأ فيها جميعها القرآن ثم قام بزيارتها مرة أخرى عام 1981م ، بدعوة من المركز الإسلامي بلوس أنجلوس ثم زيارة أخرى عام1987م ، وفي نفس العام عندما دعي لافتتاح أول مدرسة إسلامية لتعليم القرآن الكريم بمدينة فرجينيا بواشنطن. كما سافر إلى بعض الدول الأوربية حيث سافر إلى باريس وقرأ بالقسم الإسلامي بها وأيضاَ في إسبانيا ولندن وقام بتسجيل بعض التسجيلات

للقسم العربي بالإذاعة البريطانية عام 1971م. وفي خواتيم أيامه في الدنيا ، ولأنه كان يشعر بدنو أجله طلب أن يجلس مع عائلته فأوصاهم خيراً ببعضهم البعض ، وأوصى ابنه الأكبر بأن تكون صلاة الجنازة عليه بمسجد مصطفى محمود بالمهندسين ، وأن يكون العزاء بمسجد الحامدية بسور نادي الزمالك! وقد وافته المنية عصر الأربعاء الموافق30-11-1988م ، عن عمر يناهز إحدى وستين عاماً. ما هي الأوسمة التي حصل عليها؟ وفي سوريا كرمه الرئيس صبري العسلي رئيس مجلس الوزراء السوري عام1956م ، ومنح وسام الاستحقاق. ومن لبنان قلده الرئيس سامي الصلح وساماً. وكذلك قلدته الحكومة السنغالية وساماً ، ومن ماليزيا منحه رئيس حكومة ماليزيا تنكو عبد الرحمن الوسام الذهبي في افتتاح المسجد الكبير بالعاصمة الماليزية كوالالمبور وسط احتفال كبير شهده ربع مليون ماليزي عام 1956م. ومن مصر حصل على شهادة تقدير من وزارة الاعلام المصرية بمناسبة عيدها الذهبي عام 1938م. وكان قد سافر مع الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق إلى أبو ظبي والشارقة وقطر والهند ، ومع الدكتور عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر السابق إلى باكستان وماليزيا ، ومع الإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر إلى جزر المالديف ثم البحرين ثم في رحلة أخرى إلى نيجيريا ثم إلى جمهورية الصومال. ورافق الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف الأسبق إلى باكستان والهند لافتتاح بعض المؤتمرات الدينية بجامعة العلوم في ديوبن ومصاحباً للدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف الحالي إلى أورانج لافتتاح مؤتمر السيرة النبوية الرابع عشر. قام بتسجيل المصحف المرتل برواية حفص عن عاصم لإذاعة جمهورية مصر العربية ، كما شارك بتسجيل المصحف المرتل برواية حفص عن عاصم أيضاً للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وكذلك للإذاعة السعودية والكويت. والمصحف المرتل رواية ورش عن نافع لإذاعة المملكة المغربية ، رحمه الله رحمة واسعة. هذا ، ويرجع حبى للشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، إلى عهد الطفولة. ولقد ذهب الشيخ الجليل وأفضى إلى ما قدم. ورحل عنا مخلفاً ذلك الصوت الشادي الحادي بآي الذكر الحكيم – يشهد ربي – تعالى – كيف كنت أتابع الشيخ في جميع الإذاعات مترقباً ومشتاقا إلى القرآن العبقري الندي الشجي بهذا الصوت الذكي اللطيف الظريف. ويشهد ربي أني كنت أسير إلى المكتبات والتسجيلات الصوتية إلى اليوم: باحثاً عن هذا الصوت وملتمساً هذا الأداء الذي هو الثروة لمن أراد الثروة والثراء والتراث الحق لمن كان يلتمس التراث. وفي رحلة للعمرة وفي طريق عودتي من مصر قاصداً إلى الإمارات في 2001م ، وفي إحدى التسجيلات بمكة كرمها الله طلبتُ قراءة القرآن برواية ورش عن نافع بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد – رحمه الله – وتوقعت الإجابة بالنفي (ككل جواب سبق في مصر أو في الأردن أو في السعودية) ، ولكن في هذه المرة أجاب البائع الكريم: (موجودة) فقلت: أهي الختمة الكاملة المرتلة؟ فأجاب: نعم. فقلت في نفسي: لعله يجهل ما أريد ، فكررت: (قراءة ورش عن نافع وليست قراءة حفص عن عاصم)! فأجاب بثقة: وهل أنا لا أعرف الفرق بينهما في تصورك؟ فأجبت: كلا حاشاك؟ وكنت أنوى أن أقول: (ربما) ولكنني استحيت منه ، فالرجل تبدو عليه أمارات العلم والمعرفة وسيماء الصالحين العالِمين. فحملتها وكأنني حزت كنزاً عظيماً (وهي كذلك). أهدي أبياتي هذي والتي يعطرها حنين القلب وشآبيب العاطفة ، وتلفحها ترانيم الأحاسيس ويزخرفها أريج الشعور بالحب الكبير للشيخ الجليل والقارئ الحبيب صاحب الحنجرة الذهبية الشادية بآيات القرآن: عبد الباسط محمد عبد الصمد – رحمه الله – وذلك بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى وأثر فينا رحيله ويبقى صوته العذب

يتلو آيات القرآن ، ويرتل كلام الله تعالى. فلقد تأثرت جداً بالشيخ / عبد الباسط ، منذ صغري – مثلي في ذلك مثل الكثيرين من محبي الشيخ – رحمه الله -. وأذكر أنني ذهبت إلى أم عبد الله زوجي وكانت خطيبة لا تزال في دار أبيها ، وقلت لها مستعبراً باكياً حزيناً: (عبد الباسط مات يا عزة!) ، وأخذت العائلة تقارن بين البكاء على قارئ القرآن الكريم والبكاء على مغن فاسق ماجن! وتمت كتابة هذه القصيدة يوم وفاة الشيخ عبد الباسط رحمه الله تعالى!)

أيـــن الأريـــجُ؟ وأيـــن النبـــعُ والقمـــرُ؟ وأيـــن عطـــرٌ - علـــى الآمـــاد - ينتشـــرُ؟

وأيـن رجْـعُ الصـدى فـي القلـب مبتسـماً؟ وأيـــن صـــوتُ الهُـــدى بـــالوحى يزدهـــر؟

أيـــن النـــدى فـــي ذرى الآفـــاق ملتحفـــاً نـــور الـــتلاوة ، يزجـــي نفحـــه الزهـــر؟

أيـــن التغنـــي بـــآي الـــذكر؟ أيـــن مضـــى؟ حزنـــي عليـــه طغـــى ، مـــا عـــدتُ أصـــطبر؟

أيـــن الشـــذى فـــوق هـــام القـــوم يبـــذرهُ شـــيخي الحبيـــبُ رطيبـــاً مثلمـــا المطـــر؟

أيـــن القـــراءاتُ فـــي ليـــل وفـــي سَـــحَر؟ اليـــوم يبكـــي عليهـــا الليـــلُ والســـحر؟

أيـــن التراتيـــلُ نشـــوى فـــي تبخترهـــا تُعطـــر النـــاس بـــالقرآن ، تفتخـــر؟

وأيـــن شـــيخ جليـــلٌ صـــادحٌ أبـــداً؟ مزمـــارُ (داود) لا فخـــر ولا بطـــر!

قـــالوا: مـــريض ، شـــفى الـــرحمن عِلتـــه إنـــي أحـــس بـــأن الليـــث يُحتضـــر

وبعـــدُ نُبئـــتُ أن البـــدر ودّعنـــا فقلـــت: أمـــر المليـــكِ ، وإن ذا قـــدر

يـــا لهـــف (أرمنـــتَ) ، باتـــت فـــي تحسّـــرها والـــدمعُ فـــوق ثـــرى البيـــداء ينتحـــر

يبكيـــكَ أهـــل التقـــى: ســـراً وفـــي علـــن والحـــزنُ يـــا شـــيخنا فـــي القلـــب يســـتعر

إنـــي ذكرتـــك ، والأيـــامُ ماضـــية تعبـــئ العُمْـــر فـــي الأجـــداث ، لا تـــذر

وحكمـــة الله أن المـــوت يرقبنـــا بعـــد الحيـــاة ليُبلـــى مَـــن لـــه بصـــر

فمـــنْ يعـــشْ فـــي ســـنا التقـــوى نجـــا أبـــداً ومَـــن تعبـــد دنيـــاهُ لـــه سَـــقر

وبعـــد موتـــك فـــي قرآننـــا عِـــوضٌ كتـــابُ ربـــك فيـــه الخيـــر والثمـــر

مَـــن كـــان يعمـــل بـــالقرآن محتســـباً لـــه الجنـــانُ ، فيـــا خســـران مَـــن كفـــروا!

يـــا ابـــن الصـــعيد عليـــكَ العـــينُ دامعـــة والقلـــبُ تلهـــو بـــه الأحـــزانُ والكـــدر

(مصـــر) الكســـيرة تبكـــي فقـــد قارئهـــا ... والمســـــلمون ، ودمـــــعُ الآي ينهمـــــر

أحـــدثت فينـــا مصـــاباً لـــيس يُذهبـــه ... سَـــعدُ الســـنين ، ولا الـــدنيا ، ولا البشـــر

كـــربٌ تمكّـــن مِـــن أرواح طائفـــةٍ ... دومـــــاً تعرقلهـــــا الآلامُ والغِيـــــر

تبكـــي المناقـــبُ غـــاب اليـــومَ ناشـــرُها ... مِـــن الشـــهود ، وأدمـــى عزمَهـــا الخـــوَر

تســـيرُ فـــوق اللظـــى ، والتيـــهُ حارقهـــا ... والحقـــدُ يســـحقها ، والـــزورُ والشـــرر

منصـــورة ، لكـــنِ الأحـــداث عاصـــفة ... ويحـــرق القلـــبَ أن الزيـــفَ منتصـــرا

علـــى هُـــدى المصـــطفى تحيـــا شـــبيبتها ... جمـــعٌ بـــأمْر رســـول الله مُـــؤتمر

علـــى خطـــا ســـلف للمختـــار مـــنهجهم ... لـــم يقتفـــوا أبـــداً آثـــار مَـــن فجـــروا

يريـــدها الكـــل تحـــت الســـيف أضـــحية ... لكنمـــا مَـــن بغـــى يومـــاً ســـيندحر

ويحمـــل الرايـــة العصـــماء مَـــن نصـــروا ... ديـــن الملـــك ، فيـــا بُشـــرى الألـــى نصـــروا!

شـــيخي الجليـــلَ: ســـتحيا بيننـــا ألِقـــاً ... بصـــوتك العـــذب منـــه الفـــذ يـــذّكر

قلبـــي يحـــنّ ، وفـــي الأشـــواق هيمنـــة ... والـــروح خجلـــى إليـــك اليـــوم تعتـــذر

ســـبائكُ المـــاس أو حُـــورٌ مذهبـــة ... ناهيـــك عـــن نبـــرةٍ فـــي ظلهـــا العِبـــر

(قنـــا) ســـتفنى ، ويُبلـــي الـــدهرُ ســـادتها ... ونـــورُ صـــوتك فـــي الأكـــوان مبتشـــر

ترتيلـــك اليـــومَ فـــي ســـمع الـــدنا عَبـــقٌ ... آذاننـــا ظلمـــة ، وصـــوتك القمـــر

فرجّـــع الآي تلـــو الآي تشـــعِرُنا ... أن القـــرآن علـــى آياتـــه دُرر

ورتـــل (النحـــل) و(الإســـراء) فـــي وجـــل ... ورتـــل (الـــنجم) و(الـــرحمن)! بـــل آخـــر

ورتـــل (النـــور) و(الفرقـــان) و(الشـــعرا) ... فـــي كـــل واحـــدةٍ كانـــت لنـــا النـــذر

ورتـــل (الـــروم) و(الأحـــزاب) ، كـــم حَوَتـــا ... مـــن القواعـــد ، فيهـــا العـــز مـــدخر!

ورتـــل (الفـــتح) و(التكـــوير) مقتـــدياً ... بـــنهج (حفـــص) و(ورش) نِعْـــم ذا أثـــر!

ســـبعاً أجـــدت ، بتـــدريب وتجربـــةٍ ... تحـــارب الجهـــل: لا قـــوس ولا وتـــر

لكـــنْ بـــآي الهُـــدى ، تتلـــو بكـــل تقـــىً ... وتعْظِـــمُ الـــذكر فـــي ألبـــاب مَـــن ذكـــروا

وتســـــكبُ الآي فـــــي أســـــماعنا دُرراً ... وإن ربـــــــــك وهّـــــــاب ومقتـــــــــدر

حبـــاك ربـــك صـــوتاً نابضـــاً حســـناً ... لـــه بقلبـــي شـــجىً ، وفـــي النهـــى سَـــمَر

تبـــارك الله مَـــن أعطـــاك حنجـــرة ... تعطـــــر الآي ، بـــــالتزيين تشـــــتهر

أحـــــبُ فيـــــك أداءً لســـــت ألمسُـــــه ... فـــي الغيـــر ، صـــوتك فـــي الأرواح ينتشـــر

إلا ابـــن صـــدّيق المنشـــيّ ، إن لـــه ... صـــوتاً رقيقـــاً لـــه الألبـــاب تســـتطر

أحـــن للصـــوت إن حامـــت ســـحابته ... وأشـــحذ الســـمعَ حتـــى تـــدخل الســـور

إنـــي أِحبـــك مـــن عقـــدين قـــد مضـــيا ... وكـــم لصـــدعك بالآيـــات أزدجـــر!

نقشـــت حبـــك فـــي قلبـــي وعـــاطفتي ... وداعـــبَ الـــروحَ كـــم ترجيعُـــك العطـــر!

واليـــوم تمضـــي ويطـــوي المـــوت صـــفحتكم ... وعنـــك أســـأل ، لا حـــس و لا خبـــر

يـــا كـــربَ قلبـــي وأشـــعاري وتجربتـــي! ... إذ لـــيس يقـــوى علـــى مـــا ذقتـــه بشـــر

فسُـــنة الله مـــوت الخلـــق قاطبـــة ... رضـــيت ربـــي ، وإنـــي اليـــوم مصـــطبر

شـــيخي الحبيـــبَ ومـــن أحببـــتُ دون هـــوى ... أهـــديك عـــاطر أشـــواقي ، ولـــي وطـــر

عليـــك رحمـــة ربـــي دائمـــاً أبـــداً ... إنـــي احتســـبتك عنـــد الله يـــا (قمـــر)

حَنيـنٌ بقلبـــي!

(معارضة لقصيدة الشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي: حَنينٌ بقلبي!)

(منذ عقدين مَضيا وأنا أرغبُ في معارضة هذه القصيدة الجميلة ذات الأبيات التسعة! ولما حان حين الرغبة تلك ، عارضتها بهذه القصيدة متخيلاً من كتب لهم الدكتور عبد الرحمن قصيدته ، وهم يبعثون له بالرد شعراً على رسالته! وكان الدكتور قد رحل عنهم إلى (كوتا باتو) جنوب الفيليبين لتدريس اللغة العربية هناك! وإن لم تبلغ قصيدتي شأوَ وجمالَ قصيدة الدكتور وهذا واضحٌ لا يحتاجُ إلى بَيان ، وطبيعي أن يكون الدكتور أشعر أهل بيته ، فيبقى لي شرفُ المحاولة! والحقيقة أنني عندما استمعتُ إليها أول مَرة استعدت الاستماعَ عشرَ مَرات!)

طوانـــا اشـــتياقٌ وحُـــبٌ مَكِـــينُ ... فلـــيس يـــزورُ القلـــوبَ السُـــكونُ

رحلـــتَ ، وذبنـــا لمَـــرآك شَـــوقاً ... وشـــوقُ المُحِبـــين شـــوقٌ مَتـــين

وللـــذكريات هيـــاجٌ شـــديدٌ ... يَـــرُجُ النفـــوسَ ، ولـــيس يُبـــين

****

فراقـــك للأهـــل ثِقـــلٌ ثقيـــلُ ... وللبـــين أخْـــذٌ عَتِـــيٌ وَبيـــلُ

وآثـــارك الآن كـــم نشـــتهيها! ... تُخفـــفُ عنـــا الـــذي نســـتطيل

وفـــي كـــل ركـــن نـــرى لـــك طيفـــاً ... وكـــم يُســـعدُ الـــنفسَ طيـــفٌ جميـــل!

****

وأنـــت بهـــذا الـــوداد حَقيـــقُ ... علـــى الكـــل أنـــت الحنـــون الشـــفيق

وجُـــودُك يَبعـــث فينـــا حيـــاة! ... فأنـــت لأهلـــك نعـــم الصـــديق!

ونـــذكرُ مـــا قلتـــه مِـــن نُصُـــوح ... لكـــي لا يُعـــاودُ كَـــرْبٌ وضِـــيق

****

وأشـــعارُك الباعثـــات التحايـــا ... تُحَفزنـــا أن نصـــونَ الوصـــايا

فـــنصٌ يُهَنـــي ، ونـــضٌ يُعَـــزي! ... وبينهمـــا نســـتطيبُ الهـــدايا

وللأمســـيات صَـــدَىً لا يُبـــارى ... وتلـــك عَطِيـــة رب البرايـــا

****

نـــــراك بثـــــوب تركـــــت مُسَـــــجّى يُســـــامرُ إبنـــــاً وبنتـــــاً وزوجـــــا

نـــــراك بعطـــــر شـــــذاهُ تهـــــادى بســـــاح الـــــديار ، ومـــــا فـــــات فجّـــــا

نـــــراك بـــــأحلى (شِـــــماغ) تـــــدلى علـــــى مِشْـــــجَبَيهِ يُصـــــارعُ رَهْجـــــا

****

ونســـــمعُ صـــــوتك إمـــــا أتانـــــا صـــــديقٌ يُثيـــــرُ النـــــوى والشـــــجونا

ويســـــأل عنـــــك بكـــــل التيـــــاع وتُرســـــلُ عينـــــاه دَمعـــــاً هتونـــــا

يُـــــذكّرنا بـــــك فـــــي كـــــل لفـــــظٍ كأنـــــك فارقـــــت قومـــــاً ســـــنينا

****

تـــــــــولاك ربٌ رؤوفٌ رحـــــــــيمٌ وخصّـــــك بـــــالجُود مَـــــولىً كـــــريم

وَوُفقـــــت فيمـــــا ذهبـــــت إليـــــه فتدريسُـــــك الضـــــادَ شـــــيءٌ عظـــــيم

وثبّتـــــك الله فـــــي كـــــل وقـــــتٍ وحِـــــينَ تنـــــامُ ، وحِـــــينَ تقـــــوم!

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (نصيب اليوتيوب من شعري 1)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
1	أبتاه!	الكامل	معاني	7
2	أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي)	الوافر	شعاعه	8
3	أشواق الغربة	الخفيف	إيابي	13
4	أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهمِ؟!	الطويل	مُغرمِ	15
5	أصحاب أحمد	الكامل	الأبرارُ	24
6	الأطـلالُ اليمنيــة 1!	الرمل	قافية منوعة	30
7	الأطلالُ اليمنية 2!	الرمل	قافية منوعة	32
8	الجمال اليماني	الكامل	وسباني	37
9	الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!	البسيط	أعلامُ	39
10	الطالع السعيد في مدح خالد بن الوليد	الكامل	الأنصارُ	75
11	الغربة بين الأمس واليوم	الرمَل	الأملا	91
12	الغربة مهر المعالي!	البسيط	الجالي	92
13	القصيدة الزينبية 2	الكامل	ويعتبُ	93
14	المقابر تتكلم 1 (إنها تذكرة)	الكامل	مَن يهربُ	107
15	المقابر تتكلم 2 (نصيحة لزائري القبور)	الرمَل	العِبَرْ	112
16	المقابر تتكلم 3 (وصية أصحاب القبور)	المتقارب	مَن يَذّكِرْ	134
17	أن تُدخلني ربي الجنة ـ جنة الفردوس	المتدارك	قافية منوعة	157
18	بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه ـ	البسيط	وأنتصفُ	160
19	بُردة عائشة – رضي الله عنها ـ	البسيط	بالنغمِ	175
20	بُردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه ـ	البسيط	طيّب الكلمِ	196
21	بُردَة عمرَ بن الخطاب – رضي الله عنه ـ	البسيط	تنهمرُ	223
22	بردة فاطمة الزهراء – رضي الله عنها ـ	البسيط	بالرنمِ	258
23	بلقيس (ملكة سبأ)	الكامل	الملموسا	274
24	بين شوقي وحافظ!	البسيط	الأحَدُ	277
25	تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول!	البسيط	والوَردِ	280
26	حبيبتي أقبلتْ!	البسيط	خائن الحِدَقِ	286
27	حقيقة الشاعر!	البسيط	جَوقة الريَبِ	288
28	حنين القلب! (رثاء الشيخ عبد الباسط)	البسيط	ينتشرُ	289
29	حَنيـنٌ بقلبـــــي! (معارضة للعشماوي)	المتقارب	قافية منوعة	298

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (نصيب اليوتيوب من شعري 1)

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية ـ محافظة بورسعيد ـ تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة المنصورة ـ مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة ـ الكولة ـ مركز أخميم ـ محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية ـ لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونقده بالحسنى ـ بتوفيق الله! وأما الدواوين والقصائد والمجموعات والكتب:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نِهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيزُ النفس: (ديوان شعر).
3 ـ سُويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 ـ ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأملُ الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذلُ الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموعُ التصبر: (ديوان شعر).
12 – عِتابٌ وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوهُ ، ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مِسبحتي وتَغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عَزة الخير: (ديوان شعر).
17 – مَنارُ الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ مِن قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلامُ الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجَمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعرُ رَحِمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وَداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).
27 – يا شعرُ كُنْ لي شاهداً! (ديوان شعر).
28 ـ اللهمّ تقبَّلْ مِني شِعـــري! (ديوان شعر).
29 ـ اللهَ اللهَ في شِعر أبيكم! (ديوان شعر).
30 ـ يا عباد الله فاحكموا! (ديوان شعر).
31 ـ ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 ـ قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المُخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية وشعرائها: عنترة بن شداد العبسي.
3 ـ السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 ـ مشاركاتي على الفيس بك والواتس آب! (لغوية وأدبية وشعرية ونحوية).
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم ـ!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)
7 – مائة ألف معلومة ومعلومة! (معلومات قيمة في مختلف فروع العلوم على هيئة سؤال وجواب!)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء! (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار!
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف! (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو! (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية! (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية! (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صَديقاً وصِهراً!
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً!
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي! (النص الوحيد من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى! (مدح الله تعالى)
21 – الآن طاب الموت! (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة!
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء!
24 – فاعفوا واصفحوا!
25 – أبجديات شعرية!
26 – الشعر رَحِمٌ بين أهله!
27 – الله يرحمُ مُزنة!
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف!
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لِحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم! (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم المَيّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – عزائي وتأبيني للشيخ الصابوني – رحمه الله تعالى -!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به مُحَللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلمَ وفهِ التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب! (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب! (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي! (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث! (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد) (معارضة لشوقي)
55 – رسالة إلى دائنة! (ابنة السويدي)
56 – رضيعة الحاوية! (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع! (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رُفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –!
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سُمية بنت خياط – رضي الله عنها –!
61 – سنسافر أنا والكتب! (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها! (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طِبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طِبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة! (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين! (كفلهما شقيقهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس! (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل!
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن! (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – الكائنات الفضائية!
74 – لصوص القريض!
75 – لقاؤنا في المحكمة!
76 - لوعة الرحيل!
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً! (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى! (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء!
81 – منار الخير! (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها! (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية! (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – كن كما أنت! (انتصارية للشيخ الصابوني رحمه الله)
86 - تلميذي البار شكراً!
87 - القصيدة الزينبية! (محاكاة لزينبية ابن عبد القدوس) 2
88 - شمس العرب تسطع على الغرب!
89 - تحيتي لموقع الشعر والشعراء!
90 - الخلق والعلم معاً! - الأستاذ محمد الكيلاني!
91 - الشعر حَنينٌ ورنينٌ وأنين!
92 - امرأتان من صعيد مصر! (هاجر&مارية)
93 - المقابر تتكلم 1 (إنها تذكرة!)
94 - زواجٌ بالإكراه!
95 - شِعرٌ يؤبّنُ صاحبَه!
96 - وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!
97 - محاكاة لامية ابن الوردي!
98 - امرأة تزوجتْ رجلين!
99 - أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهم؟ (محاكاة ليزيد بن معاوية)
100 – مروءة ولى زمانها!
101 - أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي وأحمد)
102 – زلزال تركيا المدمر!
103 - المقابر تتكلم 2 – (نصيحة لزائري القبور)
104 - المقابر تتكلم 3 – (وصية أصحاب القبور)
105 – المقابر تتكلم 4 – (حوار بين ميتٍ وقبره!)
106 – دمه وماله وعِرضه! (الصهر الكذاب)
107 – سعة علم أبي يزيد البسطامي!
108 – رمضان أشرقْ!
109 – يا شعرُ كن ليَ شاهداً!
110 – المقابر تتكلم 6 (العفو عند المقبرة)
111 - القطة وإمام المسجد! – وليد مهساس
112 – مكافأة لا قِصاص! (عمر بن عبد العزيز)
113 - حللت أهلاً ونزلت سَهلاً يا عيد الفطر!
114 - تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول (معلم اللغة العربية بمدرسة كفر سعد الثانوية)
115 – المقابر تتكلم 7 (المبالغة في البناء)
116 – شبعة من بعد جوعة! (رسالة إلى أسرةٍ وضيعة)
117 – فإذا أمن بعضكم بعضاً! (رسالة إلى متكسِّب بالقرآن!)
118 – عَظم الله أجرك في الكتب! (رسالة إلى سارق الكتب)
119 – لا تقولوا: ضحِية زوجته!
120 – غادة الأزهر! (حبيبة السيد مصطفى خليفة)
121 – منتقبة لا مُنقبة!

122 – نقابي حِشمتي!
123 – منتقبة لها دَورُها!
124 - النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان
125 - أخرْتُ عمّنْ هان رَدَّ سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
126 – لا يُؤت الإسلام من قبلك يا ذات النقاب!
127 – النقابُ ثلاثة أنواع!
128 - دموع المآقي في تأبين كريم العراقي!
129 – ليتني أطعتُ صِحابي!
130 - غِريد القرآن عبد الباسط عبد الصمد!
131 - منتقبة ذات علم وخلق!
132 – الأعمال بالخواتيم 2 (العروس الصادقة)
133 – الأعمال بالخواتيم 3 (يوم عرسها ماتت!)
134 – المنتقبة الصغيرة!
135 – تدل على الرجال مواقفهم! (محمود هلال)
136 – وليس العُري كالستر!
137- إعصار ليبيا المُدَمر (دنيال)
138 - المنتقبة والعصفور!
139 - عروسة المولد!
140 - ما ذنب النقاب يا قوم؟!
141- العدل بين الزوجات أولى!
142 - الأعمال بالخواتيم 3 - عروسٌ تموت وهي ترقص!
143 - المنتقبة الفارسة!
144 - ممارسات تُزري بالمنتقبة!
145 - قصة المنتقبة مع قطتها!
146– ذات النقاب والفارس!
147 – منتقبتان في الحديقة!
148 – المنتقبتان الضرّتان!
149 - المنتقبة والبحر!
150 - المنتقبة والقطة المبتلاة!
151 - المنتقبة واليتيمتان!
152 - دعاء مغترب!
153 - لباقة منتقبة!
154 - نسيم الشعر على عطية صقر!
155 - وداعا صديقي محسن مأمون رسلان!
156 - عندما يتبرج النقاب!
157 – هدية امرأة منتقبة!
158 - منتقبات في حلقة التحفيظ!
159 - منتقبة تتزود للآخرة!
160 - من فات قديمه تاه!
161 - أبتاه عُذراً!
162 – نقاب غطته الدماء! (رزان)
163 – النقاب للستر ، لا للنشر!

164 – أطفال تحت الأنقاض!
165 – مراعاة شعور الآخرين مروءة!
166 – القارئ المرتل ظافر التائب!
167 – نجومٌ في ظلمات حياتنا!
168 – إحدى الحسنيين!
169 – أرسلوا النعوش والأكفان!
170 – الحجاب ليس حِكراً على النساء!
171 – السمط الثمين في حكمة ابن عُثيمين!
172 – مراعاة شعور الآخرين مروءة!
173 – الوقت كالسيل لا كالسيف!
174 – النفس وظلمات التيه!
175 – جرح المتهم البرئ!
176 – رسالة إلى الشاعر (الفولي عصران)!
177 - البدوية المنتقبة!
178 - الجوهرة تُحفظ لا تُعرض!
179 - النصر حفيد الصبر!
180 - إلى خنساوات أرض الرباط!
181 - بريءٌ دَهته المنايا!
182 - فيم الصمتُ عن أرض الرباط؟
183 - القمرُ المنتقبُ الصغير!
184 – المقابرُ تتكلم 8 (بدع الجنائز والمقابر)
185 - الأزهري الصغير معاذ!
186 - المُنتقبات الخمس الصديقات!
187 - النقاب تشريع لا تقليد!
188 - منتقبة تشتكي إلى الله! (نانا)
189 – عهد المنتقبات!
190- رجل جمع القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد)
191 – تحية لمصانع الأزياء الإسلامية!
192 - لك حُبي واحترامي!
193 - لا وقت للدُمَى ، يا بُنَي!
194 - حكاية الجرسونة (روزا)!
195 – سنرحلُ ويبقى الأثر! (المَشالي & عَطية)
196 – لماذا تبكي النّساء؟!
197 – هرقل والمُلك الزائل!
198 – هل في القزع جمال؟!
199 – في مكتب مدير المدرسة (1)!
200 – في مكتب مدير المدرسة (2)!
201 - إلى أين يا عدوة نفسها؟
202 – أختٌ من الأب!
203 – مالكُ بنُ دينار وابنته!
204 – تذكَرْ يوسف وموسى!
205 – التجمّل الباطل في وسائل التواصل!

206 – حَميد الله الهندي!
207 – البذاذة من الإيمان!
208 – مُحْيي الدين عبد الحميد!
209 – كلابٌها أصدق من أهلها!
210- رسالة منتقبة حكيمة!
211 – عليهِ العِوَض ، ومنهُ العِوَض!
212 – هل مات العريس؟!
213 – الله الله في شعر أبيكم!
214 – هل أصبحتُ وباءً؟!
215 – من المحنة تأتي المنحة!
216 – الخمسة أولادي!
217 – رجلٌ جمعَ القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد!)
218 – ياسمين والرحيل إلى الله!
219 - سامحوني أيها الأبناء!
220 – هل في القزْع جمال؟
221 – كذبتني ، فهل صَدَقتَ؟!
222 – امرأة بألف رجل!
223 – الواعظة الصغيرة!
224 - زوجات مبتكرات!
225 - اللهم تقبل مني شعري!
226 - الكلاب في شعر أحمد سليمان!
227 – قالت رحابُ ، وقلتُ! (محاكاة لرحاب المحمود) - 1
228 – خياران أحلاهما مُر!
229 – كم أعطوك؟!
230 – الخديعة الكُبرى!
231 – نحن جاهزون للطلاق!
232 – الوريث الوحيد!
233 – فاعدل بينهم!
234 – سأعَلمها وأربِّيها!
235 – الأعمى البصير!
236 – ذهب النشوز بالحب!
237 - الأخت الكُبرى الضحية!
238 – أخبره أني أخته!
239 – اذكر دراجتك وقفاصتها!
239 – ضحايا الروتين اليومي!
240 – شتان بين اللجنتين!
245 - الجهل سلاح المرتزقة!
246 – شكرٌ أتى متأخراً!
247 – لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً!
248 – لماذا خذلتني يا أبتاه؟!
249 – عُقبى حُب الظهور!
250 - صلاة التراويح الظافرية!
251 - تبادل الزوجات!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات!
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال!
4 – أمتي الغائبة الحاضرة!
5 – أنات محموم وآهات مكلوم!
6 – أوبريت هيا إلى العمل! (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية ، والرد عليها!
8 – رمضان شهر الخير والبركة!
9 – عندما لا نجد إلا الصمت!
10 – يا أماه ويا أختاه كُفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء!
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء! (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان!
15 – رسائل سليمانية شعرية!
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة!
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضِدَّان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة! (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمِرُ العِتاب!
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائدُ لها قِصصٌ مُؤثرة! (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره!
24 – مساجلات سليمانية عشماوية!
25 – مُراودة ومُعاندة! (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –!
27 – الزاهية تُحدثنا عن نفسها! (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العِلل والداءات!
30 – الصعيد مهد المجد والسعد!
31 – الضاد بين عدو وصديق!
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى!
33 – الغربة دُربة على الطريق!
34 – الغيرة غير القاتلة!
35 - القصيدة ابنتي!
36 – اللغة العربية وصراع اللغات!
37 – اللقيط برئٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل!
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة! (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال!
41 – الوحدة بر الأمان! (مسرحية من فصل واحد)

42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم!
43 – أمومة وأمومة!
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر!
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا أوباش؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير! (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة! (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية!
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب!
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة!
63 – من أناشيد الأفراح!
64 – نحويات شعرية!
65 – نساء صَقلتهن العقيدة!
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان!
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان
76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر!
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان

84 – بر الوالدين في شعر أحمد سليمان!
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري!
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة!
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المُرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون!
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (3&2&1)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - يا جارة الوادي اليمنية! (1 & 2) (معارضة لشوقي)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (3&2&1)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (2&1)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق!
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد!
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان
118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (3&2&1)
121 – قصائد يوتيوبية سليمانية (1) & (2)
122 - مشاركاتي على الواتس آب والفيس بك!
123 - مجلس التهاني في قناة المجد الفضائية!
124 - رحلتي مع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد!
125 – النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان!

126 - الأنين في شعر أحمد علي سليمان!
127 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!
128 - الأريج في شعر أحمد علي سليمان!
129 - الأنين في شعر أحمد علي سليمان!
130 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!
131 - القلم في شعر أحمد علي سليمان!
132 – حسابي مع الأوباش!
133 - ضرب الزوجات!
134 - نصيب أسرتي من شعري!

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة مختلفة الموضوعات ومتنوعة في الكم والكيف!

سادساً: الكتب المحققة والمخرّجة

(الحب بين المشروعية والضلال) كتبه الأستاذ حمدي محمد سعد ماضي (المحامي) وحققه وخرجه أحمد سليمان

سابعاً: الكتب الإنجليزية

1 . Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages

Teaching English - Arabic and Religion only to the foreign students

Academic Rank	Teacher - Coordinator – English - Programmer – Poet – Writer
Degrees	Bachelor of Arts .Department of English and its Literature, Mansoura University – Egypt, May 1985.
Research field	Teaching English as a first language. Teaching social studies. Teaching Arabic using Arabic or English. Teaching French. Teaching Social Studies to Non-Arabs .Teaching Literature
Publications	1. The Basics of Education. (Criticism) New Education Magazine 2. Education Yesterday, Today and Tomorrow. Forum 3. Modern technology and Education. Usual Reader 4. The Best Qualities of a good teacher. Forum 5. How to teach Vocabulary. (Criticism) Forum

	6. How to teach a song. Forum 7. How to teach a short story. Usual Reader 8. How to study English with your son. Usual Reader 9. How to present general information. Usual Reader 10. Skimming Reading and Scanning Reading Skills. 11. William Hazlet as a critic. 12. Aldous Huskily as a critic. 13. Styles of translation. 14. How to teach Grammar. 15. Writing Operation Skills. 16. The Listening Lesson. 17. Glorious Classroom Management. 18 – How to prepare your exam paper.
Courses taught **(last 3 years)**	1. Straight Planning (European System) 2. Strategic Planning (American System) 3. Poor Students Evaluation. 4. Education Theories. 5. Scientific Research Results. 6. The Successful Education. 7. Advantages of Culture and disadvantages of it. 8. Roles of Computers in Educational Operation. 9. English away from Classroom. 10. How to test your students.

Employment	* English Teacher from 1986- 1990 in Egypt (Secondary Stage) * English Teacher since 1996 in Ajman (Primary Stage) * English Teacher since 2008 in UAQ (Preparatory Stage) * English Teacher since 2009 in RAK (Preparatory Stage) * English Teacher and English Coordinator since 2010 till today in the (American English) in the American Department. For the upper grades from 7, 8, 9 American.

Honors and Awards	1. Appreciation Certificate from faculty of Arts 1985 in Translation. 2. Appreciation Certificate from Secondary Institute in 1986. 3. Appreciation Certificate from Al-Rashidiah School in 1993 4. Appreciation Certificate in 1998. 5. Appreciation Certificate in 2008. 6. Appreciation Certificate from Modern School in 2009. 7. Appreciation Certificate from National School in 2010. 8. Arabic Protection Community 2004.
Volumes of Poetry	1 – The End of the Road 2 – The Confident Man 3 – The Hours of the Sunset 4 – The Bloody Snail 5 – A Tone on the Love's Wall 6 – The Perfume Aspiration 7 – The Tendency of Memories (Part One) 8 – The Upper-Egyptians had arrived! 9 – The Surrendering of the Beauty 10 – The Shoes Woman-Cleaner 11 – Patience Tears 12 – Blaming and Complaint 13 – Say frankly without Simulation 14 – Poetry is my Rosary

	15 - Yemeni Young Girl 16 – Azzah, the Lady of Goodness 17 – The Beacon of Goodness 18 – Estrangement, Bayonet and Sadness 19 – The Two Women –doctors 20 – I wander of the Ability of Allah, The Al-Mighty 21 - The Gentlemen of the Sacred Land 22 – Like the One who catches Fire! 23 - The Tendency of Memories (Part Two) 24 – The Rain betrays you! 25 – Poetry is a Merciful Mother among Poets! 26 – Bye Bye, My Poetry! 27– Oh, My Poetry, Be my Witness! 28 – Oh, Allah, Reward my Poetry! 29 – Allah, Allah, in your father's Poetry! 30 – The Life-Style of Ahmad Ali Solaiman
Other Literary Books	1 – Stylish Reading in the Poetry of Hassan Bin Thabit Al-Ansari – May Allah Be Pleased with Him -. 2 - Stylish Reading in the Poetry of Antara Bin Shaddad Al-Absi. 3 – The Story life and the Self-Road 4 – Ahmad Solaiman's Life